

جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي
قسم الدراسات النظرية

اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث دراسة نظرية تطبيقية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب :
مزمل عمران أحمد زهري

إشراف:
الدكتور/ عثمان محمد الحسن عبد اللطيف

الخرطوم
٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

قال الله تعالى في محكم تنزيله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)

قال أبو الدرداء :

((لا تفقه كل الفقه حتى ترى في القرآن وجوها)) (٤)

(١) [إبراهيم : 4]

(٢) [النحل: 44]

(٣) [آل عمران: 7]

(٤) عن أبي قلابة قال قال أبو الدرداء إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس (حلية الأولياء، المصدر السابق، ج 1 ص 211) (مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي - بيروت (ط2)، سنة (1403م)

(ج1 ص 255)

الإهداء

إلى :

والذي الذي رباني صغيرا

وأمي التي أحت متضرعة بين يدي الله عند ما التجئت إلى رحابه

ومشايخي القائمين بالتوجيه والإرشاد إلى باب الرشد والسداد

ملخص البحث

هذه الرسالة المشكورة تحمل الموضوع "اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث" بدراسة نظرية- تطبيقية - نقدية. وذلك لأن القرآن رسالة حية للعالم أجمع ومحورا للثقافة الاسلامية منذ أقدم العصور الى أن يرث الله الارض ومن عليها ولا يزال المسلمون يُقبلون على القرآن بالتلاوة والتدبر والتفسير ويعيشون في ظلاله. وهذا معناه أن تظهر تفاسير القرآن في كل فترة وأن يضيف العلماء خلالها أبعادا وآفاقا جديدة إلى التفسير و يتجهون اتجاهات وأن يستخدموا مناهج جديدة يضيفونها إلى مناهج التفسير السابقة.

يتشرف الباحث باختيار هذا الموضوع من أجل أن يعرض ما استجد من مسار التفاسير الحديثة ومميزاتها واتجاهاتها ومناهجها التي تبرز في الدراسات القرآنية وفي مقدمتها التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي والتفسير الإلحادي (التفسير الحداثي) مستخدما منهج المناسب للموضوع من منهج الوصف والاستقراء و النقد الموضوع

يهدف الباحث ببحثه المتواضع التعرف على وجه الدقة والاستيعاب عن أبرز الاتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث نظريا وتطبيقيا ومعرفة القراءات المعاصرة التي تتجه نحو الانحراف والإلحاد في تفسير القرآن الكريم و يحاول أن ينقده و يرده نقدا منطقيا بالحجة البالغة حفاظا للقرآن من الأقلام اللامسئولية التي تلوث قداسة القرآن وتعاليمه المبدئية.

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع " اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث" انتهى البحث إلى أهم النتائج التي تتمثل في المحاور التالية:

١- ويبدأ العصر الحديث في التفسير منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين بظهور الإمام محمد عبده الذي أرسى أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير بينما رأى البعض أنه يبدأ بصدور كتابين في التفسير العلمي :

١. كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية

٢. تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية والكتابان من تأليف محمد بن أحمد الاسكندري (المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ).

٢- تجدد القراءة المطلوب في القرآن أن يكتشف المزيد والجديد من كنوزه العجيبة التي لن تنفد ويمكن للقارئ أن تتجلى كنوز القرآن من المعاني الجديدة بتدبر حقائق عبارته و حكمه وأمثاله وعجائبه على مدار الساعة.

٣- أبرز اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث هي (١) التفسير الموضوعي بألوانه الثلاث التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني و التفسير الموضوعي للموضوع القرآني والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية. (٢) التفسير الأدبي الاجتماعي. (٣) التفسير العلمي (٤) والتفسير الإلحادي الذي اتسمت اتجاهاته بالانحراف والتحريف.

وأهم التوصيات التي قدمها الباحث أن المجتمع المسلم المعاصر في أمس الحاجة إلى التجديد التفسيري أو تجديد العقل التفسيري الذي يستوعب ثقافة العصر الحديث و يأخذ نفعا اجتماعيا وحلا للمشكلات الشائكة وسوقا نحو المجتمع المدني المتقدم بروح الخير والإيجابية في الإنسانية.

وهذه الرسالة لا تبلغ درجة الكمال والجمال فلا يبعد أن يلقي النقد البناء أو التصويبات المنتجة ممن يتمثل مؤهلا في الدراسات القرآنية وذلك لا يزال منشودا من الباحث هذا مبلغ علمي وجهدي والله من وراء القصد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً وجعله نورا هاديا وروحا ساريا ومعجزة باقية وحجة ملزمة كما جعله عصمة ونجاة لمن تمسك به وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه وتخلق بأخلاقه. والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضله عليه عظيما وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعه وسار على نهجه واستن بسنته. إن تفسير القرآن لا يمكن ان يغلق، لأن القرآن رسالة حية للعالم أجمع ومحور الثقافة الإسلامية منذ أقدم العصور الى أن يرث الله الارض ومن عليها ولا يزال المسلمون يُقبلون على القرآن بالتلاوة والتدبر والتفسير والتأويل ويتحركون به ويعيشون في ظلاله. وهذا معناه أن تظهر تفاسير القرآن في كل فترة وأن يضيف العلماء في كل عصر أبعادا وآفاقا ومضامين جديدة إلى التفسير وأن يستخدموا مناهج جديدة يضيفونها إلى مناهج التفسير السابقة. ولقد صدق الإمام الزمخشري^(١) عن كثرة التفاسير، رغم تحفظنا على الثناء على كشافه

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمرى مثل كشافى
 إن كنت تبغى الهدى فالزم قرائته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
 وتعددت مناهج التفسير ومدارسه واتجاهته على مدار التاريخ الإسلامي.
 واتجاهات التفسير تختلف من حين الى آخر ولكل عصر خصائص تتناسب

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ - ١١٤٤ م): من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب. كان إمام عصره وكان منظرا بالإعترال ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنتقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. قد كانت وفاته في ليلة عرفة. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) وغير ذلك (الأعلام، للزركلي، دارالعلم للملإيين، (ط ٢)، سنة (١٩٩٧م) (ج ٧ ص ١٧٨) و(طبقات المفسرين، لأحمد الأندروبي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (ط ١)، سنة (١٩٩٧م) (ج ١ ص ١٧٢)

مع متطلبات الوقائع والمستجدات والظروف التي تحيط بها واختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومناهجهم في التفسير على حسب مشاربهم ونزعاتهم منذ العصور القديمة الى العصور الحديثة. العصر الحديث يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين وكان التركيز على التفسير في العصر الحديث كبيراً لحرص المسلمين على إصلاح أحوال المجتمع من كنوز القرآن وعلى ضيائه المنير - وهذا ما يسمونه بالتفسير الأدبي الاجتماعي - كما مارسه العلماء المعاصرون وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده^(١) ومن نهج منهجه بموضوعات - يحفل عليها القرآن الكريم - في كل ما تهمة الحياة البشرية وفي كل مجالاتهم ونواحيهم المختلفة - ومثل هذا ما يسمونه بالتفسير الموضوعي - بل اعتنى المعاصرون على حد كبير من دراسة القرآن وفق ما يتماشى مع بهجة العلوم الحديثة والتكنولوجي الهائل^(٢) - وهو ما برز ظاهرة للتفسير في العصر الراهن وذاع بينهم بالتفسير العلمي أو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - . وبجانب ذلك حرص المسلمون الدفاع عن القرآن الكريم ورد الشبهات والانحرافات التفسيرية التي أثارها الملحدون والمستشرقون لأجل التشكيك والتشويه في قداية القرآن خاصة وعزة الإسلام عامة.

أهمية البحث

(١) وهو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني مفتي الديار المصرية . ولد في شبرا من قرى الغربية بمصر ونشأ في محلة نصر بالبحيرة. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة ١٢٩٩ هـ - ١٨٨١ م وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م وتولى منصب القضاء فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالاسكندرية، ودفن في القاهرة (الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، (ط ٢)، سنة (١٩٩٧ م) ج ٦ ص ٢٥٢)

(٢) يقال : هألني الأمرُ يُهولني هَوْلًا أفزعني (لسان العرب دار صادر - بيروت ، (ط ١) (بدون تاريخ) في مادة - هول - ١١ / ٧١١) ونعني بـ" التكنولوجيا الهائل" أن التكنولوجيا في الأونة الأخيرة يُفزع الناس بسرعة اكتشافاته المبهجة حتى يتعجب بها

نعتقد أن معرفة مناهج المفسرين ضرورية للراغبين في العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية. لأن مدارس التفسير ومناهجها وتياراتها متعددة حيث ظهر مئات المفسرين كتبت عدة التفاسير في فهم القرآن وبيان مضمونه. كل من المفسرين على وفق المدرسة التي انتمى إليها وعلى أساس التخصص الذي مهر فيه وبقوا يفسرون على المنهج الغالب في التفسير حتى جاء العصر الحديث ثم ظهرت اتجاهات عديدة للتفسير في العصر الحديث وانتقل الى مرحلة جديدة وهي مرحلة التجديد منها ما هو أصيل اتجه على النهج السليم المشروع القائم على الإبداع الجاد الملتزم بالضوابط العلمية والأسس المنهجية.

إن تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. وذلك أن الباحث المسلم عند ما يجابه مشكلة في الحياة أو يريد أن يقدم نظرية مستحدثة في علم النفس أو علم الاجتماع أو في علوم الحضارة الإنسانية أو في العلوم الفلكية أو العلوم الطبيعية أو العلوم الاقتصادية وما إلى ذلك. وجانب آخر من التفسير الذي يتصدر بالبروز على شكل موسع في العصر الحديث هو ما يسمونه التفسير الأدبي الاجتماعي وما شاع ذكره بالتفسير العلمي.

بينما بدا وسط المجتمع الإسلامي المعاصر أبرز التفاسير الثلاث التي سبقت الإشارة إليها اندفع نفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائغة في القرآن بعوامل مختلفة فمنهم من ادعى بالتجديد في التفسير - ولو بتحريف كتاب الله - بحجة أن تفاسير القدامى لا تواكب متطلبات العصر ولا تستطيع أن تخدم قضايا الساعة ولا تقدم حلولاً فعالة لمشاكل المجتمع المعاصر فأخذ يثور على المفسرين القدامى بالنقد والطعن.

فمن واجب المسلم أن يدافع عن القرآن بقصارى الجهد بطريق البيان والكشف عن الانحرافات المغرضة في التفسير والشبهات المثارة تجاه القرآن بحجة بالغة منهجية.

أسباب اختيار الموضوع

لقد ألف عدد من الكتب التي بينت اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث. ونرى-على حد بحثنا- أن الكتب التي تستعرض اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث دراسة (نظرية- تطبيقية- و- تحليلية- نقدية) قليلة جدا- وبصفة خاصة - عن أبرز التفاسير الرائجة الثلاث التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي بل يمكننا القول " ماسبق بحث من المؤلفين في اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث يتناول مضمونها اتجاهات التفسير المشروع وأبرزها والمنحرف من نوع التفسير الإلحادي دراسة نظرية وتطبيقية ونقدية ويضاف من خلاله عرض الشبهات والانحرافات المثارة حول القرآن وتفسيره ووطريقة ردودها ". إذن يتشرف الباحث باختيار الموضوع " اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث " بطريق الدراسة النظرية- التطبيقية والتحليلية-النقدية.

أهداف البحث

وعلى ضوء هذا الموضوع يهدف الباحث ببحثه المتواضع في النقاط التالية:

البعد النظري

- (١) التعرف على وجه الدقة والاستيعاب عن الاتجاهات لمناهج التفسير في العصر الحديث نظريا وتطبيقيا على شكل عام
- (٢) معرفة ظواهر تغير الاتجاهات لمناهج التفسير في العصر الحديث والقراءات المعاصرة والقراءات المتجددة في الدراسات القرآنية
- (٣) العلم بمميزات وخصائص التفسير في العصر الحديث
- (٤) استعراض كيفية التعامل مع القرآن في العصر الحديث والخطوات المتدرجة فيه
- (٥) العرض والتحليل لأبرز الاتجاهات لمناهج التفسير في العصر الحديث- التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي - ومدى رواجه وسط المجتمع المعاصر الذين يعيشون في رخاء الحياة وتقدم الحضارة وتطور المعارف الحديثة.
- (٦) العلم على أي مدى تأثرت التفاسير الحديثة بحضارة الغرب

(٧) معرفة ما انحرف وألحد من التفسير الحديثة أو القراءات المعاصرة التي لا تستمد على الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة بل تعتمد على مجرد الرأي ي والهوى يهدف به الإفساد والفوضى.

(٨) العلم بالشبهات التي أثرت تجاه الأمة الإسلامية حول القرآن وتفسيره

البعد العملي

- (١) إمكانية تأثير المجتمع المعاصر الفعال بهدى القرآن وكنوزه حتى يفهموه ويعملوا بمقتضاه
- (٢) القدرة على تفسير الآيات وعرضها في أي موضوع من موضوعات القرآن الكريم وفي أي وضع من الأوضاع وفق نزعات وطبائع المجتمع المعاصر حتى يتلقى بالقبول
- (٣) الحث بشدة عن الابتكار في التفسير بنمط جديد وأسلوب جديد ومنهج جديد طالما يتقيد بأدوات التفسير وضوابطه المشروعة
- (٤) تفعيل مناهج التفسير التي تستجيب متطلبات العصر وقضايا الأمة ومن أبرزها التفسير الراجحة الثلاث التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي
- (٥) إمكان الحذر كل الحذر عن التفسير المنحرفة وشبهاتها وطريق ردها و نقدها

الدراسات السابقة

من خلال تتبع الباحث لما كتب حول اتجاهات مناهج المفسرين في العصر الحديث تبين أنه في منتهى الندرة. ومع هذه الندرة فإن منها ما كان مختصراً ومنها مكان جزأ من جزئيات الموضوع ومنها ما كان يتناول في المناهج المشروعة فحسب دون المناهج المنحرفة الملحدة في التفسير مع أنها من قبيل اتجاهات المناهج المعاصرة. وفيما يأتي نموذج لذلك:

أ. التفسير والمفسرون للحسين الذهبي^(١)

ب. التفسير والمفسرون في العصر الحديث^(١)، لعبد القادر محمد صالح

(١) الإمام الدكتور محمد حسين الذهبي (١٩١٥ - ١٩٧٧) من مواليد التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٥ في قرية مطوبس في محافظة كفر الشيخ (مصر). التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر. حصل الذهبي على الدرجة العالمية، أي الدكتوراه، بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام ١٩٤٦ من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر وذلك عن رسالته التفسير والمفسرون. من أهم مؤلفاته التفسير والمفسرون، الوحي والقرآن الكريم، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها وما إلى ذلك (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة = حسين_الذهبي / <http://ar.wikipedia.org>)

ج. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي^(٢)
 د. التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى^(٣)
 هـ. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي^(٤)
 وقد اتجه الباحث في حديثه عن اتجاهات المناهج في العصر الحديث حول الأطر التالية:

- أ. عرض اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث ومدارسها على وجه الاجمال.
- ب. التعريف بسميزات وخصائص التفسير في العصر الحديث
- ج. التعرض في التعامل مع القرآن في العصر الحديث والخطوات المتدرجة فيه
- د. التوضيح والبيان عن أهمية القراءات المعاصرة والمتجددة السليمة التي تعتمد على الكتاب أو السنة أو أقوال سلف الأمة.
- هـ. بيان أبرز اتجاهات المناهج الرائجة والشائعة يشتركها أبناء العصر الحديث - التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي -.
- و. استعراض اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث دراسة نظرية - تطبيقية
- ز. الحديث عن اتجاهات المناهج المنحرفة والإحادية ورد الشبهات التي تثار من جهتها

وانطلاقاً من النهج الذي سلك به الباحث يبدو أن هذا البحث نادر الوجود وعزيز المثل

(١) عرض ودراسة مفصلة لأهم كتب التفسير المعاصرة وقد عنى المؤلف بترجمات المفسرين وتبيان مناحيهم وتوجهاتهم ولم يقتصر عمله على الوصف والعرض وإنما جنح إلى التحليل والمناقشة والنقد والتقييم . تحدث عن المؤلف محمد صالح الألوسي - وهو في كلية الأدب بحلب- قانلاً " فقد عرفته في أواخر السبعينات من القرن الخالي زميلاً على مقاعد الدرس في الجامعة فانعقدت بيني وبينه صداقة لا تبلى كان الأستاذ عبد القادر محمد صالح شعلة من النشاط كلما لقيته اطلعت على كتب جديدة يتأبطها (أنظر تقديم هذا الكتاب بقلم محمد صالح الألوسي- ص ٦-)

(٢) وهو أردني الأصل نال رسالة الماجستير في التفسير عام ١٩٨٠ من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية في الرياض وقام بالتدريس بمادة "إعجاز القرآن" لطلبة الشريعة في الجامعة الأردنية عند ما يكون محاضراً غير متفرغ ما بين أعوام ١٩٨٢ - ١٩٨٥ وقام به أيضاً في نفس المادة لطلاب كلية العلوم الإسلامية في الجامعة الأردنية منذ ١٩٨١ حتى الآن.(أنظر مقدمة كتاب البيان في إعجاز القرآن ، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي دار عمان - الأردن- سنة ١٩٨٩ ص ٨)

(٣) وهو الأستاذ الدكتور عبد الغفور بن محمود بن مصطفى آل جعفر. ولد في مبيت العطار بمحافظة القليوبية (مصر) حفظ القرآن مجوداً ثم التحق بمعهد القراءات بشبرا وحصل منه على عالية القراءات ثم حصل على درجة التخصص (الماجستير) في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ثم حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٧م ثم عمل أستاذاً في جامعة الأزهر والعديد من الجامعات العربية والعالمية (أنظر السيرة الذاتية للمؤلف في هذا الكتاب ص ٨١٣)

(٤) وهو أستاذ في كلية الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض أسند إليه تدريس مقرر " أصول التفسير " فيها (أنظر مقدمة كتاب " بحوث في أصول التفسير ومناهجه " للدكتور فهد الرومي ص ٥).

منهج الباحث في دراسة الموضوع

نظرا لطبيعة الموضوع، ولمجاله الذي سيدرس من خلاله: رأى الباحث ضرورة استخدام المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي والنقدي (التقويمي) ومن جانبه يحرص الباحث على تنويع المصادر من القرآن وكتب التفسير وعلومه ومناهج المفسرين والدخيل في التفسير والكتب التي تتناول تهافت القراءات المعاصرة والشبهات في التفسير والأحاديث النبوية وكتب التاريخ والرسائل الجامعية (ماجستير و دكتور) والمجلات والبرامج الالكترونية عبر الانترنت أو غيرها من الوسائل الحديثة.

مشكلات البحث وأسئلته

ومن أهم الصعوبات والمشكلات التي واجهها الباحث أنه ليس كل جديد وحديث من المناهج التفسيرية يتلقى بالقبول من العلماء والمتقنين، وليس يجدر أن يستجيب متطلبات العصر الحديث وأن يحل مشاكل الحياة نحو المجتمع المعاصر. هذا من جانب، ومن جانب آخر أن من المناهج ما انحرف ويبدو من خلاله الشبهات المثارة حول القرآن الكريم وذاع صوته في المجتمع عبر عدة المؤلفات ووسائل الإعلام متنوع الكيفيات والنوعيات وصعوبة نقده ورده.

ومن هذه الصعوبات الشائكة تتضح أسئلة البحث التالية:

أ. هل كل اتجاهات مناهج التفسير في الحديث يتلقى بالقبول من جماهير العلماء والمتقنين؟

ب. وما أبرز المناهج الممكنة للتعامل مع متطلبات العصر وقضايا المعاصرة؟

ج. وكيف تفعيل فعاليات المناهج لتوجيه المجتمع المعاصر إلى هدى القرآن عن طريق تفسير نصوصه؟

د. أ يمكن من هذه المناهج الحديثة تنوير الأمة وإصلاحهم وحل مشاكلهم الحيوية؟

هـ. كيف الخطوات الرشيدة والحكيمة للمناقشة والنقد والرد على الشبهات التي أثارها النهج الانحرافي والاتجاه الإلحادي في التفسير.

فروض الحل لمشكلات البحث

وانطلاقاً مما سبق مشيراً إلى الحديث في مشكلات البحث والتساؤلات التي تحيط حولها يمكن للباحث أن يقدم فروض البحث بما يلي:

أ. يتقدم الباحث بعرض اتجاهات مناهج التفسير المتعددة في العصر الحديث وما يتلقى بالقبول أو الرد من العلماء على حساب أنها تلتزم بالشروط اللازم توافرها وتتقيد بالضوابط المشروعة في التفسير.

ب. وبالتالي يختار الباحث عن أبرزها وأغلبها رواجاً للتفسير والدراسات القرآنية في العصر الحديث.

ج. يحرص الباحث أن يتعرض عن كيفية التعامل مع القرآن في العصر الحديث و الخطوات المتدرجة فيه

د. يحاول الباحث استعراض عدد من اتجاهات المناهج الرائجة من التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي والتفسير العلمي بطريق النظرية والتطبيقية.

هـ. يعرض الباحث اتجاه التفسير الإلحادي ونوعاً من الدخيل في التفسير ويسعى أن يكتشف عن مصادرها ومدارسها وتياراتها ومذاهبها والأهداف التي تختفي وراءها، وبالتالي سيقف الباحث أمامها بالتحليل والتقويم والتمحيص والرد عليها بقدر الوسع والطاقة الفكرية عبر البراهين النقلية أو العقلية.

هيكل البحث

يحرص الباحث أن يرسم هيكل البحث كما يلي :

مقدمة وتمهيد وموضوعات البحث (خمسة فصول) وخاتمة والفهارس المتنوعة

المقدمة تشمل على:

أهمية البحث

أسباب اختيار الموضوع

أهداف البحث

الدراسات السابقة

منهج الباحث في دراسة الموضوع

مشكلات البحث وأسئلته

فروض الحل لمشكلات البحث

قائمة لمحتويات البحث

التمهيد يشتمل على:

تعريف بعض مصطلحات البحث

الفصل الأول : دراسة عن التفسير

المبحث الأول : معنى التفسير والتأويل في اللغة والإصطلاح

المطلب الأول : التفسير في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني : التأويل في اللغة و الاصطلاح

المبحث الثاني : الفرق بين التفسير والتأويل ودليل التفريق بينهما

المطلب الأول : الفرق بين التفسير والتأويل

المطلب الثاني : دليل التفريق بين التفسير والتأويل

المطلب الثالث : التعريف المختار في الفرق بين التفسير والتأويل

المبحث الثالث : أطوار التفسير التاريخية

المبحث الرابع : وجه الحاجة إلى التفسير

المبحث الخامس : ضوابط لتقويم التفاسير

المبحث السادس : شروط المفسر

المبحث السابع : أسباب اختلاف المفسرين

الفصل الثاني : لمحة عامة عن التفسير في العصر الحديث ويشتمل على:

المبحث الأول : مظاهر التفسير في العصر الحديث

المطلب الأول : التفسير بين ماضيه وحاضره

المطلب الثاني : مميزات التفسير في العصر الحديث

المبحث الثاني : تجدد القراءة في التفسير

المطلب الأول : ضرورة القراءة المتعددة في التفسير

المطلب الثاني : الحاجة الملحة إلى التجديد في تفسير النصوص القرآنية

الفصل الثالث : مناهج التفسير في العصر الحديث ويشتمل على:

المبحث الاول : المناهج الرائجة في العصر الحديث

المطلب الأول : مناهج التفسير على وجه عام

المطلب الثاني : مناهج التفسير المثيرة للجدل في العصر الحديث

المبحث الثاني : منهج التعامل مع القرآن في العصر الحديث

المطلب الاول : الخطوات المتدرجة في التعامل مع التفسير في العصر الحديث

المطلب الثاني : ملاحظة البعد الواقعي للنصوص القرآنية

المطلب الثالث : الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة

الفصل الرابع : دراسة نظرية وتطبيقية في أبرز اتجاهات التفسير في

العصر الحديث ويشتمل على:

المبحث الأول : دراسة عن التفسير الموضوعي

المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الموضوعي

المبحث الثاني : دراسة عن التفسير الأدبي الاجتماعي

المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير الأدبي الاجتماعي

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الأدبي الاجتماعي

المبحث الثالث : دراسة عن التفسير العلمي

المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير الأدبي الاجتماعي

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير العلمي

الفصل الخامس : التفاسير المنحرفة في العصر الحديث ويشتمل على:

المبحث الاول : ظهور الانحرافات في التفسير

المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسير الإلحادي

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الإلحادي

المبحث الثاني : الشبهات المثارة عبر النصوص القرآنية

المطلب الأول : تسرب الدخيل في التفسير المعاصر

المطلب الثاني : رد الشبهات منهج قرآني

المطلب الثالث : الشبهات فى التفسير وردودها

الخاتمة تشتمل على:

١. أهم نتائج البحث

٢. أهم التوصيات

الفهارس تشتمل على:

١. فهرس الآيات القرآنية

٢. فهرس الأحاديث الشريفة

٣. فهرس الأشعار

٤. فهرس الأعلام

٥. المصادر والمراجع

٦. فهرس الموضوعات

التمهيد

تعريف مصطلحات البحث

إن أهم مصطلحات البحث التي يشير إليها الموضوع هي : اتجاهات، مناهج التفسير، العصر الحديث. وسيتناول الباحث كل هذه الكلمات على انفراد ليتم تعريفها في اللغة وفي الاصطلاح

١. اتجاهات

اتجاهات جمع مؤنث من كلمة اتجاه مشتق من الوجه تقول : وَجَّهُ كُـلَّ شَيْءٍ أَي مُسْتَقْبَلُهُ وفي التنزيل العزيز ﴿ فَأَيُّمًا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥] هو مصدر على وزن " افتعال" ، وفعله الماضي اتجه، واتجه وتَجَّه وتوجَّه بمعنى واحد يعني بمعنى ذهب تقول تجهت إليك أي توجهتُ لأنَّ أصل التاء فيهما واو وتوجَّه إليه: ذهب... وقيل بمعنى سنح أي عرض تقول اتَّجَّه له رأيي أي سَنَحَ وهو افْتَعَلَ صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت (١)

وأما في الاصطلاح فهو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون (٢). ومن هنا يتضح لنا أن الاتجاه هو الهدف الذي استقبل اليه المفسر وذهب نحوه في استعراض تفسيره ويكون ولا يزال ذلك نصب عينيه كلما فسر آية من آيات القرآن الكريم.

٢. مناهج التفسير

مناهج التفسير مركب إضافي مكون من مضاف ومضاف إليه، ومناهج جمع منهج مشتقة من " النهج " ويرادفه المنهج والمنهاج. وعلى هذا السياق قال ابن فارس (٣) في " مقاييس اللغة " « النهج الطريق ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق. والجمع المناهج (٤) وورد في " المعجم الوسيط " « نهج الطريق ينهج نهجا ونهوجا: وضح واستبان. ونهج الإنسان الطريق: سلكه وبينه. وأنهج الطريق : وضح واستبان. والمنهاج : الطريق الواضح قال الله تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] والمنهاج والمنهج الخطة المرسومة ومنه : منهاج الدراسة

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، دار الحديث- القاهرة، سنة (٢٠٠٣م) (ج ٩ ص ٢٢٨) وتاج العروس ، لمرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي - وزارة الإرشاد والأنباء كويت، سنة (١٩٦٥ م) (ج ١٦ ص ٥٤٤)

(٢) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مكتبة التوبة (بدون تاريخ) (ص ٥٥)

(٣) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٤١ - ١٠٠٤ م): من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها (الأعلام للزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٩٣)

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس في مادة نهج، اتحاد الكتاب العرب، سنة (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م)، (ج ٥ ص ٢٨٨)

ومنهاج التعليم وجمع المنهج والمنهاج مناهج»^(١). وفي سياق أوضح لمعنى المنهج قال الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر « فالمنهج هو الطريقة المسلوكة أو المتبعة أو المأخوذ بها كما ترى »^(٢) وأما معنى التفسير فسيتناول له الباحث على وجه التفصيل فيما يأتي- إن شاء الله- عندما يتحدث عن التفسير والتأويل والفرق بينها. وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا أن مادة " نهج " نعني توضيح الأمر وبيانه وتستعمل في الطريق الذي يكون واضحا مستقيما معروفا مسلوكا بحيث يسهل سلوكه والسير فيه أما المنهج أو المنهاج فهو الطريق الواضح البين المستقيم.

٣. العصر الحديث

يعتبر الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي أن العصر الحديث على شكل عام أو على وجه الخصوص - في التفسير - « يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين. وذلك حينما شهد العصر الحديث تحكم المادية الجاهلية الغربية في العالم حيث تقدمت أوروبا وأمريكا في العلم والمادية والتكنولوجيا وانتشار الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية والآراء التي تهاجم الدين والإيمان، وتدعو إلى اللادينية والنظريات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية »^(٣)

وبينما شهد العصر الحديث تقدم وتحكم الجاهلية الأوروبية فقد شهد تأخر وانحطاط المسلمين حيث ابتعد المسلمون كثيرا إسلامهم وتأخروا عن ركب العلم والحضارة والتقدم وقام الغريون بغزو واستعمار بلاد المسلمين وامتصاص مواردهم وخيراتهم ونشر الأفكار والمذاهب الجاهلية الكافرة. وانتشرت في بلاد المسلمين الأفكار والمذاهب الجاهلية ونشأت أجيال جديدة من المسلمين متأثرة متأثرا كبيرا بالمذاهب الجاهلية الغربية ومقلدة للآخرين في حياتهم وممارساتهم وسلوكهم وكانت بعيدة عن إسلامها ودينها. ودعا هذا الواقع المؤلم للمسلمين في العصر الحديث الدعاة والمصلحين إلى الإقبال على القرآن يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة

(١) المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية- مصر، (بدون تاريخ) (ج ٢ ص ٩٥٧)
 (٢) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، مكتبة دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (٢٠٠٧/١٤٢٨ م) (ص ٣٣٩)
 (٣) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، (ط ٢)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (ص ٥٦١)

والتربية والإصلاح. وظهرت مدارس فكرية إسلامية انطلقت من تفسير القرآن في إصلاح المجتمع وأشهر هذه المدارس اثنتان :

الأولى: مدرسة الشيخ محمد عبده (١٨٤٨ م - ١٩٠٥ م)

الثاني : مدرسة الإخوان المسلمين بقيادة مؤسسها - الإمام الشهيد حسن البنا (١)-
أسسها سنة ١٩٢٧م»(٢).

ويرى البعض أن بداية التفسير الحديث هي صدور كتابين في التفسير العلمي :

١. كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية

٢. تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية

والكتابان من تأليف محمد بن أحمد الاسكندري (المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ) وظهر السيد أحمد خان(٣) المصلح الهندي وظهر محمد عبده والذين سلكا مسلكه مستقلين وهما جمال الدين القاسمي(٤) وجوهري(٥) طنطاوي(٦)

ومن هنا يتضح للباحث أن العصر الحديث في التفسير يبدأ من القرن التاسع عشر الميلادي بظهور الشيخ الإمام محمد عبده الذي يتجه في التفسير - اتجاه الأدبي الاجتماعي - يتميز عن سابقه من المفسرين.

(١) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر . ولد في المحمودية (قرب الاسكندرية) وتخرج بمدرسة دارالعلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤)

(٢) أنظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق (باختصار)، (ص ٥٦١-٥٦٤)

(٣) محمد بن عنايت أحمد خان الكشميري الدهلوي (١٢٣٥ - ١٣٠٠ هـ = ١٨٢٠ - ١٩٠٠ م) فقيه إمامي متكلم مناظر، من أهل الهند من كتبه (تاريخ العلماء) و (تنبيه أهل الكمال) في رجال الحديث وغير ذلك (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٦ ص ٣٢٠)

(٤) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٦٦ - ١٩١٤ م) من سلالة الحسين السبط: مولده ووفاته في دمشق. انتدبه الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلى مصر . ولما عاد تهمة حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقضت عليه الحكومة فرد التهمة فأخلي سبيله، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٢ ص ١٣٥)

(٥) طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧ - ١٣٥٨ هـ = ١٨٧٠ - ١٩٤٠ م) له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى (الشرقية) بمصر، وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية. وألقى محاضرات في الجامعة المصرية. وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتابا في (نهضة الأمة وحياتها) فصنف كتبا أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم - ط) في ٢٦ جزءا (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٣ ص ٢٣٠)

(٦) التفسير والتفاسير الحديثة، لبهاء الدين خَرَمَشاہي، دار الروضة- بيروت، (ط ١)، سنة (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) (ص ٧-٩)

ومن خلال تعريف العناصر لموضوع البحث - اتجاهات، مناهج التفسير، العصر الحديث - يتضح أن تعريف " اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث " هو الأهداف التي يتوجه أو يذهب إليها المفسر في كشف معاني القرآن بالخطة التفسيرية العلمية الموضوعية المدروسة منذ نهاية قرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين الميلادي بظهور محمد عبده ومعاصريه إلى يومنا الزاهن.

وبهذا الموضوع يتقدم الباحث للبحث عن الاتجاهات المتنوعة لمناهج التفسير في العصر الحديث بحثا - نظريا وتطبيقيا بل ونقديا - عند ما يجد الباحث - بقدر المستطاع - التفسير المعاصر أو القراءة المعاصرة تتجه نحو الانحراف والإلحاد في تفسير القرآن الكريم حفاظا للقرآن من الأقلام اللامسئولية الهدامة لعداسة القرآن وتعاليمه المبدئية ودفاعا عنه من الذين يريدون أن يطفنوا نور الله بأفواههم.

الفصل الأول

دراسة عن التفسير

المبحث الأول

معنى التفسير والتأويل في اللغة والإصطلاح

المطلب الأول : التفسير في اللغة والإصطلاح

لقد أوردت اللغة عددا من المعاني لكلمة التفسير وذلك على حسب السياقات أو الشيء من أجله وضع اللفظ

التفسير مصدر على وزن تفعيل. والجزر الأصيلي للكلمة هو الفسر

قال أحمد بن فارس في مقاييس اللغة: « الفسر كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول فَـفَّـرَ فَـفَّـرْتُ الشيءَ وفَسَّرته ».(^١)

قال ابن منظور (^٢) في لسان العرب: « الفسر البيان يقال : فسّر الشيءَ وفَسَّره، أي: أبانه والفسر: كشف المغطي »(^٣)

التفسير هو الإيضاح والتبيين. ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] ولم ترد لفظة " التفسير " في القرآن في غير هذا الموضع. وكل تصريفات واشتقاقات الكلمة ترجع الى هذا المعنى الأصلي الجامع. إذن تفسير الكلام هو بيان معناه وإظهاره وتوضيحه وإزالة إشكاله والكشف عن المراد منه. وقد اشتهر لفظ التفسير مقرونا بالقرآن حتى أصبح التفسير علما وفنا إذا أطلق كأن تقول: « أقرأ في التفسير » فيفهم منك أن تقرأ كتابا كاشفا لمعاني الكلمات أو التراكيب القرآنية. وقال أبو حيان في " البحر المحيط " (^٤) «...ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس: عرّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري»(^٥)

(^١) مقاييس اللغة، لابن فارس، المصدر السابق، (ج ٤، ص ٥٠٤)

(^٢) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويعي الافريقي، (٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م) صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة من نسل رويغ بن ثابت الانصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٧ ص ١٠٨)

(^٣) لسان العرب، لابن منظور، المصدر السابق (ج ٩ ص ١٠١)

(^٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، بعد أن كف بصره. من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و (النهر) اختصر به البحر المحيط، و (مجانتي العصر) في تراجم رجال عصره (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٧ ص ١٥٢)

(^٥) البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) (ج ١ ص ٣٦١)

ومن هنا يتبين لنا أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول. تعددت التعاريف الاصطلاحية لتفسير القرآن الكريم وهذا التعدد والاختلاف في التعاريف يرجع إلى الأسس التي انطلق منها كل تعريف. وعلى الرغم من اختلافات التعريف يمكن إرجاعها إلى واحد منها فهي وإن كانت مختلفة في اللفظ إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه. فيرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف منها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد فيتكلف له التعريف، فيذكر علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن كلغة والصرف والنحو والقراءة وغير ذلك. والحق أن التعاريف كثيرة مشتركة متداخلة، منها ما ذكره الزركشي^(١) « هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارة النازلة فيه ثم ترتيب مكياها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها»^(٢)

ولعل التعريف الذي نقله السيوطي^(٣) عن أبي حيان أشمل التعريف وأحسنها فالتفسير: « علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك »^(٤) وعلى كل حال فإن التعاريف عامة تتفق أن علم التفسير يبحث عن مراد الله بعد بذل الوسع من البشر الذين توفرت فيهم الأهلية لفهم مراد الله سبحانه وتعالى. ومن هنا يتضح لنا جليا أن التفسير على نوعين بالإجمال :

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ = ١٣٤٤ - ١٣٩٢ م) عالم بفقهاء الشافعية والاصول. تركي الاصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الاجابة لايراد ما استدرسته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول لفته و(البحر المحيط) وغيرها. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٦ ص ٦٠-٦١)

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار التراث- القاهرة، (بدون تاريخ) (ج ٢ ص ١٤٨)

(٣) هو الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي. ولد بالقاهرة ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وكانت أمه أمة تركية وأصل أبيه من العجم أخذ العلم عن العلم البلقيني والشرف المناوي والشمس بن الفالاتي والجلال المحلي والزين العقبي والبرهان البقاعي والشمس السخاوي الشافعيين، وكانت وفاته في سحر ليلة الجمعة ١٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ. ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة بمصر (تذكرة الحافظ وذبوله للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات دار الكتب العلمية بيروت- لبنان (ط ١)، (سنة ١٩٩٨م) (ج ١ ص ٢٢٣)

(٤) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مكتبة وهبة- القاهرة، (ط ٧)، (بدون تاريخ)، (ج ١ ص ٣٣٥)

أحدهما: تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكت بلاغية وإشارات فنية. وهذا النوع أقرب الى التطبيقات العربية منه إلى تفسير وبيان مراد الله من هداياته.

النوع الثاني: تفسير يجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله. (١)

المطلب الثاني : التأويل في اللغة و الاصطلاح

التأويل مصدر، على وزن تفعيل والماضي منه رباعي مضعف وهو "أَوَّل" والجزر الاصيلي للكلمة هو "أول". قال ابن فارس عن معنى هذا الجذر الثلاثي. «أول» أصلان هما ابتداء الأمور وانتهاءه. واستعماله في الابتداء قولك: الأول وهو مبتدأ الشيء. واستعماله في الانتهاء قولك: الأيّل وهو الذكر من الوُعول.... وقولهم: آل بمعنى رجع. وآل الرجل: أهل بيته وسموا بذلك لأن مرجعهم ومآلهم في الانتهاء اليه، كما أن مرجعه ومآله اليهم لأنهم ابتداءه. ومن هذا الباب الأول لأنه بمعنى الانتهاء والمرجع. وتأويل الكلام هو عاقبته وما يؤول وينتهي اليه». (٢)

وقال الراغب الاصفهاني (٣) عن معنى الأول «الأول: الرجوع إلى الأصل. والتأويل هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا.

ومن رد الشيء إلى غايته في العلم قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧]

ومن رد الشيء إلى غايته في الفعل قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (الأعراف : ٥٣)» (٤)

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، المصدر السابق، (ج ٢ ص ١٠)

(٢) مقاييس اللغة، المصدر السابق (باختصار)، (ج ١ ص ١٥٨-١٦٢)

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م) أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء)، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(المفردات في غريب القرآن) (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٥)

(٤) المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، طبعة دار القلم (بدون تاريخ) (ص ٩٩)

إذا كان المعنى الأصلي الجامع للأول هو الرد والرجوع إلى الأصل، فإن تأويل الكلام هو رد معانيه وإرجاعها إلى أصلها الذي تحمل عليه وتنتهي إليه. وعلى هذا فيكون التأويل مأخوذاً من الأول بمعنى الرجوع، إنما هو باعتبار معانيه اللغوية فكان المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني .

وقيل التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكان المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه. قال الزمخشري في "أساس البلاغة" «آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وائتلالها، وهو مؤتال لقومه مقاتل عليهم، أي سائس محتكم»^(١) وذكر الدكتور حسين الذهبي في "التفسير والمفسرون" تعاريف متعددة على حسب أهل هذا الفن.

• التأويل عند السلف

التأويل عندهم على معنيين:

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين، وهذا ما هو عناه مجاهد^(٢) من قوله «إن العلماء يعلمون تأويله» يعني القرآن ، وما يعنيه ابن جرير الطبري^(٣) في تفسيره: «القول في قوله تعالى كذا وكذا» وبقوله: «اختلف أهل التأويل في هذه الآية».... ونحو ذلك فإن مراده التفسير. ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم و الكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان وله الوجود اللفظي والذهني والرسمي. وأما هذا

(١) أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون سود، دارالعلمية - بيروت، ط (١)، سنة (١٩٩٨م) (ج ١ ص ٣٩)
(٢) مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي المقرئ المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب المخزومي سمع سعدا وعائشة وأبا هريرة وأم هانئ وعبد الله بن عمر وابن عباس ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن وقال خفيف أعلمهم بالتفسير مجاهد. قال غير واحد توفي سنة ثلاث ومائة. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ٧١)
(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر رأس المفسرين على الإطلاق أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها. أصله من أمل طبرستان وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن وهو أجل التفاسير لم يؤلف مثله لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله ولا بعده وقال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير وقال غيره: مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة. مولده بأمل سنة أربع وعشرين ومائتين ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة واجتمع في جنازته خلق لا يحصون وصلي على قبره عدة شهور ورثاه خلق (طبقات المفسرين للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ١)، (١٣٩٦ هـ) (ج ١ ص ٨٢)

فالتأويل فيه نفس الامور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية. فإذا قيل: طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها. وهذا في نظر ابن تيمية^(١) هو لغة القرآن التي نزل بها، وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني.

• التأويل عند المتأخرين من المتفهمة والمتكلمة والمحدثة

التأويل عند هؤلاء جميعا: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحد منهم: هذا الحديث . او هذا النص . مؤول او محمول على كذا. قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل وعلى هذا فالتأويل مطالب بأمرين: الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح وإلا كان تأويلا فاسدا أو تلاعبا بالنصوص»^(٢)

المبحث الثاني

الفرق بين التفسير والتأويل ودليل التفريق بينهما

(١) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨) الإمام، شيخ الاسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والاصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها (الجوامع) في السياسة الالهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) و (الفتاوى) و (الايمان) و (الجمع بين النقل والعقل) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٤٤)

(٢) التفسير والمفسرون، للدكتور حسين الذهبي، (ج ١ ص ١٥)

المطلب الأول : الفرق بين التفسير والتأويل

وأما إطلاقهما في الاصطلاح فإن حاصل ما تضمنته عبارات العلماء العديدة في هذا المقام لا يخرج عن اتجاهين رئيسين :

(١) أن كلا اللفظين ترجمة عن معنى واحد بحيث إذا قلت أحدهما على شيء قلت الآخر عليه بلا أدنى فرق

(٢) اختلاف أحدهما عن مدلول الآخر اصطلاحاً كما اختلفا لغة

ذكر الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في " تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين " آراء العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، ومن أشهرها:

١- التفسير : بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع لوجود دليل لدى المفسر يعتمد في الجزم والقطع . والتأويل: بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح لعدم وجود دليل لدى المؤول، يعتمد عليه في الجزم و القطع..

٢. التفسير: بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة والتأويل: بين معاني الألفاظ القرآنية الباطنة والإخبار عن حقيقة المراد بها. ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] فهذه الآية لها تأويل وتفسير. وتفسيرها: المرصاد من الرصد والمراقبة أي أن الله مطلع على كل ما يعمل الظالمون يراها ويعلمها ويرصدها ويسجلها عليهم ليحاسبهم عليها، وتأويلها: التحذير عن التهاون بأمر الله والغفلة عن التأهب والاستعداد للعرض والحساب يوم القيامة.

٣. التفسير فهم الآيات على ظاهرها بدون صرف لها عنه. والتأويل: صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر، تحتملها الآيات، ولا يخالف الكتاب والسنة

٣- التفسير: الإقتصار على الرواية والسماع، والإكتفاء بما ورد من أقوال مأثورة في تفسير الآيات.

والتأويل: استنباط المعاني والدلالات من الآيات عن طريق الدراية والتدبر وإعمال الفكر والنظر.

٤- التفسير بيان المعاني القريبة التي تؤخذ من الآيات عن طريق الوضع واللغة والمتعلقة بكلماتها وجملها وتراكيبها. والتأويل بيان المعاني البعيدة التي تلحظ من الآيات وتُوحى بها كلماتها وجملها عن طريق الإشارة وإيحاء.

٥. وللامام الراغب الأصفهاني قول جامع لطيف في الفرق بين التفسير والتأويل نوجزه فيما يلي: التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني. والتأويل أكثره يستعمل في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل يستعمل أكثره في الجمل. والتفسير يستعمل في غريب الألفاظ مثل البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يبين و يشرح كقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] أو في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصورها إلا بمعرفتها كقوله ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ٣٨] والتأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا مثل الكفر والايامن. والتأويل قسمان مستكره منقاد. فالمستكره هو ما يشتبهع إذا سبر بالحجة، ويستقبح بالتدليسات المزخرفة. والمنقاد من التأويل هو ما لا تعرض فيه البشاعة المتقدمة. والخالصة من قول الراغب في التفريق بين التفسير والتأويل والتفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في بيان معاني الألفاظ والمفردات وفي تفسير الكتب الإلهية وغيرها. أما التأويل فهو أخص من التفسير وأكثر استعماله في بيان معاني الجمل والتراكيب وفي تأويل الكتب الإلهية «(١)

٦ . التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة. نقله السيوطي في الإتيقان عن قول بعضهم.(٢)

المطلب الثاني : دليل التفريق بين التفسير والتأويل

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (بالاختصار) ، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق (ص ٢٦-٢٩)
(٢) الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق طه عبد السعد ، المكتبة التوفيقية - القاهرة. (بدون تاريخ)،(ج ٤ ص ١٥٥)

وإذا كان التفسير يعتمد على الاطلاع والمعرفة والقراءة والرواية، فإن التأويل يعتمد على الموهبة والملكة والتدبر. وهذه لا تتيسر لكل مفسر ويتفاوت أهل التأويل فيها تفاوتاً كبيراً. كل مؤول لابد من أن يكون مفسراً ليصح تأويله لكن لا يستطيع كل مفسر أن يكون مؤولاً، فهذا فضل خاص يهبه الله لمن يشاء من عباده. كل مفسر مؤول وليس كل مفسر مؤولاً. والدليل على أن التأويل علم يهبه الله لمن يشاء من عباده ويستطيع العالم تعلمه وإتقانه ما رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس^(١) رضي الله عنهما قال ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيت ميمونة، فوضعت له وضوءاً من الليل فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))^(٢) وقد استجاب الله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم فوهبه بمعرفة تأويل القرآن إضافة إلى علمه بتفسيره حتى سمي "ترجمان القرآن".

لم يكن كل الصحابة مؤولين للقرآن وإن كانوا جميعاً يعلمون تفسيره وكان ابن عباس من السابقين الذين تميزوا بتفسير القرآن وتأويله معاً. روى البخاري في كتاب التفسير في صحيحه عن سعيد بن جبيرة^(٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ((كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه قد علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم. فما رُئيتُ أنه دعاني يوماً إلا ليريهم. قال ما تقولون في قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره، إذا نصر لنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له. فقال له ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادة من فقهاء الصحابة (تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، سنة ١٩٨٦م) (ج ١ ص ٣٠٩)

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، سنة (٢٠٠٨م) (ج ٤ ص ١٢٨)

(٣) سعيد بن جبيرة الوالبي مولا هم الكوفي المقرئ الفقيه: سمع ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر وعبد الله بن مغفل وطائفة وعنه جعفر بن أبي المغيرة وأبو بشر جعفر بن إياس وأيوب والأعمش وعطاء بن السائب وخلق. قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة على الأشهر وقيل بل عاش بضعا وخمسين سنة وروى أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال كان سعيد بن جبيرة يبكي بالليل حتى عمش وسمعته يردد هذه الآية ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] بضعا وعشرين مرة. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق - ج ١ ص ٦٠ - ٦١)

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر ١ - ٣] فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول ((١)) لقد أجرى عمر رضي الله عنه إمتحانا للصحابة في تأويل سورة النصر، وذلك ليريهم تفوق وفضل ابن عباس. قام الصحابة المسؤولون بتفسير سورالنصر تفسيراً ظاهرياً حيث وضحو معناها المتبادر للذهن وهو أمر الله للرسول صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتحميد والاستغفار عند ما يمين الله عليه بالنصر والفتح. وكلامهم في معنى الله السورة صحيح تماماً لكنه تفسير لها ليس إلا. أما ابن عباس فإنه يعرف هذا المعنى التفسيري للسورة لم يبق عنده وإنما انتقل منه للمرحلة الثانية وهو تأويل السورة. وهذا أن حياة الرسول مرتبطة ارتباطاً مباشراً بهذا الدين، فبما أن هذا الدين لم يتم انتصاره وانتشاره ما زال عمر الرسول بقية وأما وقد حقق لدينه النصر والفتح فقد انتهت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغية وبهذا ينتهي عمره في هذه الدنيا.

المطلب الثالث : التعريف المختار في الفرق بين التفسير والتأويل

أطال البحث الدكتور عبد الفتاح الخالدي في الفرق بين التفسير والتأويل قائلاً « التفسير والتأويل مرحلتان متتبعتان... تفسير آيات القرآن: فهمها وشرحها وبيان معانيها وتأويل آيات القرآن هو فهمها فهما صائبا وتأويلها تأويلاً صحيحاً وإزالة ما فيها من غموض ولبس وإشكال واستنباط لطائفها ودلالاتها واستخراج حقائقها وإشاراتها. الراجح في التفريق بين التفسير والتأويل أن حسن فهم القرآن وفقه معانيه لا بد على مرحلتين متتابعتين:

المرحلة الأولى : تفسير القرآن

المرحلة الثانية : تأويل القرآن

في مرحلة التفسير يقوم المفسر بتفسير ألفاظ وجمل القرآن ويعتمد في تفسيره على الروايات والآثار المأثورة ويورد ما في معنى الآية من آيات أخرى وأحاديث صحيحة وأقوال للصحابة والتابعين وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ وتوجيه قراءات وإعراب وشواهد

(١) صحيح البخاري، (باب فسبح بحمد ربك واستغفره)، دار المنار - القاهرة، سنة (٢٠٠١م) (ج ٣ ص ٣٤٩ - حديث رقم ٤٩٧٠ -)

شعرية. وهو في عمله هذا يفسر ظاهر الآية ويورد المعنى المتبادر منها، ويعتمد على العلم والنقل في ذلك وهو لذلك يفسر الآية من باب الجزم والقطع. وعمله في هذه المرحلة يحقق معنى التفسيرالذي سبق أن أوردناه لأنه يقدم المعنى الظاهري للآية. وهذه خلاصة أقوال السابقين التي سبق أن أوردناها في معنى التفسير. فإذا انتقل إلى المرحلة الثانية ويقوم بتأويل القرآن فإنه ينظر في القرآن على ضوء معلوماته التفسيرية السابقة. عند ما يؤول القرآن فإنه يمعن النظر في الجمل والتراكيب القرآنية ويعتمد في هذا النظر على تدبره وإعمال عقله...وتنفذ نظراته إلى باطن الآية ويلتفت إلى لطائفها وإشارات وإيحاءاتها ويستخرج حقائقها ودلالاتها ويلحظ المعنى البعيد غيرالمتبادر في الذهن ويزيل ما حول الآية من لبس أو اشتباه أو إشكال - إلى أن قال - والخلاصة في التفريق بين التفسير والتأويل القائم على القول بالمرحلة المتتابعة: التفسير يعتمد على الاطلاع والمعرفة والقراءة والرواية و التأويل علم يفتح الله به على أصحابه وفهم يؤتيه الله لهم ويعتمد على الموهبة والملكة والتدبر وهذه لا تتحقق في كل مفسر ويتفاوت أهل التأويل فيها تفاوتاً بينا. وكل مؤول لابد أن يكون مفسراً ليصح تأويله ولايستطيع كل مفسر أن يكون مؤولا أي كل مؤول مفسر وليس كل مفسر مؤولا»^(١)

المبحث الثالث

أطوار التفسير التاريخية

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٢٩ - ٣١)

لقد بدت حكمة الله على الأمة المحمدية حيث أنزل كتابه الكريم بلسان عربي مبين وجعله ميسرا في فهم تعاليمه ومبادئه وسهلا في تذكره وتدبره واستفادة العظة والإعتبار من كنوزه وذلك في مصداق قوله تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ [القمر: ١٧]. ولهذا كانت الصحابة يعرفون معظم معاني القرآن، وما خفي معناه عليهم وغمض عليهم تفسيره يسألون عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبهم على سؤالهم ويبين لهم ما يحتاجون إليه. وكان علماء التفسير من الصحابة والتابعين يبينون للناس معاني آيات القرآن الكريم ويفسرونه لهم. واستمرت حركة التفسير متقدمة في مسيرتها التاريخية على مدى القرون والأجيال وامتلات المكتبات الإسلامية بمختلف التقاسير على اختلاف مدارسها ومذاهبها ومناهج أصحابها. ومن هنا يسرنا أن نتحدث على شكل موجز عن مراحل حركة التفسير في مسيرتها التاريخية. لقد مرت حركة التفسير بأربع مراحل وفيما يلي تعريف بكل مرحلة ومناهج التفسير فيها مع ذكر نموذج وعينات من التقاسير الممثلة لها.

المرحلة الاولى: التفسير في طور التأسيس

هذه هي المرحلة الاساسية التي نشأ فيها التفسير نشأة علمية صحيحة واتصف التفسير في مرحلة التأسيس والتمهيد بلاعلمية والمنهجية والموضوعية وتمثل هذه المرحلة حركة التفسير في القرون الخيرية الثلاثة الاولى المشهود لها بالفضل والخير: جيل الصحابة وجيل التابعين وجيل أتباع التابعين. بدأت هذه المرحلة التأسيسية بالتفسير على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان للصحابة ما كانوا يحتاجونه من معاني الآيات ويوضح لهم ما غمض عليهم من دلالاتها و أحكامها. وتفسيره النقلي عليه الصلاة والسلام قليل جدا أوردته كتب الحديث والسنن والمسانيد والتفسير بالمأثور. وبعد الرسول جاء دور الصحابة وتفسيراتهم للقرآن وكان الصحابة لا يكتفون من التفسير ولا يتوسعون فيه ولا يفسرون القرآن كله على حسب ترتيب المصحف وكانت أشهر مدارس في زمن الصحابة أربعة :

١. مدرسة التفسير بمكة : وإمامها حبرالامة وترجمان القرآن وأعلم الصحابة بالتفسير عبد الله بن عباس رضي الله.

٢. مدرسة التفسير بالمدينة : وإمامها الصحابي أبي بن كعب الانصاري (١) رضي الله عنه

٣. مدرسة التفسير بالكوفة: وإمامها الصحابي عبد الله بن مسعود (٢) رضي الله عنه

٤. مدرسة التفسير بالشام : وإمامها أبو الدرداء ، عويمر بن عامر رضي الله عنه وحمل تلاميذ ابن عباس رسالة التفسير من بعد جيل الصحابة، فظهر أعلام من التابعين ، في مقدمتهم تلاميذ ابن عباس مثل مجاهد، وعكرمة (٣) ، وسعيد بن جبير، وظهر من علماء التفسير في عصر التابعين: عطاء، وقتادة، والحسن البصري. وجاء مفسرون أعلام بعد هؤلاء مثل السدي الكبير و مقاتل وابن جريج (٤) كما جاء بعدهم علماء دونوا تقاسير كاملة فسروا بها كل القرآن: منهم يحيى سلام البصري، وأبو عبيدة معمر بن مثنى، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٥) وكان تفسير " مجاز القرآن " لأبي عبيدة، " ومعاني القرآن " للفراء، من التفاسير الأساسية البينانية التي اعتمد عليها الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره.

(١) أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري: أقرأ الصحابة وسيد القراء، شهد بدرًا والمشاهد وقرأ القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحد من سمع الكثير وجمع بين العلم والعمل ومناقبه جمة. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكرم أبيًا ويهابه، ويستفتيه ولما توفي قال عمر: اليوم مات سيد المسلمين. توفي بالمدينة في قول الهيثم بن عدي وغيره سنة تسع عشرة (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ١٨)

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي وكان أبوه حالف عبد الحارث بن زهرة . أمه أم عبد الله بنت ود بن سواة أسلمت وصحبت أحد السابقين الأولين أسلم قديما وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وحمل نعليه وقال البخاري مات قبل قتل عمر وقال أبو نعيم وغيره مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وقيل مات سنة ثلاث وقيل مات بالكوفة والأول أثبت (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، دار الجيل - بيروت، (ط ١)، سنة (١٤١٢م) (ج ٤ - ٢٣٣ - ٢٣٥)

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (٢٥ - ١٠٥ هـ = ٦٤٥ - ٧٢٣ م) : تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عند ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة. وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي " الصفرية " وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة (الأعلام للزركلي، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٤)

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج مولى أمية بن خالد يكنى أبا الوليد. عن عبد الرزاق قال كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله وما رأيت مصليا مثله قط وعنه قال أهل مكة يقولون أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر الصديق وأخذها أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن أنس قال كان ابن جريج صاحب ليل وتوفي سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين ومائة وقيل تسع وأربعين رحمه الله تعالى (صفة الصفوة لابن الجوزي ، دار المعرفة - بيروت، (ط ٢)، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) (ج ٢ ص ٢١٦)

(٥) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء (١٤٤ - ٢٠٧ هـ = ٧٦١ - ٨٢٢ م) إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، فكان أكثر مقامه بها. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلمًا، عالما بأيام العرب وأخبارها. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٨ ص ١٤٥)

ونلاحظ أن التفسير في هذه المرحلة التأسيسية كان يعتمد على الإيجاز والاختصار ولم يكن المفسرون يتوسعون في التفسير، أو يسهبون في ما يوردونه من أقوال ويقدمونه من مباحث. وقد برز في هذه المرحلة خطان واضحان بارزان في التفسير:

الخط الأول: خط التفسير بالمأثور وإيراد ما جاء في تفسير الآيات من أحاديث صحيحة وأقوال للصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ويمثل هذا الخط المفسرون: الحسن البصري^(١)، والسدي الكبير، ويحي بن سلام البصري، والإمام البخاري^(٢).

الخط الثاني: خط التفسير البياني اللغوي حيث كان المفسر يتحدث عن معاني كلمات الآيات، وعن فقه اللغة فيها، وعن الشواهد الشعرية لها. ويمثل هذا الخط نتاج العلماء الثلاثة: ابن قتيبة، وأبو عبيدة، والفراء. وكان بين علماء التفسير الذين يمثلون التيارين والخطين نوع من النفور والتنافس^(٣).

المرحلة الثانية: التفسير في طور التأصيل

بعد أن تأسس التفسير في المرحلة السابقة تأسيساً متيناً ونشأ نشأة منهجية صحيحة انتقل إلى الطور الثاني الذي هو خطوة منطقية موضوعية وهو التأصيل الموضوعي لعلم التفسير ليكتسب الأصالة الدقيقة الثابتة. ومرحلة تأصيل علم التفسير كانت في نهاية القرن الثالث. وقام بالتأصيل العلمي المنهجي لهذا العلم إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري. إن التفسير قبل ابن جرير كان يتنازع تياران متنافسان: تيار التفسير اللغوي وتيار التفسير الأثري. قلما كان المفسر يقدم اجتهاداته من الآيات، وصاحب التفسير اللغوي كان لا يلتفت إلى الأقوال المأثورة وصاحب التفسير الأثري لا يلتفت إلى

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بالانبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تنتصب الحكمة من فيه. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٦)

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: (١٩٤ - ٢٥٦ هـ = ٨١٠ - ٨٧٠ م) حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ) و (الضعفاء) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد) و (الأدب المفرد). ولد في بخارى، ونشأ يتيمًا، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. (من قرأ سمرقند) فمات فيها (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٦ ص ٣٤)

(٣) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس-الأردن، (ط ١)، سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) (ص ١٩ - ٢١) (بالاختصار)

المسائل اللغوية. فلما جاء الإمام الطبري جمع بين التيارين السابقين وأضاف لهما استنباطاته وتوجيهاته ونظراته. وهو بعمله هذا أرسى دعائم منهج متفرد في التفسير، يمكن أن نسميه " المنهج الجامع " وفسر الطبري القرآن كله سورة سورة وآية آية وجملة جملة وفق هذا المنهج الجامع ولقد قام المنهج الجامع الأصيل في التفسير على ثلاث أسس منهجية موضوعية يمكن ملاحظاتها في تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن "

الأول : تفسير القرآن على أساس فقه اللغة ببيان معاني الكلمات والجمل والآيات وتقديم تحليلات وتوجيهات بيانية بلاغية لغوية والاستشهاد بالشواهد الشعرية وإجراء نقاشات لغوية مع أئمة اللغة والبيان. وقد استفاد الطبري من "مجاز القرآن" لأبي عبيدة و" تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة^(١) و" معاني القرآن " للفراء وكانت استفاداته من كتاب الفراء أكثر.

الثاني: تفسير القرآن على أساس الأقوال المأثورة حيث كان الطبري يفسر القرآن بالقرآن ثم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين ثم بأقوال أتباع التابعين وكان يورد هذه الأقوال بأسانيد المكررة ويجري حولها نقاشات ويرجح المناسب منها.

الثالث : تقديم استنباطاته وتأويلاته وآرائه المستمدة من الآيات حيث كان يقوم يتدبر الآيات ويمعن النظر في معانيها ويستخرج منها بعض ما توحى له من معان واستنباطات ودلالات. ونلاحظ أن هذه الخطوة الثالثة منه تأتي في ترتيبها المناسب حيث كان يسبقها ثمرة علمه اللغوي البياني ثم ثمرة علمه الروائي الأثري فتأتي استنباطات الطبري نتاجا علميا موضوعيا منهجيا وتكون صادرة من خلفية علمية منهجية ولهذا كان معظمها صحيحا صائبا. تلك الأسس الثلاثة : اللغة والأثر و

(١) ابن قتيبة الدَّبَّيْوري أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدَّبَّيْوري. (٢١٣ - ٢٧٦ هـ، ٨٢٨ - ٨٨٩ م) عالم وفقه وأديب وناقد ولغوي، موسوعي المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة. ولد بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، حيث استقر علماء البصرة والكوفة، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ، وشهر قلمه وسخره لإعلاء السنة وتقنين حجج خصومها، وبذلك استحق أن يقال: إنه في أهل السنة بمنزلة الجاحظ عند المعتزلة. من (تأويل مختلف الحديث) (المعارف) (مشكل القرآن) (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٣٧) و (الموسوعة العربية العالمية = Global Arabic Encyclopedia) (<http://www.mawsoah.net>)

الاستنباط هي التي أصل بها الإمام الطبري دعائم منهجه الفريد " المنهج الجامع في التفسير " وعلى أساس هذا المنهج العلمي قام الإمام الطبري بتأصيل التفسير تأصيلاً علمياً منهجياً واستقر التفسير على يدي الإمام الطبري. ولأجل هذا كان الإمام الطبري رائد المنهج الجامع في التفسير وهو وحده الذي يمثل التفسير في طور التأصيل ولهذا كان إمام المفسرين بدون منازع.^(١)

المرحلة الثالثة: التفسير في طور التطور

اتفق المفسرون الذين جاءوا بعد الطبري بالتفسير بالتفريع والتنويع فبينما كان الطبري يؤصل للتفسير ويرسي دعائم المنهج الجامع في التفسير فقد سار المفسرون اللاحقون في مسار جديد ويا ليتهم نسجوا على منوال الطبري واقتدوا به والتزموا منهجه وجمعوا في تفاسيرهم بين اللغة والأثر والاستنباط بتنسيق وتكامل. صار المفسرون يتوسعون ويستطردون في تفاسيرهم ويوردون الكثير من المسائل والمباحث التي لا تتصل بالتفسيرات اتصالاً وثيقاً وبهذا انتقل المفسرون من التأصيل إلى التنويع والتثقيف. وبينما كان الطبري يفسر وفق المنهج الجامع القائم على اللغة والأثر والاستنباط كان المفسرون اللاحقون يفسرون وفق المنهج الغالب في التفسير. لقد كان كل مفسر يفسر القرآن وفق العلم الذي مهر به والتخصص الذي تميز به. وبذلك تحول التفسير من المنهج الجامع إلى المنهج الغالب وبذلك انتقل التفسير من طور التأصيل إلى طور التفريع. لا يعني هذا أن المفسرين كانوا مخطئين في هذه الواجهة التي اتجهوا بالتفسير وأنهم جناة على التفسير فقد كانوا مجتهدين في سيرهم وكانوا أهل علم ومعرفة. هذه المرحلة طالت تاريخياً وامتدت عدة قرون حيث استمرت من بداية القرن الرابع لأن الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ حتى بداية العصر الحديث أي أن هذه المرحلة حوالي عشرة قرون. وأشهر مدارس التفسير في هذه المرحلة خمسة:

١. مدرسة التفسير بالمأثور حيث كان يغلب على تفاسير مفسري هذه المدرسة إيراد الأقوال المأثورة سواء كانت أحاديث أو أقوال الصحاب أو التابعين أو العلماء السابقين. وكان مفسروا هذه المدرسة يكثر من هذه الأقوال ويفرغون فيها ولم يلتزموا بإيراد ما

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق، (ص ٢١-٢٢) (بالاختصار)

صح منها. ومن التفسير التي تمثل هذه المدرسة " الدر المنثور التفسير بالمأثور " للإمام السيوطي و " بحر العلوم " لأبي الليث السمرقندي^(١).

٢. مدرسة التفسير البياني: حيث كان يغلب علي تفاسير مفسري هذه المدرسة التحليلات البيانية اللغوية البلاغية وكانوا يتوسعون في هذه المباحث ويكثرون من المناقشات حولها ويستطردون استطرادات بعيدة أحيانا وقلما كانوا يتحدثون عن الروايات والأقوال المأثورة . ومن التفاسير التي تمثل هذه المدرسة : " الكشاف " للإمام الزمخشري و " البحر المحيط " لأبي حيان

٣. مدرسة التفسير العقلي أو بالرأي المقبول حيث كان يغلب علي تفاسير مفسري هذه المدرسة المباحث العقلية والمسائل الكلامية وكان المفسرون يفرعون ويتوسعون في هذا الميدان على حساب الميادين الأخرى. ومن التفاسير التي تمثل هذه المدرسة : " التفسير الكبير " للإمام الرازي^(٢)

٤. مدرسة التفسير الفقهي: حيث كان يغلب علي تفاسير مفسري هذه المدرسة القضايا الفقهية وما تقرره من أحكام شرعية وكانوا يقفون طويلا أمام الآيات التي تتضمن الأحكام ويذكرون المذاهب الفقهية المختلفة في فهم هذه الآيات واستنباط الأحكام منها وحججهم في ذلك الاستنباط وكان كل مفسر ينتصر لترجيحات مذهبه الفقهي.

٥. المدرسة القريبة من المنهج الجامع: كان مفسروا هذه المدرسة قريبين من المنهج الجامع في التفسير أدي أسسه الأمام الطبري وكانوا يجمعون في تفاسيرهم بين الأسس الثلاثة المنهجية : اللغة والأثر والاستنباط. لم يجمعوا بين هذه الأسس كما جمع الطبري ولم ينسقوا بينها كما نسق الطبري وإنما حاولوا الاقتداء بالطبري وبذلوا في هذا جهدا جيدا فاقتربوا من منهج الطبري الجامع. ولذلك اعتبرت هذه المدرسة قريبة من المنهج الجامع وإن لم تلتزم به وتمثله تماما. ومن التفاسير التي تمثل هذه المدرسة:

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي إمام الهدى وكان له تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكل وتنبية العاقلين وبستان العارفين قال القاسم بن قطلوبغا تفقه أبو الليث على أبي جعفر الهندي وله من المصنفات غير ما ذكر كتاب عيون المسائل وكتاب تأسيس النظائر والمقدمة توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (طبقات المفسرين - الأندروي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط ١)، سنة (١٩٩٧م) (ج ١ ص ٩١)

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ = ١١٥٠-١٢١٠م) :الإمام المفسر أصله من طبرستان ، مولده بالري، من تصانيفه : (مفاتيح الغيب) (معالم أصول الدين) (المسائل الخمسون في أصول الكلام) (أسرار التنزيل) (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣١٣)

"جامع التفسير" للإمام الراغب الأصفهاني و"المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي (١) وتفسير القرآن الكريم لابن كثير (٢).

المرحلة الرابعة التفسير في طور التجديد

إن التفسير في العصر الحديث قد انتقل الى مرحلة جديدة وهي مرحلة التجديد. ونعني بالتجديد في التفسير التجديد الصحيح السليم المنضبط بالضوابط العلمية الملتزم بالأسس المنهجية ولا نعني به الخروج عن القواعد والضوابط والأسس والقول في القرآن وفق الهوى وتحريف معاني الآيات لتوافق مقررات الغربيين أو الشرقيين.

ويبدأ العصر الحديث في التفسير بظهور الإمام محمد عبده الذي أرسى أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير وكان لمحمد عبده تلاميذ في التفسير أخذوا منهجه وفي مقدمتهم الشيخ محمد رشيد رضا (٣) والشيخ محمد مصطفى المراغي (٤). وبدأ العمل الحركي الدعوي بعد إلغاء الخلافة الإسلامية وصارت هناك حركات عاملة في الحقل العمل الإسلامي وانتمى الى هذه الحركات علماء ومفكرون وقدم بعضهم تفاسير رائعة للقرآن وكان في مقدمة هؤلاء سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن". ومن التفاسير المعاصرة التي فيها تجديد وتطوير وإضافات "محاسن التأويل" لجمال الدين القاسمي، و"تفسير القرآن الحكيم" المشهور بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا وغيرهما (٥).

المبحث الرابع

وجه الحاجة إلى التفسير

(١) القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية. وبيته بيت علم. وكان هذا القاضي رحمه الله فقيهاً، نبياً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً، شاعراً، لغوياً ضابطاً، مقيداً. ولي القضاء بمدينة المريّة. وألف كتابه المسمى بـ"الوجيز في التفسير". مولده سنة ٤٨١. وتوفي في الخامس والعشرين لرمضان سنة ٥٤١ بمدينة لورقة (تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن بن عبد الله النباهي الأندلسي، دار الأفاق الجديدة - بيروت، (ط ٥)، سنة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) (ج ١ ص ١٠٩).

(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق، (ص ٢٢-٢٥) (بالاختصار).

(٣) تتم الترجمة عنه مؤخراً بالتفصيل عند تناول الباحث مدارس التفسير الأدبي الاجتماعي (ص ٢١٦).

(٤) تتم الترجمة عنه مؤخراً بالتفصيل عند تناول الباحث مدارس التفسير الأدبي الاجتماعي (ص ٢٢٢).

(٥) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق (ص ٢٥-٢٦) (بالاختصار).

أشار دكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة^(١) في كتابه "مناهج المفسرين" قائلاً « لا يرتاب ذومسكة من عقل ودين^(٢) في أن الوقوف على معاني كلام الله عز وجل أمرٌ على غاية ما يكون من الأهمية وأعظم ما يتصور من الفائدة إلى حد يكون معه الاشتغال بتفسيره إذن اشتغالا بأشرف العلوم وأعظمها بلا منازع^(٣). ثم بسط الحديث عما نحن بصدده على وجه الدقة والعمق ناقلاً قول الأصبهاني الذي ذكره السيوطي في "الإتقان" ونصه: « قال الأصبهاني أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة للذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح. وإما لشدة الحاجة إليها كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا هو مفتقرة إلى الفقه. لأن به انتظام صلاح أحوال الدين والدنيا بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات. إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة: أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى وأما من شدة الحاجة فلأن كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى^(٤)» فمن هنا حسن أن يسمى عليه وحده ومن بين سائر العلوم باسم التفسير مع أن جميعها مشتملة على ما يشتمل عليه معنى التفسير من الكشف والتبيين لأنه لعظمة شأنه وقصده إلى بيان مراد الله عز وجل واحتياجه لذلك من التمكن وزيادة

(١) هو الأستاذ الجليل المدقق في الدراسات العليا أصول الدين قسم التفسير بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة وأحد دكاترة الأزهر ذومكانة مرموقة في المستوي الجامعي وأوساط الطلاب. أشرف بالعديد من الرسائل الجامعية. له مؤلفات: دراسات في مناهج المفسرين، الدخيل في التفسير وما إلى ذلك.

(٢) صاحب عقل ودين يُرجع إليهما. يقال: رجل ذو مُسَكَّةٍ ومُسَكِّ أي رأي وعقل يرجع إليه

(٣) دراسات في مناهج المفسرين، للدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، طبع جامعة الأزهر - القاهرة، (بدون تاريخ) (ص ٣٢)

(٤) الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، (ج ٤ ص ١٦٠-١٦١)

الأهمية والاستمداد فوق ما يحتاج إليه جميع العلوم كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه. قال السيوطي في " الإتيان " « وأما وجه الحاجة اليه فقال بعضهم اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتابا فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وإنما احتيج إلى الشرح لأمر ثلاثة :

(١) كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية بجميع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصده بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

(٢) إغفاله بعض تنمات المسئلة أو شروط لها اعتماد على وضوحها أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه

(٣) احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبه على ذلك. إذا تقرر هذا فنقول إنما القرآن نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. وأما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا فأينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي صلى الله عليه وسلم واستدل عليه بقوله ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ٣] وكسؤال عائشة (١) عن الحساب اليسير فقال " ذلك العرض " وكقصة عدي ابن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير ومعلوم أن تفسير بعضه

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أم المؤمنين ، ولدت ٩ قبل الهجرة بمكة أسلمت صغيرة ، احب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، أفقه النساء روت ٢٢١٠ أحاديث ، لها مناقب كثيرة ، توفيت بالمدينة سنة ٥٧ هـ ودفنت بالبقيع (الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م) ، (ج ٧ ص ١٦)

يكون من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.^(١)

وهذه وجوه حاجة الإنسان الى التفسير من جانب، ومن جانب آخر أوسع يرتبط بواقع البشرية على مر العصور وتعاقب الأجيال من النوع الإنساني الذي يحتاج إلى هدى القرآن. ولا ريب أن البشرية تتخبط اليوم في ظلمات الشقاوة والجاهلية وتغرق في بحار التحلل وعبادة المال وليس لها من منقذ إلا الإسلام عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم الخالق الأمين. ومن البدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوى من نصح وإرشاد وهذا لا يتحقق عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه آيات القرآن وهو ما يسمى " علم التفسير " خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلاسل العرب أنفسهم. فالتفسير هو المفتاح لهذه الكنوز والدخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد.

المبحث الخامس

ضوابط لتقويم التفاسير

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق طه عبدالرءوف سعد ، المكتبة التوفيقية - القاهرة. (بدون تاريخ)، (مج ٢ ج ٤ ص ١٥٨)

يقع بعض دارسي التفسير في أخطاء كثيرة عند ما لا يدرسون التفسير الذي بين أيديهم دراسة جيدة حيث لا يقفون على حقيقة رأي المفسر في بعض القضايا والمسائل فينسبون له ما لم يقله ويخرجون من الدراسة بنتائج خاطئة ويحكمون عليه حكما خاطئا ظالما. والسبب في هذا هو عدم مراعاتهم المنهج العلمي في الدراسة والموضوعية في البحث والأمانة في النقل والنزاهة في الحكم أو بمعنى آخر عدم مراعاتهم الضوابط المنهجية الضرورية للدراسة وأهم هذه الضوابط هي:

١ . المعرفة التامة لعصرالمفسر

لابد للدارس أن يتعرف على العصرالذي عاش فيه المفسر، وأن يقف على مختلف مظاهر الحياة فيه: السياسة والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، لأن المفسر الذي يعيش عصره يفسر القرآن لأهداف خاصة لها صلة بقضايا ومشكلات عصره ويركز في تفسيره على مسائل تهم أمته في عصره ويتناول الأفكاروبعض المذاهب المنتشرة في عصره لذلك لابد للدارس أن يذهب إلى المفسر ليعيش معه عصره. ولا يليق بالدارس أن يسلم المفسر من عصره وأن يحضره إلينا ليعيش عصرنا أو أن يسلم المفسر المعاصر عن عصرنا ليعيش عصرنا سابقا ليس له مشكلات وقضايا واهتمام هذاالعصر .

٢ . المعرفة التامة لشخصية المفسر

على الدارس أن يتعرف على شخصية المفسرودراسة مراحل حياته ومظاهر التأثير والتأثير فيها ومعرفة دراسته وشيوخه وثقافته والكتب التي درسها والأماكن التي ذهب إليها والوظائف التي شغلها والأعمال التي قام بها ومعرفة تلاميذه الذين درسهم ومعرفة أسرته وأولاده إن تسير له معرفة ذلك.

٣ . تحديد قواعد منهج المفسر ومعالمه

على الدارس أن يتعرف على منهج المفسر وأن يحدد قواعد ذلك المنهج ثم طريقته في تطبيق ذلك المنهج. وقد يذكرالمفسربعض قواعد منهجه في المقدمة، وقد يذكر بعضها في التفسير، ولكل مفسر إشارات وعبارات مبثوثة في تفسيره تعين الدارس على التعرف على ذلك المنهج..

٤ . الدراسة الشاملة الواعية الفاحصة المتأنية المتكررة للتفسير

وأؤكد على كل صفة وردت في هذا الضابط، فلا بد أن تكون دراسة الدارس للتفسير شاملة له كله وأن تكون واعية بحيث يكون الدارس منتبها يقظا فاحصا يعي ويستوعب ما يقرأ، ولا بد أن تكون الدراسة متأنية متمهلة وأن لا يكون الدارس سريعا متعجلا، فقد يحتاج إلى أن يدرس التفسير أكثر من مرة. على الدارس أن يجمع كلام المفسر في المسئلة الواحدة من المواضع المتفرقة في التفسير وإن تكرر ذلك لأنه لا يخلو من إضافة.

٥ . النظرة المتزنة للمفسر

الأصل أن تكون نظرة الدارس إلى المفسر متزنة متصفة بالتوسط والاعتدال فلا يغالي في محبته وتقديره حتى يوصله إلى درجة قريبة من القداسة والعصمة ولا يبالغ في النظرة الأخرى ضده إلى درجة تعمد التتقيص والتشويه بحيث يصدر حكما بالإعدام على تفسيره وعلمه ومؤلفاته.

لا يجوز أن يعمي حب الدارس للمفسر عن رؤية مآخذ تؤخذ عليه أو الإشارة إلى أخطاء وقع فيها كما أنه لا يجوز أن يعمي تعصب الدارس ضد المفسر عن رؤية مزاياه وحسناته. بمعنى آخر: أن ينظر الدارس إلى المفسر بعينين إسلاميتين مبصرتين عادلتين. ومنظار عادل يريه كل الأمور والمسائل يرى الحسنات ويثني على صاحبها ويرى السيئات ويردها. لا يجوز أن يكون الدارس مغاليا في محبة المفسر ولا مغاليا ضده وقديما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا

٦ . الموضوعية في التقويم والعدالة والنزاهة في الحكم

على الدارس أن يحرص على الدقة وحسن الفهم بحيث يطيل النظرة في التفسير ويستوعب الفكرة ويقلب وجوه الرأي ليحسن فهم كلام المفسر ولا يظلمه بأن ينسب له رأيا لم يقل به. وإذا جاء دور النقل فلا بد من توفر الأمانة العلمية لدى الباحث، بأن ينقل عبارة المفسر كاملة ويلاحظ ما قبلها وما بعدها ولا يجوز أن يقتطع عبارة من سياقها، ليعتبرها إدانة للمفسر على طريقة " ولا تقربوا الصلاة ". ولا بد للدارس من أن يكون موضوعيا في تقويم التفسير، بأن يطرح الهوى جانبا سواء في جانب الحب أو جانب البغض . عليه في التقويم أن يلاحظ الحسنات والإيجابيات

ويشيد بها ويعرف نسبتها إلى تفسيره وقيمة التفسير بسببها، ثم يلاحظ المآخذ والأخطاء، ويحسن تصنيفها هل هي في المقصد أو في المنهج أو بعض خطوات الطريق ومدى تأثر التفسير بها ومدى أثرها عليه. ولا يجوز للدارس أن يجمع الأخطاء والمآخذ، ويلغي الإيجابيات والحسنات، ثم يكبر الأخطاء حتى يطغي على الحسنات ويعدم التفسير ويدين صاحبها بسببها.

وبعد الأمانة في النقل وحسن الفهم والموضوعية في التقويم. لابد للدارس من أن يكون نزيها عادلا في الحكم، فعندما يضع التفسير في الميزان، عليه أن يكون ميزانه إسلاميا شرعيا. لا يجوز أن يكون ميزانه بكفة واحدة لا يضع فيها إلا الحسنات إذا كان يحب المفسر أو لا تعرف إلا الأخطاء إذا كان لا يحب المفسر. على الدارس المتصف بهذه الصفات أن يتقي الله في حكمه على التفسير والمفسر ويعطيه ما يستحقه من حكم بعد معرفة نسبة أخطائه إلى حسناته وأن يهب الخطأ القليل إلى الصواب الكثير. ومعلوم أن النجاسة لاتؤثر في الماء الكثير وكفى المرء أن تعد معايبه. (١)

المبحث السادس

شروط المفسر

ينبغي من يتصدى لتفسير القرآن أن يتوفر فيه ما يلي:

١. صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين

(١) تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، المصدر السابق، (بالاختصار) (ص ١٣٨ - ١٦٤)

فإن كل من كان مغموصا عليه في دينه، لايؤتمن على الدنيا، فكيف يؤتمن على الدين؟ ولأنه لا يؤتمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغوي الناس بآتيه وخداعه. وإن كان متهما بهوى لم يؤمن ن يحمله هواه على ما يوافق بدعته .

٢ . و صحة المقصد

أي يقصد بما يفعل أن يتقرب الى الله تعالى دون أي شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده من الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله. وذلك ليلقي التسديد، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوصل به إلى غرض من أغراض الدنيا يصده من قصده ويفسد عليه صحة عمله من مال أو رياسة أو جاه أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك.

٣ - أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن عاصره ويتجنب المحدثات

٤ . أن يكون جامعا للعلوم التي يحتاجها المفسر وهي خمسة عشر علما

(١) اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع

(٢) لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

(٣) التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

(٤) الاشتقاق لأن الإسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى

باختلافهما كالمسح هل هو من السياحة أو من المسح ؟

(٥) علم المعاني إذ يعرف بها خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

(٦) علم البيان إذ يعرف به تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة

وخفاءها.

(٧) علم البديع إذ يعرف وجوه تحسين الكلام.

وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من

مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وهو لا يدرك إلا بهذه العلوم.

- (٨) علم القراءات لأن به يعرف كيفية نطق القرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.
- (٩) أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.
- (١٠) أصول الفقه إذ يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط
- (١١) أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.
- (١٢) الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره
- (١٣) الفقه
- (١٤) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.
- (١٥) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث ((من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)) (١)

المبحث السابع

أسباب اختلاف المفسرين

(١) البداية في التفسير الموضوعي ، للدكتور عبد الحي الفرماوي، جامعة الأزهر- القاهرة ، (ط ٧)، سنة (٢٠٠٥م) ص ١٤-١٦) والحديث لا أصل له ولا سند كما ذكره السبكي في كتابه " أحاديث الإحياء التي لا أصل لها للسبكي " (ج ١ ص ٣) وهو الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا. وقال الحافظ العراقي : أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (إحياء مع تخريج الحافظ العراقي، المكتب الثقافي- القاهرة ج ١ ص ١١٨) وفي الحلية لأبي نعيم: وقال (أحمد) ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليّ ثم ذكر أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لأحمد ابن أبي الحواري صدقت يا أحمد وصدق شيخك قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم فوضع هذا الإسناد عليه لسهولة وقربه وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، دارالكتاب العربي - بيروت، (ط ٤) سنة (١٤٠٥م) (ج ١٠ ص ١٥) واعتبره الألباني أنه من الموضوعات (السلسلة الضعيفة - للألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ج ١ ص ٦١١)

كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن بمقتضى السليقة واللسان العربي وإذا أشكل عليهم معنى سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم وكانوا رضي الله عنهم يجتهدون في استنباط معاني ودلالات بعض الآيات القرآنية ويتفاوتون في ذلك نتيجة تفاوتهم في معرفة أسباب النزول وما أحاط بالآيات من أحداث وملابسات فضلا عن تفاوت القدرات العقلية. شأنهم شأن البشر ولذا فقد كان يقع بينهم اختلاف في التفسير إلا أن هذا الاختلاف كان قليلا جدا في التفسير لأمر منها:

(١) وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم ورجوعهم اليهم إذا وجد بينهم خلاف فقد كان يجلوهم لهم حتى لايبقى له أثر.

(٢) أن الرسول ينهاهم عما يؤدي الى الاختلاف في القرآن كما روى عمرو بن شعيب^(١) عن أبيه عن جده ((أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله عليه وسلم فخرج فكأنما فوقه في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا إنكم لستم مما ههنا في شيء أنظروا الذي أمرتم به واعملوا به والذي نهيتم عنه فانتهاوا عنه))^(٢)

(٣) سعة علم الصحابة الشرعي ومعرفتهم اللغة العربية وأساليبها ومعانيها مما يسر لهم معرفة كثير من الآيات بمقتضى اللسان العربي

(٤) تأثير العصر عليهم فإن للعصر تأثيره على أبنائه ومن المعلوم أن عصر الصحابة هو خير العصور^(٣). ولذا قال ابن تيمية « كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم قليلا جدا وهو في التابعين أكثر منه في الصحابة لكنه قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر^(٤)»

(١) عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي أبو إبراهيم بن بني عمرو بن العاص (١١٨-٠٠٠هـ = ٧٣٦ م) من رجال الحديث كان يسكن مكة وتوفي بالمدينة (الأعلام للزركالي ، ج ٥ ص ٧٩)
(٢) مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة- القاهرة، الأحاديث مذيبة بأحكام شعيب الأرنؤوط (بدون تاريخ) (ج ٢ ص ١٩٥)
(تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن ، وحاشية مسند الإمام أحمد، المصدر السابق ، (ج ٤ ص ٤٥٨) ورجاله ثقات.

(٣) بحث في أصول التفسير ومناهجه، للفهد الرومي، المصدر السابق، (ص ٤٢-٤٣)

(٤) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق عدنان زرور، دار القرآن الكريم - الكويت، (ط ١) ، سنة (١٣٩١هـ) (ص ٣٦-٣٧)

واعتبر البعض أن الاختلاف بين السلف في التفسراختلاف تنوع قائلاً « وانتقل بعد ذلك للحديث المنهجي الموضوعي عن حقيقة الخلاف ولاحظ أن الخلاف بينهم من حيث حقيقته وطبيعته هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. مامعنى هذه العبارة المنهجية ؟ التنوع قائم على التنوع والتمثيل والتقسيم ويمكن الجمع بين الأنواع والأقسام والأمثلة واعتمادها كلها واعتبارها ومحتملة مقبولة. أما التضاد فإنه بمعنى التعارض والتناقض بحيث يذكر أمران ويكونان متعارضين متناقضين متضادين فلا يمكن الجمع بينهما لأن الضدين لايجتمعان فإذا أخذنا أحدهما فنحن ملزمون برفض وترك الآخر. لم يكن اختلاف السلف في التفسير اختلاف تضاد، بمعنى أن الصحابة والتابعين لم يذكروا في التفسير أقوالا متناقضة متضادة، كأن يأخذ أحدهم من الآية حكما بالوجوب فيأتي آخر ويأخذ منها حكما بالتحريم. هذا تناقض وتضاد وهو غير موجود بين السلف في التفسير. وكان اختلافهم في التفسير اختلاف تنوع بحيث يذكر أحدهم قولاً في تفسير الآية ويذكر الآخر قولاً ثانياً فالقولان مختلفان لكنهما ليسا متضادين وإنما متكاملان فكل منهما ينطبق على جزء من معنى الآية ويحقق نوعاً من أنواع دلالتها والجمع بينهما ممكن والقول بهما معاً في تفسير الآية مطلوب. ومن الأمثلة على اختلاف التنوع بين السلف تفسيرهم لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [يس ٥٥]. فقد اختلف الصحابة والتابعون في الشغل الذي يشغل المؤمنين في الجنة : ما هو؟ أورد الإمام ابن كثير (١) بعض أقوالهم في ذلك :

(١) قال الحسن البصري وإسماعيل بن أبي خالد (٢) « هم في شغل عما فيه أهل النار من العذاب .»

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة « هم في نعيم فرحون معجبون به »

(٣) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن مسيب (٣) وعكرمة والحسن وقتادة

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: (٧٠١ - ٧٧٤ هـ - ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ١ ص ٣٢٠)

(٢) إسماعيل بن أبي خالد الإمام الحافظ أبو عبد الله البجلي الأحمسي مولاهم الكوفي أحد الأعلام، حدث عنه شعبة والسفيانان وأبو أسامة وبزيد بن هارون وابن نمير ويحيى القطان ويعلى بن عبيد وخلق. وكان حجة متقناً مكثرًا عالماً. مات في سنة خمس وأربعين ومائة وقيل سنة ست رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق - ج ١ ص ١١٥ - ١١٦)

(٣) هو سعيد بن مسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو إلى أن ينتهي نسبه إلى بني مخزوم من بطون قريش إذن كان سعيد قريشياً مخزومياً وهو من كبار التابعين وأحد الفقهاء السبعة في المدينة وكان ثقة كثير الحديث ثبتاً فقيهاً مأموناً ورعاً قال سعيد بن مسيب ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر ابن الخطاب وكنت خلافته عشر سنين وأربعة أشهر وتوفي في العام

والأعمش^(١) وسليمان التيمي^(٢) والأوزاعي^(٣)» شغلهم في الجنة افتضاض أبارك العذاري من الحور العين». فهذه ثلاثة أقوال مختلفة في تحديد الشغل الذي فيه المؤمنون في الجنة لكنهما مختلفة من باب التنوع وليس التضاد: فالقول الأول يذكر نوعا من أنواع الشغل وهو اشتغالهم عن عذاب أهل النار. لكن ما هذا الشغل؟ يذكر القول الثاني أنه النعيم العظيم الذي يتمتعون ويتكهنون ويفرحون به ويأتي القول الثالث ليذكر نوعا من أذ وأمتع صور ذلك النعيم وهو الاستمتاع بالحور العين وافتضاض أبارهن ومعاشرتهن. فالأقوال الثلاثة صحيحة ومعتمدة وهي متكاملة ومجموعة في الدلالة على المعنى والقول بها كلها مطلوب^(٤) أهم أسباب اختلاف المفسرين :

لم يكن بين الصحابة والتابعين اختلاف حقيقي كما عرفنا والاختلاف إنما وقع بعد الصحابة والتابعين بعد أن ظهرت الفرق والمذاهب المتعددة حيث نصرت كل فرقة أوكل طائفة مذهبها باللجوء إلى آيات القرآن وحاولت بها الهجوم والقضاء إلى الفرق المخالفة لها فيفسرونها أو يؤولونها تأويلا منحرفا يناسب إلى مشاربهم ومصالحهم الطائفية. وبالمقابل يفسر كل فرقة مخالفة تفسيرا يناقض لتفسير الأولى ردا ودفاعا عنها. ومن هنا بدت اختلافات التفسير في بعض آيات القرآن ونسجل فيما يلي أهم أسباب اختلافهم مع بيانها والتمثيل لها.

(١) اختلاف القراءات

الرابع والتسعين من الهجرة وكان عمره خمسة وسبعين عاما (فقهاء المدينة السبعة، عبد المنعم عبد الرضي الهاشمي، دارين كثير - بيروت، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) (ص ٣٥، ٥٣)

(١) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاها الكوفي: الأعمش الحافظ الثقة شيخ الإسلام أصله من بلاد الري رأى أنس بن مالك وحفظ عنه قال بن المديني: له نحو من ألف وثلاثمائة حديث. وقال بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض وقال الفلاس: كان الأعمش يسمى المصحف؛ من صدقه. بقي الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، وكان رأسا في العلم النافع والعلم الصالح، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة وله سبع وثمانون سنة رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق - ج ١ ص ١١٦)

(٢) سليمان التيمي الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي: مولاها البصري لم يكن تيميا بل نزل فيهم سمع أنس بن مالك وأبا عثمان النهدي وطاوسا والحسن قال شعبة ما رأيت أحدا أصدق من سليمان التيمي كان إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير لونه وقال معتمر مكث أبي أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء وعاش سبعا وتسعين سنة. له نحو من مائتي حديث مات التيمي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائة رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق - ج ١ ص ١١٣ - ١١٤)

(٣) الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد دمشقي الحافظ: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. وُلد سنة ثمان وثمانين. مولد الأوزاعي ببعلبك ومنشؤه بالكرك قرية بالباق وربّي يتيمًا ثم نقلته أمه إلى بيروت. وعرض عليه القضاء فامتنع والله در قوله: إذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل. له كتب: كتاب (السنن) في الفقه، و (المسائل) ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كل وغير ذلك (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق - ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٥) (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٣ ص ٣٢٠)

(٤) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٨٢ - ٨٤)

القراءات نوعان قراءات صحيحة وقراءات شاذة. والقراءات الصحيحة هي القراءات التي توفرت فيها شروط القراءة الصحيحة وهي ثلاثة:

(١) صحة سند القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) موافقة العربية ولو بوجه واحد

(٣) موافقة المصحف العثماني ولو احتمالاً

وقد جمع العلماء القراءات الصحيحة التي توفرت فيها الشروط الثلاثة وهي عشر قراءات لعشرة من الأئمة القراء وأعلامهم..... ومن الأمثلة على الاختلاف في التفسير المبني على اختلاف القراءات قوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ [الحجر:

١٤ - ١٥] في قوله (سكرت) قراءتان عشريتان صحيحتان

الأولى : قراءة ابن كثيرالمكي : (سكرت) بتخفيف الكاف المكسورة ومعنى سكرت - بالتخفيف - سحرت . يقول الكفار: لقد سحرت أبصارنا وحبست عن الرؤية ومنعت من النظر بسبب السكر وهو الحبس والسحر .

الثانية : قراءة التسعة الباقيين - نافع وعاصم^(١) وحمزة والكسائي^(٢) وابن عامر وأبو عمرو^(٣) وأبو جعفر^(٤) ويعقوب وخلف - : (سكرت) بتشديد الكاف المكسورة ومعنى (سكرت) - بالتشديد - سدت وغطيت وأغشيت أي يقول الكفار لقد شددت وأغلقت أبصارنا فنحن لانرى بسبب إغلاقها وسدها وتسكيرها ونتيجة اختلافات القراءات في الكلمة اختلف المفسرون في معناها:

قال ابن عباس سكرت أبصارنا « سحرت أبصارنا »

قال مجاهد والضحاك^(٥) سكرت أبصارنا « سدت أبصارنا ومنعت النظر»

(١) عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الاسدي بالولاء، أبو بكر: (١٢٧ - ٥٠٠ هـ = ٧٤٥ - ٥٠٠ م) أحد القراء السبعة تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٣ ص ٢٤٨)

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، (١٨٩-٥٠٠ هـ - ٨٠٥ م) إمام في اللغة والنحو والقراءة له تصانيف : (معاني القرآن) (القراءات) (الأعلام للزركلي، - ج ٣ ص ٢٤٨)

(٣) زياد بن عمار التميمي المازني البصري (٧٠-١٥٤ هـ = ٦٩٠-٧٧١ م) من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة (الأعلام للزركلي، - ج ٣ ص ٤١)

(٤) يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء المدني : (١٣٢ - ٥٠٠ هـ - ٧٥٠ م) أحد القراء العشرة من التابعين إمام أهل المدينة في القراءة وعرف بالقارئ وتوفي بالمدينة (الأعلام للزركلي، - ج ٨ ص ١٨٥)

(٥) أبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ شيخ الإسلام . وكان يلقب بالنبيل لنبله وعقله، وقال البخاري وغيره: سمعنا يقول: ما اغتبت أحدا منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. وقال أبو داود: كان أبو عاصم يحفظ نحو ألف حديث من

وقال ابن زيد سكرت أبصارنا « غشي على أبصارنا فلا ترى شيئاً »
 وقال الكلبي سكرت أبصارنا « عميت أبصارنا ». وسبب اختلاف المفسرين في معنى
 سكرت ورود قرائتين صحيحتين للكلمة كما رأينا. والجمع بين القراءتين ممكن فإذا كانت
 الأبصار قد سكرت وسحرت على قراءة التخفيف ﴿ سكرت ﴾ فإنها قد تعمق فيها
 السحر وتمكن منها حتى سدها وأغلقها على قراءة التشديد فالأبصار سكرت حتى
 سكرت أي سحرت حتى سدت وأغلقت (١)

ومنها قوله تعالى ﴿ أَو لَأَمْسُتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء ٤٣] معناه الجماع أو الجس باليد
 فالأول تفسير لقراءة ﴿ لأمستم ﴾ والثاني لقراءة ﴿ لمستم ﴾ (٢)
 ٢) اختلاف وجوه الاعراب

ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في وجوه الاعراب ولاشك أن للاعراب تأثيره
 في المعنى فليس بين الفاعل والمفعول إلا الضبط بالشكل ويكفر من لحن متعمدا في
 قوله تعالى ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٣] ولو قرأها بكسر
 اللام من ﴿ ورسوله ﴾ وكذا قوله تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
 الْحُسْنَى ﴾ [الحشر ٢٤] ولو قرأها بفتح الواو من ﴿ المصور ﴾ وها أنت ترى أنه
 ليس بين الكفر والايمان الا حركة واحدة، كل هذا يدل على ما كان للإعراب من تأثير
 في المعاني. ومثال الاختلاف في الإعراب اختلافهم في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
 إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ [آل عمران : ٧] فقد اختلفوا في ﴿
 وَالرَّاسِخُونَ ﴾ فقيل عطف نسق على اسم الله عزوجل وقيل مرفوع بالابتداء والخبر في
 قوله ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [
 البقرة ٣٧] برفع آدم ونصب كلمات وبالعكس فالأول على معنى أنه استقبله بالأخذ
 والقبول والثاني على معنى أنها استقبلته واتصلت به. (٤)

٣) الاختلاف في المعنى اللغوي للكلمة

جيد حديثه. وقال ابن سعد: كان ثقة فقيها مات بالبصرة لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين عاش
 تسعين سنة وأشهرًا. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ٢٦٨، ٢٦٩)
 (١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٩٣-٩٤)
 (٢) أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن العك، دار النفائس- دمشق، (ط ٢) سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) (ص ٨٧-٨٨)
 (٣) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ٤٦)
 (٤) أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن العك، المصدر السابق، (ص ٨٧)

قد يختلف المفسرون في معنى كلمة من كلمات القرآن ، للاختلاف اللغوي في معنى الكلمة. مثال ذلك : أطلق القرآن على أنصار عيسى عليه الصلاة والسلام لقب (الحوريون) قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢] اختلف المفسرون في سبب تسميتهم بالحواريين فقال بعضهم سموا بذلك لبياض ثيابهم وقال آخرون كانوا قصارين يبيضون الثياب. وقيل كانوا صيادين وقيل هم خاصة الأنبياء الذين نصرورهم

وقد رجح ابن جرير الطبري أنهم سموا بذلك لبياض ثيابهم لأن الحواريين - أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام - مشتقة من الحور وهو عند الطبري شدة البياض.(١) بينما رجح الأمام ابن كثير أنهم سموا بذلك لأنهم نصرور عيسى عليه الصلاة والسلام لأن الحواري عنده هو الناصر، واستدل ابن كثير على هذا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ((لكل نبي حواريا وحواريا الزبير(٢)))(٣) كما استدل بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤](٤)

٤) الاختلاف في المشترك اللفظي

المشترك في اللغة أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى، كأن يدل على معنيين أو ثلاثة أو أكثر وقد يكون المعنيان متوافقين متكاملين وقد يكونان مختلفين متضادين. من المشترك المتوافق في المعنى (النكاح). فالنكاح قد ورد في القرآن بمعنى عقد الزواج كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الاحزاب: ٤٩] وورد بمعنى الوطء والجماع والمعاشرة الزوجية كما في قوله تعالى ﴿

(١) تفسير الطبري، للإمام جرير الطبري، تحقيق : محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف- مصر، (بدون تاريخ) (ج ٦ ص ٤٥٠)

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته أمه صفية بنت عبد المطلب وأسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين (الإصابة في تمييز الصحابة، المصدر السابق- ج ٢ ص ٥٥٣)

(٣) والحديث : روي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب قال الزبير أنا ثم قال من يأتيني بخبر القوم قال الزبير أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((إن لكل نبي حواريا وحواريا الزبير)) (صحيح البخاري ، للإمام البخاري، دار المنار- القاهرة، سنة (٢٠٠١م) (باب فضل الطليعة- ج ٢ ص ٢١٦)

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- السعودية، (ط ٢) سنة (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) (٢ / ٤٦)

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴿ [البقرة : ٢٣] . لأن الآية تتحدث عن الزوجة بعد أن يطلقها زوجها الطلقة الثالثة فإنها لا تحل له إلا أن تتكح زوجا غيره بأن يتزوجها هذا الرجل الثاني وينكحها ويعاشرها ويجمعها فالنكاح في القرآن مشترك يطلق على عقد الزواج ويطلق على الجماع والذي يحدد على معنيين هو السياق ومعنى الآية التي وردت فيها الكلمة. ومن المشترك بين معنيين مختلفين متقابلين في القرآن " القرء " . وهو مشترك بين الطهر والحيض وهما معنيان متقابلان مختلفان (١)

٥) الاختلاف في احتمال الاطلاق والتقييد

قد يرد لفظ في القرآن مطلقا في سورة ويرد مقيدا في سورة أخرى وهو في حالة التقييد يفهم ما فيه من القيد وهذا بإجماع المفسرين لكن الخلاف بينهم في حالة الثانية التي ورد فيها مطلقا فهل يبقى على إطلاقه أم يحمل على التقييد الوارد في السورة الأخرى؟ مثال ذلك قوله تعالى في كفارة الظهر ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ ﴾ [المجادلة : ٣] والرقبة في هذه الآية مطلقة لم توصف بأي وصف ليكون قيدا لها. وقوله تعالى في كفارة القتل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾ [النساء : ٩٢] فالرقبة هنا مقيدة بالإيمان ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ . ولا خلاف بين المفسرين في أن الرقبة المعتبرة في كفارة القتل لا بد أن تكون مؤمنة لأن الآية صريحة بذلك، فلو أعتق القاتل عبدا كافرا لم يجز. واختلافهم كان في عتق الرقبة في كفارة الظهر فهل يشترط فيها أن تكون مؤمنة أم تجوز الرقبة كافرة؟

ذهب الشافعي ومن معه إلى أنه لا بد أن تكون الرقبة في كفارة الظهر مؤمنة ولا يجوز للمظاهر أن يعتق رقبة كافرة. ودليله على هذا: حمل المطلق في كفارة الظهر ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ على المقيد في كفارة القتل ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ . وحجة الشافعي في هذا اتحاد الكفارتين في الحكم الواجب وهو عتق الرقبة وبما أن الحكم فيهما واحد فلا بد من حمل المطلق على المقيد. وذهب أبوحنيفة ومن معه إلى أنه لا يشترط

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٩٩-١٠٠)

الإيمان في الرقبة المعنقة في كفارة الظهر ويجوز للمظاهر أن يعتق رقبة كافرة^(١) وكذا قوله تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ [المائدة ٨٩] اعتبر أبو حنيفة^(٢) والثوري^(٣) التابع فيهما بناء على ما روي عن أبي بن كعب وابن مسعود ((أنهما قرأ فصيام﴾ فصيام ثلاثة أيام متتابعات))^(٤) وجوز الإمام الشافعي التفريق ولا يرى الشواذ حجة وحمل الآية على الاطلاق ولفظ ﴿متتابعات﴾ من القراءة الشاذة^(٥).

٦) الاختلاف بسبب احتمال العموم والخصوص

أن من طبيعة اللغة العربية احتمال بعض ألفاظها لأن يكون باقيا على عمومه وعاما مخصوصا وبما أن ألفاظ القرآن عربية فإنه يطرأ عليها ما يطرأ على تلك الألفاظ وإذا كان اللفظ محتملا فإن أنظار المفسرين تختلف في المراد من هذا اللفظ. لذلك كان هذا الاحتمال سببا من أسباب اختلاف المفسرين. وفيما يلي مثال من النصوص القرآنية التي أثر هذا الاحتمال في اختلاف المفسرين في تفسيرها. يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمَشْرِكِاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُكْفُرُوا بِالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَعْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. حرم الله بهذه الآية نكاح المشركات على المؤمنين ولكن هل يدخل في قوله تعالى ﴿المشركات﴾ نساء أهل الكتاب اليهود والنصارى. اختلف المفسرون بذلك على قولين رئيسين :

(١) تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، (ج ٤ ص ٣٢٢)
(٢) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: (٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧ م) إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق، أحد الائمة الاربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والافتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقيين) على القضاء، فامتنع ورعا. وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة له مسند في الحديث، جمعه تلاميذه، و المخرج في الفقه، توفي ببغداد (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٨ ص ٣٦)

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر الثوري الكوفي، وهو من تابعي التابعين، ولد سنة سبع وتسعين، واتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، وخشونة العيش، والقول بالحق. توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، رضى الله عنه. (تهذيب الأسماء للنووي- ج ١ ص ٣١١، ٣١٣)
(٤) عن أبي العالبي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه : كان يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات (سنن البيهقي الكبرى سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، سنة (١٩٩٤ م) - باب التابع في صوم الكفارة- ج ١٠ ص ٦٠) وكذا : حدثنا سعيد ثنا حماد بن زيد عن بن عون عن إبراهيم قال : في قراءتنا في كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعات قال الشيخ رواية بن أبي نجيب في كتابي عن عطاء وهو في سائر الروايات عن طائوس ويذكر عن الأعمش أن بن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات وكل ذلك مراسيل عن عبد الله بن مسعود (سنن البيهقي الكبرى، المصدر السابق- ج ١٠ ص ٦٠)
(٥) أصول التفسير وقواعده، المصدر السابق، (ص ٨٧)

الأول: لا يدخل نساء أهل الكتاب في هذه الآية أصلا فهو من العام المراد به الخصوص لأن الاستعمال القرآني لكلمات المشركين والمشركات إنما يكون في أهل الأوثان أما أهل الكتاب فلا يدخلون تحت كلمة المشركين والمشركات في الاستعمال القرآني وإنما يدخلون تحت لفظ " أهل الكتاب " و " الذين أوتوا الكتاب " كقوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٥] وقد قال بهذا القول قتادة وسعيد بن جبيرة واختاره الطبري والجصاص^(١) والزمخشري وصاحب المنار .

الثاني: هذه الآية عامة في نساء أهل الكتاب من المشركات ذلك لأن حقيقة الشرك متحققة فيهن لأنهن يقلن عزيزا بن الله والمسيح ابن الله وغير ذلك. لكن أصحاب هذا القول اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول : الآية مخصصة بقوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ [المائدة : ٥] . قال ابن الجوزي وعلى هذا عامة الفقهاء واختاره في تفسيره واختاره أيضا ابن العربي^(٢) والبيضاوي^(٣) وأبو حيان والرازي وابن كثير والسيوطي والشوكاني^(٤).

(١) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص: (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ = ٩١٧ - ٩٨٠ م) الإمام الكبير الشان المعروف بالجصاص وهو لقب له سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتبا في (أصول الفقه) قال الخطيب كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته وكان مشهورا بالزهد وخطب في أن يلي القضاء فامتنع وأعيد عليه الخطاب فلم يقبل. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ١ ص ١٧١)

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعوف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور هو الحافظ المستنبر، وكان من أهل التنغن في العلوم والاسبحار فيها والجمع لها مقدا في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها حريصا على أدائها ونشرها. وسئل عن مولده فقال: ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمئة. وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسائة (وفيات الأعيان ، لأبي بكر بن خلکان ، المحقق : إحسان عباس دار صادر - بيروت، سنة (١٩٩٤م) ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧)

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي صاحب الوطالع والمصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير المسمى بألوان التنزيل وأسرار التأويل كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ولي قضاء القضاة بشيراز كانت وفاته في بلدة تبريز سنة خمس وثمانين وستمئة (طبقات المفسرين للأندلسي ج ١ ص ٢٥٤)

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م) فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد له ١١٤ مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار) و (فتح القدير) في التفسير (إرشاد الفحول) وغيرها (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٦ ص ٢٩٨)

الثاني هذه الآية منسوخة جزئياً بآية المائدة السابقة. روي هذا القول عن ابن عباس وقال به مالك وسفيان الثوري والأوزاعي واختاره القرطبي والبغوي والخازن وأبو سعود^(١) والألوسي^(٢).

الثالث هذه الآية عامة غير مخصصة ولا منسوخة ولا يحل نكاح نساء أهل الكتاب وآية المائدة إنما المقصود بها النساء التي كن أهل كتاب ثم آمن أو أن آية المائدة منسوخة بآية البقرة. وقد روي هذا القول عن ابن عمر^(٣) وابن عباس وقال به الشيعة الإمامية والزيدية^(٤).

٧) الاختلاف بسبب احتمال الحقيقة والمجاز

وقد اختلف العلماء في القول بالمجاز. فقال به جمهور العلماء والمفسرين والمحدثين ومنعه ورفضه بعض العلماء والمفسرين، وعلى رأسهم الإمام تيمية وتلميذه ابن القيم. ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في القول في المجاز فالذين قالوا به حملوا الآية على المجاز والذين رفضوه حملوا الآية على الحقيقة. ومن أوضح الأمثلة على اختلافهم في هذا قوله تعالى عن رحلة موسى والخضر عليهما السلام ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف : ٧٧). لقد نسبت الآية إلى الجدار إرادة الانفضاض والسقوط، والجدار جماد وإرادة شعور يصدر عن الحي

(١) أبو سعود محمد بن محمد بن مصطفى العمري الحنفي صاحب التفسير المشهور. ولد سنة ٨٩٨ هـ وصل إلى مرتبة عالية في العلوم الدينية بعد أن أقرأ على أبيه وعلى كبار علماء عصره وتنقل في المدرسة المتنوعة. وأهلته الدراسة الجادة مع ما منح من ميزات شخصية لتقلد أرقى المناصب الدينية فتقلد القضاء في عدد من البلاد التركية. ولمات توفي مفتي تركيا سعد الله بن عيسى بن أمير خان تولى الفتيا مكانه وكانت وفاته بالقسطنطينية في الثالث الأخير من ليلة الأحد جمادى الأخير ٩٨٢ هـ (مناهج المفسرين، عبد الحلیم محمود ص ٢٠١)

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالاستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد بدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه (روح المعاني) في التفسير (دقائق التفسير) و (الخريدة الغيبية) وما إلى ذلك (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٦)

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن خطاب رضي الله عنه القرشي العدوي المكي : ابن أمير المؤمنين وأمه زينب بنت مطلق أسلم مع أبيه وهو صغير وهاجر معه وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبو هريرة، ابن عمر، أنس بن مالك، عائشة، ابن عباس، جابر بن عبد الله) وأحد العبادة توفي سنة ٧٣ هـ ودفن بذي طوى قرب مكة وهو آخر من مات بمكة من الصحابة (الحديث النبوي ، للدكتور العجمي الدمهوري خليفة والدكتور محمود عبد الخالق، جامعة الأزهر الشريف- القاهرة ، (بدون تاريخ) (ص ٢٩-٣٠)

(٤) أسباب اختلاف المفسرين في آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري، أطروحة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة القاهرة - دار العلوم كلية الشريعة الإسلامية، سنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١) (ص ١٨٩ - ١٩٠)

فقال بعض المفسرين نسبة الإرادة إلى الجدار من باب المجاز والمعنى وجدا جدارا على وشك السقوط. وقال آخرون لا مجاز في الآية لجدار تليق به باعتباره جمادا وهي بمعنى الميل فميل الحي ميل مع شعور وميل الجماد ميل لا شعور فيه. وتبنى القول الثاني الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم ومن ذهب مذهبهما. وتبنى القول الأول عامة المفسرين كالرازي والزمخشري والبيضاوي والنسفي وغيرهم^(١)

٨) الاختلاف بسبب احتمال الإضمار والإظهار

وبيان ذلك أن المراد قد يكون ظاهرا لالبس فيه ولا اختلاف كقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فإن فاعل المجيء ظاهرا لالبس فيه وكذا فاعل التكليم. ويختلف المفسرون أحيانا في مرجع الضمير إذا كان الفاعل مضمرا نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم : ٨-٩] فقل هو جبريل عليه السلام وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي هريرة^٢ وأبي ذر رضي الله عنهم وقيل ودنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس وأنس ابن مالك رضي الله عنهم^(٣)

٩) الاختلاف في احتمال النسخ والإحكام

ومن أمثلة الاختلاف في القول بالنسخ اختلافهم في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة : ١١٥] فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما يدل أنها محكمة، وأن المراد أنها نزلت في اشتباه القبلة روى ابن عمر رضي الله عنه ما يدل أنها محكمة وأن المراد أنها صلاة التطوع. وعلى كلا القولين فإنها محكمة غير منسوخة وهو أيضا قول سعيد المسيب والشعبي^(٤) وعطاء والنخعي^(٥). وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها منسوخة. فقد روى عطاء عن

(١) تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١٠٦)

(٢)

(٣) تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، (ج ٧ ص ٢٩٧)

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمر (١٩ - ١٠٣ هـ = ٦٤٠ - ٧٢١ م)، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحدث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٣ ص ٢٥١)

(٥) إبراهيم النخعي فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي الفقيه: روى عن علقمة ومسروق والأسود وطائفة وقال عبد الله بن أبي سليمان سمعت سعيد بن جبير يقول تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي وقالت هندية زوجة إبراهيم أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما وجاء من وجوه عن إبراهيم أنه كان لا يتكلم في العلم ألا أن يسئل مات إبراهيم في آخر سنة خمس وتسعين كهلا قبل الشيخوخة رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ٥٩)

ابن عباس رضي الله عنهما قال أول ما نسخ من القرآن فيما ذكرنا - والله أعلم - شأن القبلة قال ﴿ وَبِاللَّهِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو البيت المقدس وترك بيت العتيق ثم صرفه الله إلى البيت العتيق فقال ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] يعنون بيت المقدس فنسخها وصرف إلى البيت العتيق فقال ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤] (١)

١٠) الاختلاف بسبب احتمال التقديم والتأخير في المعنى

اختلاف بسبب احتمال التقديم والتأخير بسبب من اختلاف المفسرين وليس المراد به التقديم والتأخير في صياغة الجملة القرآنية وترتيب كلماتها وهذا مما يناقش فيه مسلم لأنه قد أجمع المسلمون على أن كل ما في المصحف من سور وآيات هو كلام الله وأن الآيات مرتبة في السور على ما هي عليه بأمر الله وأنه لا يجوز التقديم أو التأخير أو التغيير أو التبديل في ذلك. فمن فعل ذلك فقد كفر. التقديم والتأخير الذي اختلف المفسرون هو في معنى الآية. ومن الأمثلة في ذلك قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَى الْأَرْضِ فَرَقَطَ وَإِلَيْكَ يَوْمَ تَبْعَثُ نُفُسُ الْكَافِرِينَ إِسْمُهُمْ كَلْبٌ كَلْبٌ وَكَالْجُنَّاتِ الْآسِنِ وَالشَّجَرِ الْأَيْكِ وَالشَّجَرِ الْأَيْكِ وَالشَّجَرِ الْأَيْكِ وَالشَّجَرِ الْأَيْكِ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران ٥٥]. ظاهر الآية فيه إشكال حيث عطفت رفع عيسى عليه السلام على توفيه. وهذا معناه أن الله توفى عيسى أولاً ثم رفعه ثانياً. وإذا كان التوفي هنا بمعنى الموت فإنه يتناقض مع إيمان المسلمين أن عيسى عليه السلام لم يموت، وأن الله رفعه إليه في السماء وأنه سينزل قبيل قيام الساعة فكيف أماته الله ورفعته إليه. اختلف المفسرون في توجيه هذا:

فمنهم من قال في الآية تقديم وتأخير في المعنى فالرفع مقدم في الواقع على التوفي فقد رفعه الله إليه وهي حي في السماء حياة خاصة وسوف ينزله الله في آخر الزمان ثم يتوفاه بعد ذلك. وتقدير معنى الآية إني رافعك إلي ومتوفيك.

ومنهم من قال ليس في معنى الآية تقديم وتأخير وتؤخذ على ظاهره فالله توفى عيسى عليه السلام ثم رفعه بعد ذلك. والتوفي عند هؤلاء ليس بمعنى الموت عيسى حي في

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ٥٣)

السماء وإنما التوفي بمعنى القبض والنوم. فالله ألقى النوم على عيسى ثم رفعه وهو نائم، ومعنى الآية إني منيمك ورافعك إلي وأنت نائم والأرجح هو القول الثاني فالله ألقى على عيسى عليه النوم والتوفي في الآية بمعنى النوم ورفعته إليه وهو نائم فليس في الآية تقديم وإنما تفهم على ظاهره^(١)

ويورد الباحث هنا آراء المفسرين على ما نحن في صدده :

قال ابن كثير في تفسير الآية « اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فقال ابن عباس وقتادة معنى متوفيك: مميتك وهذا من المقدم والمؤخر. والتقدير: إني رافعك إلي ومتوفيك. وقال وهب ابن منبه^(٢) توفي الله عيسى عليه السلام وأماته ثلاثة أيام ثم بعثه من الموت ثم رفعه بعد ذلك. وكلام وهب ابن منبه مردود باطل وهو يتفق مع ما يقوله النصارى عنه. فهم يزعمون أن الله أماته ثلاثة أيام ثم أحياه ثم رفعه. وقال مطرالوراق التوفي هنا بمعنى القبض من الدنيا والمعنى إني متوفيك من الدنيا قابضك منها ومغيبك عنها وليس وفاة موت. ورجح ابن جرير الطبري هذا القول فالتوفي عنده بمعنى القبض وليس الموت وليس في الآية تقديم. قال الأكثرون من المفسرين المراد بالوفاة هنا بمعنى النوم. قال الحسن البصري ﴿ إني متوفيك ﴾ وفاة المنام فالله رافع وهو نائم. وقد رجح ابن كثير القول الرابع واعتبر الوفاة بمعنى النوم، فالله رفع عيسى عليه السلام وهو نائم، واستدل على هذا بآيات القرآن قال وهذا كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢] «^(٣)

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١١٤)
 (٢) وهب بن منبه الحافظ أبو عبد الله الصنعاني عالم أهل اليمن: ولد سنة أربع وثلاثين روى عن أبي هريرة يسيرا وعن عبد الله بن عمر وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبد الله وغيرهم. وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الأحبار في زمانه. قال العجلي: كان ثقة تابعيا على قضاء صنعاء. وقيل: كان والده منبه من أهل هراة ممن بعثهم كسرى لأخذ اليمن فأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعن وهب قال: يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه. قال مثني بن الصباح: لبث وهب عشرين سنة. توفي سنة أربع عشرة ومائة رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ٧٧)
 (٣) تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، (ج ٤ ص ٣٤٦)

١١) الاختلاف بسبب اختلاف الرواية في التفسير

اختلاف الرواية سبب في اختلاف التفسير وذلك اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف رضي الله عنهم وذلك كاختلافهم في قوله تعالى ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الحج : ١٩] قال بعضهم إن أحد الفريقين أهل الإيمان والآخر أهل الكتاب كما روي عن ابن عباس في قوله ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ قال هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم، وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وقال آخرون: أحد الفريقين المؤمنون والفريق الآخر الكافرون من أمة ملة كانوا. وكاختلافهم في قوله ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج : ٢٧] قيل هو خطاب لسيدنا إبراهيم وقيل لسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام. والأول هو الصحيح كما أيد بطرق عديدة في الطبري وغيره. وأخيرا نذكر في نهاية هذا البحث الدقيق لأسباب الاختلاف في تفسير القرآن مارواه الشوكاني في مقدمة تفسيره " فتح القدير " عن سعيد ابن منصور في سنته وابن منذر والبيهقي^(١) في كتاب الرؤية عن سفیان قال ليس في تفسير القرآن اختلاف - أي: اختلاف تضاد وتناقض- إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا وروي أيضا عن ابن سعد أن عليا رضي الله عنه قال لابن عباس إذهب إليهم- أي الخوارج - ولاتخاصمهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة فقال له أنا أعلم بكتاب الله منهم فقال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه.^(٢) وروي أيضا عن ابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية

(١) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦ م) من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرته مذهبه وبسط موجهه وتأييد آرائه. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) و (السنن الصغرى) و (المعارف) (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ١ ص ١١٦)

(٢) سيتم الكلام عن هذا الحديث في (ص ١٦٣)

عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء ((لا تفقه كل الفقه حتى ترى في القرآن وجوها (١)))
(٢)

الفصل الثاني

قبصات عامة عن التفسير في العصر الحديث

المبحث الأول

مظاهر التفسير في العصر الحديث

المطلب الأول : التفسير بين ماضيه وحاضره

بديهى أن لكل خطاب غاية وإذا انعدمت الغاية أصبحت الأفعال عبثا ولونا من ألوان اللهو غير المبرر والخطاب يبغى غاية من مخاطبه وهي غاية الإفهام والبيان كي يغرس في المخاطبين مفهوما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤] وعلّة الإرسال بلسان القوم تفهيم القوم المراد من الخطاب. وعلى ذلك فإن المعجزات التي أيد الله تعالى رسله كانت من جنس السائد من العلوم أو المعارف التي يمتلكها قومهم.

(١) حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا إسماعيل بن عليّة ثنا أيوب السخيتاني عن أبي قلابة قال قال أبو الدرداء إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس (حلية الأولياء، المصدر السابق، ج ١ ص ٢١١) (مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي - بيروت (ط ٢)، سنة (١٤٠٣ م) ج ١ ص ٢٥٥)

(٢) أصول التفسير وقواعده، المصدر السابق، (ص ٩٠)

تأسيسا على ذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم مناسبة لما كان سائدا وسط قومه من معارف، إذ كانت اللغة العربية بلغت قمة سامية من صحة البيان وبلاغة الأداء وفصاحة العبارة فأنزل الله القرآن الكريم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم بلغة العرب وأساليبيها ومتحديا لهم مخاطبا إياهم بلسانهم ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١-٢] يظهر من النص السابق أن القرآن نزل بلغة العرب كي يفهمه العرب وتقوم الحجة عليهم بعجزهم على أن يأتوا بمثله وعندما ينزل القرآن بلسانهم عمَّ تمكنهم من البيان وسيطرتهم على اللغة متحديا أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو سورة فهذا ذروة التحدي وقمة الإعجاز.

ولما كان القرآن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فأصبح لزاما أن يفهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن جملة وتفصيلا ليبين لهم بعد أن تكفل الله تعالى بالحفظ والبيان ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

[القيامة ١٧ - ١٩]. وكذلك يفهمه أصحابه صلى الله عليه وسلم القرآن في جملته أي بالنسبة لظاهره وأحكامه. وأما فهمه تفصيلا ومعرفة دقائق باطنه بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة فهذا غير ميسور بمجرد معرفتهم لغة القرآن بل لابد من البحث والنظر والرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن يتضمن المجمل والمتشابه والمشكل وغيرها. صحيح أن الصحابة يفهمون الكثير من القرآن - لأنهم جيل مشهود له على العموم بالخيرية المطلقة خيرية الاستقامة على الدين والخيريه في فهم الدين - لكنه كان يشكل عند بعضهم فحادثة إشكال قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لعدي بن حاتم أحد الشواهد على ذلك ثم إن بعض آيات القرآن عامة تحتاج إلى تخصيص . لذا فإن سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم كان يكشف لهم عن التخصيص وعن بيان المجمل وتوضيح المشكل.

ومن جانبه يلاحظ أن الصحابة ليسوا على سوية واحدة في فهم القرآن ودرجتهم العلمية ومواهبهم العقلية فقد كانوا متفاوتون فمنهم من كان واسع الاطلاع فيه مُلمًا بغريبه ومنهم من دون ذلك، ومنهم من كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، وهذا التفاوت أيضا بسبب أن بعض كلمات القرآن غامضة

يغيب عن بعضهم معناها وفهمها غير أن العربية بمفرداتها لا تغيب عن مجموع العرب من الصحابة الفطناء، أما مجموع العربية فقد تغيب عن الصحابي الواحد. ومما يشهد على ذلك ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن إبراهيم التيمي ((أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم ((١)). وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر ((٢))

وكان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر:

الأول : القرآن الكريم

الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم

الثالث : الاجتهاد وقوة الاستنباط

الرابع : أهل الكتاب من اليهود والنصارى ((٣))

ويجدر بالذكر بالنسبة إلى المصدر الرابع - أهل الكتاب - أن رجوع الصحابة إليهم، لم يكن من الأهمية في التفسير بجانب ما سبقه من المصادر الثلاثة، ولا يلجئون إليه إلا إذا اتفق بعقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن ومبادئ الإسلام.

وقد اشتهر بعض المفسرين من الصحابة : الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري ((٤)) وعبد الله بن زبير رضي الله

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق: بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، (ط ٥) ، سنة (١٩٨١م) (ج ٢ ص ٥٤٥) وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة في مصنفه (مصنف ابن أبي شيبة ، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق : محمد عوامة ، الدار السلفية الهندية القديمة، (بدون تاريخ) (ج ١٠ ص ٥١٣) وكذا أخرجه البيهقي عن طريق القاسم بن محمد ورواه ابن أبي مليكة، عن أبي بكر، كذلك مرسلًا، وقال في منته: " إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله سبحانه وتعالى بها (شعب الإيمان للبيهقي ج ٣ ص ٥٤٠) وذكره ابن حجر في فتح الباري وقال : هذا منقطع (ج ٦ ص ٢٩٦)

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المصدر السابق - ج ٢ ص ٣٢٨) وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي مسلم الكجي عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه، ولفظه عن أنس: "كنا عند عمر وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، فقرأ ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال: مه، نهيينا عن التكلف" ، وقد أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن سليمان بن حرب بهذا السند مثله سواء. وأصله في البخاري رقم ٧٢٩٣ بلفظ " قال عمر: نهيينا عن التكلف"، بدون ذكر الآية . (الروايات التفسيرية في فتح الباري ج ٣ ص ١٣٠٥) وري عن أنس قال : كنا عند عمر فقال نهيينا عن التكلف (صحيح البخاري، المصدر السابق ج ٤ ص ٤١١ حديث رقم ٧٢٩٣)

(٣) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ٨)، سنة (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) (ج ١ ص ٣١)

(٤) أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب: هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ على اليمن ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة

عنهم. وهناك من الصحابة من تكلم في التفسير لم تكن لهم الشهرة التي كانت للصحابة العشرة الأوائل في التفسير كأبى بن مالك وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله^(١) وعبد الله بن عمرو بن العاص وعائشة رضي الله عنهم.

وأما أكثر الصحابة رواية في التفسير من الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة دامت إلى نهاية خلافة عثمان رضي الله عنه وتأخروقاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن وذلك ناشئ من اتساع رقعة الإسلام ودخول كثير من الأعاجم في دين الله مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية.

وكذلك كثرت الرواية في التفسير عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب لحاجة الناس إليهم ولصفات عامة مكنت لهم ولعلي بن أبي طالب أيضا وهذه الصفات هي قوتهم في اللغة العربية وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها وعدم تخرجهم من الاجتهاد وتقديرها وصلوا إليه من اجتهادهم ومخالطتهم للنبي صلى الله عليه وسلم مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن نستثني من ذلك ابن عباس، فإنه لم يلزم النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه لوفاة النبي عليه الصلاة والسلام وهو في سن الثالثة عشرة أو قريب منها لكنه استعاض عن ذلك بملازمة كبار الصحابة يأخذ عنهم ويروي لهم^(٢) إذن هذه الأربعة من الصحابة: (١) عن عبد الله بن عباس (٢) عبد الله بن مسعود (٣) علي بن أبي طالب (٤) وأبى بن كعب اشتهروا بكثرة الرواية في التفسير، ونسبة الأكثرية رواية في التفسير عنهم على هذا الترتيب الذي رتبناه كما أشار به الدكتور حسين الذهبي في كتابه " علم التفسير"^(٣).

ومميزات التفسير في عصر الصحابة:

وكان عالما عاملا صالحا تاليا لكتاب الله إليه المنتهي في حسن الصوت بالقرآن. أقرأ أهل البصرة وأفقههم. عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسمع لقراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود. مات في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح رضي الله عنه. (تذكرة الحفاظ للذهبي، المصدر السابق- ج ١ ص ٢٢، ٢٣)

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي (١٦ ق هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧ م) يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم (الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٣٤)، (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٠٤)

(٢) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، (ج ١ ص ٤٩-٥٠)

(٣) علم التفسير، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار المعرفة- القاهرة، (بدون تاريخ) (ص ٢٥)

(١) لم يفسر كل القرآن وإنما فسر بعضه وهو ما كان خافيا عن الصحابة وسئلوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) إن الاختلاف في التفسير كان قليلا

(٣) الاكتفاء في كثير من الأحيان من المعنى الإجمالي فيكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس : ٣١] أنه تعداد لنعم الله على عباده. أما ما الأب ؟
فذلك هو التكلف كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٤) الاقتصار في توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه على أخصر لفظ مثل قولهم ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة : ٣] أي غير متعرض لمعصية فإن زادوا على ذلك فما عرفوه من سبب النزول.

(٥) ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم الانتصار للمذاهب الدينية ضرورة اتحادهم في العقيدة لأن الخلافات المذهبية لم توجد إلا بعد عصر الصحابة.

(٦) لم يدون شيء من التفسير في هذه المرحلة كعلم لأن تدوين العلوم لا يحدث إلا في القرن الثاني الهجري.

اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث ولم يكن التفسير إلا مجرد الروايات تروى منثورة لآيات متفرقة. يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى أية من القرآن فيقول فيها ما شاء الله ما يقول. ويحمل ذلك عنه بعض أصحابه فيروونه لمن لم يسمع منهم أو لمن يتلقون عنهم من التابعين. وبالجملة فإن التفسير لم يتجاوز - في هذه المرحلة - طريق الرواية. وهو الأصل فيما يعرف بالتفسير المأثور.^(١) وقد تناول الباحث بالتوضيح والبيان عن أشهر المدارس زمن الصحابة في التمهيد عند ما يقف الباحث أمام عنوان "دراسة نظرية في التفسير".

ولقد اعتبر الكثير من علماء علوم القرآن أن عصر التابعين (٧٥-١٠٢ هـ) هو المرحلة الثانية للتفسير بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الذي يحتل المرحلة الأولى (٢٧-٧٣ هـ) وأن عصر التابعين يعتبر في ثلاث طبقات أو مدارس مشهورة:

(١) علم التفسير، للدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق (ص. ٢٧- ٢٨)

(١) طبقة أهل مكة (مدرسة التفسير بمكة)

وهذه المدرسة رآها ابن تيمية أعلم الناس في التفسير لأنهم أصحاب ابن عباس مثل مجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس^(١). وأوثق المفسر من هذه المدرسة مجاهد فقد كان أوثق ماروي عن ابن عباس. ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أقطاب العلم وأئمة الدين وقال النووي « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»^(٢)

(٢) طبقة أهل بالمدينة (مدرسة التفسير بالمدينة)

وفي المدينة اشتهرأبي بن كعب بالتفسير أكثر من غيره وكثر ما نقل عنه في ذلك واشتهر من تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة : زيد بن أسلم^(٣) و أبوالعالية ومحمد بن كعب القرظي^(٤)

(٣) طبقة أهل بالعراق (مدرسة التفسيربالعراق)

وفي العراق نشأت مدرسة ابن مسعود التي يعتبرها العلماء نواة مدرسة أهل الرأي وعرف بالتفسيرمن أهل العراق كثير من التابعين: اشتهر منهم علقمة بن قيس^(٥) ومسروق^(٦) والأسود بن يزيد ومرة الهمداني وعامر الشعبي والحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي. وهؤلاء هم مشاهير المفسرين من التابعين في الأمصار الإسلامية الذين أخذ عنهم أتباع التابعين من بعدهم وخلفوا لنا تراثا علميا خالدا.^(٧) ومن مميزات عصرالتابعين - كما أشار إليها الدكتور حسين الذهبي -

(١) دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات. وذلك لكثرة من دخل من أهل الكاتب في الإسلام.

(١) مقدمة التفسير، لابن تيمية، المصدر السابق (ص ٦١)

(٢) مناهل العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، المصدر السابق (ج ٢ ص ٢٢)

(٣) زيد بن أسلم العدوي العمري، مولا لهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله (136 - 000 : هـ = ٠٠٠ - ٧٥٣ م) فقيه مفسر من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد ابن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق- ج ٣ ص ٥٧، ٥٦)

(٤) مباحث في علوم القرآن، لمناع قطان، المصدر السابق (ص ٣٣٠)

(٥) هو ابن عبد الله بن ملك أبو شبل النخعي، الفقيه خال إبراهيم النخعي قرأ القرآن على ابن مسعود قال عنه ابن مسعود ما أعلم شي إلا وعلقمة يعلمه وكان من الفقه بحيث يسأ له الصحابة عده الذهبي من الطبقة الثانية (الإختلاف بين القراءات، لمحمد البيهقي، دار الجبل - بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٨ م) (ص ٤٣٧)

(٦) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة: (٦٣ - ٠٠٠ هـ = ٦٨٣ - ٠٠٠ م) تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب على. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق - ج ٧ ص ٢١٥)

(٧) مباحث في علوم القرآن، لمناع قطان، المصدر السابق (ص ٣٣٠-٣٣١)

٢) ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية، إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون - بوجه خاص - بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس والمدنيون عن أبي، والعراقيون عن ابن مسعود... وهكذا

٣) ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب.

٤) كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين.^(١)

ثم بدأ التدوين للتفسير في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين وحظي الحديث بالنصيب الأول في ذلك. وشمل تدوين الحديث أبواباً متنوعة وكان التفسير باباً من هذه الأبواب فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة إثر سورة آية بعد أخرى ثم جاء بعد ذلك من أفرد التفسير بالتأليف وجعله علماً مستقلاً منفصلاً عن الحديث مثلاً ابن ماجه^(٢) وابن جرير الطبري وأبو بكر بن منذر النيسابوري وابن أبي حاتم وأبو الشيخ ابن حبان^(٣) والحاكم^(٤) وأبو بكر بن مردويه

وتقاسير هؤلاء مروية بالإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مع الترجيح أحياناً فيما يروى من آراء واستنباط بعض الأحكام

(١) التفسير والمفسرون، (باختصار)، المصدر السابق، (ج ١ ص ٩٧)
 (٢) محمد بن يزيد الربيعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه: (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ = ٨٢٤ - ٨٨٧ م) أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوین. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجه) وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن) وكتاب في (تاريخ قزوین). (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٤٤)
 (٣) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حبان. ولد في بستان (من بلاد سجستان) وتقل في الاقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة كان على قضاء سمرقند زماناً وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، صنف المسند الصحيح، والتاريخ، وكتاب الضعفاء، وفقه الناس بسمرقند مات أبو حاتم بن حبان في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، من كتبه (المسند الصحيح) في الحديث، يقال: إنه أصح من سنن ابن ماجه، و (روضة العقلاء) في الادب، و (الانواع والتقسيم) (تذكرة الحفاظ للذهبي - ج ٣ ص ٩٠)
 (٤) محمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق النيسابوري، الكرابيسي، المعروف بالحاكم (أبو احمد) محدث، حافظ. (٢٨٥ - ٣٧٨ هـ) (٨٩٨ - ٩٨٨ م) سمع بنيسابور وبغداد والكوفة وطبرية ودمشق ومكة والبصرة وحبلى والثغور، وقلد قضاء الشاش وغيره من البلدان، وخرج إلى الري وطبرستان والجزيرة، وتوفي بنيسابور في ربيع الاول. كَفَّ بصره سنة ست وسبعين ثم توفي. من تصانيفه الكثيرة: (الاسماء والكنى)، (المخرج على كتاب المزني) و (شرح الجامع الصحيح للبخاري). (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٢٣) (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٠)

والإعراب عند الحاجة كما فعل ابن جرير الطبري. ثم جاء على أثر هؤلاء جماعة من المفسرين لم يتجاوزوا حدود التفسير بالمأثور ولكنهم اختصروا الأسانيد وجمعوا شتات الأقوال دون أن ينسبوا إلى قائلها وبهذا التبس الأمر ولم يتميز الصحيح من السقيم. واتسعت العلوم وتم تدوينها وتشعبت فروعها وكثر الخلاف وأثيرت مسائل الكلام وظهر التعصب المذهبي واختلطت علوم الفلسفة العقلية بالعلوم النقلية وأصبح المفسرون يعتمدون في تفسيرهم على الفهم الشخصي ويتجهون اتجاهات متعددة وتحكمت فيهم الاصطلاحات العلمية والعقائد المذهبية والثقافة الفلسفية واهتم كل واحد من المفسرين بحشوه بما برز فيه من العلوم الأخرى فصاحب العلوم العقلية يعني في تفسيره بأقوال العلماء والفلاسفة كفخر الدين الرازي، وصاحب الفقه يعني بالفروع الفقهية كالجصاص والقرطبي، وصاحب التاريخ يعني بالقصص والأخبار كالثعلبي والخازن، وصاحب البدعة يؤول كلام الله على مذهبه الفاسد كالرمانى^(١) والجبائي^(٢) والقاضي عبد الجبار والزمخشري من المعتزلة ومُلا محسن الكاشي من الإمامية الاثنى عشرية وصاحب التصوف يستخرج المعاني الإشارية كابن عربي^(٣).

هذا مع علوم النحو والصرف والبلاغة وهكذا أصبحت كتب التفسير تحمل في طياتها الغث والثمين والنافع والضار والصالح والفاسد وحمل كل مفسر آيات القرآن ما لا تتحمله انتصارا لمذهبه وردا على خصومه وفقد التفسير وظيفته الأساسية في الهداية والإرشاد ومعرفة أحكام الدين. وبذلك طغى التفسير بالرأي على التفسير بالأثر وترجع التفسير في العصور المتتابعة على هذا النمط بنقل المتأخر عن المتقدم مع الإختصار تارة والتعليق أخرى حتى ظهرت أنماط جديدة في التفسير المعاصر حيث عني بعض المفسرين بحاجات العصور وتناولوا في تفسيرهم الكشف عما تضمنه القرآن الكريم من

(١) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرمانى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ = ٩٠٨ - ٩٩٤ م): باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها (الأكوان) و (المعلوم والمجول) و (الاسماء والصفات) و (صفة الاستدلال في الاعتزال) (الأعلام للزركلي، المصدر السابق ج ٤ ص ٣١٧)

(٢) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، (٢٤٧ - ٣٢١ هـ = ٨٦١ - ٩٣٣ م) من أبناء أبنان مولى عثمان: عالم بالكلام، من كبار المعتزلة. له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت "البهشمية" نسبة إلى كنيته "أبي هاشم" وله مصنفات: "الشامل" - "في الفقه" و "تذكرة العالم" و "العدة" في أصول الفقه. (الأعلام للزركلي، المصدر السابق ج ٤ ص ٧)

(٣) أبو بكر محي الدين محمد ابن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي صوفي أندلسي (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م) ولد بمرسية سنة ستين وخمسائة أشهر أقطاب التصوف الفلسفي الإسلامي ولقب بالشيخ الأكبر وسلطان العارفين استوعب علوم الشريعة وعلوم الحقيقة من أشهر مؤلفاته: (فصوص الحكم) و (شجرة الكون) و (التدبيرات الإلهية) (الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، مكتبة الآداب - القاهرة، (ط ١) سنة (٢٠٠٨ م) (ص ٢٠-٢١))

أسس الحياة الاجتماعية ومبادئ التشريع ونظريات العلوم كتفسير الجواهر وتفسير المنار والظلال^(١)

ومن هنا يبدوننا أن الأوائل لقد تركوا للأواخر رصيذا ثمينا في التفسير حتى لا يدفع للأواخر بالغ الجهد في تفسير كتاب الله والكشف عن معانيه، هذا لأن الأوائل تناولوه بالدراسة التفسيرية التحليلية منذ فترة زمنية مبكرة سارت مع متطلبات الظروف والأزمان على تدرج ملحوظ بمناهج متعددة الألوان والطرق وأساليب. وأن ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق في مختلف النواحي التفسيرية: الناحية اللغوية والناحية البلاغية والناحية الأدبية والناحية النحوية والناحية الفقهية والناحية المذهبية والناحية الكونية والناحية الفلسفية وكلها يدرسونها على شكل موسع ظاهر ملموس، لم يترك لمن بعدهم - من بعد عصر التدوين إلى القرن الثامن عشر - من عمل جديد يقومون به في تفاسيرهم التي ألفوها اللهم إلا عملا ضئيلا لا يعدو أن يكون جمعا لأقوال المتقدمين أو شرحا عن غامضها أو ترجيح آرائهم مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة بالركود خالية من التجديد والإبداع في التفسير بلغة العصر الحديث وأسلوبه.

بداية من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين بظهور محمد عبده، جاء نحو اتجاه خاص ومبدع في التفسير حيث يتجه اتجاه الأدبي الاجتماعي - يتميز عن سابقه من المفسرين. وهذا الاتجاه يسلكه من شاكله من بعده مثل رشيد رضا والمصطفى المراغي وسيد قطب ومحمود شلتوت^(٢). ويتجه البعض باتجاه علمي في التفسير يوفق القرآن والعلم الحديث مثل طنطاوي جوهرى وزغلول النجار^(٣) والدكتور أحمد شوقي إبراهيم وكثير من علماء العصر. وبرزا أيضا في ساحة الدراسة

(١) مباحث في علوم القرآن، المصدر السابق، (ص ٣٣٢-٣٣٣)

(٢) محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. (١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م) ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وانتقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو وناصره، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخا للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٣)

(٣) هو الدكتور زغلول النجار ولد سنة ١٩٣٣ م: رئيس لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة حصل على الدكتوراه في علوم الأرض من جامعة ويلز سنة ١٩٦٣ م. تقلد منصب مدير الجامعة في كل من جامعات الأحقاف ومعهد "ماركفيلد" للدراسات العليا في بريطانيا. يربو إنتاجه الفكري والعلمي على مائة وخمسين بحثا ومقالات علميا منشورا و٤٥ كتابا باللغة العربية والإنجليزية والألمانية موقعه على الإنترنت: www.elnagarzr.com (مجلة منار الإسلام العدد ٣٨٢ شوال ١٤٢٧ هـ أكتوبر ٢٠٠٦ م، ص ٢٧)

القرآنية التفسيرالموضوعي الذي يحرص على تناول موضوعات القرآن في جوانب شتى من الحياة البشرية ويمكن من ضلاله حل المشكلات الشائكة المعقدة والمتراكمة التي يعاني منها المجتمع المعاصر.

وكل هذه الاتجاهات لمناهج التفسيرفي العصرالحديث تشير أن القرآن ليس للعرب فقط حتى يكون إعجازه بلاغيا يلمسه الفصحاء وحدهم ويدركه من فهموا أسرار البيان العربي من ذكر وحذف وفصل ووصل ولكنه إعجاز بشري يشمل الناس كافة من آسيويين وأوروبيين وأمريكيين وأفريقيين وهؤلاء العجم من غير العرب يستطيعون أن يفهموا نواحيه العلمية والنفسية والاجتماعية، فلو اقتصرالإعجاز القرآني على الوجه التشريعي أوالبلاغي لفات هؤلاء جميعا أن يروا أقباسا وضيئة من نورالله كما أن القرآن ليس خاصا بجيل واحد من الأجيال فنحصرتفسيره فيما يروى عن الصحابة والسلف من أقوال، ومن حق كل جيل أن يفهم منه يمتد بحثه العلمي والنفسي والاجتماعي والتشريعي من استنباط وقياس.

المطلب الثاني : مميزات التفسير في العصر الحديث

كان من نتائج موجة التغريب العاتية التي اجتاحت العالم الإسلامي وأمطرته بوابل من الأفكار والنظريات والمذاهب الغربية، أن حاوت طائفة من العلماء والمفكرين الرد عليها منتصيين للتوفيق بين الدين والعلم والنقل والعقل وكان جملتهم من رواد المدرسة الإصلاحية التي ظهرت بمصراعتبروا العقل هوالأصل الأول في الإسلام وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده « صاح الإسلام بالعقل صيحة أزعجته من سباته وهبت به من نومة طال عليه فيها الغياب، وجهر بأن الإنسان لم يخلق يقاد بالزام. ولكنه فطرعلى أن يهتدي بالعلم وأعلام الكون ودلائل الحوادث فأطلق بهذا سلطان الحق من كل ما قيده » (١)

(١) الأصول العقلية للمدرسة العقلية الإصلاحية في تأويل آيات الغيب (باختصار وتصرف)، الدكتور أحمد نصري، مجلة " الوعي الاسلامي"، العدد ٥٠٥ (سبتمبر ٢٠٠٧)، (ص ٤٨)

وبالإضافة إلى تبني رواد المدرسة الإصلاحية المنهج النقلي في التعامل مع نصوص القرآن الكريم فاعتبروه طريقا من طرق التفسير وأحاطوه بجملة من الضوابط المنهجية التي تعين على حسن فهمه، ومنها:

(١) اعتبار الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، قد اعتبر رجال المدرسة الإصلاحية هذا الضابط أساسا في فهم القرآن الكريم وتفسيره، فلذلك تجدهم يوازنون بين أقوال المفسرين ويختارون منها ما يلتئم مع السياق. يقول الشيخ محمد عبده " وقد قالوا إن القرآن يفسر بعضه بعضا وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سيق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب" (١). ويقول الشيخ محمود شلتوت " إن جميع ما في القرآن وإن اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه فهو وحدة عامة لا يصح تفريقه في العمل ولا الأخذ ببعضه دون البعض" (٢)

(٢). اعتبار الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وهذا الضابط من الخصائص البارزة في تفسير رجال هذه المدرسة وله ارتباط وثيق بالضابط الأول، وقد قالوا به ردا للمستشرقين الذين زعموا أن القرآن خليط متنافر وجمع غير مؤتلف ليس فيه وحدة للموضوع بل نجد السورة تدخل في أكثر من موضوع وتعرض الجميع عرضا سريعا ولا تراعى مناسبة من محتوياتها. ولذلك حرص الإصلاحيون على بيان موضوع السورة وتحديد معالم الوحدة الموضوعية فيها قبل تناولها بالتفسير (٣).

وعلى أية حال فإن الوحدة العضوية متحققة في القصة القرآنية وقد أشرنا إلى ذلك أثناء حديثنا عنها وبقي أن نتحدث عن مدى تحقق هذه الوحدة في السورة القرآنية وقد أشرنا سابقا إلى أن الوحدة متحققة بلا جدال في بعض السور القصار. عندما نريد أن نقدر جمال لوحة مرسومة لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها حيث لانجد إلا أنواعا متنوعة تتجاور أو تتنافر أحيانا بل يجب أن نرجع إلى الوراء ليتسع مجال الرؤية ونحيط بالكل في نظرة شاملة تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء

(١) تفسير القرآن الحكيم - المشهور بتفسير المنار - ، سيد محمد رشيد رضا، دار المنار-القاهرة، (ط ١)، سنة (١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) (ج ٧ ص ٢٨٧)

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق- القاهرة، (ط ١٧)، (بدون تاريخ) (ص ٤٨٧)

(٣) الأصول العقلية للمدرسة العقلية الإصلاحية في تأويل آيات الغيب، المصدر السابق (ص ٤٨)

والتوافق في التركيب فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنقدر أبعادها الحقيقية^(١)

(٣). اعتبار النظرة الشمولية في النص القرآني إن القرآن الكريم كتاب شامل وعام قال الله تعالى ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] وقال أيضا ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] وقال أيضا ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ولهذا كان الأصل عند رجال المدرسة الإصلاحية الشمول في النص القرآني. يقول الإمام محمد عبده « إن القرآن هاد ومرشد إلى يوم القيامة وإن معانيه عامة شاملة فلا يعد ولا يوعد ويعظ ويرشد أشخاصا مخصوصين، وإنما نيظ وعده ووعيده وتبشيره وإنذاره بالعقائد والأخلاق والعادات والأعمال التي توجد في الأمم والشعوب ». ^(٢)

وقبل أن نخوض في جوانب أخرى عن مميزات التفسير في العصر الحديث يجدر بنا أن نعيد التنبيه إلى أن التفسير قبل القرن التاسع عشر يقف في مرحلة الجمود والركود لا يوجد عمل جديد مبتكر يتماشى مع روح العصر حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود- وإن كان لها اعتماد على حد كبير بما دونه الأقدمون من المفسرين- فنظروا في القرآن الكريم نظرة تتميز عن اتجاهات مناهج التفسير التي مارسها القدامى. فمن مميزات التفسير في العصر الحديث :

(١) تنقية التفسير من الإسرائيليات التي تسيء إلى جلال القرآن وقدسيتها، وتحجب هدى القرآن ونوره. وعندما يتعامل المفسر مع ما ورد من الإسرائيليات يقف موقف الناقل والناقد.

(٢) وتمحيص ما ورد في التفسير من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية

(٣) إلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا يظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميهِ الدقيقة وأهدافه السامية.

(١) نظرات في الأسلوب القرآني، الدكتور السيد تقي الدين السيد، هدية مجلة الأزهر المجانية- القاهرة ، شهر ربيع الآخر ١٤٢٨هـ (ص ٩١-٩٢)

(٢) الأصول العقلية للمدرسة العقلية الإصلاحية في تأويل آيات الغيب، المصدر السابق (ص ٤٨)

(٤) التوفيق ببالغ جهد بين القرآن وما جد من نظرات علمية صحيحة^(١) وفي السياق المقابل أن هناك تفسير بعض آيات القرآن بنظرات علمية وفلسفية غير صحيحة مثل تفسير " دابة الأرض " في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل ٨٢] بالأقمار الصناعية وتفسير " الملائكة " في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٣] بالمكروبات وتفسير آدم بجرثومة^(٢). وهذا السيد أحمد خان مفسرهندي الأصل يرى أن كلمة " ملك " تجسيد للقدرة اللامتناهية لله وتسخير القوى الطبيعية كالماء والهواء والغمام. وأن النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي مباشرة من الله وجبريل تجسيد مجازي وكنائي لملكة النبوة، والوحي ليس شياً يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بل هو الفعالية العقلية الإلهية في النفس والعقل القدسيين للبشر وهو رشحات أعماق الإنسان لدى تماسه بالحق. ومن خلال هذه النظرة يعتبر أنه لا توجد واسطة بين الله والنبي صلى الله عليه وسلم فهو يتعامل مع الوحي تعاملًا ميكانيكياً ثم يرد التعبير الميكانيكي ويقيس ذلك بالملك والرسول الخاص ليصار إلى رده بصورة أسهل^(٣). ومن أجل كثرة انحرافات التفسير من منظور العلم الحديث أو الفلسفة المستمدة - على حد كبير - من الفلسفة المادية والماركسية التي لا تعترف ولا تؤمن بصورة ملحوظة بما وراء الطبيعة (ميتافيزيا) من الغيبيات وضع العلماء الضوابط والشروط اللازم توفرها للتفسير العلمي أو الفلسفي وسيتناولها الباحث على وجه التفصيل في موضعها - إن شاء الله -

(٥) يتسم بحساسة لغوية جديدة إصلاحية بمعنى أن الحساسية اللغوية الجديدة كان شغلها الأول روابط المجتمع وقوته وأن هذه الحساسية أخذت درياً آخرياً مردة العناية بالذات الفردية المشغولة بتفرداتها ووحشتها^(٤). وصحة الحساسية اللغوية أيضاً هي صحة الالتحام وإدراك عمق الروابط بين المادي العملي والروحي. ومثال الحساسية اللغوية الجديدة الإصلاحية تفسير محمد عبده معنى ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ و﴿ الرَّحِيمِ ﴾ في

(١) أنظر التفسير والمفسرون (بتصرف)، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٣٦١-٣٦٢)
(٢) أنظر حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، توفيق محمد توفيق علوان، دار المنار الحديثة - القاهرة، (بدون التاريخ) (ص ١٣٩-١٥٠)

(٣) أنظر التفسير والتفسير الحديثة، بهاء الدين ذخر مشاهي، المصدر السابق (ص ٥٢-٥٣)
(٤) مسئولية التأويل، الدكتور مصطفى ناصف، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤) (ص ٩٢)

سورة الفاتحة. قال جمهور المفسرين على أن معنى ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ المنعم بجلال المنعم و﴿ الرَّحِيمِ ﴾ المنعم بدقائق النعم وبعضهم يقول على أن معنى ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين وغيرهم و﴿ الرَّحِيمِ ﴾ المنعم بنعم خاصة بالمؤمنين. وقال محمد عبده عن تفسيرهم « كل هذا تحكم على اللغة مبني على أن زيادة المعنى - عندهم - تدل عندهم على زيادة المعنى. ولكن الزيادة - فيما يقوله عبده - تدل على زيادة الوصف مطلقا فصفة الرحمن تدل على كثرة الإحسان الذي يعطيه سواء كان جليلا أو دقيقا. أما كون أفراد الإحسان التي يدل عليها اللفظ الأكثر حروفا أعظم من أفراد الإحسان التي يدل عليها اللفظ الأقل حروفا غير معنى ولا مراد» وناقش عبده كل من يقول إن ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ و﴿ الرَّحِيمِ ﴾ بمعنى واحد وأن الثاني توكيد للأول. كان هذا - عنده - غفلة شديدة. وينزه محمد عبده الحساسة اللغوية في القرآن تنزيها شديدا ولم يكن للإنسان أن يقول في نفسه أو في لسانه: إن في القرآن كلمة تغاير أخرى ثم تأتي لمجرد تأكيد غيرها دون أن يكون لها في نفسها معنى مستقل به.^(١)

٦) قصد المفسر تبسيط التفسير أن يأتي بجديد. لذلك عمد إلى التقديم لمجموعات آيات شكلت موضوعا واحدا بمقدمة تجعل القارئ يتقهم الموضوع العام قبل أن يقرأها على نحو مباشر.

٧) تقديم المعنى من معاني القرآن بأسلوب سلس سهل ليتم تناوله لقمة سائغة من قبل القارئ على اختلاف أوضاعهم وقدراتهم العلمية.

٨) ظهور دراسات معرفية تناولت دراسة الثقافة العربية الإسلامية بنتائجها المتنوعة دراسة نقدية استهدفت أصول هذه الثقافة أو الأسس التي أنتجت العقل العربي وكونته عبر فترة مديدة من السنين. وهذه الدراسة الحداثية الفلسفية استعارت أدواتها من مدارس أخرى وأراد أصحابها تطبيق مناهج وأدوات غير عربية وغير إسلامية في فهم وتحليل الناتج المعرفي للثقافة الإسلامية معتبرين أن عدم عروبة وإسلامية هذه المناهج المعتمدة في دراسة الثقافة والعلوم الإسلامية ليس أمرا معيبا من شأنه أن يقلل

(١) مسئولية التأويل، الدكتور مصطفى ناصف، المصدر السابق، (ص ٨٩-٩٠)

من قيمة هذه الدراسات والسبب لأن هذه المناهج علمية حيادية^(١) وليست خاصة بأصحابها أو بالأمم التي أنتجت هذه المناهج^(٢)

٩) دراسة القرآن على ضوء التصوير الفني أو إيجاز آفاق التصوير الفني. ويتصور ذلك وفق ما يلي:

أ - تصوير المعاني الذهنية^(٣)

ب - تصوير الحالات^(٤)

ج - تصوير الحالات الواقعية^(٥)

وهذه التصويرات الثلاث من آفاق التصوير في الأسلوب الأدبي ومن هنا جعلت الأسلوب القرآني أعظم تأثيراً على النفس الإنسانية^(٦)

وعلى ضوء ما تقدم، يجمل الدكتور محمد حسين الذهبي ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة الآتية وهي أهمها:

أولاً: اللون العلمي

ثانياً: اللون المذهبي

ثالثاً: اللون الإلهادي

رابعاً: اللون الأدبي الاجتماعي^(٧)

(١) والملاحظ أن هؤلاء لم يفرقوا بين ما هو منهج علمي محض كمناهج البحث في العلوم الكونية التجريبية المخبرية ، ولا شك على أن هذا إنساني محض، يؤخذ بقطع النظر عن الأمة أو جنسية الناس الذين أنتجوه وبين ما هو مرتبط تمام الإنباط بشخصية أمة ما من الأمم كان تدرس الأنكيزية بمناهج تحليلية عربية، أو يدرس الشعر العربي القديم وفق مناهج غربية أو أن يدرس القرآن وفق قواعد منهجية ناجمة عن الفلسفة الوجودية أو الماركسية أو الفرودية وغي ذلك.

(٢) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، لعبد القادر محمد صالح، تقديم الدكتور محمد صالح الألوسي، دار المعرفة- بيروت، (ط ١)، سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (ص ٤٥٤)

(٣) نقل حالة ذهنية مستخدماً التصوير لترسم هذه الحالة على نحو مشخص وكأنها بدت محسوسة على حين أن الحالة الذهنية في الأصل حالة تجريد

(٤) جعل الحالة النفسية المجردة حالات مشخصة محسوسة

(٥) جعل الصورة ماثلة أمام العين شاخصة

(٦) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، لعبد القادر محمد صالح ، المصدر السابق ، (ص ٣٤٨-٣٥٠)

(٧) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٣٦٤)

وسيقوم الباحث بتناول كل من هذه الألوان - بإضافة التفسير الموضوعي - على ضوء فصل خاص مستقل إلا اللون الثاني - اللون المذهبي - لضيق المقام مع كثرة مسأله المتشعبة.

المبحث الثاني

تجدد القراءة في التفسير

المطلب الاول : ضرورة القراءة المتعددة في التفسير

إن القرآن ينير على القارئ معانيه ودلالاته حسب حالته في التعامل معه ودرجة استعداده في التلقي عنه. وكان لزاماً للقارئ ملاحظته أن مكتسباته من القرآن وثمرات رحلته معه، ونتائج حياته في ضلاله وحصيلته مع علومه وحقائقه وتقريراته، تنمو وتزداد باستمرار. ولأجل أن يتحقق ذلك فالمفروض للقارئ مراعاة قواعد الإقبال عليه وعودة للآيات التي عاشها حيث يتبعها بعودة أخرى وثالثة ورابعة وهكذا بمعنى أن تكون عودته للآيات متجددة مكررة وأن تكون وقفاته أمامها وتأملاته فيها كذلك متجددة، وأن يكتشف العديد والمزيد والجديد من كنوزه العجيبة التي لن تنفذ ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً، وذلك في مصداق قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. قال محمد الطاهر بن عاشور^(١) في تفسيره «فالمقصود عدم انتهاء كلمات الله حتى في حالة ما لو كُتبت بماء البحر كله وجعلت لها أعوادُ الشجر كله أقلاماً لا أن كلمات الله تنفذ إن لم تكن الأشجار أقلاماً والأبهر مداداً»^(٢) ومن جانبه يلزم للقارئ أن ينظر في رصيده من هذه الحقائق والمعاني وأن يحرص على تتميتها وزيادتها بدّل أن تنقص وتضعف وتذوي وتتلاشى والقارئ في هذا الأمر أمام إحدى حالات ثلاث:

(١) أن يكتشف أن رصيده من المعاني والتوجيهات القرآنية قد نقص عن السابق وأن عودته الثانية للآية لا تقارب أو تداني قراءته الأولى لها وأن ما يجده الآن منها أقل بكثير مما وجد في أول مرة وأن ما حصله منه يتناقض ويتناقض، وهو في طريقه إلى

(١) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. (١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) مولده ووفاته ودراسته بها عين (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) وعدد من الكتب (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٤)

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دارسحنون- تونس، (بدون تاريخ) (مج ٤ ص ٣١٠)

الزوال والنفاذ فإذا كان كذلك فهو محبوب عن القرآن ولا بد أن يسعى إلى الحياة به من جديد.

(٢) أن يكتشف أن رصيده كما لم يتغير بزيادة أو نقصان، وأن المعلومات بقيت عنده كما هي. وأنه عاجز عن أن يضيف إليها الجديد أو أن يرفضها بالمفيد وهذا كذلك محبوب عن القرآن وما سبق تحصيله منه تجرد وتجر وأنه قد أسن وتغير وأنه محاصر في زلزلة القعود والفتور والضعف والمعصية ومعنى هذا أن حياة العلم والتدبر والفهم عنده جامدة وأن حركته به متوقفة أن نموه العلمي والإيماني بقي عند حالة واحدة عاجز عن تجاوزها، وعلى هذا القارئ أن يسعى إلى بث الحياة في معلوماته ومكتسباته وإلى أن يضيف به روحاً جديداً ونوراً جديداً ومعاني جديدة وذلك عن طريق توثيق صلته بالقرآن وحسن تعامله معه وإقباله عليه وتلقيه منه

(٣) أن رصيده قد ازداد وأن هذه العودة الثانية أو الرابعة قد أضافته الجديد المفيد، وأمدته بالجزيل الجميل، وأنه يقف منه على معان جديدة لم يكن قد خصها سابقاً، وعلى تقريرات وظلال لم يكن قد لاحظها أو عاشها. فهذا هو الموفق في صلته بالقرآن وهو الحي بالقرآن وهو المتحرك بالقرآن وهو رجل القرآن.

يمكن للقارئ أن تتجلى كنوز القرآن من المعاني الجديدة بالتدبر على حقائق عبارته والتذكر على حكمه وأمثاله والتفهم على عجائبه على شكل مستمر لقد حدث سبحانه وتعالى ذلك بقوله ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩]. قال البيضاوي في تفسيره هذه الآية ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرىء ليتدبروا على الأصل ولتدبروا أي أنت وعلماء أمتك . ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وليتعض به ذوو العقول السليمة، أوليستحضروا ما هو كالمركز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع ، وإرشاد إلى ما يستقل به العقل «^(١) . وفي هذا الصدد قال القرطبي « الواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عبارته ويتفهم عجائبه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، - دار البيان العربي- القاهرة، سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٢م) (مج ٢ ص ٣١١)

ويتبين غرائبه قال الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩]
وقال الله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤]. جعلنا الله
ممن يرعاه حق رعايته ويتدبره حق تدبره ويقوم بقسطه ويفي بشرطه ولا يلتمس الهدى
في غيره وهدانا لأعلامه الظاهرة وأحكامه القاطعة الباهرة وجمع لنا به خير الدنيا
والآخرة فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة»^(١) ومن جانبه قال الزركشي بكلمة موجزة «
أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر»^(٢)

ومما يجدر التنويه عليه في هذا الإطار أن للقارئ أوالمفسر الحق في أن يفسرأي
نص من النصوص كما يفهمانه انطلاقاً من أهليته وكفائته العلمية والمسئولية التي
تترتب عليه. ولا شك بإمكانية هذا التعامل مع نص أدبي أو تاريخي أو فلسفي أو فني
.أما فيما يتعلق بالنصوص المقدسة، وبالتحديد القرآن الكريم فإن هذا الأسلوب ليس
فقط غير مقبول أو محبب بل سيواجه بالانتقاد والرفض وأن تفسيرالقرآن الكريم بالرأي
- أي تحمل رأيك على الآيات بدون الاستناد على أسس وضوابط سبقت الإشارة
اليها- هو تفسير مرفوض وغير صحيح.

إن المفسرين الكبارالمعروفين كان لديهم أذواق أوسلائق لغوية وأدبية أو صوفية أو فلسفية
أوتاريخية أو أدبية اجتماعية أو علمية تجريبية لم يدعوا إلى تحميل أو فرض آرائهم على
القرآن الكريم. وقد أكد كل واحد منهم في مقدمة تفسيره أنه يسعى لفهم حقيقة القرآن.
ومن هنا نشاهد هذاالاختلاف في تأليف التفاسير مثل تفسيرالطبري والتفسيرالكبير
وتفسير ابن عربي وتفسيرالقرطبي وتفسيرالمنار وتفسيرفي ظلال القرآن وتفسيرالشعراوي
وتفسيرالمنيرللدكتوروهبة الزحيلي^(٣) وما إلى ذلك. وكل هذه الاختلافات مبنية على
المكانة العلمية والقراءة المتعددة والمتجددة حسب مقتضيات الظروف ومتطلبات

(١) تفسير القرطبي، لأحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : الشيخ محمد بيومي وأستاذ عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان -
القاهرة، (بدون التاريخ) (مج ١ ص ٤)

(٢) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي، المصدر السابق (ج ٢ ص ١٨٠)

(٣) وهبة الزحيلي: ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام ١٩٣٢م، كان تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر
الشريف، فحصل على الشهادة العالية وكان ترتيبه فيها الأول عام ١٩٥٦م. ثم حصل على إجازة تخصص التدريس من كلية
اللغة العربية بالأزهر وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بتقدير جيد عام ١٩٥٧م. نال دبلوم معهد الشريعة
(الماجستير) عام ١٩٥٩م من كلية الحقوق بجامعة القاهرة. حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق ((الشريعة الإسلامية))
بجامعة القاهرة عام ١٩٦٣م بمرتبة الشرف الأولى مع توصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية، وموضوع الأطروحة
(أثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة) بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي العام.(أنظر موقعه في الإنترنت
www.zuhaily.net في السيرة الذاتية)

الزمان والمكان التي يعيشون فيها، وإن توقعات المفسر من القرآن الكريم تتأني بدافع السعي لمعرفة الحقيقة. واختلاف الآراء جاء بناء على أن الكلام يقع على السامع على حسب منزلته ومواهبه العلمية.

إن من أهم الأسئلة التي تطرح على ساحة الدراسة أو القراءة القرآنية هي لماذا يوجد اختلاف في التفسير أو القراءة؟ أليس هذا تأثير أوجده النص القرآني في هذا المجال؟ وهذه التساؤلات يتضح جوابها بالنقاط التالية:

(١) تعدد القراءة وتجدها من قبل القارئ أو المفسرين انطلاقاً من مشاربهم وخلفيات أفكارهم وتخصصاتهم العلمية والظروف التي عاشوها.

(٢) حكمة الله التي جعلت القرآن الكريم ميسراً للعلم والمعرفة. وتيسير القرآن هو من أجل أن يلقي لدى السامع من العامة والخاصة سهولة في فهم مقاصده، ولذا هو بسيط وعميق في آن واحد. وسهولة القرآن وبساطته لا تتناقض مع الاعتقاد بعمقه بل إن بمقدور قارئ أو مفسر أن يستفيداً منه . فمن مستطاع البشر أن يلزم القرآن بفهمه وتدبره على وجه التعداد والتكرار وكلما تعددت القراءة وتكرر التدبر تكاثرت تجليات مضامين النص القرآني وكنوزه الدفينة. ولله در المفسر الكبير المعاصر - ابن عاشور - القائل في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر: ١٧) « واليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني فأما من جانب الألفاظ فلذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب أي فصاحة الكلام وانتظام مجموعها بحيث يخف حفظها على الألسنة. وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له . ويتولد معانٍ من معانٍ آخر كلما كرّر المتدبر تدبره في فهمها»^(١).

(٣) الطبيعة الذاتية للقرآن الكريم، لأنه يعتبر كتاباً قابلاً للتأويل بحيث يمكن اعتبار جميع آياته محكمة، وفي الوقت نفسه متشابهة وقابلة للتأويل. وهذه القابلية للتأويل تسمح لدى كل قارئ أو مفسر أن يكتشف من المعاني أو الوجوه ما لم يصل إليها الآخرون يجد الأدلة على ما يدعيه الأبعاد المتعددة لمضمونات القرآن الكريم. ورغم قابلية التأويل لمعنى الآيات القرآنية فإن هناك ضوابط، ومن أهمها : أن المقرر لدى

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، المصدر السابق - (ج ٤ ص ٢٣٦)

أهل العلم أن الأصل إبقاء النصوص على ظواهرها دلالة على معانيها الأصلية كما وضعت في اللغة، وأن يكون الصرف إلى معنى يحتمله ولا بد أن يكون دليل راجح على هذا الصرف وإن كان اللفظ يحتمله لأن ترك الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لا يجوز إلا بدليل وإلا لقال من شاء ما شاء وأبطل كل زائغ أدلة الشرع الواضحة بلا برهان متذرعاً بعنوان التأويل. هذا ما فهمه الباحث من تعريف التأويل نفسه وهو صرف اللفظ عن اللفظ عن معناه الظاهري إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل يصيره راجحاً كما سبق التعرض به في بيان التفسير والتأويل.

(٤) تعدد الطبقات لمعاني القرآن ودلالاته لما فيه من معنى الظاهر ومعنى الباطن وقد ورد تعبير الظاهر والباطن حول القرآن في المصادر الإسلامية السنية أو الشيعية. وقد أورد السيوطي في الإتيان التعبير بهما حيث يقول «إذا تقرر هذا فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر، كسؤالهم لما نزل قوله ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك واستدل عليه بقوله ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: ذلك العرض. وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه»^(١). وفي أصول الكافي «روى السكوني عن الإمام الصادق عن أجداده أنهم قالوا: للقرآن ظاهر وباطن ظاهره حكم وباطنه علم وظاهره عظيم وباطنه عميق»^(٢)

ومن هنا يظهر بالتأكيد على أن بُعْدِي الظاهر والباطن هو أفضل دليل أو شهادة على أن الباطن يحتاج إلى بحث وتدقيق وتفكير مستمر ومتكرر حتى يستطيع المفسر أن يتعرف على جوهر المعنى ويستخرجه من صدف ظاهراً الآية وهو يغوص في أعماقها. وعلى حد تقسيم البعض لمعاني القرآن على أربع طبقات، فللقارئ أو المفسر الحق أن يبحث ويفكر في :

١. العبارات

(١) الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق - (ج ٢ ص ١٥٨)

(٢) أصول الكافي، للكليبي، دار الصعب- بيروت، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ج ٢ ص ٥٩٨)

٢. الإشارات

٣. اللطائف

٤. الحقائق أو الدقائق

فالعبرة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء^(١).

ولا يعني الباحث بمعنى الباطن هنا ما مارسه دراسة الباطنية للقرآن التي تؤدي إلى طرح الظواهر وتتحرف وتُحرفِ الكلم عن مواضعها. فهذه من أخطر الانحرافات في التفسير وتعتبر عبثاً بالنصوص القرآنية وتلاعباً بها. ولأجل التوضيح كل الوضوح يعرض الباحث هنا عن اختلاف النظر في ضبط المعاني المرادة. إن الأحكام الشرعية تستنبط من ظواهر النصوص إن كانت ظاهرة صريح الدلالة أو تؤخذ من معاني النصوص وبواطنها إن كانت خفية وغير ظاهرة لذا كان بعضها ظاهراً معقولاً بأدنى تأمل وتفكر وبعضها خفياً غير مدرك إلا بمزيد من الجهد والنظر فيما وراء النص لاستنباط المعنى المراد شرعاً.

هذا الاختلاف في الوضوح والخفاء أدى إلى أوجه النظر في تحديد وضبط المعاني المرادة:

- فمنهم من تمسك بالظواهر وحصر المعاني فيما دلت عليه النصوص ظاهراً من دون النظر إلى المعاني الخفية وهؤلاء هم الظاهرية.
- ومنهم من طرح الظواهر جانباً وتمسك بالمعاني ولو خالفت الظواهر وهؤلاء هم الباطنية.
- فمنهم من تمسك بالظواهر والمعاني معاً إلا أنهم أفرطوا في المعاني إلى حد مخالفة النصوص وتقديم المعاني المعقولة على النص وهؤلاء هم ما اصطلح على تسميتهم العقلانيون
- ومنهم من جمع بين الظواهر والمعنى في اعتدال وألغوا المعاني المعقولة إذا خالفت النص وهؤلاء هم الوسطيون من الجمهور.^(٢)

(١) القراءات المتعددة، السيد الدكتور عطاء الله مهاجراني، ترجمة: حسن فحص، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، (ط١)، سنة (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م) (ص ٩٤)

(٢) ضوابط في فهم النصوص، الدكتور عبد الكريم حامدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، سلسلة دورية - العدد ١٠٨، (رجب ١٤٢٦هـ) (ص. ٣٢)

وقد أشار الشاطبي^(١) باختصار إلى هذه الاتجاهات في فهم النصوص واستنباط المعاني منها، حيث قسم إلى الظاهرية، والباطنية، والمتعمقون في القياس، والعلماء الراسخون^(٢). ومن أنصف وتوازن في التفكير يرى أن المنهج الأحكم والأسلم عندما قرأ النص القرآني وأراد أن يستخرج معانيه وأحكامه وحكمه هو منهج الجمهور الذي جمع بين ظواهر النصوص وبواطنها إن أمكن، وإلا فالظاهر هو الأصل. ولا تأويل في المحكمات ولا يكون التأويل إلا ما يحتمله اللفظ بدليل يصيره راجحاً. وانتشرفي الفترة الأخيرة تفسير القرآن الحدائي أو القراءة المعاصرة الوافدة من الفلسفة الغربية ولا أساس من الصحة ولا من الصلة بتفسير القرآن الكريم بل مجرد تفسير القرآن بالرأي المذموم والهوى والفوضى واللامنهجية في ظلال الفلسفة الغربية بدعوى "التأويل" أو استغلال مصطلح "التأويل".

وهذه القراءة المعاصرة المنحرفة تصادم المحكمات والقطعيات وتقلب الثوابت إلى المتغيرات. وهذه القراءة تفضي إلى زعزعة كيان العقيدة والشريعة الإسلامية.

التأويل الذي يقبله المنطق ويرتضيه الدين يلتزم ويتقيد بالشروط التالية:

١. أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلاً للتأويل بحسب وضعه اللغوي.
٢. أن يكون التأويل موافقاً عرف الاستعمال أو الاصطلاح. وذلك أن يكون المعنى الذي أول إليه اللفظ من المعاني التي يتحملها اللفظ ويدل عليها ولو على سبيل المجاز
٣. أن يقوم دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن الظاهر إلى غيره.
٤. ألا يتعارض التأويل مع النصوص القطعية الدلالة أو مع القواعد الشرعية المقررة المعلومة من الدين بالضرورة.

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠ - ٠٠٠ هـ = ١٣٨٨ - ٠٠٠ م) : أصولي حافظ من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و(شرح الألفية) سماه (المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية) خمسة مجلدات ضخام (الأعلام للزركلي ج ١ ص ٧٥)

(٢) ضوابط في فهم النصوص، المصدر السابق، (ص. ٣٣)

٥. أن يكون التأويل مقتصرًا على نصوص أحكام الشرعية القابلة لذلك دون الانصراف إلى النصوص المتعلقة بأمور العقائد وأصول الدين الثابتة^(١). فالقراءة المعاصرة المتجددة - على فرض الباحث - تنقسم إلى قسمين:

الأول : القراءة المعاصرة المتجددة المحمودة أو السليمة

الثاني : القراءة المعاصرة المتجددة المذمومة أو المنحرفة

تجدد القراءة المنشود في التفسير هو نوع القراءة المعاصرة المتجددة المحمودة أو السليمة، لأن العبارة القرآنية فيها مرونة تجمع معاني كثيرة تخرج منها أو تتحملها الآية وهذا ما أشار إليه الإمام علي كرم الله وجهه عند ما قام ابن عباس وجادل الخوارج: « لا تحاجهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال أوجه » فكلمة «حمّال أوجه» هي في الحقيقة تشير إلى طبيعة الصياغة القرآنية. وكان لا بد أن تكون في الصياغة هذه المرونة لكي تبقى وتكون ممتدة مع الزمن ففيها مرونة ظاهرة بحيث إنه إذا تكلم في التاريخ أو تكلم في وصف أرض أو تكلم في شيء تنزل عبارة لها نسيج معين بحيث يمكن أن يستقبلها العبقري ويغوص فيها ويمكن أن يصل إليها العامي ويستقر عند حدودها الأولى. فهذا من خصائص القرآن الكريم وقد لاحظ هذه الخصائص كل متذوق للقرآن. فالكتاب لكي يقرأه الزمان كله والعقول كلها والقلوب كلها ولا يخلق عن تعداد القراءة وتجدها، كانت صياغته فيها هذه المرونة العجيبة التي تجعل كل الناس مهما تفاوتوا يستريحوا إليه وينبعثوا عنه.^(٢)

يحرص الباحث هنا أن يمثل القراءة المعاصرة المتجددة المحمودة أو السليمة غير مسبق من قبل المفسرين القدامى وهي نكت الشعراوي^(٣) وفق تجليات النص. والحق

(١) حولية كلية أصول الدين القاهرة، في موضوع " تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد"، للدكتور أحمد عبد الله الطيار، جامعة الأزهر - القاهرة، العدد ٢٢، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ج ٣ ص ١٠)

(٢) أنظر كيف نتعامل مع القرآن (بتصرف)، محمد الغزالي، مدارس: عمر عبيد حسنة، نهضة مصر - القاهرة، (ط ٨)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص ٢٠٧)

(٣) الشيخ محمد متولي الشعراوي : وُلد رحمه الله في ٦ أبريل ١٩١١م في قرية دقندوس مركز ميت غمر في محافظة الدقهلية. وحفظ القرآن في قريته وتلقى التعليم الديني الابتدائي والثانوي في معهد الزقازيق ثم التحق بأكاديمية اللغة العربية وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩٤١م ثم حصل على شهادة العالمية الدكتوراه مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. عُيّن مدرساً بمعهد طنطا الأزهرى ثم نقل إلى الإسكندرية ثم معهد الزقازيق. أُعير للعمل في المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٠م حيث عمل مدرساً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. وتقل في مناصب عديدة كان أهمها مديراً للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ١٩٦١م ووزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر بمصر عام ١٩٧٦م وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠م وعضواً بمجلس الشورى عام ١٩٨٠م. وقام فضيلته بمهمة الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق وألقى الكثير من المحاضرات في أوروبا وأميركا وكندا والعديد من الدول الغربية لتصحيح المفاهيم الخاطئة عند الغربيين حول الإسلام.. أختير رحمه الله تعالى الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٧م حيث حصل على جائزة دبي الدولية لخدمة القرآن الكريم وهذه الجائزة ما هي إلا واحدة مما حصل عليه شيخنا الجليل في حياته التي كانت عامرة بكتاب الله والدعوة إلى الدين الحق.

إن للشعراوي لفتات بديعة مأخوذة من ظلال النص وليس من المعنى الحرفي للنص. فهو كثيرا ما يكتشف معاني بديعة اصطادها من تجليات النص وظلاله وإيحاءاته وفيوضاته. والناظر في تفسير الشعراوي أو في خواطر الشعراوي القرآنية يرى أن الشعراوي كثيرا ما يخرج من الدلالة الحرفية اللغوية إلى التجليات العامة للنص التي لا تكون ملفوظة ضمن النص لكنها تكمن وراء النص أو يرسمها النص رسما عاما محتملا موحى إيحاء يحتاج إلى جهد لاستقراءه وفهمه وتوظيفه.

ومن جميل اللفات التي يستقيها الشعراوي من كلمة " الرزق " إضفاءه على اللفظة الواحدة معاني عديدة مركبة، لكنك لو جمعت هذه المعاني لوجدت كلمة رزق تستغرقها جميعا إنها تجليات النص وتجليات المفردات القرآنية الخصبة الغنية بالدلالات الواسعة الإمدادات. قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] . ويقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ « وحين نتكلم عن الرزق يظن كثير من الناس أن الرزق هو المال نقول له الرزق ما ينتفع به فالقوة رزق والعلم رزق والحكمة رزق والتواضع رزق وكل ما فيه للحياة حركة رزق. فإن يكن عندك مال لتتفق فإن يكن عندك عافية تعمل لتحصل على المال، وتتصدق به على العاجز المريض وإن كان عندك حلم فإنك تتفقه بأن تقي الأحق من تصرفات قد تؤذي المجتمع وتؤذيك، وإن كان عندك علم أنفقته لتعلم الجاهل وهكذا نرى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ تستوعب جميع حركة الحياة « (١)

ومن هنا يبدو أن الشعراوي قادر على استنتاج العبارة القرآنية بلغة المفردة القرآنية بمخزونات المعنوية الروحية والفكرية في حركة النوع البشري الحياتية. وبالمقابل يورد الباحث القراءة المتجددة المذمومة أو المنحرفة لأجل وضوح البحث وتعريف القارئ بقسمي القراءة المعاصرة نظريا وتطبيقيا. وهذه القراءة المتجددة المذمومة أو المنحرفة تبدو في قراءة أركون (٢) عندما يتعرض للحديث عن القصة

وفي فجر يوم الأربعاء ٢٣ صفر ١٤١٩م الموافق ١٧ / ٦ / ١٩٩٨م انتقل الشيخ الإمام إلى جوار ربه (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ج ١ ص ٣٢٨ م ش)
(١) تفسير الشعراوي، للشيخ متولي الشعراوي، إدارة الكتب والمكتبات (أخبار اليوم) - مصر، (بدون تاريخ) (مج ١ ص ١٢٨)

(٢) الدكتور محمد أركون ولد بـ" تاوريرن ميمون " بمنطقة القبائل بتاجازائر عام ١٩٢٨م تلقى تعليمه الثانوي بوهان والعالبي بجامعة الجزائر ثم أتم دراسته ببارس حيث حصل فيها على دبلوم التميز في اللغة والأدب العربيين. وانتقل للتدريس بثانويات ستراسبورغ كما كان مكلفا بقيام التدريس في كلية الأدب في نفس المدينة خلال فترة ١٩٥٦ - ١٩٥٩م ثم يعمل أستاذا

القرآنية من خلال قصة الذين آووا إلى الكهف - في سورة الكهف - يقول إنها قصة أسطورية تقوم على الاهتمام بعقريّة التشكيل والتركيب والإبداع والمقدرة على الإحياء. وتقديم العبرة على الناس أكثر من اهتمامها بمطابقة الواقع.^(١) بل الأبعد من ذلك يزعم أن هناك تداخلاً بين نصوص القرآن الكريم والنصوص التي سبقته سواء في التوراة والإنجيل أم ثقافة الشرق أوسطية على حد زعمه ويمثل لذلك بسورة الكهف وأسطورة غلغاميش ورواية الإسكندرا الأكبر. ويقصد بأسطورة غلغاميش قصة العبد الصالح (الخضر) مع سيدنا موسى عليه السلام ويقصد برواية الإسكندرا الأكبر قصة ذوالقرنين.^(٢)

يرى الباحث التهافت والمغالطة والخلط في قراءة أركون، لاعتباره عنصراً من عناصر القرآن الكريم - وهو إحدى القصص القرآنية - يتكون من الأساطير التي ليست ظاهرة في أرض الواقع بمعنى أنه افتراءات تصاغ لأجل العبرة والعظة لأولي الألباب وتدل هذه الصياغة الأسطورية أن جزءاً من القرآن أكنوية، فنقول رداً لهذا القول الذي بلغ قمة الخطورة " إذا صُدِّقَ لجزءٍ منه الكذب يصدق للآخر ذلك، وإن اتصف القرآن بالكذب فمُنزَلُهُ وَمُبَلِّغُهُ متصف به فمن أظلم ممن كذب الله ورسوله؟ ". هذا الرد من جانب المنطق الذي لا يتصور التعقل به لذوي العقول المنصفين والمتوازنين. والمتأمل في هذه القراءة يرى أن التاريخ يعيد نفسه، فإذا كان قد وجد في أمة خلت من وصف القرآن أثناء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أساطير الأولين كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤-٥] فنجد أن أركون في العصر الحاضر لا يختلف عن هؤلاء بل هو أخطر منهم لأنه يدرس القرآن بلباس المسلم العربي ولكنه ينظر بمنظار الفيلسوف الغربي.

مساعدا بسوربون عام ١٩٦٠-١٩٦٩م حيث حصل على الدكتوراة في الأدب من نفس الجامعة عام ١٩٦٩م وعين رئيساً لقسم الدراسات العربية والعربية بجامعة بارس الثالثة (خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن الكريم (عرض ونقد)، فهمي سالم زبير، ص ١٢٤)

(١) ملامح التنوير في مناهج التفسير، للكتور محمود عزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م) (ص ١٦٥)

(٢) حولية كلية أصول الدين القاهرة، المصدر السابق، (ص ٢٦)

المطلب الثاني : الحاجة الملحة إلى التجديد في تفسير النصوص القرآنية

قضية "التجديد" تثير جدلاً واسع النطاق بين العلماء المعاصرين من مؤيد ومعارض ومتوسط متوازن فيه، نتيجة أن مصطلح "التجديد" هل تصدر فلسفته من الدخيل الفكري الغربي الوافد أو الأصل الفكري الإسلامي. وهذه القضية علي صلة وثيقة أيضاً مع ما يتداول على ساحة المثقفين من أطروحة "تجديد الخطاب الديني". ولذا يحرص الباحث أن يتعرض هنا رؤى وأفكار المهتمين بهذه القضية.

ومن صفوف المؤيدين للتجديد التفسيري أو تجديد الخطاب الديني الدكتور محمود عذب^(١) حيث يناشد الضرورة الملحة إلى "تجديد العقل التفسيري" - على حد تعبيره - قائلاً: «وإن كان أوائلنا أنتجوا في علم الكلام وفي التفسير خصوصاً في ظل جوف فلسفي وفكري كان مشحوناً بحركة الترجمة وقراءة المترجم في الفكري اليوناني وأدب الفرس وقصص الهنود، فقد كان هؤلاء الأوائل يدركون أن الشعوب الإسلامية ليست إلا جزءاً من هذا العالم الإنساني الواسع الممتد عبر التاريخ والجغرافيا حيث كانوا يتعاملون مع إنتاج السابقين والمعاصرين بلا حدود ولا عقد.

وإذا كانوا قد أخذوا بدقة وتقدير فكرياً أرسطو، وسموه "المعلم الأول"، ثم سمووا أبا نصر الفارابي "المعلم الثاني" فهم كانوا مؤمنين بضرورة التواصل، فكيف يستقر العقل الإسلامي ويستقر العقل التفسيري خصوصاً في محافظته على المقولات الفلسفية والأنماط الفكرية المأخوذة أكثرها عن فلسفة اليونان وعلى مقولات علم الكلام الناشئ في ظل هذه المقولات عموماً؟... إلى قوله ولماذا لانستدعي في صدد الحديث عن ضرورة تجديد التفسير مقولة فيلسوف الإسلام محمد إقبال في مقدمة مؤلفه العظيم تجديد الفكر الديني في الإسلام؟ حيث يقول «ولقد حاولت في هذه المحاضرات بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناء جديداً آخذاً بعين الاعتبار المآثر من فلسفة الإسلام إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة»

(١) الدكتور محمود عبد السلام عذب. ولد ١٠- مايو- ١٩٤٧ بقرية المقاطع مركز الباجور بمحافظة المنوفية حفظ القرآن في سن ١٣ سنة. التحق بجامعة الأزهر كلية اللغة والترجمة قسم اللغة السامية درس سنتين تمهيديتين من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ بتقدير ممتاز أوفد في بعثة إلى جامعة السوربون بباريس لمدة ١١ سنة حتى حصل على درجة دكتوراه الدولة في الأدب والعلوم الإنسانية. (ملاحق التنوير في مناهج التفسير، للدكتور محمود عبد السلام عذب في التعريف بالكتاب ص ١٧١)

وبما أن الفلسفة والفكر الديني لا يقفان عند حد ولا يتقدمان من تقدم والتطور فواجبنا يقتضي أن نرقب في يقظة وعناية تقدم الفكر وأن نقف دائما موقف التحليل والنقد والتمحيص»^(١)

والرأي المعارض لما قدمه الدكتور محمود عزب من أفكاره السابق ذكرها - التي رأت ضرورة تجديد التفسير والعقل التفسيري في ظل الفلسفة الإسلامية المأخوذة أكثرها عن فلسفة اليونان والتعامل مع إنتاج السابقين والمعاصرين بلا حدود ولا عقد - ماراه الدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي^(٢) حيث يقول « ليس للتجديد من وصف جامع يحده مبناه ويحكي مبناه إلا أن تقول هو استعادة للإسلام على النحو الذي كان أيام الوحي والتشريع وزمن الرسالة والتبليغ... إن التجديد هو نقل للأمة في فكرها وفهمها للعهد الذهبي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو في الوقت نفسه نقل لحال ذلك العهد وعمل ذاك الجيل إلى زماننا هذا ليلتئم الفكر والعمل والنظر والتطبيق، ولتتصل السلسلة بين الماضي والحاضر ولتُحْكَم الصلة بين الآباء والأبناء والأجداد والأحفاد... فإذا كان هذا هو الوصف الجامع للتجديد، فليست معانيه إلا عين ما كان للإسلام من معنى في العهد الأول إنه استمساك بالأصول والثوابت، ومحافظة على المنار والشعائر واتباع للسنن والهدى النبوي وعناية بالأخلاق والفضائل»^(٣)

ويضيف الدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي: « لا يمكن للخطاب الديني أن يبتعد في جوهره ومضمونه وفحواه لأنه المعبر عنه والمترجم له فإذا كان الإسلام في أصله ومضمونه أنه جاء للهداية والخير والصلاح وإرساء قواعد الحق والعدل وضمن السعادتين سعادة الدنيا والآخرة فإن الخطاب الديني لا يجوز أن ينقص عن هذا أو يعده، وسواء كان الخطاب درسا فقهيا أو حصة قرآنية... إلى قوله فإذا رُئيت في

(١) ملامح التنوير في مناهج التفسير، المصدر السابق، (ص. ٦١-٦٢)
 (٢) وهو أستاذ الفقه وأصوله في الجامعة الأمريكية المفتوحة بالولايات المتحدة الأمريكية وهذا الكتاب الذي كتبه - الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء - أتمه بـ"إدينبرج- تكساس سنة ٢٠٠٥" الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء، للدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ص ٢٤٩
 (٣) الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء، للدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي، المصدر السابق (ص ١١)

الخطاب الديني شياً غير ذلك فاعلم أنه ليس خطاباً دينياً وإنما شيء آخر لأن الإسلام بطبيعته لا يقبل التجزئة أو التحريف أو التخريق أو الترقيع»^(١)

ومن أمثال المعارضين لتفسير القرآن في ظلال الفلسفة الدكتور محمد حسين الذهبي، قال « هذا ... ولعل القارئ الكريم يلحظ معي أن الإمامية الإثنا عشرية والباطنية الإسماعلية، ومتطرفي الصوفية ورجال الفلسفة الإسلامية كلهم يسرون على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه، وذلك هو ما يعبرون عنه بالرمز والإشارة أو الباطن»^(٢)

وفي هذا الصدد قال الدكتور عمارة^(٣) مبيناً الفرق بين مصطلح "التجديد الإسلامي" و"التنوير الغربي" أو اصطلاح البعض "بالتحديث الغربي": «توشك الفروق بين التنوير الغربي كما عرفت أروبا في القرن الثامن عشر الميلادي كانت حركة -إحياء- حضاري-لاديني، أحلت محل العقل والعلم والفلسفة محل -الله والدين- وخاصة في شئون المجتمع الإنساني والعمراني البشري بينما التجديد الإسلامي على مر تاريخ الإسلام وحضارته هو "إحياء ديني"، لأن "التجديد" آلية فكرية تزيل عن ثوابت الدين ومبادئه وأركانه في العقيدة والشريعة والقيم بدع الزيادة والنقص وشوائب التصورات الغربية، فتعيد للمنابع نقاءها ليكون فعلها أفضل وعطاؤها أكثر وموردها أكثر صفاء ثم هي أيضا آلية التجديد الإسلامي تطور وتنمي في الفروع بما يواكب المستجدات ويظل المساحات الجديدة في المتغيرات الدنيوية المتطورة والنامية أبدا وتفعل الشيء نفسه مع متغيرات الأماكن والأعراف والعادات»^(٤)

(١) الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء، المصدر السابق (باختصار)، (ص ٧١-٧٢)

(٢) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٣١٨)

(٣) محمد عمارة مصطفى عمارة ولد بريف مصر مركز قلين- كفر الشيخ في ١٩٣١/١٢/٨، حفظ القرآن وجوده وهو في كتاب القرية. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير. وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين). وقد درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٧٥. والماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٧٠م والليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٦٥م. وينتمي المفكر إلى المدرسة الوسطية ويدعو إليها، فيقول عنها إنها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكون موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل ويقول الدكتور محمد عباس إن محمد عمارة هو واحد من كوكبة لامعة صادقة هداها الله فانقلت من الفكر الماركسي إلى الإسلام... وكانت هذه الكوكبة هي ألمع وجوه اليسار فأصبحت ألمع وجوه التيار الإسلامي. حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها "جائزة جمعية أصدقاء الكتاب، بلبنان سنة ١٩٧٢م"، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦، ووسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م.

(انظر موقعه على الإنترنت: محمد_عمارة <http://ar.wikipedia.org/wiki/>) و (قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، في بيان السيرة الذاتية: ص ٨٩)

(٤) الإسلام بين التنوير والتزوير، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) (ص ٢٢٣)

ففرق بين "إحياء ديني" و "إحياء لاديني". ولقد جاء التنوير الديني ثورة على الكنيسة والبابوية واللاهوت احتبست النصرانية الغربية داخل الكنائس ومدارس اللاهوت وأطرالعلاقات الفردية بين الإنسان وخالقه لينفرد إحياءها العلماني-اللايني- بميادين الدنيا والاجتماع البشري - دولة وسياسة واجتماعا واقتصادا وقيما ومناهجا للبحث ونظريات للمعرفة والإدراك إلخ... إلخ..بينما مثل التجديد الإسلامي على مرتاريخه إعمالا للقانون الإسلامي وسنة نبوية شريفة جعلها منه القاعدة التي يجب أن تسود أبدا في حياة الفكر الإسلامي ففيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ((يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمردينها))^(١) حتى قد تحول التجديد إلى علم وفن تؤولف فيه وفي أعلامه الرسائل والأسفاروتاريخ المسلمين^(٢) انطلاقا من الأراء السابقة عن قضية " تجديد التفسير "، يبدو أن مصطلح " التجديد " في الإسلام وبصفة خاصة في تفسيرالقرآن- مصطلح أصيل مستفاد من المصادرالإسلامية كما نص به الحديث السابق الذي رواه أبو داود. وفي هذا الحديث لفظ « من يجدد » أن تفسيره عام في كل من يتصدى نحوالتجديد في جميع أمور الدين وعلومه سواء في الفقه أوالحديث أوالتفسيروغيرها. ومثل هذاالنحو ما نصه عبدالمتعال الصعيدي^(٣) في كتابه " المجددون في الإسلام " قال الحافظ عماد الدين ابن كثير وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذاالحديث، والظاهر أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء مفسرين ومحدثين وفقها ونحاة ولغويين. وقال في جامع الأصول : تكلموا في تأويل هذاالحديث، وكل أشار إلى القائم الذي هو من مذهبه وحمل الحديث عليه والأولى العموم، فإن- من- تقع على الواحد والجمع لا يختص أيضا بالفهاء فإن انتفاع الأمة يكون أيضا بأولي الأموروأصحاب الحديث والقراء والوعاظ^(٤)

(١) رواه أبو داود (أنظر سنن أبي داود، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت، (بدون تاريخ) (ج ٤ ص ١٧٨) وقد قال السيوطي في - مرقاة السعود- اتفق الحفاظ على تصحيحه منهم الحاكم في المستدرک والبيهقي في المدخل. وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ ابن حجر. وقال العلقمي في شرح الجامع. قال شيخنا اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح) إقرأ المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (ص ٩)

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير ، المصدر السابق (ص ٢٢٣-٢٢٤)
(٣) هو الأستاذ عبد المتعال الصعيدي (١٣١٣ هـ / ١٨٩٢ م - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) وهو من علماء الأزهر البارولد في الدقهلية ودرس في الجامع الأحمدى بطنطا وأكمل دراسته في الأزهر وشغل عدة وظائف إلى أن انتهى به الأمر أستاذا بكلية العربية ثم عضوا بجمع اللغة العربية وكان وفاته ١٩٨١ م. (أنظر المجددون في الإسلام في التصدير من د. محمد صابر عرب ص ١)

(٤) المجددون في الإسلام، المصدر السابق، (ص ١١)

وفي سياق متصل قال الدكتور محمد سليم العوا « وتجديد الدين - عند علماء الثقافات (اختصار) - معناه إحياء ما اندرس منه، وتوجيه الناس إلى العمل بما ترك من شعائره. والصحيح عندهم أن المجدد لا يتعين أن يكون واحدا في كل قرن و يجوز أن يتعدد المجددون. وقد قرروا أيضا أن هذا كما يكون في الدين يكون في العلوم المختلفة «^(١)

أمامصطلح "التحديث" أو "التنوير" فإنه مصطلح دخيل وافد من الغرب (أروبا)، وأن التحديث في أصل اللغة يأتي بمعنى إدخال الحداثة على شيء موجود قديم، وهذا يرفضه الإسلام برهانيا ومنطقيا. أما من حيث البرهان فقد ورد في الحديث ((مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))^(٢) ومن ناحية المنطق، إذا كان من الممكن إدخال الحداثة في الإسلام أو في القرآن بما ليس منه لما استقرت مبادئ الأسلام وتغيرت من حين إلى آخر - ولو كانت من الثوابت وأصول الدين -، وإذا تغيرت زالت شخصياتها وأصالتها، وتقلبات المبادئ تفضي إلى زعزعة الثقة إليها وإذا زالت الثقة عنها سارت الحياة فوضى وعشوائيا فخرّب نظام الحياة والكون. وهذا لا يقبله المنطق جملة وتفصيلا. أما التجديد - طالما يتقيد بضوابط مشروعة - فمن اللوازم الدينية إحياء لما اندرس من السنن.

وعلى ضوء ما سبق يتضح للباحث بجلاء أن عصرنا اليوم لفي حاجة ملحة إلى نوع من التفسير الجديد الذي يخاطب المجتمع المعاصر بلغة العصر وأسلوبه وميوله وطبيعته واتجاهاته وما إلى ذلك مما يسيغونه ويتلقونه ببسروسهولة حتى يجدوا هدى القرآن ونوره ويستطيعوا إصلاح حياتهم المتخلفة في شتى مرافق الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والدعوية، ويتمكنوا من بناء حضارتهم المفقودة من خلال ضوء القرآن الكريم.

تدور الدراسة المتعددة حول مناهج فهم القرآن المجيد وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه وعلاقته بعلوم المسلمين قديما وحديثا وكيفية جعله المصدر الأول لثقافة

(١) الفقه الإسلامي في طريق التجديد، للدكتور محمد سليم العوا، المكتب الإسلامي- بيروت، (ط ٢)، سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م) (ص ٥)

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، دارالجيل- بيروت، (بدون تاريخ) (ص ٥ ص ١٣٢) وقال الألباني في تعليق مثل هذ الحديث الذي رواه أبو داود : حديث صحيح (سنن أبي داود ج ٤ ص ٣٢٩)

المسلم المعاصر ومعرفته وعلمه وتوجيهه مما يمكن العقل المسلم من العودة إلى التعامل مع القرآن ويعيد القرآن الكريم إلى مركز الدائرة في ثقافة المسلم المعاصر ومعرفته وحضارته ويسترد القرآن المجيد دوره في عطائه وإنارته ويستدعي القرآن في إطار واقع عالمي متغير بوعي جديد ويحاول تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرآن في الموضوعات الإسلامية كخطوة أولى يؤسس بموجبها الوعي المنهجي الإسلامي المعاصر.

من المسلم عند المسلمين - من سلف وخلف - أن القرآن كتاب الله الخالد المجرد عن حدود الزمان والمكان وأنه خطاب عالمي وشامل نزل ليرسم الطريق الصحيح للبشرية ويعالج مشكلاتها ويضع حلولاً لها في كل زمان ومكان فهو صالح و مصلح لكل زمان ومكان. مادام الخلود سمة القرآن فهذا يعني من جانب آخر خلود المشكلات والقضايا الإنسانية التي جاء القرآن لمعالجتها في أصولها، وإن تغيرت في بعض فروعها وألوانها. فالقرآن قادر على الاستجابة لكل الحالات والظروف فتبقى الحاجة للأمة الإسلامية تطبيق النص القرآني تنزيهه على الواقع المعاصر بأسلوب العصر ولغته.

لا شك أن جيل الصحابة الذي اختير ليكون محل الرسالة وعاصر التنزيل وعاش الوحي وصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وامتاز بسلامة اللغة وصفاء السليقة يتميز على القرون اللاحقة بإدراك مدلولات النص القرآني. وأن السلامة في فهم الوحي تتحصل ولكن هذا لا يمنع من النظر والامتداد بالرؤية القرآنية وتعديتها على ضوء الكسب المعرفي وألا يفقد النص القرآني خلوده ومخاطبة الزمن ومشكلاته. القرآن مطلوب النظر فيه والعلم يتقدم والأفكار تتجه نحو المستقبل ولا تتراجع ولو قدر أنملة فيجد أن يواكب الفهم القرآني تقدمات الفكر والعلم والمعرفة مهيمنا مسيرتها مضيئاً حركاتها.

ويتركز البعض في الدراسة القرآنية الجديدة علي كونييات القرآن في العصر الحديث وتوسع في مجال التفسير العلمي إيماناً بأن القرآن يحوي كل العلوم: العلوم الدينية والدنيوية واللغوية والعلوم التي كانت واندرست والعلوم التي هي كائنة ولا يعرفها الناس والعلوم التي ستكون فيما بعد. ثم يعقب بأن هذه العلوم ليست خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد يعني من بحار علم الله وبالتأكيد أنه بحر لا ساحل له وأن

البحرلوكان مدادا لكلماته لنفد قبل أن تتنفد. والواقع أن ما يثير الدهشة عند من يقرأ هذا القرآن الكريم هو ثراء الموضوعات العلمية : فهناك الخلق و بعض الموضوعات العلمية عن الأرض (Geologi)، وعالم الحيوان (zoology)، وعالم النبات (Botani) وعلم الآثار (Arkeologi) والجبال والبحار الرياح (Geografi) وعلم الفلك (Astronomi) وعلم الاجتماع (Sosiologi) وعلم أحوال البشر (Antropologi) وغيرها من العلوم الحديثة التي لا يقدر الإنسان أن يحصوها.

ومن رواد التفسير العلمي في العصر الحديث الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره " الجواهر" ولعله يتأثر بالإمام الغزالي (١) الذي ألف كتابه " جواهر القرآن" وكذلك تأثر بآخرين من قدامى المفسرين من أمثال الفخر الرازي والبيضاوي ونظام الدين القمي النيسابوري (٢) والزرکشي والسيوطي والزاغب الأصفهاني وأبي بكر ابن العربي (٣). ومن أمثاله في - عصرنا الحالي- الدكتور زغول النجار الذي يتشرف بنيل الجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم واعتبرت شخصية العام الإسلامية لعام ٢٠٠٦ في دورتها العاشرة لدوره المتميز في خدمة القرآن الكريم وعلومه من خلال الإعجاز العملي في القرآن والسنة النبوية ويعتبر - من منجزاته الكبيرة في حقل دراسة القرآن- بأنه من أوائل من ربط الإعجاز العلمي الحديث بالقرآن الكريم وبدأ بذلك منذ خمسين عاما ومن ثم انتشر هذا العلم في العالم العربي والإسلامي وفي العالم الغربي (٤)

(١) محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الغزالي: فيلسوف، متصوف مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) ، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزاة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. حضر مجلس نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما فولاه نظامية بغداد فدرس بها مدة ثم تركها وحج ورجع إلى دمشق وأقام بها عشر سنين وصنف فيها كتابا يقال إن الإحياء منها ثم سار إلى القدس والإسكندرية ثم عاد إلى وطنه بطوس مقبلا على التصنيف والعبادة ونشر العلم ودرس بنظامية نيسابور مدة ثم تركها وبنى خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين وأقبل على النظر في الأحاديث خصوصا البخاري (طبقات الشافعية - لابن قاضي شهبة طبقات الشافعية - لابن قاضي شهبة عالم الكتب تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان- بيروت (ط ١) سنة (١٤٠٧ هـ) - ج ١ ص ٢٩٣)، (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٢)

(٢) هو الحسن بن محمد بن الحسين، نظام الدين، القمي النيسابوري . المعروف بالأعرج وذكر الشيخ إبراهيم عطوة في مقدمته لغرائب القرآن : أنه من أعلام القرن الثامن الهجري مات سنة ثمان وعشرين وسبع مائة وكان من أعلم أهل زمانه . مفسر، فقيه، له اشتغال بالحكمة والرياضيات . من تصانيفه : " غرائب القرآن و رغائب الفرقان " في ثلاث مجلدات، يعرف بتفسير النيسابوري " و " أوقاف القرآن " و " لب التأويل " ، و " شرح الشافية " في الصرف، يعرف بشرح النظام. (الموسوعة الفقهية الكويتية ، أصدها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت ، الطبعة : (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ج ١٧ ص ٣٥٢)

(٣) الشيخ طنطاوي جوهرى- دراسة ونصوص- (باختصار)، دكتور عبد العزيز جادر، دار المعارف- القاهرة، (بدون تاريخ) (ص ٥٥-٥٦)

(٤) منار الإسلام، جائزة شخصية العام الإسلامية، مبارك مهيري، العدد ٣٨٢ - سنة ٢٠٠٦، (ص ٢٧)

ونظرا لطبيعة العصر وأبنائه فتجديد التفسير المنشود - في نظرة الباحث - يتسم بسمات ومواصفات تالية:

(١) التفسير الذي يمس مشاعر الأمة الإسلامية وعواطفها للنهضة عن واقعهم المتخلف ويوقظ الوعي الجديد للعودة إلى القرآن الكريم ولإعادة ازدهار حضارتهم في تاريخهم المجيد .

(٢) التفسير الذي يعمد إلى كشف روعة البيان القرآني ودقته التعبيرية في كيفية معالجة قضايا العصر ومجتمعه وكيف يجعل المعنوي حسيا ماثلا أمام القارئ عبر التصوير الفني والتشخيص الكيفي والكمي ويحرر من الأسلوب الجاف والعبارة اليابسة والقوالب الجامدة.

(٣) حرص التفسير كل الحرص أن يأخذ من آية نفعاً اجتماعياً وحلاً للمشكلات الشائكة وسوقاً نحو المجتمع المدني المتقدم بروح الخير والإيجابية في الإنسانية ودوام التفاعل لمواجهة الحياة التي كانت في غاية التعقيد.

(٤) تركيز دراسة القرآن دراسة موضوعية بجمع أطراف ما من خلال نصوص القرآن والإحاطة بمقاصد القرآن وأفكاره وقواعده العامة ليتمكن منها معالجة القضايا بالموضوعات الكامنة في القرآن الكريم وإبراز جوانب جديدة من وجوه إعجازه.

(٥) عناية التفسير بالعمل والحركة والتطبيق أكثر من عنايته بالنظرية والرأي والجدل لأجل حركة الإصلاح في مجالات شتى للعالم الإسلامي وخاصة في التربية والتعليم والدعوة والاقتصاد والسياسة.

(٦) الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول في التفسير (تفسير الأثري - النظري)

(٧) تفسير القرآن بعبارة سهلة واضحة وبساطة سائغة للقارئ من دون تعب فكري ونظري الحفاظ على صياغة النص القرآني بأن لا يلتفت إلى المطولات التي تخرجه عن هذا الجو وتحجب منه أنوار القرآن وتوجيهاته وهداياته.

(٨) ابتعاد التفسير عن شحن الخلافات - في اللغة والفقه والكلام - التي لاتعين كثيرا الإدراك القارئ مقاصد الآيات ومراميتها وأهدافها بل ربما تُحدث الحيرة له وبلبله عقله.

٩) محاولة التوفيق بين القرآن والعلم الحديث بإبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أجل مخاطبة المثقفين الإسلاميين والغربيين حتى يجدوا بمزيد من عجائب القرآن ثم ازدادوا إيماناً وتسليماً.

١٠) تبويب التفسير بخطة منتظمة علمية تخدم فهم القارئ هدي القرآن بسهولة. ومن أمثاله ما يلي:

- ذكر الآية في صدر البحث
- شرح المفردات بذكر مرادفها لإزالة الخفاء على الكثير من القارئ
- ذكر أسباب النزول إن وردت الرواية الصحيحة
- ذكر المعنى المجمل للآيات
- تقديم الموضوع أو الفكرة الأساسية للآية ومقاصدها وحكمها وتصويرها تصويراً عملياً تطبيقياً
- ربط الآية بالواقع ربطاً وثيقاً ونظره بمنظارها وعلاجه إن اقتضى إلى العلاج والحل
- تناول وجوه الإعجاز القرآني المتعددة التي يتولد منها ازدياد بلورة الإيمان به ورسوخ معطيات القرآن في العقول والقلوب.
- الخلاصة أو التوصيات إن أمكن ذلك.

الفصل الثالث

مناهج التفسير في العصر الحديث

المبحث الأول

المناهج الراجعة في العصر الحديث

المطلب الأول : مناهج التفسير على وجه عام

لقد مر الحديث عن تعريف مناهج التفسير في - التمهيد - عندما يتناول الباحث بالبحث عن مصطلحات الموضوع بقدر يتبين من خلاله تعريفه وما يترتب عليه ويتعلق به حتى يتضح للباحث عملية البحث والمناهج التي تتناسب بالموضوع وطرقه

٩) محاولة التوفيق بين القرآن والعلم الحديث بإبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أجل مخاطبة المثقفين الإسلاميين والغربيين حتى يجدوا بمزيد من عجائب القرآن ثم ازدادوا إيماناً وتسليماً.

١٠) تبويب التفسير بخطط منتظمة علمية تخدم فهم القارئ هدي القرآن بسهولة. ومن أمثاله ما يلي:

- ذكر الآية في صدر البحث
- شرح المفردات بذكر مرادفها لإزالة الخفاء على الكثير من القارئ
- ذكر أسباب النزول إن وردت الرواية الصحيحة
- ذكر المعنى المجمل للآيات
- تقديم الموضوع أو الفكرة الأساسية للآية ومقاصدها وحكمها وتصويرها تصويراً عملياً تطبيقياً
- ربط الآية بالواقع ربطاً وثيقاً ونظره بمنظارها وعلاجه إن اقتضى إلى العلاج والحل
- تناول وجوه الإعجاز القرآني المتعددة التي يتولد منها ازدياد بلورة الإيمان به ورسوخ معطيات القرآن في العقول والقلوب.
- الخلاصة أو التوصيات إن أمكن ذلك.

الفصل الثالث

مناهج التفسير في العصر الحديث

المبحث الأول

المناهج الرائجة في العصر الحديث

المطلب الأول : مناهج التفسير على وجه عام

لقد مر الحديث عن تعريف مناهج التفسير في - التمهيد - عندما يتناول الباحث بالبحث عن مصطلحات الموضوع بقدر يتبين من خلاله تعريفه وما يترتب عليه ويتعلق به حتى يتضح للباحث عملية البحث والمناهج التي تتناسب بالموضوع وطرقه

وخطوات البحث التي يسلكها ومتناول البحث ومحتوياته. وبالتالي سيتوسع الباحث- هنا- بمزيد من الحديث عن مناهج التفسير وأنواعها وكل ما له صلة وثيقة بها. يتداول في أوساط الباحثين في أصول التفسير ومناهجه بعض المصطلحات الحديثة في علم التفسير، ومنها:

١. الإتجاه

٢. المنهج

٣. الأسلوب أو الطريقة

والحقيقة أن تلكم الكلمات الثلاث مصطلحات حديثة لا تكاد تجد لها ذكرا عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لاتكاد تجدهم يتفقون على معنى واحد لكل منها، ولهذا تجد كثيرا منهم يعبر بهذه الكلمة مرة وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها، ويذكر غيرهم غيره (١).

ويضيف الدكتور فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي محلا ومفرقا بين هذه المصطلحات حيث يقول « والذي أراه أن الاتجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

وأما المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم.

وأما الطريقة فهو الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه.

وأضرب للتوضيح مثلا: جماعة يريدون السفر إلى مدينة واحدة فانطلقوا واتجاهتهم تلكم المدينة لكنهم سلكوا مناهج مختلفة، ومنهم من سلك منهج البري الأول، ومنهم من سلك المنهج الثاني، ومنهم من سافر جوا ومنهم من سافر بحرا وغير ذلك، وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد.

أما الطريقة فتظهر أن أحد هؤلاء اتجه اتجاها مباشرا إلى الهدف...فإن شئت تطبيقه على التفسير فبيان ذلك أن الهدف أو الاتجاه قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها وبسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا. ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير،

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ٥٥)

فيكون الاتجاه لهذه التفسيرات "الاتجاه العقدي". ويسلك كل واحد من هؤلاء المفسرين سبيلا خاصا لتقرير العقيدة، فيسلك أحدهم أصول عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) فيكون منهجه " منهج أهل السنة والجماعة " ويسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه " منهج الشيعة ". ويسلك ثالث أصول عقيدة المعتزلة فيكون منهجه " منهج المعتزلة ". ويسلك رابع أصول عقيدة الصوفية فيكون منهجه " منهج الصوفية " وهكذا. وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد، فبيدأ أحدهم بالنص أولا ثم بيان المفردات ثم المعنى الإجمالي للآيات ثم يستخرج أحكامها ثم يتتبع الآيات واحدة واحدة حسب ترتيبها في المصحف ويختلف آخر غير هذه الطريقة «(١).

ومن هنا يتجلى بوضوح أن المنهج ليس هدفا بل هو مجرد الوسيلة التي تؤدي إلى الهدف، فيتربط عليه تعدد المناهج حسب الأهداف التي يرمى إليها ولا شك أن المناهج تتطور من حين إلى آخر على حساب الأهداف. وتكون جميعا مهمة لأنها توصل إلى الأغراض وتحقق أهدافا ويتوزع ذلك على اهتمامات الناس وينشده جميعه من ينشد المعرفة الشاملة.

وذكر الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر في كتابه قسمين من المنهج : المنهج العام والمنهج الخاص. المنهج العام هو خطوط رئيسية يأخذ بها كل باحث ثم يتوسع بها بحسب اهتماماته الخاصة نحو ما يراه محققا لغرض ينشدها. فعلى سبيل المثال: المنهج العام للتفسير هو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة وتبرز ظاهرة التوسع في وجوه الإعراب ومعانيها ممن يهتم بذلك ويريد تقديمه لمن يهمه أو تبرز الوجهة البيانية أو الاجتماعية أو الفلسفية وهكذا(٢)

وقسم الشيخ خالد عبد الرحمن العك(٣) مناهج التفسير إلى عدة أقسام :

١. المنهج النقلي للتفسير

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ٥٥-٥٦)

(٢) أنظر التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، المصدر السابق (بتصرف)، (ص ٣٤٠)

(٣) هو الشيخ خالد عبد الرحمن العك : مدرس في إدارة الإفتاء العام بد مشق ويشرف على بحثه المشكور " أصول التفسير وقواعده " مفتي سوريا الشيخ محمد أبو اليسر عابدين ويقوم بتقديمه عام ١٩٦٨ ومن أهم آثاره العلمية : مناهج التفسير وقواعده ، ردود على مطاعن المستشرقين، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم وغيرها (أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك ، في مقدمة الكتاب وآثار المؤلف)

٢. المنهج اللغوي للتفسير
٣. المنهج العقلي للتفسير
٤. المنهج الاجتهادي للتفسير
٥. المنهج الفلسفي الكلامي
٦. المنهج الفلسفي الصوفي الباطني في التفسير الإشاري
٧. المنهج السياسي للتفسير
٨. المنهج العلمي للتفسير^(١)

ومن منظور آخر متقارب من التقسيم السابق، قسّمها الدكتور فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي - بزيادة في قسم ونقصان من آخر - إلى عدة أقسام:

١. منهج التفسير النقلي
٢. منهج التفسير العقلي
٣. منهج التفسير البياني
٤. منهج التفسير الفقهي
٥. منهج التفسير الاجتماعي
٦. منهج التفسير الأدبي
٧. منهج التفسير العلمي^(٢)

وعبر البعض قسما جامعا بين منهج التفسير النقلي (التفسير الأثري) ومنهج التفسير العقلي (التفسير النظري) يُصطَلح به " المنهج الأثري النظري " ^(٣).

وفي هذا الصدد تقسيم آخر مغاير تماما مع التقسيمين السابقين حيث قسم الدكتور عبد الحي الفرماوي على النحو التالي:

١. المنهج التحليلي
٢. المنهج الإجمالي
٣. المنهج المقارن
٤. المنهج الموضوعي

(١) أنظر أصول التفسير وقواعده، المصدر السابق ، (ص ١٠٧-٢٢٤)

(٢) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق ، في باب مناهج التفسير، (ص ٨٦-١١٠)

(٣) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١٠٣)

وعلى ضوء التقسيمات السابقة رأى الباحث أن التقسيم الأول والثاني - رغم الاختلاف في الاصطلاح مع اتفاق المعنى والاختلاف في العدد - مترابطان ومتكاملان، بينما التقسيم الثالث يخالفهما في الإصطلاح والعدد لكنه يثري تقسيم مناهج التفسير، فأصبحت مناهج التفسير على وجه عام على النحو التالي:

- (١) المنهج النقلي للتفسير
- (٢) المنهج العقلي للتفسير
- (٣) المنهج الأثري النظري
- (٤) المنهج الاجتهادي للتفسير
- (٥) المنهج اللغوي للتفسير
- (٦) منهج التفسير البياني
- (٧) منهج التفسير الأدبي
- (٨) المنهج الفلسفي الكلامي
- (٩) منهج التفسير الفقهي
- (١٠) منهج التفسير الاجتماعي
- (١١) المنهج الفلسفي الصوفي الباطني في التفسير الإشاري
- (١٢) منهج التفسير العلمي
- (١٣) المنهج التحليلي
- (١٤) المنهج الإجمالي
- (١٥) المنهج المقارن
- (١٦) المنهج الموضوعي^(١)

وتعددت مناهج التفسير بتعدد الأهداف التي يرمى إليها كل من المفسر والأغراض التي سارنحوها فمنهم من ظل على مصادره الأصلية ومنهم من غلب تحكيم العقل المجرد في تفسيره ومنهم من اصطبغ تفسيره بالعلم الذي برز فيه فالفقيه يفسر القرآن بمنظار الفقه والمتكلم يفسره بمنظور علم الكلام وكذلك اللغوي والأديب والفيلسوف والملم بالعلم الحديث وعلم الاجتماع. فمنهم من يتوسع في التفسير بالقرآن نفسه وبما هو منقول

(١) البداية في التفسير الموضوعي، للدكتور عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، (ص. ١٩)

من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أو التابعين ومن يتوسع فيه بالاجتهاد والرأي بعد معرفته لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانتها في ذلك في الشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. ومنهم من وازن فجمع بين هذا وذاك. ومن المفسرين من أجمل في التفسير فيعرضه بالتفسير الإجمالي الميسر من أجل تفهيم معاني القرآن ببساطة ووضوح وبأدنى تأمل، ومن جانبه من يفسر تفسيراً تحليلياً آية إثر آية بشكل مُبَسَّط ومن جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

ومن خلال طرقهم المختلفة في التفسير ومسالكمهم المتنوعة برز على ساحة الدراسة القرآنية أنواع مناهج التفسير سابقة الذكر وتنوعت حتى بلغت إلى ستة عشر - على حد تتبع الباحث - بل ربما أكثر من ذلك لا يحصيه الباحث لقصوره وقلة المصادر التي يطلع عليها، ويوقن حق اليقين أنها لا تزال في ازدياد من حين إلى آخر مواكبة لتطور معارف النوع البشري وثقافتهم وحضارتهم.

ومن أجل التوضيح والاستيعاب للعديد من مناهج التفسير السابقة يسرد الباحث تعريف كل منها بشكل ميسر ومجمل مع ذكر الأمثلة - إن وجدت وتمكنت من عرضها -.

(١) المنهج النقلي للتفسير (التفسير بالمأثور)

التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها المفسر ولا يجتهد معنى من غير دليل. وبناء على هذا يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِلَ عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِلَ عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

واختلف العلماء عن تفسير التابعين هل كان من قبيل التفسير بالرأي أو التفسير بالأثر؟ وأدرجه البعض في إطار التفسير بالمأثور ما رُوِيَ عن التابعين - وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي لتواجد التفسير بالمأثور - كتفسير

ابن جرير وغيره - لم يقتصر على ذكر ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وما روى عن أصحابه، بل ضم إلى ذلك ما نُقِلَ عن التابعين في التفسير^(١).
ومثال ما جاء في القرآن قوله سبحانه ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة ١٨٧] فإن كلمة من الفجر بيان وشرح للمراد من كلمة الخيط الأبيض التي وردت قبلها.

ومثال ما جاء في السنة شرحاً للقرآن أنه صلى الله عليه وسلم فسر الظلم بالشرك في قوله سبحانه ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وأيد تفسيره بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] وفسر الحساب اليسير بالعرض حين قال من نوقش الحساب عذب فقالت له السيدة عائشة أو ليس قد قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الإنشاق ٧-٩] فقال ذلك العرض بيانا للحساب اليسير وكذلك فسر الرسول القوة بالرمي في قوله سبحانه ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وفي صحيح كتب السنة من ذلك شيء كثير^(٢) وأهم الكتب في التفسير بالمأثور:

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري.
 ٢. بحر العلوم للإمام السمرقندي^(٣).
 ٣. معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي^(٤).
 ٤. المحرر الوجيز لابن عطية المحاربي.
 ٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
 ٦. الدر المنثور في التأويل بالمأثور للسيوطي.
- (٢) المنهج العقلي للتفسير (التفسير بالرأي)

(١) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، للدكتور فتحي محمد غريب، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) (ص ٦٣)
(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، المصدر السابق (ج ٢ ص ١٦)
(٣) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: (٣٧٣ - ٥٠٠ هـ = ٩٨٣ - ١٠٠٠ م) علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها (بحر العلوم في تفسير القرآن)، (تنبيه الغافلين) و(النوازل من الفتاوى) و(تفسير جزء: عم يتساءلون) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٢٧)
(٤) الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي (٤٣٦ - ٥١٠ هـ = ١٠٤٤ - ١١١٧ م) فقيه، محدث، مفسر نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و(مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك. توفي بمرور الروذ (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٩)

يُطلق الرأى على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأى: أى أصحاب القياس.

والمراد بالرأى هنا " الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتة فى ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر (١) ويقبل فى التفسير ما توافرت فيه شروط المفسر على الوجه السابق ومادام المفسر قد تجنب فيه خمسة أمور:

أولاً: التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة وأصول الشريعة، وبدون أن يُحصّل العلوم التى يجوز معها التفسير.
ثانياً: الخوض فيما استأثر الله بعلمه، وذلك كالمتشابه الذى لا يعلمه إلا الله. فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سراً من أسرارهِ وَحَجَبَهُ عَن عِبَادِهِ.

ثالثاً: السير مع الهوى والاستحسان، فلا يُفسر بهواه ولا يُرَجِّح باستحسانه.
رابعاً: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيحتال فى التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأى طريق أمكن، وإن كان غاية فى البُعدِ والغرابة.

خامساً: التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل.
ومن هنا يعرف أن التفسير بالرأى قسمان: قسم مذموم غير مقبول، وقسم ممدوح ومقبول.

ومثال المذموم مارآه الطبرسي كغيره من علماء الشيعة بإمامة علي رضي الله عنه وأنه خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى كذلك بعصمة الأئمة وقصر أهل البيت على النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة والحسن والحسين ومن أجل تقرير هذه المبادئ استدل بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

(١) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق (ج ١ ص ١٨٣)

[الأحزاب: ٣٣] وفسرها تفسيرا يلبي هواه ومبادئه وفي نهاية المطاف ليصل من وراء ذلك إلى أن الأئمة معصومون من جميع القبائح كالأنبياء سواء بسواء. (١)
وكذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في حقائق التفسير، فمثلاً عندما عرض لقوله تعالى في الآية [٦٦] من سورة النساء: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ.... ﴾ الآية، نجده يقول ما نصه: { اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } بمخالفة هواها ﴿ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم.. إلخ (٢)

وأهم الكتب في التفسير بالرأي المذموم

١. مجمع البيان: لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (٣)

٢. تفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل التستري (٤)

٣. حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (٥)

٤. الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي (٦)

وأهم الكتب في التفسير بالرأي المدح (المقبول):

١. مفاتيح الغيب: للفخر الرازي

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي

٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (٧)

٤. البحر المحيط لأبي حيان

٥. غرائب القرآن و رغائب الفرقان: للنيسابوري

٦. تفسير الجلالين للجلال المحلي، والجلال السيوطي

(١) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١٣٥-١٣٦)

(٢) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ١ ص ٢٠٠)

(٣) فضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي (٥٤٨ - ٠٠٠ هـ = ١١٥٣ م): مفسر محقق لغوي. من أجلاء الإمامية. نسبته إلى طبرستان. له (مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان) و (جوامع الجامع) في التفسير أيضاً. توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي (الأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٤٨)

(٤) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور؛ لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع؛ وكان صاحب كرامات، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة هذه النسبة إلى تستر، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومانتين، رضي الله عنه، بالبصرة. مولده في سنة مانتين، وقيل إحدى ومانتين بتستر. (وفيات الأعيان، المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٩)

(٥) محمد بن الحسين بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي: سبط الشيخ نجيد السلمي وهو أزدي الأب كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان صنف لهم سنناً وتفسيراً وتاريخاً وغير ذلك وزادت تصانيفه على المائة وكان مولده فيرمضان سنة ثلاثين وثلاثمائة وقيل غير ذلك وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (طبقات المفسرين للأندروني ج ١ ص ١٠١)

(٦) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ١٠٣-١٠٤)

(٧) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: (٧١٠ - ٠٠٠ هـ = ١٣١٠ م) فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها (مدارك التنزيل) في تفسيره و (كنز الدقائق) في الفقه و (المنار) في أصول الفقه وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٦٧)

٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للأوسى (١)

(٣) المنهج الأثري النظري

التفسير الأثري النظري هو التفسير الذي جمع جانبين:

الأول: جانب التفسير بالمأثور القائم على الرواية والنقل وإيراد الأقوال المأثورة فقط دون نظر أو تحليل أو تأويل.

الثاني: جانب التفسير بالرأي القائم على النظر والاجتهاد والتحليل والتأويل دون ذكر للمأثور.

أصحاب هذا المنهج ينسقون بين المنهجين للتفسير: الأثر والنظر فترى في تفاسيرهم أقوالاً مأثورة من أحاديث وأقوال الصحابة والتابعين ومن جانبها ترى فيها نظراً واجتهاداً وتحليلاً وتأويلاً.

والفكرة عن هذا المنهج يراها البغوي مشاراً إليها في القرآن الكريم وهو يرى أن للقرآن ظهراً ويطناً وحداً ومطلعا وهذا يتعلق بتفسير القرآن وتأويله « قيل معنى الظهر والبطن التلاوة والفهم أي ظاهر الآية هو أن تقرأها كما أنزلت لقوله تعالى ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزل: ٤] وباطنها هو التدبر والتفكر قال الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩] ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمه.

والحد في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع وقوله لكل حد مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه ويقال: المطلع الفهم. وقد يفتح الله على المدبر والمتفكر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره وفوق كل ذي علم عليم. (٢)

ومن أهم التفاسير التي جمعت بين الأثر والنظر:

١. تفسير يحيى بن سلام البصري

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو التثاء (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م): مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. من كتبه (روح المعاني) و(نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٦)

(٢) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٣١٨-٣١٩)

٢. تفسير بَقِيَّ بن مخلد الأندلسي (١)

٣. تفسير الواحدي (الوسيط) (٢)

٤. تفسير البغوي (معالم التنزيل)

٥. تفسير الشوكاني (فتح القدير)

٦. تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) (٣)

٧. تفسير ابن عطية الأندلسي (المحرر و الوجيز)

أما أشهر التفسيرين الذين قاما على هذا المنهج تفسير الطبري وتفسير ابن كثير. (٤)

(٤) المنهج الاجتهادي للتفسير

المنهج الاجتهادي للتفسير في ضمن المنهج العقلي فالمقصود بالاجتهاد هنا غير الذي تعارفه علماء الأصول في أصول الفقه حيث عرفوه بذل الفقيه جهده للوصول إلى حكم شرعي من دليل تفصيلي من الأدلة التي يضعها الشارع للدلالة على الأحكام. وإنما المراد هنا بذل المفسر جهده في تفهم معنى النص والكشف عن مرامي ألفاظه ومدلولاته فهو اجتهاد ضمن دائرة النص الموجود في حدود الأصول اللغوية والشرعية أي الاجتهاد الذي نعنيه هو بيان النص والكشف عما يتضمنه من أحكام وحكم ومواعظ وعبر إلى غير ذلك مما يتعلق بوظيفة التفسير والمفسر.

فمثلاً: اللفظ في النص القرآني من حيث هو قد يكون واضحاً وقد يكون مبهماً وفي حالة وضوحه لا يخلو بعض أنواعه من الاحتمال الذي يجعله محتاجاً إلى تحديد المراد فعلى المفسر أن يعلم على أن اللفظ باق على احتمالاه فهو من الظاهر أو أنه قام الدليل على الذي رجح غير المعنى الظاهر من ذلك اللفظ فأصبح مؤولاً فهذا العمل من

(١) بقي بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، الأندلسي القرطبي: حافظ مفسر محقق، من أهل الاندلس. له (تفسير) قال ابن بشكوال: لم يؤلف مثله في الإسلام، وكتاب في (الحديث) رتبته على أسماء الصحابة، ومصنف في (فتاوي الصحابة والتابعين ومن دونهم) (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٦٠)

(٢) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي (٥٠٠ - ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ - ١٠٠٠ م) : مفسر، عالم بالأدب، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. له (البيسط) و(الوسيط) و(الوجيز) كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٥٥)

(٣) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي ولد سنة ٥١١ هـ ببغداد اتجه إلى العلم منذ بدأ وعيه في الحياة (سن الخامسة) وحفظ القرآن وهو صغير كانت وفاته في شهر رمضان سنة ٥٧٧ في داره ببغداد (مناهج المفسرين للدكتور منيع عبد الحلیم محمود ص ٩٦)

(٤) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٣٠٢)

المفسر هو الاجتهاد في طريق إدراك المعنى المراد. وكذا يقال في أنواع الدلالات^(١) والعام والمشارك والخاص والمطلق.^(٢)

ومن هنا يبدو أن المنهج الاجتهادي للتفسير يساوي المنهج العقلي للتفسير (التفسير بالرأي) لأن الرأي - كما سبق ذكره - يعنى به في مجال الدراسة القرآنية بالاجتهاد إلا أن الفرق بينهما في الاصطلاح والاعتبار فقط وبالنسبة للمعنى المراد هما يلتقيان في نقطة واحدة.

(٥) المنهج اللغوي للتفسير

التفسير اللغوي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، والمراد بما ورد في لغة العرب ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن وقد أشار إلى هذا الشاطبي « فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب وأنه عربي وأنه لا عجمة فيه فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه وبالعام يراد به الخاص والظاهر يراد به غير الظاهر وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره^(٣) »

ومن أمثلة تفسير الألفاظ تفسير لفظ " استوى " في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس: ٣] قال أبو عبيدة « مجازه على العرش وعلا عليه »^(٤)

وقد يكون المدلول اللغوي غير مراد في الآية كقوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] فلوقسرت الصلاة بالمدلول اللغوي لقلت نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الدعاء لهم. المراد من الصلاة هنا صلاة الجنازة نظرا للحديث الوارد^(٥) في قصة الآية. ولذلك أن اللغة لا تستقل في فهم القرآن الكريم وأن

(١) دلالات النظم القرآني تشتمل: الغريب، المعرف، المترادف، الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، الاستعارة، التشبيه، الحقيقة، المجاز، الصريح، الكناية، التعريض، المحكم، المتشابه، الناسخ والمنسوخ، الإعجاز القرآني، وجوه المخاطبات في القرآن، أنواع السؤالات والجوابات في القرآن، الظاهر، الخفي، النص، المشكل، المفسر، المجمل. وفي دلالات الألفاظ على الأحكام دلالات العبارة ودلالات الإشارة ودلالات النص ودلالات الاقتضاء.

(٢) أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمن العك، المصدر السابق (ص ١٧٦-١٧٧)

(٣) الموافقات، للشاطبي، تحقيق عبد الله دارز، دار الحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ج ٢ ص ٣١٦)

(٤) التفسير اللغوي، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن جوزي- السعودية العربية، (بدون تاريخ) (ص ٣٩)

(٥) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنه قال لما مات عبد الله بن أبي سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقال قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (آخر عني يا عمر). فلما أكثر عليه قال (إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها). قال فصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا...) قال فعجبت بعد من جرأتي

الاعتماد عليها دون المصادر الأخرى يوقع في الغلط، لأن التفسير الصحيح قد يكون من جهة هذه المصادر وتكون هذه المصادر محددة للمعنى اللغوي المحتمل عند تعدد وجود التفسير، ومن أهم هذه المصادر:

١. القرآن نفسه لأنه قد يفسر بعضه بعضاً

٢. معرفة السنة النبوية والتفسير النبوي

٣. معرفة المصطلحات الشرعية

٤. أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم

٥. أسباب النزول وقصص الآي وغيرها مما يحف بأية دون غيرها^(١)

وهناك مدرسة التفسير اللغوي فيها رجال اللغة الذين راحوا يعرضون لغة القرآن وأساليب تعبيره على لغة العرب ونصوصها الأدبية، ويقابلون بينهما مشيرين إلى سمات التعبير العربي وإلى معاني اللفظ القرآني بما عرف مثله عند العرب. ومن مشاهيرهم:

الكسائي له كتاب يحمل عنوان "معاني القرآن"، الفراء له كتاب بعنوان "معاني القرآن"، وأبو عبيدة وكتابه المعروف "مجاز القرآن" والإمام الأصمعي^(٢) والإمام أبي حاتم السجستاني^(٣) وقطرب وغيرهم. وأخذ الطبري مجموع الكلام من المعاني من كتب الكسائي والفراء والأخفش وقطرب وغيرهم وأخذ الواحدي بأقوال أهل المعاني وكذا البغوي والقرطبي^(٤).

(٦) منهج التفسير البياني

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على مجتمع يقيمون للشعر أسواقاً وللخطابة ندوات ويعد للشعر ديواناً وسجلاً للمفاخر، ويعرفون بحسن الأداء وجمال المنطق وفصاحة الكلام ويمهرون ببديع التعبير ورائع البيان، وحين نزل القرآن ملك ألبابهم وأدهش

على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم (صحيح البخاري، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، ج ١ ص ٣١٥)

(١) التفسير اللغوي، للدكتور مساعدين سليمان بن ناصر الطيار، المصدر السابق (ص ٦٣٣)
 (٢) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: (١٢٢ - ٢١٦ هـ = ٧٤٠ - ٨٣١ م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه "شيطان الشعر". قال الاخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٦٢)
 (٣) سهل بن محمد الإمام أبو حاتم السجستاني اللغوي صاحب المصنفات أخذ العربية عن أبي عبيدة والأصمعي وقرأ القرآن على يعقوب وكتب الحديث عن طائفة من محدثين ولما مات بلغت قيمة كتبه أربعة عشر ألف دينار وله التأليف في التفسير توفي سنة خمسين ومائتين (طبقات المفسرين للأندروني ج ١ ص ٣٤)
 (٤) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، (ص ٥١٧)

عقولهم متحديا - على أن يأتوا بسورة من مثله - كان البيان القرآني جامعا للأمور التي جملتها النظم الفريد العجيب فوق أساليب ذلك المجتمع العربي وصوره البيانية تؤلف أبداع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الرائعة تعجز كل الجهود المبذولة من عدد من عبقرى الإنسان لصياغة مثله ولو كان بعضه لبعض ظهيرا .

وقد ذكر الدكتور محمد عبدالله دارز (١) النواحي الثلاث للإعجاز

(١) من ناحية أسلوبه وأطلق مصطلحها بالإعجاز اللغوي.

(٢) من ناحية علومه وأطلق مصطلحها بالإعجاز العلمي.

(٣) من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغيره وجه التاريخ وأطلق مصطلحها

بالإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي. (٢)

وأصبحت الناحية اللغوية أو البيانية موضع اعتناء ويبدو من الإعجاز البياني ثلاثة ألوان :

الأول : الحروف وأصواتها

الثاني : الكلمات وحروفها

الثالث : الجمل وكلماتها

وهذه الألوان الثلاثة عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي (٣) هي

١. فواتح السور وسر الحرف

٢. دلالات الألفاظ وسر الكلمة

٣. الأساليب وسر التعبير (١)

(١) وهو محمد عبدالله بن محمد حسنين دارز: الأديب الباحث المحدث الفقيه المالكي المذهب ولد ٨- نوفمبر- ١٨٩٤م بقرية "محلة ديباي" مركز سوق محافظة كفر الشيخ. ووالده الشيخ العلامة عبدالله دارز. نشأ في بيت عامر بالتقوى والصلاح والعلم والعرفان والسماحة والعطاء حفظ القرآن دون عشر سنين ودرجاته العلمية : الليسانس في الأدب من جامعة سوربون عام ١٩٤٠م. دكتوراة الدولة من السوربون ديسمبر ١٩٤٧م على موضوع رسالته " دستور الأخلاق في القرآن الكريم " وعضوية جماعة كبار العلماء نوفمبر ١٩٤٩م له مؤلفات : النبأ العظيم، المدخل إلى القرآن الكريم، دراسات إسلامية وغيرها (دراسات إسلامية تحقيق الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، في ترجمة المؤلف ص ٢٢-٣١ - باختصار) (٢) النبأ العظيم، الدكتور محمد عبدالله دارز، تحقيق: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم- الكويت، (ط ١٠)، سنة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) (ص ١٠٨)

(٣) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ولدت عائشة عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطي في مدينة دمياط في (٦ من ذي الحجة ١٣٣١هـ = ٦ من نوفمبر ١٩١٣م) في بيت عرف بالعلم والصلاح والتصوف؛ حيث كان أبوها أزهريا متصوفا، وهي من نسلنا المعاصرات اللاتي أسهمن بنصيبهن في الأدب العربي والفكر الاجتماعي. وقد تولت التدريس في كلية الآداب بالقاهرة، وفي كلية التربية للبنات. وتناولت في تدريسها تفسير بعض سور القرآن القصار. وطبعت ذلك في "التفسير البياني للقرآن". حصلت "بنت الشاطي" على شهادة الماجستير سنة (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م) عن موضوع "الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري"، وفي عام (١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م) حصلت على شهادة الدكتوراة في تحقيق "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري (مباحث في علوم القرآن ج ١ ص ٣٨٥) و(المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين، لأعضاء ملتقى أهل الحديث ص ١ ج ١٣٩م ش)

اتجهت همة ثلة من المفسرين إلى الصور البيانية للقرآن واتسعت الدراسات حولها فبرز في رحاب هذه الدراسة من التفسير - قديما - تفسير الصحابة وأشهر من عرف منهم في ذلك ابن عباس رضي الله عنه حيث كان يكثر من التفسير اللغوي ويرجع فيه إلى أشعار العرب لمعرفة ما كان قد يغمض من الألفاظ والتركيب وسار على نهجه تلامذه كمجاهد وغيره ثم ظهرت المؤلفات العديدة في عصر التدوين مثل "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن مثنى، وكتاب "معاني القرآن" للفراء، وكتاب "نظم القرآن" للجاحظ^(٢). وتتابع المؤلفات فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن من هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كله وأولت البيان عناية كتفسير "الكشاف" للزمخشري، واعتنت كتب بالمناسبات وهي من أوجه البيان ككتاب البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وكتاب السيوطي "تناسق الدرر في تناسب السور" ومن هذا اللون تفسير الألويسي "روح المعاني".

(٧) المنهج الفلسفي الكلامي

إن السبب في تنوع كتب التفسير كان نتيجة ازدهار العلم وتفتح كنوز المعرفة وتزاحم الثقافات المختلفة وبلغت هذه الظواهر القمة في عهد العباسيين خاصة في عهد المأمون وأضحت بغداد كعبة علمية يحج إليها الطلاب من فج عميق. فنشطت حركة الترجمة وترجمت الكتب المتنوعة ومنها كتب الفلسفة التي هبت على ساحة الأمة الإسلامية من كتب فلاسفة اليونان والهند والفرس وغيرهم. فقرأها المسلمون فأصبحوا حيالها فريقين:

١. فريق لم يتقبلها لأنه وجدها تتعارض مع الدين فكرس حياته للرد عليها وتفتير الناس منها. وكان على رأس هؤلاء الإمام الغزالي والفخر الرازي الذي تعرض في تفسيره

(١) البيان في إعجاز القرآن، للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دارعمار - (عمان) الأردن، (ط ٣)، سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) (ص ١٤٥)

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي اللبثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور (١٦٣ - ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩ م) صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين (١)، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، وهو خال يموت بن المزرع - الآتي ذكره في حرف الباء إن شاء الله تعالى - ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب (الحيوان) فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب (البيان والتبيين) وهي كثيرة جداً (٢). وكان من فضائله مشوه الخلق، وإنما قيل له "الجاحظ" لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: النتوء، وكان يقال له أيضاً "الحدقي" لذلك (وفيات الأعيان ج ٣ - ٤٧٠-٤٧١) و(الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٧٤)

لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين ومع القرآن على الأخص فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحُجَّة، وانقاد له الدليل.

٢. وفريق أعجب بها على حد كبير رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم وتعاليمه التي لا يلحقها الشك ولا تحوم حولها الشبهة وعمل هذا الفريق على التوفيق بين الحكمة والعقيدة أوبين الفلسفة والدين وإزالة تعارضهما ولكنه توفيق إن أرضى بعض المسلمين فقد أغضب الكثير منهم. ذلك لأنهم لم يصلوا في توفيقهم إلا إلى حلول وسطى صوّروا فيها التعاليم الدينية تصويراً يبعد كثيراً عن الصور الثابتة المأثورة كما أن شروحهم لآيات القرآن شروح تقوم على فلسفية بحتة لا يمكن أن يتحملها النص القرآني بحال من الأحوال.^(١)

ومثال التفسير الفلسفي القائم على النظرية الفلسفية ما تجده للفارابي^(٢) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ (تسع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة) في كتابه "فصوص الحكم"، من تفسيره لبعض الآيات والحقائق التي جاء بها القرآن تفسيراً فلسفياً بحتاً فمن ذلك أنه يُفسّر الأولى والآخرة الواردة في قوله تعالى في الآية [٣] من سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ تفسيراً أفلوطينياً مبنياً على القول بقدّم العالم.

كما يشرح الملائكة بأنها "صورة علمية جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها، تلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هويتها ما تلحظ، وهي مطلقة، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة والروح البشرية تعاشرها في النوم".^(٣)

وأكد الدكتور حسين الذهبي عن رفضه التفسير الفلسفي - القائم على نظرية الفلسفية - قائلاً « أن الإمامية الإثنا عشرية والباطنية الإسماعيلية ومتطرفي الصوفية، ورجال الفلسفة الإسلامية، كلهم يسировون على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه ذلك هو ما يُعبّرون عنه بالرمز أو الإشارة أو الباطن. ويظهر لنا أنها عدوى سرت إلى المسلمين

(١) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٢٧)
 (٢) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ = ٨٧٤ - ٩٥٠ م) ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الاصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان.. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. وتوفي بدمشق. له نحو مئة كتاب، منها (الفصوص ٢٠) و(الموسيقى الكبير) و(الأدب الملوكية) و (مبادئ الموجودات) رسالة ترجمت إلى العبرية وطبعت به (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٠) (وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٥٣)
 (٣) التفسير والمفسرون، المصدر السابق (باختصار)، (ج ٢ ص ٣١٠-٣١١)

من قدماء الفلاسف ثم تلقته هذه الفرق بصدور حرب وتقبلتها بقبول حسن لأنهم رأوا فيها عوناً كبيراً على ترويح بدعهم ونشر ضلالاتهم بين المسلمين»^(١) ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع :

من كتب الفريق الأول : مفاتيح الغيب للفخرالدين الرازي وأما بالنسبة للفريق الثاني فرأى البعض أنه لم يسمع أحد من الفيلسوف ألف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم بل أصبحت تفسيراتهم - بمنظور الفلسفة - مفرقة في كتبهم التي ألفوها في الفلسفة.

(٨) منهج التفسير الفقهي

إن التفسير الفقهي هو عبارة عن استنباط الأحكام الفقهية من النصوص الدالة عليها من آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم. ولا شك أن دلالة النصوص القرآنية لاتظهر بصورة شاملة للحكم في كثير من الأحوال كما أنها لاتظهر بصورة قطعية على الأحكام في بعض الأحوال. كما أن السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف. ومن هنا اتسع أمام الفقهاء مجال الاجتهاد فاختلّفوا في تفسير الآيات أو الأحاديث وليس اختلافاً بين حق وباطل إنما هو وجهات نظر مختلفة ناشئة عن اجتهاد في النصوص الظنية. وسعى أتباع كل مذهب فقهي إلى آيات الأحكام في القرآن الكريم يفسرونها في التأليف ويفسرونها حسب استنباط الأحكام فخرجت تفاسير آيات الأحكام لاتكاد تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق فتتعدد تفاسير آيات الأحكام حسب تنوع المذاهب الفقهية.^(٢)

ومن أهم الكتب المدونة في التفسير الفقهي:

أولاً: من المذهب الحنفي

١. تفسير أحكام القرآن لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص.

٢. التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية لأحمد بن أبي سعيد.

ثانياً: المذهب المالكي

(١) التفسير والمفسرون، المصدر السابق (ج ٢ ص ٣١٨)

(٢) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، للدكتور فتحي محمد غريب، المصدر السابق (ص ١٨٨)

١. تفسير أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي
٢. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي

ثالثا: المذهب الشافعي

١. أحكام القرآن للإمام الشافعي.

٢. الإكليل في استنباط التنزيل للكيالهراسي

رابعا: المذهب الحنبلي

١. نيل المرام في تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد صديق خان^(١).

٢. تفسير آيات الأحكام للشيخ مناع قطان^(٢).

(٩) المنهج النظري الفلسفي والمنهج الإشاري في التصوف

من المعروف في ساحة الدراسات القرآنية أن التفسير الصوفي ينقسم إلى قسمين: قسم يسمى بالتفسير النظري وقسم يسمى بالتفسير الإشاري - أو التفسير الفيضي - كما اصطلح عليه البعض. ويفرقون بينهما بأن التفسير النظري يبني على أصول في التصوف قررها فلاسفة هذا الفن تقريرا فلسفيا بحيث تكون هذه الأصول النظرية مقررة عند المفسر فإذا تناول الآية الكريمة لا يتجه إلى المفهوم المتبادر من المنطوق ولكن يجعل النص القرآني خاضعا لهذه الأصول بحيث يفسر قسرا على الإتيان بما تعززه هذه الأصول. وأعجبُ شيءٍ أن صاحب التفسير النظري يراه وحده المراد من قول الله ولا شيء سواه. وأما التفسير الإشاري ليس لصاحبه مقررات فلسفية يرتكز عليها في فهم النص. ولكنه يذهب مذهبا ذوقيا في الاهتداء في المعاني الخفية مع اعترافه بأن مذهبه ليس هو كل ما تتطرق به الآية الكريمة ولكنه بعض ما تشير إليه^(٣).

يبدو من البيان السابق أن التفسير الصوفي النظري يقوم على مباحث نظرية وتعاليم فلسفية وأن التفسير الصوفي الإشاري يقوم على الزهد والتكشف والتفاني في طاعة الله و

(١) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ = ١٨٣٢ - ١٨٩٠ م): من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دلهي. وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. منها بالعربية (نيل المرام من تفسير آيات الأحكام) و (خلاصة الكشف) و (فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء، في التفسير وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٦٨)

(٢) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١٨٩-١٩٠)

(٣) التفسير القرآني، للدكتور محمد رجب البيومي، هدية مجلة الأزهر المجانية- القاهرة، شوال ١٤٢٥ هـ (١٤٢٥ م) (ص. ٦١-٦٣)

أطلق القرطبي أهل هذا الفن من أهل الذوق والعرفان من الصوفية بأهل الإشارة. والصوفية المحققون يقولون إن النصوص محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارة خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك السائرين إلى الله تعالى يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة.^(١)

ومن شروط التفسير الإشاري المقبول:

١. أن لا يكون منافيا يعني أن لا يتنافى الظاهر من معنى النظم الكريم
٢. أن لا يدعي القائل به أنه المراد وحده دون المعنى الظاهر بل لا بد من الاعتراف بالمعنى الظاهر أولاً

٣. أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي

٤. أن لا يكون تأويلا بعيدا سخيلا لا يتحملة النظم الكريم

٥. أن يكون له شاهد من الشرع يؤيده.^(٢)

فمثال التفسير الصوفي النظري تفسيران عربي الذي يتأثر في تفسيره للقرآن بنظرية " وحدة الوجود " التي هي أهم النظريات التي بنى عليها تصوفه، عند ما تعرّض لقوله تعالى في أول سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ... الآية، نجده يقول: ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم - وهو ربكم - وقاية لكم، فإن الأمر نم وحمد فكونوا وقايتة في الذم واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالمين"^(٣)

وللدكتور حسين الذهبي موقف حاسم رافض لنوع التفسير الصوفي النظري حيث يقول «ورأيي الذي أدين الله عليه: أن مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبله مهما كان قائله. كذلك ليس لنا أن نقبل التفسير الذي أسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة وما وراء الطبيعة، والذي جرى عليه ابن عربي وغيره من المتصوفة في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية. لا نقبله على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذي جاء القرآن من أجله وإن كنا نقبله - إن صح - على أنه مما تحتمله الآية ما دام لا يعارض القرآن ولا ينافيه. على أن كل ما جاء من

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، المصدر السابق (ص ٥٦١)

(٢) أنظر روضة الباحثين في مناهج المفسرين، للدكتور فتحي محمد غريب، المصدر السابق (ص ٢١١-٢١٢)

(٣) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٢٥٣)

ذلك لا يعدو أن يكون ظنياً، وقد يظهر خطؤه في يوم من الأيام فكيف نحمل عليه القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» (١)

للعلماء أقوال في التفسيرالإشاري:

قال الزركشي في البرهان كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ [التوبة: ٢٤] إن المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

قال ابن الصلاح في فتاويه وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظر يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس.

وقال النسفي في عقائده النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل البطل الحاد. قال التتازاني في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تتكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة. فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة. (٢)

(١) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٢٥٩)

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، المصدر السابق (ج ٢ ص ٨٣)

ومثال التفسيرالإشاري المقبول تفسيرالآلوسي عند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُم بِالصَّاعِقَةِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥] إلى آخرالآيات بعدها قال ما نصه: « ومن مقام الإشارة في الآيات وإذا قلت يا موسى لن تؤمن الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان فأخذتكم صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي وأنتم تراقبون أوتشاهدون ثم بعثناكم بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله عز وجل وظللنا عليكم غمام تجلي الصفات لكونها حجبت شمس الذات الى آخرما قال ». (١)

ومثال التفسيرالإشاري المرفوض - لأنه شبيه بالتفسيرالفلسفي النظري الذي ذهب إليه ابن عربي ومن نهج بمنهجه حيث لم يجر على المقاصد العربية ولم يأت له شاهد من نص آخر - تفسيرقوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] ذكرالتستري المعنى الطبيعي للآية ثم قال وباطنها الجار ذوالقربى هوالقلب والجارالجنب هو الطبيعة والصاحب بالجنب هو العقل المقتدي للشريعة وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله. (٢)

ومن العلماء من وجه همته إلى التفسيرالظاهر ولم يتعرض للتفسيرالإشاري كالبيضاوي والزمخشري ومنهم من جعل غالب همه في التفسيرالظاهر وتعرض للتفسيرالإشاري بقدركما فعل النيسابوروالألوسي ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسيرالإشاري ومع ذلك فهوأحيانا يتعرض للتفسيرالظاهر كما فعل سهل التستري ومنهم من وجه همته كلها للتفسيرالإشاري ولم يحم حول المعاني الظاهرة كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي ومنهم من أعرض عن الظاهر وجمع في تفسيره بين التفسيرالصوفي النظري والتفسيرالصوفي الإشاري كما فعل ابن عربي. (٣)

ومن أهم الكتب المؤلفة في التفسيرالإشاري

١. تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري

(١) مناهل العرفان، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٨٧)

(٢) التفسير القرآني، المصدر السابق، (ص ٧٠-٧١)

(٣) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، للدكتور فتحي محمد غريب، المصدر السابق، (ص ٢١٣)

٢. حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمى

٤. التأويلات النجمية لنجم الدين داية

٣. عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى

٥. التفسير المنسوب لابن عربى.

(١٠) المنهج التحليلي

بيان الآيات القرآنية بالتعرض لجميع نواحيها والكشف عن كل مراميها ذلك بأن يمضى المفسر فى شرحه للقرآن الكريم مع النظم القرآني على ما هو موجود فى المصحف آية بعد آية سورة بعد سورة متتبعا معاني المفردات للألفاظ قي شرحها ذاكرا ما تضمنته من المعاني فى جملها وما ترمي إليه فى تراكيبها منقبا عن المناسبات بين مفاعلها ذاكرا وجه الربط بين مقاصدها مستعينا على الوصول إلى ما تهدف إليه وتدل عليه بذكر أسباب النزول ومانقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أو عن الصحابة والتابعين مازجا ذلك تارة بما تستنبطه قريحته وتمليه عليه ثقافته وتارة بالأبحاث اللغوية.^(١)

وهذا المنهج من التفسير حيث يقف المفسر أمام كل آية ويقوم بتحليلها تحليلا موسعا مفصلا ويتحدث أثناء التحليل عن مختلفة الموضوعات والمباحث والمسائل فى العقيدة واللغة والنحو والبلاغة وفى الروايات والأخبار والقراءات وفى الأحكام والتشريعات وفى الخلافات والمناقشات والأدلة والبراهين. ويقدم المفسر ثقافة موسوعية متنوعة شاملة. ومن الكتب المؤلفة:

- أ- تقاسير متوسطة الحجم والكم: مثل تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي وتفسير النسفي.
- ب- تقاسير مفصلة أكثر مثل تفسير ابن كثير وتفسير ابن عطية وتفسير أبي سعود وتفسير القاسمي
- ت- تقاسير موسعة كبيرة الحجم مثل تفسير الطبري وتفسير الرازي وتفسير الألوسي وتفسير ابن عاشور.

(١١) المنهج الإجمالي

(١) البداية فى التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص. ١٩)

هو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً وذلك بأن يعمد الباحث إلى الآيات القرآنية على ترتيب التلاوة ونظم المصحف - كما في المنهج التحليلي - فيقصد إلى معاني جملها متتبعاً ما ترمي إليه من مقاصد وما تهدف إليه الجمل من معان. ووضع المعاني في قوالب تستغيثها الجماهير ويديركها من له من العلم زاد قليل وجعلها متصلة بعضها ببعض حتى يكون في تفسير الآيات واضح المعنى جلي المقاصد. (١)

يقف المفسر - على ضوء هذا المنهج - على الإجمال والإيجاز والاختصار بحيث يقوم المفسر بتفسير القرآن الكريم كله لكن يقدم المعنى الإجمالي للآيات بدون توسع أو تفصيل أو تطويل في التحليل.

ومن الكتب المؤلفة:

١. تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي
٢. الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحد النيسابوري
٣. وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف
٤. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن مثنى.

(١٢) المنهج المقارن

بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين وذلك بأن يعمد الباحث إلى جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد ويستطلع آراء المفسرين فيها متتبعاً من كتب في تفسير تلك الجملة من الآيات سواء كانوا من السلف أو من الخلف وسواء كان تفسيرهم من التفسير المنقول أم كان معتمداً على الرأي ويوازن بين الاتجاهات المختلفة والمشارب المتنوعة فيما سلكه كل منهم في تفسيره وما أنتجه في مسلكه. (٢)

يقوم المفسر - في هذا المنهج - بإجراء مقارنات بين عدة مفسرين بحيث يجمع بين تفسيرهم لسورة قصيرة أو مجموع آيات أو موضوع من الموضوعات المتواجدة في القرآن الكريم. وذلك ليتعرق طرق كل من المفسرين في تناول الموضوع ومدى التزامه بمنهجه. وهذه المقارنة لا تشمل تفسير القرآن كله لأن هذا غير وارد وإنما تكون خاصة بسورة قصيرة أو موضوع معين.

(١) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٣٤)

(٢) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق (ص ٣٥)

وأما الحديث والبيان عن المنهج الموضوعي ومنهج التفسير الأدبي الاجتماعي ومنهج التفسير العلمي سيتناولها الباحث بالعرض - باعتبارها من أبرز اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث - على شكل مفصل وموسع نظريا وتطبيقيا في الباب الثالث إن شاء الله .

المطلب الثاني : مناهج التفسير المثيرة للجدل في العصر الحديث

ظل المفسرون منذ القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر يفرعون التفسير وفق المهارة التي يحيطون بها من مختلف المعارف والعلوم والثقافات فتدفعهم مسالك يتميز البعض عن الآخر، فتبرز من خلالها مناهج التفسير العديدة المتنوعة أضفت مكتبات التفسير وعلومه في ربوع العالم الإسلامي حتى جاء العصر الحديث بداية من آخر القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين. وتميز التفسير في العصر الحديث بميزة " التجديد ". ونعني بالتجديد هنا التجديد الصحيح المستمد بالضوابط المنهجية العلمية - المقبولة لدى فحول علماء هذا الفن - المستفيد بالعلوم الحديثة المستوعب لثقافات العصر وقضاياها.

ومن جانبه أن التجديد يشير توسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية وإحسان تنزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة وتفعيلها على حل مشاكل الأمة المعاصرة المتزايدة تعقيدا يوما إثر يوم. لأن النظر في الكلمات أو النصوص - ومن بينها الكلمات القرآنية - خدمة للتأمل الشخصي، فمعناها إذن يتجدد جيلا بعد جيل لا يجمد على حد ولا جيل. وإذا نظرنا في الكلمات القرآنية فإنما نوقد نارا نستدفئ بها ليكون هدفنا من تأملها وتدبرها خدمة النظر في القرآن الذي لا تتقضي عجائبه ولا تنفذ إشاراته الحكيمة، ولا نقدر وجهه من وجهات النظر القديمة - ولكل وجهة هو مولياها - . ولا نعني بالتجديد الخروج من القواعد العلمية المنهجية والانفلات والفوضى والقول في القرآن بدون علم وتحريف الآيات ودلالاتها.

إن الكلمة القرآنية تتجاوز البيئة التي نشأت فيها إذا كان للكلمة تاريخ فللكلمة القرآنية أيضا قدرة مجاوزة لهذا التاريخ ومحاورته، فالقرآن فوق التاريخ والزمان والمكان صالح

فيهما ومصلحهما لا هو مُنتج ثقافي عربي محدد بقيود الزمان والمكان كما زعمته القراءة المعاصرة.

(١) المنهج الأدبي الاجتماعي

وحقا إن حياة تفسير القرآن طويلة خصبة وأنه لايزال قابلا للمزيد من الإيضاح وإعادة شرحه وتقديمه حتى يلتحم بنسيج روح العصر وثقافته وتطوراته. فمهمة المفسر المأمول أن يختار من الآيات الكريمة ما يعالج به مشكلات عصره بعد دراستها بدقة وجادة - وبخاصة في الأحوال الاجتماعية التي كادت أن تتقلب ظهرا على عقب بما جد من محاكاة الذائع في الدول المتقدمة وليس كل ذائع هناك مكروها منبوذا فمنه ما يعطي الثراء الحقيقي ومنه ما ينخر في كيان المجتمع فيريده، وهنا يكون المفسر الجديد بهذا الوصف صمام أمن وأداة إنقاذ، ليس المطلوب منه حينئذ أن يوالي تفسير كتاب الله وفق ترتيبه في المصحف ولكن المطلوب منه أن يتخذ منه دواء لما يرى من الأسقام الاجتماعية. لأن العلاقات البشرية متشعبة ومعقدة مختلفة الأوجه والأشكال وهي تتعدد بتعدد أفراد الجنس البشري ومجتمعاته. وهي قابلة للسمو والانحطاط حسب المصدر الموجه لها. ولا يمكن من النفوس البشرية أن تتطلع إلى مراتب الكمال التي يسعد بها الفرد كما يسعد المجتمع ما لم يكن الارتباط بالله تعالى فهذا الارتباط وحده هو القادر على صرفه عن كل ما يقطعه عن الله في هجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن والارتباط بالله تعالى ليس له سوى طريق واحد وهو القرآن وبيانه المحمدي. ولهذا بعض المفسرين في العصر الحديث - وعلى رأسهم محمد عبده ومن نهج منهجه - ينظر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه ويتعرف على علته حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده توسع في بيانه وشرحه وحث مجتمعه على التزامه قاصدا به الإصلاح الاجتماعي. فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو التفسير الأدبي الاجتماعي.

واعتبر الدكتور حسين الذهبي أن هذا اللون من التفسير يرجع إلى مدرسة الإمام محمد عبده ولكنه يقف نحو هذه المدرسة موقف الناقد البناء يرى محاسنها وعيوبها بموضوعية وتوازن. ومن محاسنها - على حد نظره -

١. أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب فلم يكن منها ما من كثير من المفسرين من التأثير بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعا لمذهبه فيؤول القرآن بما يتفق معه وإن كان التأويل متكلفا وبعيدا.
٢. أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوه التفسير بما شوه به في كتب المتقدمين من الروايات الخرافية المكذوبة التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله فأساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه.
٣. لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم
٤. أبعدت التفسير عن التأثير باصطلاح العلوم والفنون التي زج بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة وعلى حسب الضرورية فقط.
٥. أن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منها أديبا اجتماعيا. (١)
- ويضيف في الوقت نفسه مشددا أن لهذه المدرسة عيوباً، منها:
٦. إن هذه المدرسة أعطت للعقل حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء به القرآن وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب..... كما أنها بسبب الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها وحملت بعض المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن .
٧. طعنت في بعض الأحاديث، تارة بالضعف وتارة بالوضع مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم.
٨. أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يستهان بها. (٢)
- لقد بدا موقف محمد عبده من قضية سحر الرسول صلى الله عليه وسلم يتعارض مع جمهور المفسرين من أهل السنة ويلتقي مع المعتزلة، فقد فرم عنى ﴿ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ

(١) أنظر التفسير والمفسرون، المصدر السابق (باختصار)، (ج ٢ ص ٤٠١-٤٠٢)

(٢) نفس لمصدر (ج ٢ ص ٤٠٣)

﴿ [الفلق: ٤] بقوله « المراد بهم هنا النمامون والمقطعون لروابط الألفة المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمائمهم وإنما جاءت العبارة كما في الآية لأن الله عزوجل أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه. والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر لأنه تحول ما بين الصديقين كما يضل الليل من يسيرفيه بظلمته ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق » (١) ويطيب لنا أن نناقش هذا التفسير الشاذ عن جماهير المفسرين ونعتبره - تفسيراً لأحاد - نري شذوذه من وجوه:

(١) هذا التفسير يخالف من هو أوثق منه من فحول المفسرين الثقات المعتمدين وفي صفوفهم التابعون مثل المجاهد حيث قال في تفسيرها مجاهد: الرُّقى في عقد الخيط، وقال عكرمة الأخذ في عقد الخيط كما ذكر ذلك الطبري في تفسير هذه الآية وكذا ذكره ابن كثير قائلاً: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك يعني السواحر - قال مجاهد إذا رقى رقىين ونفثن في العقد (٢) وفسر العديد من المفسرين بالسواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها - مثل الثعلبي والشوكاني والبيضاوي والألوسي وابن عاشور والقرطبي وفخر الدين الرازي والزمخشري وغيرهم إلا أن الرازي يتعرض احتمال تفسير أخر غير السواحر وذلك " النفاثات النفوس عزيزة إلى عزيزة " وهذا التفسير عزاه إلى أبي مسلم حيث قال « القول الثاني : وهو اختيار أبي مسلم ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ ﴾ أي النساء في العقد أي في عزائم الرجال وآرائهم وهو مستعار من عقد الحبال والنفث هو تليين العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حله سهلاً فمعنى الآية أن النساء لأجل كثرة حبهن في قلوب الرجال يتصرفن في الرجال يحولنهم من رأي إلى رأي ومن عزيزة إلى عزيزة فأمر الله رسوله بالتعود من شرهن كقوله ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] فلذلك عظم الله كيدهن فقال ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٨] واعلم أن هذا القول حسن لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين » (٣)

(١) تفسير جزع ، محمد عبده، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (ص ١٧٩)

(٢) تفسير ابن كثير ، المصدر السابق، (ج ٨ ص ٣٣١)

(٣) تفسير الرازي، المصدر السابق، (ج ١٧ ص ٣١٥)

وفرسيد قطب بالسواحر أيضا إلا أن سحرهن لا يؤثره صلى الله عليه وسلم ورفض الروايات التي تنص تأثيره صلى الله عليه وسلم ولو كانت صحيحة لأنها آحاد بجانب أن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة. والمرجع هو القرآن . والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد. وهذه الروايات ليست من المتواتر فضلاً على أن نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح مما يوهن أساس الروايات الأخرى (١).

ومن هنا تبين أن تفسير محمد عبده في هذا الصدد يخالف جمهور المفسرين ونعتبره شاذاً في التفسير وأحاديثه فيه يصيره ضعيفاً فلا يلتفت إليه.

(٢) عدوله من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بلا مبرر وتعذراً مانع من حمل الآية على الحقيقة. وأشار الزركشي بعض الضوابط لفهم النص في فصل الظاهر والمؤول « وقد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين وهو في أحدهما أظهر فيسمى الراجح ظاهراً والمرجوح مؤولاً » (٢) وهناك ضابط أوضح وأصح « وقد يكون للفظ معنيان حقيقي ومجازي وحينئذ لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر الحمل على الحقيقة » (٣) وكما اشتهر في القواعد "الأصل في الكلام الحقيقة" . إذن لا داعي ولا مبرر لتأويل ﴿ النَّقَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤] بالنمامين والمقطعين لروابط الألفة على حد تفسير محمد عبده. وحمل الآية على غير السواحر خلاف قول أكثر المفسرين وفق ما ذكره الرازي سابقاً لأنه على خلاف ظاهر المعنى وحقيقته.

(٣) إن ماسلكه محمد عبده في تفسير الآية منهج التفسير العقلي مع أن فيها أحاديث صحيحة تفسرها والتفسير بالنقل أحق أن يقدم من التفسير بالعقل لأنه الأصل والمباشر من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحتل المقام الأول في بيان القرآن مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وأما دعوى محمد عبده أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا

(١) في ظلال القرآن، للسيد قطب، دار الشروق- القاهرة، (ط ٣٠) سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١) (ج ٦ ص ٤٠٠٨)

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٢٠٥)

(٣) ضوابط في فهم النص، للدكتور عبد الكريم حامدي، المصدر السابق، (ص ١٣٢)

باليقين ولايجوز أن يؤخذ فيها الظن والمظنون. على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح لا تقوم به عليه حجة. (١) ففيها نظر من عدة وجوه - كما ناقشه الدكتور حسين الذهبي -:

الأول : فإن للعلماء أربعة أقوال في إفادة خبر الواحد العلم

١. يفيد الظن مطلقاً

٢. يفيد العلم بقرينة

٣. يفيد العلم من غير قرينة باطراد

٤. يفيد العلم من غير قرينة لا باطراد

الثاني : إذا جربنا على أن خبر الواحد يفيد العلم أمكن أن تثبت عقيدة وإذا جربنا على أنه يفيد الظن أمكن به أن تثبت به العقيدة إذا احتقت به القرائن - على المختار - لإفادتها العلم حينئذ، ومن هنا جزم ابن الصلاح وغيره بأن أحاديث الصحيحين التي لم تنتقد عليهما تفيد العلم فإن الأمة تلتقتها بالقبول. (٢)

وعلى فرض إفادة أحاديث الآحاد الظن فردها لا يجوز إلا بحال استحالت عملية التوفيق بين هذه الأحاديث بناء على أن القاعدة تنص " الجمع بين الأدلة ما أمكن هو الواجب " والمعروف أن الأصل فيها الإعمال. وإذا رفضت أحاديث الآحاد مطلقاً في باب العقيدة رغم أنها صحيحة فكيف بقول من يرى أن الأحاديث المتواترة غير موجودة؟ حتى يتعطل كل الأحاديث التي تتحدث عن العقيدة؟ إذن العقل القاصر الضعيف يقف مصدراً أولاً لا آخره في بيان العقيدة؟

وهذا الحديث الذي يرده محمد عبده رواه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة وقد أجاب العلماء عن بعض رواية الحديث تنص أنه كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاتِهِ وَلَمْ يَكُنْ وَطِئَهُنَّ بِأَجُوبَةٍ مَقْنَعَةٍ مِنْهَا:

١. أَن هَذَا كَثِيرًا مَا يَقَعُ تَحْيِيلُهُ لِلإِنْسَانِ فِي الْمَنَامِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُحَيَّلَ إِلَيْهِ فِي الْبَقِيَّةِ.

(١) تفسير جزعم، لمحمد عبده، المصدر السابق، (ص ٩١)

(٢) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٤٠٣)

٢. أَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى جَسَدِهِ وَظَوَاهِرِ جَوَارِحِهِ لَا عَلَى عَقْلِهِ أَوْ تَمَيُّيزِهِ أَوْ مُعْتَقَدِهِ .

٣. لَا يَلْزَمُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ أَنْ يُجْزَمَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْخَاطِرِ يَخْطِرُ وَلَا يَثْبُتُ .

٤. الْمُرَادُ بِالتَّخْيِيلِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ نَشَاطِهِ مَا أَلْفَهُ مِنْ سَابِقِ عَادَتِهِ مِنْ الْإِقْتِدَارِ عَلَى الْوَطْءِ ، فَإِذَا دَنَا مِنَ الْمَرْءِ فَتَرَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَعْقُودِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى " حَتَّى كَادَ يُنْكَرُ بَصَرَهُ " أَي صَارَ كَالَّذِي أَنْكَرَ بَصَرَهُ بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا رَأَى الشَّيْءَ يُخَيَّلُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ صِفَتِهِ ، فَإِذَا تَأَمَّلَهُ عَرَفَ حَقِيقَتَهُ . وَيُؤَيِّدُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي حَبْرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ قَوْلًا فَكَانَ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ بِهِ وَخِلَافَةَ الْقَوْلِ أَنَّ السِّحْرَ الَّذِي أَصِيبُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَعْرُضُ لِلْبَدَنِ بَدُونِ تَأْثِيرِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَقْلِ .

(٢) المنهج الأدبي في التفسير

إن الإمام محمد عبده يرى أن الغرض الأول والأهم في التفسير أن يكون محققاً لهداية القرآن ورحمته مبينا لحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح..... فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن. ويرى أمين الخولي^(١) رؤية مخالفة لمحمد عبده حيث يقول " أن المقصد الأسبق والغرض الأبعد الذي يبنني عليه المقاصد المتعددة هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم. وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني دون نظري أي اعتبار ديني.... والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك (٢)

رسم أمين الخولي المنهج الأدبي في التفسير في كتابه " التفسير معالم حياته - منهجه اليوم " حيث يقول « وإذا ما كان وجه الرأي أن التفسير الأدبي لكتاب العربية الأكبر

(١) ولد أمين الخولي سنة ١٨٩٥ م بشوشاي مركز أشمون بمحافظة المنوفية بمصر درس بالأزهر وتخرج في القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٢٠ م عين إماماً للمفوضية المصرية بروما ثم في برلين ولذا ألم باللغتين الإيطالية والألمانية. عاد إلى مصر سنة ١٩٢٧ م ليدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي وفي العام التالي درس في كلية الأدب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) توفي عام ١٩٦٦ م (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٣٤)

(٢) التفسير معالم حياته - منهجه اليوم، أمين الخولي، مكتبة الأسرة - القاهرة، مهرجان القراءة للجميع (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) (ص ٣٤ - ٣٥)

هو أول ما يجب أن يحاوله من لهم بالعربية صلة لغوية أدبية سواء أكانوا عربا أم غير عرب. وإذا ما كان وجه الرأي أن هذا التفسير الأدبي ينبغي أن يتناول القرآن موضوعا موضوعا لا قطعة قطعة، فعلى هذا الأساس يكون منهج التفسير الأدبي إذن صنفين من الدراسة كما هي الخطة المثلى في درس النص الأدبي. وهذان الصنفان هما أ- دراسة حول القرآن. ب- دراسة في القرآن»^(١)

«وأما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ وخاطب أهلها أول من خاطب. فروح القرآن عربية ومزاجه عربي وأسلوبه عربي " قرآنا عربيا غير ذي عوج ". والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي والذوق العربي. ومن هنا لزمّت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية : أرضها بجبالها وحرارها وصحاريها وقيعانها وسماؤها بسحبها ونجومها وأنوائها وجوها بحره وبرده وعواصفه وأنسامه وطبيعتها بجديها وخصبها وفحولها وأثمارها ونباتها وشجرها... الخ. فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين»^(٢)

ودراسة القرآن نفسه وهي تبدأ بالنظري المفردات والمتأدب يجب أن يقدر عند ذلك تدرج دلالة الألفاظ وتأثرها في هذا التدرج يتفاوت ما بين الأجيال وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعية، وعوامل ظواهر الأمة وما إلى ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية^(٣)

ونستطيع أن نجمل خطوات المنهج البياني (الأدبي) في التفسير فيما يلي :
أولا: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض ويتدبرها جميعا ويفسرها كذلك.

ثانيا: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نزولها.

ثالثا: أن يدرس دراسة خاصة ما حول النص كتاريخه وأسباب نزوله وجمعه وكتابته وقراءته وغير ذلك من علوم القرآن.

(١) التفسير معالم حياته- منهجه اليوم، أمين الخولي، المصدر السابق، (ص ٣٨)

(٢) المصدر السابق، (ص ٤٠)

(٣) المصدر السابق، (ص ٤٢)

رابعاً: ثم يقدم دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص البيئة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية والبيئة المعنوية في تاريخ هذه الأمة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها .

خامساً: دراسة النص القرآني في مفرداته وذلك بدراسة:

أ- استعمالات هذه المفردات لغوياً .

ب- دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدولها في كل موضع

سادساً: دراسة النص القرآني في معانيها المركبة، وذلك بطريق العلوم الأدبية من نحو على أنه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده، ومن بلاغة على أنها هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القول في الأسلوب القرآني مع التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة كل منها ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته.

تلكم هي أبرز الأدوات التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير البياني إلا أن هذه الخطوات ظلت مجرد نظرية ولم تخرج بعد دراسة تطبيقية كاملة لهذا المنهج وكل ما صدر من مؤلفات حتى الأمين خولي نفسه إنما هي محاولات جزئية بعيدة من الهدف واعترف هو نفسه بقصوره وعدم قدرته على ذلك قائلاً «وأولى لنا أن نؤثر تقرير هذه الحقيقة على أن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال. فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة. ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيد الزائف»^(١) وإذا كان الأمر كذلك فإن من المؤلفات القليلة لهذا المنهج:

١. من هدى القرآن.....القادة والرسول

٢. من هدى القرآن.....في رمضان

٣. من هدى القرآن.....في أموالهم

٤. من هدى القرآن.....السلام والإسلام

٥. من هدى القرآن.....القسم القرآني

(١) التفسير معالم حياته- منهجه اليوم، أمين الخولي، المصدر السابق، (ص ٤٦)

٦. من هدى القرآن.....القرآن والحياة

٧. من هدى القرآن.....الطغيان في العلم والمال والحكم

٨. من هدى القرآن.....الجندية والسلم

٩. من هدى القرآن.....حكومة القرآن

١٠. من هدى القرآن.....الفن والبيان في القرآن

١١. من هدى القرآن.....شخصية محمد

١٢. من هدى القرآن.....الحكم بما أنزل الله

وكل هذه دراسات للأستاذ أمين الخولي

١٣. التفسير البياني للقرآني الكريم

١٤. مقال في الإنسان (دراسة قرآنية)

١٥. الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية)

١٦. القرآن وقضايا الإنسان

وكلها مؤلفات للدكتورة عائشة عبد الرحمن.

وهذه المؤلفات وغيرها كما قلت ليست إلا تطبيقا جزئيا لهذا المنهج ولازال هذا المنهج بعيدا عن التطبيق الكامل.(^١)

ويدخل الخولي إلى التجديد أو الحداثة بكل معانيها حين يطلب الإفادة من علم النفس وعلم الاجتماع (وربما كان هذان العلمان هما الأقل رواجاً في الدراسات العربية

(^١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المصدر السابق، (ص ١٠٨ - ١١٠)

المعاصرة بمناهجها وأسسها المتعارف عليها). واستعمال هذين العلمين أو الاستعانة بهما في مجال التفسير يقود المفسر فيما بعد لدخول عالم " علم تفسير النصوص " الهرمنيوطيقا - مع احترام خصوصيات النص القرآني - بالمعنى الذي صار إليه هذا العلم في جامعات الغرب ولدى باحثيه. وفيه ضرورة أن يستضيئ المفسر والباحث بعلم النفس ومعرفة حركات النفس البشرية للنص حتى يتبين نسيج النص وصياغته وعالمه فيستطيع تبين كل جوانبها وأكثرها ثم بعلم الاجتماع ليفهم أحوال البشر. وبذلك يفهم طرائق توجه النص إليهم. ولقد تجلّى هذا التوجه بشكل أوضح لدى مدرسة أخرى من الباحثين تحاول ولوج عالم النص القرآني مسلحة بأدوات حديثة من نتائج العلم الحديث في الغرب المعاصر وإن كانت ما تزال تواجه سدا منيعا من المؤسسات. (١)

وقد أثار أمين الخولي بمنهجه التجديدي هذا أوضاع التأثري في تلميذيه له هما:

(١) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي. فقد طبقت منهجه في كتاباتها ودراساتها وفي " الإعجاز البياني للقرآن "، إذ دخلت إلى النص القرآني من باب اللغة وعالمها وكونه يفسر بعضه بعضا لغويا واهتمت بجانب تاريخه اللغة العربية والمفردات القرآنية على وجه الخصوص وهي تستخدم نفس المصطلحات " الخولية " (نسبة للخولي) وتسير على الخطوط التي رسمها وقد نقدت بشدة كما سبقها أستاذها مؤسس المنهج إلى نقد التفسير التقليدي ورموزه، حيث لم يتمكنوا من الغوص إلى أعماق النص اللغوية والتركيبية والبيانية. ٢

(٢) محمد أحمد خلف الله: تلميذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق (٣)، وأحمد أمين (٤)، وطه حسين. إن محمد أحمد خلف الله لم يلج عالم التفسير من باب التفسير ولا بحثا

(١) ملامح التنوير في مناهج التفسير، للدكتور محمود عزب، المصدر السابق، (ص ١٢٣)
(٢) ملامح التنوير في مناهج التفسير، للدكتور محمود عزب، المصدر السابق، (ص ١٢٣-١٣٣)
(٣) مصطفى بن حسن بن أحمد عبد الرزاق: (١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٤٦ م) باحث في الشريعة والادب. كان وزيرا للاوقاف، ثم شيخا للازهر. من أسرة (عبد الرزاق) المعروفة في (أبي جرج) من قرى (المنيا) بمصر. ولد بها، وتخرج بالأزهر، وتلمذ للشيخ محمد عبده، وأكمل دراسته في باريس وليون. وعاد إلى القاهرة سنة ١٩١٦ فعين سكرتيرا عاما لمجلس الأزهر فمفتشا بالمحاكم الشرعية فأستاذًا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب. وأسندت إليه وزارة الاوقاف (سنة ١٩٣٨) ثم عين شيخا للجامع الأزهر (سنة ١٩٤٥) واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) و (فيلسوف العرب والمعلم الثاني) في سيرة الكندي والفارابي، و (الدين والوحي والاسلام) وغيرها. (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٣١)
(٤) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م) عالم بالادب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين). قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة ١٩٢١ وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وانتخب عميدا

عن التفسير ولكنه كتب ما كتب في إطار دراسة أدبية، ولم لا وأستاذه أمين الخولي يرى في القرآن ضمن ما يرى " كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم " (١)

وفي عجلة العرض عن منهج التفسير الأدبي يدرك الباحث عن ملامح هذا المنهج التفسيري وطرقه وأسلوبه في التفسير فيبدو للباحث أن يقف معه وقفات من التعليق أو النقد من وجوه :

١- من حيث المنهج لا تلتزم هذه المدرسة الخولية - إن صح التعبير - بالترتيب التفسيري الذي رسمه علماء علوم القرآن وذلك أن أول ما يجدر أن يفسر القرآن هو القرآن نفسه ثم تفسير القرآن بالحديث ثم بأقوال الصحابة أو التابعين. وإن أعوز ذلك للمفسر لجأ إلى اللغة العربية. وما نهج به الخولي ليس على الترتيب التفسيري المعتبر لدى علماء الفن بل ركز وربما يقدم في تفسير الآيات بالتفسير الأدبي باعتباره أول وأسبق كل أغراض التفسير للقرآن الكريم. ويرى الباحث أن ما نهج به الخولي ليس من باب التفسير ولا بحثا عن التفسير ولكنه يغوص في أعماق دراسة القرآن في إطار دراسة أدبية يحتمل أن يغيب من خلال دراسته الغرض الأسمى من كشف معاني القرآن وهو استقاء هدى القرآن من منهل العميق.

٢- قد اصطلح الخولي القرآن " بكتاب العربية الأكبر " . يرى الباحث أن هذا الاصطلاح المحدث غير دقيق ويبعد من الصحة لأسباب:

٣- لا يعرف من القرآن والسنة، وكما هو معروف أن ما شاع وذاع ذكره فيهما إضافة الكتاب إلى الله لا إلى غيره (كتاب الله). قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١] وقال أيضا ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:

لها (سنة ٣٩) وعين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة ٤٧) واستمر إلى أن توفي. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد. ومنحته جامعة القاهرة (سنة ٤٨) لقب (دكتور) فخري. وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفا وإفاضة. ومن تأليفه المطبوعات: (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام) و (يوم الإسلام) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٠١) (١) ملامح التنوير في مناهج التفسير، للدكتور محمود عزب، المصدر السابق باختصار، (ص ١٢٦)

٢٣] وهكذا في كثير من الآيات القرآنية التي تنص بصراحة أن القرآن كتاب الله . وذكر في الحديث ((وَيَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ الحديث بطوله)) (١) وروي عن الزهري قال سمعت علي بن الحسين سئل عن القرآن فقال ((كتاب الله وكلامه)) (٢) وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة مما لا يحصيها العدد.

٤- إضافة الكتاب إلى العربية تشعرياً إلى تنزيل القرآن منزلة الكتب الأخرى من حيث المصدر والمضمون والأثر فلا فرق بين هذا وذاك ويترتب على أن كلماته مثل النصوص الإنسانية العادية التي لا تكمن إعجازاً وتقديساً. وهذا واضح في قوله - كما سلف الذكر - « وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني دون نظري إلى أي اعتبار ديني والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف غير متأثر بأي اعتبار »

٥- لا ينطق به ألسنة المتخصصين المعتبرين في علوم القرآن قديماً وحديثاً إلا هو و من نهج نهجه.

٦- يركز في تفسيره إلى الجانب الفني الأدبي قبل أي اعتبار آخر وومن جانبه يصرح أن تفسير القرآن أدبي محض غير متأثر بأي اعتبار ديني. ومن هنا يبدو أنه يعامل تفسير القرآن معاملة تفسير نص أدبي ونصوص الشعر العربي بدون نظر أنه تنزيل إلهي أو نص ديني مقدس. وهذه الفكرة يعتبرها الباحث في منتهى الخطورة للغاية.

٧- إذا كان المقصد الأول جانب الفن الأدبي للقرآن يسوق التفسير إلى وضع صعب في كشف معانيه وبيان مراميهِ لاسيما عوام المسلمين لأن فنون الأدب لا يدركها إلا الخواص بكم ضئيل. ولذا يعترف قصور نفسه عن تفسير القرآن بجميعة.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي- في كتاب الجمعة الباب تخفيف الصلاة والخطابة-، للأمام النووي ، تخريج: محمد عبد العظيم، (ج ٥ ص ١٠٧٧)

(٢) ونصه التام : وأخبرنا أحمد قال أخبرنا أحمد قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني هارون بن حاتم الملاي قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذيب عن الزهري قال سألت علي بن الحسين عن القرآن قال كتاب الله وكلامه . (اعتقاد أهل السنة لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة - الرياض ، سنة (١٤٠٢ م) (ج ٢ ص ٢٣٧) و(السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم - الدمام، (ط ١) ، سنة (١٤٠٦ م) (ج ١ ص ١٥٣)

٨- أن الغرض الأسمى للقرآن هداية للناس وتبصيره إلى صراط الحياة المستقيم قال الله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهكذا ينص كثير من الآيات التي ضاق المقام عن ذكرها بأسرها.

(٣) منهج الهرمنيوطيقا

برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة دراسة القرآن من المناهج الغربية وعرفت في أوساط الأكاديمية بـ " القراءة المعاصرة " ومن أبرزها ما يسمى بمنهج الهرمنيوطيقا (Hermeneutic) وتعريفها في اللغة قيل مشتقة من كلمة يونانية Hermenion يعني التفسير والشرح والترجمة وقيل مشتقة من Hermes . وهي عند اليونانيين رسول الآلهة في منظومة الأسطورة اليونانية. ومفهومها في الاصطلاح علم يبحث عن فهم النص بشكل عام من حيث طبيعته وعلاقته بمحيطه من جهة وعلاقته بمنشئه وقارئه من جهة أخرى (١) وفي الموسوعة البريطانية في عددها الخامس عشر الصادر عام ١٩٨٥م إن الهرمنيوطيقا هي دراسة القواعد العامة لتفسير الكتاب المقدس وأن الهدف الأساسي من الهرمنيوطيقا ومناهج التأويل لليهودي والنصارى عبر تاريخهم هو اكتشاف الحقيقة والقيمة من الكتاب المقدس (٢).

الهرمنيوطيقا في صورتها التي تبلورت فيها ووصلت إليها في " فلسفة الأنوار " الأوروبية الوضعية - في القرن الثامن عشر الميلادي - والتي هي انبعاث متطور للتأويل الذي عرفه الفكر الغربي منذ العصر اليوناني. هذه الهرمنيوطيقا قد بلغت إلى الغلو إلى الحد الذي حكمت فيه بموت الإله - تعالى الله - عن ذلك في تأويل النصوص المقدسة لدى اليهود والنصارى... وبموت الكاتب والمؤلف في النصوص الأدبية والفنية وبالقطيعة مع المعنى الذي وإحلال الدلالة أي عالم القارئ وكيونته وفهمه الذاتي محل

(١) خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن الكريم (عرض ونقد)، فهمي سالم زبير، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر - القاهرة، سنة (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) (ص ٢٨ - ٢٩)
(٢) الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica)، العدد ١٥ (ج ٥ ص ٨٧٤)

مقاصد الكاتب والمتكلم وحكمت أيضا " بالتاريخية - والنسبية " على عالم المؤلف ونفسيته وملابسات خطابه ومقاصده والمعاني التي أودعها النص الذي أبدعه.(^١)

ولقد فتحت الهرمنيوطيقا باب الغلو في التأويل على النحو الذي لم يعد هناك في نص من النصوص معني ثابت، وأصبح بإمكان القارئ أن يستخرج من النص دلالة ليست ما قصدتها المؤلف حتى ولو كانت الدلالة من إسقاط القارئ... فقارئ النص بعد أن حل محل المؤلف وحكمت له الهرمنيوطيقا بموت المؤلف ونسخ مقاصده والمعاني التي أودعها النص الذي أبدعه. هذا القارئ لم تعد قراءته توجهها إلى مقاصد المؤلف وإنما أصبحت إنتاجا جديدا لدلالات جديدة تضع القارئ وكيئونة عالمه المعيش في دلالات النص بدلا من أن تضع معاني النص أمام القارئ الذي يتلقاه.

وهكذا تم في الهرمنيوطيقا تأليه القارئ والحكم بموت المؤلف وموت المعاني والمقاصد التي قصد إليها المؤلف ونسخ القيم والأحكام التي حملها التراث وتحويل النص الذي كاد أن يموت هو أيضا عند ما جرد من مضامينه الأصلية إلى أداة في يد الفهم الذاتي للقارئ تتعدد دلالاته بتعدد القراء دون أن تكون هناك دلالة صحيحة من بين الدلالات التي تتعدد بتعدد القراء والقراءات فالنص الواحد هو نصوص متعددة بتعدد القراء الذين ينتجونه في غيبة المؤلف دائما وأبدا.(^٢)

إن نشأة الهرمنيوطيقا في الغرب مرتبطة أساسا بمشكلات تواجه المسيحيين لفهم كتابهم المقدس ثم حاول علماء الغرب ومستشرقيه أن طبقوا في دراستهم القرآنية منذ القرن التاسع عشر الميلادي ومن صفوف هؤلاء: أبرهم جيجر (Abraham Geiger) (١٨١٠-١٨٧٤م) وغوستاف فايل (Gustav Weil) (١٨٠٨-١٨٨٩م) وويليام موير (William Muir) وثيرودور نولدكه (Theodor Noldeke) (١٨٣٦-١٩٠٥م) وعدد كثير من المستشرقين وعلماء اللاهوت اليهودي والنصارى. ومن

(^١) قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق- القاهرة، سنة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) (ص ٧)

(^٢) قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، المصدر السابق، (١٦-١٧)

أبرز المفكرين الشرقيين الذين طبقوا منهج الهرمنيوطيقا في ساحة التفسير الدكتور محمد أركون والدكتور نصر حامد أبو زيد^(١)

ومن هنا نرى أن الهرمنيوطيقا من حيث النشأة والمصدر والمنهج ليس أصيلا من التراث الإسلامي وإنما هي وافدة من مناهج التفسير والتأويل الغربية متسللة في الدراسة القرآنية واعتبرها العلماء أنها دخيل في التفسير كتسلل الإسرائيليات في التفسير تماما سواء بسواء بل ربما هي أخطر عند ما وصلت إلى نظرية تاريخية القرآن (نص تاريخي) وإنسانيته وموت مؤلفه - على حد افتراضهم - وعدم ثبوتية المعنى وقطعيته لأن المعنى أو الدلالة ينقلب إلى المغزى الذي يتحرك (ديناميكية المغزى) ويتحدث الدكتور نصر حامد أبو زيد « إن القرآن خطاب تاريخي لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا... إن هيرش (الناقد الأمريكي) يقيم تفرقة بين المعنى (meaning) والمغزى (significance) ويرى أن مغزى النص الأدبي قد يختلف لكن معناه ثابت ويقول مشددا إن الثابت هو المعنى الذي يمكن الوصول إليها من خلال تحليل النص أما المتغير هو المغزى إن المغزى يقوم على أنواع من العلاقة بين النص والقارئ أما المعنى قائم في العمل نفسه... وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادمر (Gadamer) بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي نقطة بدء أصيلة للنظر في علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن الكريم منذ أقدم عصوره حتى الآن»^(٢)

وفي الحقيقة أن الحديث عن الهرمنيوطيقا على شكل مبسط يحتاج إلى رسالة خاصة لطول البحث فيها وتشعبها وتعقيدها لا يسع المقام لتناولها تماما في هذه الرسالة. ومن تصور سريع فيما قدمناه من الحديث عنها يبدو للباحث تعليقات تالية:

(١) ولد نصر حامد أبو زيد بقرية قحافة من ولاية طنطا في شهر يوليو سنة ١٩٤٣ م . وفي سنة ١٩٦٨ م التحق بكلية الأدب في جامعة القاهرة وعين فيها أستاذا في قسم اللغة العربية. كان أستاذا محاضرا في جامعة الخرطوم بالسودان وعمل أستاذا في جامعة أوزاكا باليابان ومن نتائجه الفكرية : (مفهوم النص في علوم القرآن) (التفكير في زمن التكفير) (الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية وغيرها) أثار كتابه مفهوم النص في علوم القرآن جدلا واسع النطاق فكان بداية الضجة التي انتهت إلى المحكمة المصرية باتهام الردة. غادر مصر سنة ١٩٩٥ م ويقيم حاليا في هولندا حيث يعمل أستاذا في جامعة ليندن (خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن الكريم - عرض ونقد- ، فهمي سالم زبير، المصدر السابق، (ص ١٣٥)
(٢) إشكاليات القراءة وآيات التأويل، للدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي- بيروت، (ط ٦)، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) (ص ٤٨)

إن الهرمنيوطيقا من الدخيل في دراسة القرآن الكريم وهي بمثابة الإسرائيليات لدرجة أنهما صادرتان من ثقافة اليهود والنصارى فإن حذر كثير من العلماء - قديما وحديثا - من خطورة الإسرائيليات في مجال التفسير فإن الحذر كل الحذر من الهرمنيوطيقا أجدروأشد وذلك لعدة الأسباب:

١. الهرمنيوطيقا علم فهم النص للكتاب المقدس (Bible) الذي كتبه الإنسان حصيلة التحريف للتوراة والإنجيل مع أن مميزات القرآن الكريم كتنزيل إلهي تختلف مع الكتاب المقدس على الإطلاق سواء كانت من ناحية المصدر والمنشأ والأسلوب واللغة والمضمون والهدف. فلا يقاس القرآن بالكتاب المقدس حتى يطبق منهج تفسيره في تفسير القرآن الكريم لأن القياس مع الفارق باطل غير علمي.

٢. حكمت الهرمنيوطيقا بموت المؤلف أوموت الإله - تعالى الله - عن ذلك. فمن هذا المنطلق يتناقض أساسا وفي أول وهلة مع مبادئ القرآن وتعاليمه.

٣. نظرية تاريخية النص (تاريخية القرآن) بمعنى أن للقرآن تاريخه حين نزوله في وضع معين وسبب معين وقضية معينة فلا يمكن فصله عن تاريخه، والذي يتحكم في القرآن هو التاريخ والواقع. وهذه النظرية تصدر من نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الدين الإسلامي من صنع خالق الكون وأن القرآن تنزيل رب العالمين. ونضيف أن نزول القرآن لسبب ثلة قليلة في القرآن الكريم وأكثره نزل ابتداء دون سابق حادثة أو سبب بجانب أن القاعدة المشهورة المعتمدة عند الجمهور " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " ورسالة القرآن رسالة خالدة عالمية لا تقتصر على زمان واحد ولا مكان خاص ولا جيل معين قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال أيضا ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] فكان لزاما أن يحرر القرآن من قيود الزمان والمكان ومن ضغوط الوقائع.

٤. لقد عنى علماء اللاهوت اليهودي والنصارى بدراسة الكتاب المقدس دراسة نقدية (Biblical Criticism). ومن هنا ندرك أن الهرمنيوطيقا لا يتناسب مع علوم القرآن القاطعة بعدم قابلية القرآن للنقد من جميع نواحيه.

٥. الهرمنيوطيقا ترسم بنظرية تحرك المغزى (ديناميكية المغزى) فلا قطع ولا ثبات فى مغزى النص وهذا فى جهة معاكسة بالنسبة للقرآن لدرجة أن فيه كم كبير من القطعيات والمحكمات التي لا تتحرك ولا تتغير من حين إلى آخر. ومن المقرر أنه يلزم فى التعامل مع القرآن أن يلاحظ المفسر عن الثوابت والمتغيرات والقطعيات والظنيات والمحكمات والمتشابهات فالثوابت والقطعيات لا تتغير معانيها بتغير الزمان والمكان فلا يمكن أن يطبق على ذلك ديناميكية المغزى حتى تتغير معانيها بتغير الظروف والزمان والمكان وحتى تتعدد بتعدد مفسريها وقارئها.

٦. تعطي الهرمنيوطيقا حرة واسعة كل قارئ أو مفسر أن يفسر القرآن بدون اعتبار كفايته وأهليته للحديث عن التفسير ويمكن للقارئ أن يستخرج من النص دلالة ليست ما قصد إليها المؤلف فقارئ النص بعد أن حل محل المؤلف وحكمت له الهرمنيوطيقا بموت المؤلف ونسخ مقاصده والمعاني التي أودعها النص الذي أبدعه يبدو في هذا الموقف تأليه الإنسان كأنه أعرف من الله في كشف معاني القرآن الكريم.

وهناك عديد النقاط من المشكلات والمغالطات والاضطراب عندما تستخدم الهرمنيوطيقا منهجا وأداة لتفسير القرآن. وهذه المشكلات والمغالطات تظهر في نتائج التفسير وحصيلته في الوقائع والحوادث. وعلى سبيل المثال: قالت أمينة ودود- أستاذة أمريكية روجت منهج الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن - « إن القرآن قد قال ﴿ وَلِبَاسِ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] بمعنى أن الزي ينبغي أن يكون زي أدب وحشمة ووقار ولم يفصل القرآن الكريم في شكل ذلك الزي غير أن المفسرين جاؤوا بزي نسائي معين ترتديه العرب في القرن السابع الميلادي زاعمين على أن هذا هو الزي الشرعي وهكذا جعلوا زيا معيناً في منطقة معينة وفي عصر معين جعلوه زيا عالمياً لكل العصور وهذا إلزام للقرآن والمسلمين بما لا يلزم اتباعه من الظواهر الثقافية والاجتماعية

التي يمكن أن تعتبر تجليا لمفهوم التقوى في مجتمع معين وفي زمان معين ولكن ليس على نحو مطلق أبدي. وفي نسيج أخرمتصل بما سلف الحديث عنه من أجل الكفاح للنهضة النسائية قالت تعدد الزوجات أبيض لصيانة اليتامى لقوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء: ٣] وهو إن أبيض في وقت التنزيل لأن المرأة في حاجة إلى من ينفق عليها فقد انتقى هذا الآن. وصرخت بأطروحة ودعوة معلنة لإمامة المرأة وخطبتها وتخصيص مساجد للنساء فقط يصلين فيها ويقمن بالإمامة والأذان تأتي بذلك تحت شعار حصول المرأة على كافة حقوقها وتحقيق المساواة مع الرجال (١).

ومن مثل هذه التفسيرات المنحرفة الخارقة المناهضة لما سلك بها جمهور الأئمة وتتصادم مع عدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كفى بها ردا ورفضاً لأن ذلك واضح الدلالة في خدمة المطالب الغربية التي ترد كل يوم من أعداء الإسلام في الخارج أو من خلال أعوانهم في الداخل والتي تستهدف دائما على عقل المرأة وزعزعة استقرارها ودس السموم الفكرية بصورة خفية مبرمجة ومدروسة وإثارة حالة من البلبلة بين المسلمين وشغلهم عن قضاياهم الرئيسية.

(٤) المنهج التاريخي

المنهج التاريخي يعتبر أن تفسير النص يجب أن يكون مرهونا بتاريخه ويجب أن يكون ساكنا هناك لحظة ميلاده فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه. وهذا المنهج يصدر عن وحاول البعض بناء على فكرة المنهج التاريخي إصاق النص بالتاريخ لتسوية التخلي عنه فأصبح التاريخ أكثر تناولا بالتفسير من كشف معاني النص القرآني (٢). وذهب بهذا المنهج محمد أركون المفكر الجزائري سابقا منذ الثمانينات وكذلك نصر حامد أبو زيد وعلى أيدهما اشتهرت نظرية مشهورة " تاريخية النص " التي تبدو جذورها من المناهج الغربية في فهم النصوص. واعتبره الدكتور محمد عمارة تفسيرا ماركسيا حتى عنون كتابه باسم " التفسير الماركسي للإسلام " ردا لنظرية نصر حامد في

(١) أنظر المناهج المعاصرة في القرآن الكريم وتأويله، للأستاذ عبد الرحمن الحاج إبراهيم، موضوع البحث " الهرمنيوطيقا التي قادت إلى إمامة المرأة " في الشبكة الإسلامية (Islamweb) : سنة ٢٠٠٢
(٢) مجلة رسالة المسجد، العدد الأول، جمادي الثانية ١٤٢٤ هـ (ص ١٥)

تفسير القرآن. وهذا المنهج من أحد العناصر والاتجاهات لمنهج الهرمنيوطيقا الذي ذكرناه سابقا.

ويرى الباحث أن هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان من صنع الله تعالى ويعتبرها إنشاء إنسانيا وذلك لأن الإنسان يتحكم في التاريخ بشكل كامل وبالمقابل كان تقييم المناهج الغربية وجدواها في دراسة القرآن الكريم دائما غير موضوعي لأنه كان يرتبط بالنتائج الكارثة لتلك الدراسات وهذا ما يبرر الحساسية - الخوف الدائم والمستمر - من استخدام تلك المناهج في دراسة القرآن إذ ينظر تلقائيا بأنها رغبة علمانية وليست علمية. وسبق رد الباحث منهج الهرمنيوطيقا ومن مثل هذه الفكرة الشاذة مشيرا بأن القرآن لا يتقيد عن أي تاريخ أو زمان أو مكان بل يلزم تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان.

المبحث الثاني

منهج التعامل مع القرآن الكريم في العصر الحديث

المطلب الاول : الخطوات المتدرجة في التعامل مع التفسير في العصر الحديث.
يجدر لمن وقف أمام القرآن لقراءته وفهمه وتفسيره أن يعرف كيف يتعامل معه ويتعايش به فعليه أن يتبع خطوات متدرجة واضحة ومراحل متتابعة يمكن تصويرها بالخطوات التالية:

(١) الثقة المطلقة للنص القرآني

القرآن كلام الله ولا بد أن ينظر له على أنه كلام الله ويتم التعامل معه على أنه كلام الله ويوثق به على أنه كلام الله ويسلم به ويصدق به على أنه كلام الله وهو الحق المطلق والصدق المطلق. وموقف القارئ من القرآن هو التسليم التام والثقة بنصوصه والتصديق الجازم بمعانيه وحقائقه ودلالاته فما قاله فهو الحق وما قرره فهو الصدق وما أشاره ووجهه إليه فهو الخير والرشاد، وما أمر به فهو الهدى والسداد وما نهى عنه هو الشر والفساد. فهذا القرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن التزم به استقام، ومن تذكر به اطمئن ومن وثق به اهتدى ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

وكيف يمكن لمسلم أن يتشكك في معانيها ومقرراتها وحقائقها أو يتخير ما شاء من أحكامها ومبادئها أو ينظر القرآن أبعد من ذلك بأن يجعل عقله البشري القاصر فوق كلامه تعالى أو ندا له وأن يعمل في نصوص القرآن بالتأويل المنحرف عن الجاد أو التحريف أو التعطيل المفرغ عن قيود النصوص ذات السلطة والنفوذ الفكري والاجتماعي. فعلى القارئ المنصف المتوازن أن تكون نظرتة للقرآن وتعامله معه محكوما وفقا لقوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

ومن بعض مضامين القرآن الكريم أخبار المغيبات مثل الملائكة وإبليس والشياطين والجن وما إلى ذلك من السمعيات التي أنكرها العقول الملحدة، وتسبيح كل من في الكون، فيجد لقارئ القرآن من أهل الإيمان أن يثق ويصدق في ذلك، وكذا جميع أوامره ونواهيه وقصصه وأمثاله رغم محاولة التشكيك الذي احتضنته الغرب عن طريق المستشرقين المستغلين بأخطار الوسائل الفكرية، ومنها:

١. التشكيك في مصادر الدين الإسلامي وصحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

٢. إلقاء الشبهات حول أحكام الإسلام ومصادرها

٣. المغالطات

٤. تزيين الأفكار البديلة

٥. افتراء الأكاذيب واختراع التعليقات والتفسيرات الباطلة

٦. التلطف في دس السموم الفكرية بصورة خفية ومتدرجة حتى يبتلعها المغزؤون وهم

لا يشعرون.^(١)

(٢) النظرة الكلية الشاملة للقرآن

القرآن كتاب شامل ومنهاج حياة متكامل وله مهمة واقعية مطردة حية ورسالة حضارية عاملة ووجود وتأثير مستمرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى القارئ الذي يريد أن يحسن التعامل مع القرآن أن لا ينظر له نظرات جزئية فرعية، وفي هذا

(١) التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق، للدكتور ذكي عوض وعبد القادر سيد عبد الرؤوف، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) (ص ١٤٢)

الإطار قال الدكتور يوسف القرضاوي^١ « القرآن وحدة لا تتجزأ وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكامة بين بعضها وبعض ما يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسم الواحد، فبعضها يؤثر في بعض ولا يجوز أن يفصل جزء أو أكثر منها عن سائر الأجزاء»^(٢)

وهذا كتاب جامع يستوعب العلوم والمعارف والثقافات عند آخرين وتضمن أرقى أساليب البيان والبلاغة والفن وحوى أخبار الماضين وقصص السابقين وأحوال العالمين وهو كتاب للفقه والأحكام واللغة والآداب والفكر والخيال. ومن هنا أصبح بعض الباحثين في القرآن يقسمه إلى موضوعات ويبحث عن مفرداته وعباراته وإشاراتِه إلى كل موضوع منها فهذا يبحث عن قصص القرآن والآخِر عن غيوبه والثالث عن علومه أو عن تشريعاته أو إشاراتِه إلى التاريخ أو علم النفس أو الإدارة أو الثقافة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك ومنهم من يبحث في مصطلحاته ومفرداته كالصبر والصلاة والتقوى والخلافة والدعاء والحكم والجهاد وغير ذلك. ومن يريد النظرة الشاملة لما في القرآن يلزم أن ينظر في الآيات التي تعرض صفاته وسماته والتي تشير إلى طبيعته ورسالته ومهمته، ثم يلتفت إلى نظرة الصحابة له - نظرة كلية شاملة - ليعرف كيف يتعامل معه. النظرة الكلية الشاملة للقرآن هي المفتاح الأول للتعامل معه وهي المنطلق الأساسي لفهمه وتدبره والتلقي عنه وسيجد فيه هذا الناظر البصير ما يبحث عنه الآخرون من موضوعات وأمور جزئية يجدها في أثناء التعامل معه. فتكون نظرة ثانوية مكملة لهذه النظرة تزيدها مكاسب وعلومًا ومعارف.

(١) ولد الدكتور يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وهي قرية عريقة دفن فيها آخر الصحابة موتاً بمصر، وهو عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي، كما نص الحافظ بن حجر وغيره، وكان مولد القرضاوي فيها في ١٩٢٦/٩/٩م وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره. التحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأنتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية وكان دائماً في الطليعة، وكان ترتيبه في الشهادة الثانوية الثاني على المملكة المصرية، رغم ظروف اعتقاله في تلك الفترة. ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالمية سنة ١٩٥٢-١٩٥٣م ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة. وفي سنة ١٩٥٨م حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب. وفي سنة ١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين. وفي سنة ١٩٧٣م حصل على (الدكتوراة) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، عن: "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية". (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ج ١ ص ٣٧٠) موقعه: <http://www.qaradawi.net>

(٢) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق- القاهرة، (ط ٦)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) (ص ٤٤٦)

وهذه نظرية شاملة للقرآن الكريم ككل، وهناك جانب آخر وهو نظرية وحدة موضوعية للقرآن كسورة - وقد تعرضنا في الدراسة سالفة الذكر في " مميزات التفسير في العصر الحديث " على شكل موجز للغاية- برزت نظرية وحدة موضوعية على ساحة الدراسة القرآنية في العصر الحديث كفن مستقل بارز يتسم سمة العصر ويقدم مخاطبة المثقفين المعاصرين بيد أن من القدماء يلاحظون بها وفق ما نصه الدكتور محمد محمود حجازي " فقديمًا قال الأئمة إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره ويتراعى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة وأنه لا غنى عنه لمستفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك عن أجزاء القضية. إن السورة القرآنية احتوت على معان كثيرة بعضها متعلق ببعض في وحدة تامة، لأنها تعتبر قضية واحدة نازلة لغرض خاص، فلا محيص لمن أراد الفهم أن يردَّ آخر الكلام إلى أوله، وأوله على آخره. فإن من يفرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تمامًا عن غيرها ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة وفي هدفها العام لا يحصل إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط لا بحسب الأعلى للمتكلم (١)

(٣) الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن

ومما لا بد لمن يلم للقرآن الكريم أن يراه رؤية بصورة ملحوظة على أغراض القرآن الأساسية وأهدافه الرئيسية ومقاصده العامة من أجل تحقيق آثاره و نتائجه المنشودة في هداية الناس كفرد أو مجتمع أو كأحد المخلوقات في الكون. وتلك الأهداف لا تكاد تخرج عن أربعة محاور:

١. الهداية إلى الله سبحانه وتعالى

الهداية الرشيدة الأصلية الهادفة القاصدة الواصلة هي الهداية الشاملة للفرد بكل كيانه ومشاعره وأحاسيسه وجوانب حياته والهداية الشاملة للأمة بكل أفرادها ومرافقها ومجالاتها والهداية الشاملة للإنسانية كلها، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دار التفسير- الزقازيق، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) (ص ٤٣)

[١]. وفي سياق متصل أن القرآن روح كل عصر يحي حياة البشرية والعالم كما يحي الروح الجسد وما له جسد انفصل عنه الروح فلا معنى و لا اعتبار لذاته وقد أضاء بذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥١]

وقد أحسن الثعالبي في تفسير الآية قائلاً « وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا . . . ﴾ الآية ، المعنى : وبهذه الطرق ، ومن هذا الجنس أوحينا إليك أي بالرسول والروح في هذه الآية القرآن وهدى الشريعة سماء روحاً من حيث يُحيي به البَشَرَ وَالْعَالَمَ كَمَا يُحْيِي الْجَسَدَ بِالرُّوحِ فَهَذَا عَلَى جِهَةِ التَّشْبِيهِ »(٢).

٢. إيجاد الشخصية القرآنية المتكاملة المتوازنة

كان واقع الجاهلي يضيع فيه النفوس وتفنى فيه العقول تعطل فيه المدارك والحواس ف جاء القرآن يأخذ يد التائهين فيه بتدرج لينقذه من ظلمات الجهل إلى نوره الذي أضاء شخصية كل إنسان في عقيدتهم وأفكارهم وسلوكياتهم. يغرس الإيمان في النفوس ويرشد لها الخير والصلاح ويمدها بالوسائل والمناهج التي تعينها على رسالتها وتساعدتها على الاستمرار في أدائها ويضع في يديها من القواعد والأسس ما يمكنها من العطاء والإبداع. وقد نجح القرآن نجاحاً بارزاً في تحقيق الهدف في حياة الصحابة الكرام الذين كان الواحد منهم قرآنيا يعيش بالقرآن كما أنتج في العصور اللاحقة رجالاً قرآنيين في صفاتهم الإسلامية القرآنية. وما زال القرآن جاهزاً وقادراً بإذن الله على العطاء المتواصل في فترة زمنية قادمة إلى ما لا نهاية لها ومستعداً لأداء هذا الهدف وتحقيق هذا الغرض بشرط أن لا يلحظ القارئ فيه هذا وأن يلتفت إليه وأن يحسن التعامل معه والتلقي عنه. وأن يتجاوب معه في الإيجاد والتنشئة والتربية لقد صدق الله العظيم إذ يقول ﴿ أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، (ط ٤)، سنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) (ص ٧٨)

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الثعالبي، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (بدون تاريخ) ج ٥ ص ١٦٩-١٧٠

فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأنعام : ١٢٢]

وكل واحد من شخص مسلم كفرد من أفراد المجتمع أساس بنيان المجتمع المنشود من الجميع إذا صلح كل شخص من أفراد صلح المجتمع وإذا صلح المجتمع يترقى البشرية إلى مستوى الحياة الأفضل تعزز حيالها بالكرامة الإنسانية التي يهدفها القرآن. وفي هذا الصدد يرسم الدكتور محمد عبد الله دارز قائلاً « الفرد هو اللبنة في بناء المجتمع وهو عضو مؤسس في العلاقات العامة فهل عرف الفرد الإنساني ماله في دستور الإسلام من منزل عزيز كريم إن الكرامة التي يقرها الإسلام للشخصية الإنسانية. ليست كرامة مفردة ولكنها كرامة مثلثة كرامة هي عصمة وحماية وكرامة هي عزة وسيادة وكرامة هي استحقاق وجدارة وكرامة يستغلها الإنسان من طبيعته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] وكرامة تتعدى بعقيدته ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] « (١)

٣. إيجاد المجتمع القرآني العريق

إن العلاقات البشرية متشعبة معقدة مختلفة الأوجه والأشكال وهي تتعدد بتعدد أفراد الجنس البشري ومجتمعاته وهي قابلة للسمو والانحطاط حسب المصدر الموجه لها. ولا يمكن للنفوس البشرية أن تتطلع إلى مراتب الكمال التي يسعد فيها الفرد كما يسعد المجموع ما لم يكن الارتباط بالله تعالى هو مصدر الإلزام في كل ما يصدر عن الإنسان فهذا الارتباط وحده هو القادر على صرفه عن كل ما يقطعه عن الله عزوجل فيهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن. والارتباط به تعالى ليس له سوى طريق واحد هو القرآن وبيانه المحمدي. والقرآن يقدر على إيجاد مجتمع قرآني وهو المجتمع المكون من الأفراد القرآنيين - الذين أنشأهم القرآن - بناء هذا المجتمع على منهج القرآن وأساسه ومذهبه ومبادئه وتوجيهاته وإرساء أسس هذا المجتمع ومناهج حياته وتزويده بكل ما

(١) دراسات إسلامية في العلاقة الدولية والاجتماعية، محمد عبد الله دارز، تحقيق أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم- القاهرة، ط ٥، سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (ص ١١٩)

يحتاجه من هذا كله وعند ما ينبثق المجتمع من نصوص القرآن ويعيش في ظلال القرآن وينمو في جو القرآن ويتقلب في أنوار القرآن يكون مجتمعا حيا حياة طيبة عزيزة سعيدة وإلا هو مجتمع ميت يجترألامه ومآسيه ويتجرع ذله وجبته وهوانه كل لحظة.

لقد أوجد القرآن مجتمع الصحابة الأول - المجتمع الرائد الفريد - وهو القادر على إيجاد المجتمعات وبناءها وتعاهدتها إذا صدقت بالإقبال عليه والتفاعل معه والحياة به . قال أصدق القائل سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] . قد أحسن صاحب التحرير والتنوير تفسير هذه الآية - « والإحياء تكوين الحياة في الجسد والحياة قوة بها يكون الإدراك والتحرك بالاختيار ويُسْتَعَار الإحياء تبعاً لاستعارة الحياة للصفة أو القوة التي بها كمال موصوفها فيما يراد منه مثل حياة الأرض بالإنبات وحياة العقل بالعلم وسداد الرأي والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع فالشجاعة حياة للنفس والاستقلال حياة والحرية حياة واستقامة أحوال العيش حياة ».(١)

٤. تمكين الأمة المسلمة وقيادتها على العالم

المتدبر للقرآن الكريم يجده حافلا بالآيات الكريمة التي تعد الأمة بالتمكين والغلبة والقيادة ويجد ذلك الوعد مؤكدا في صور كثيرة، ولقد كانت آية واحدة كافية لإقرار هذه الحقيقة ولكن الله تعالى بحكمته أراد أن يملأ قلوب المؤمنين بالثقة والأمل حتى لا يقطع بهم اليأس في محنة من المحن أو في مرحلة من مراحل الاستضعاف. القرآن منذ أنواره الأولى يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمول والمستقبل المنشود ويبين لهم أن الفلك يتحرك والأحوال تتغير فالمهزوم قد ينتصر والمنتصر قد ينهزم والضعيف قد يقوى والدوائر قد تدور. وعلى المسلمين أن يهيئوا لأنفسهم ويرتبوا بيتهم لما يتمخض عنه الغد القريب أو البعيد فكل آت قريب.

وفي سورة القمر على سبيل المثال نجد فيها قول الله تعالى تطمينا للمؤمنين وهم المستضعفون وتهديدا للمشركين وهم أولو القوة والشوكة والعدد والعدة ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ

(١) التحرير والتنوير (باختصار)، المصدر السابق، (ج ٤ ص ٣١٢-٣١٣)

وَيُؤَلِّونَ الدُّبْرَ ﴿ [القمر : ٤٥] وهي إخبار بالغيب فإن المشركين هُزموا يوم بدر وولوا الأدبار يومئذٍ. وولوا الأدبار في جمع آخر وهو جمع الأحزاب في غزوة الخندق ففروا بليل كما مضى في سورة الأحزاب وقد ثبت في « الصحيح » أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج لصف القتال يوم بدر تلا هذه الآية قبل القتال إيماء إلى تحقيق وعد الله بعذابهم في الدنيا .

وأفرد الدبر والمراد الجمع لأنه جنس يصدق بالمتعدد أي يولي كل أحد منهم دبره وذلك لرعاية الفاصلة ومزاوجة القرائن على أن انهزام الجمع انهزيمة واحدة وهذا الهزم وقع يوم بدر .

روي عن عكرمة أن عمر بن الخطاب قال ((لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ ﴾ جَعَلْتُ أَقُولُ : أَيُّ جَمْعٍ يَهْزَمُ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ، ويقول ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾)) أي لم يتبين له المراد بالجمع الذي سيُهزم ويولي الدبر فإنه لم يكن يومئذٍ قتال ولا كان يخطر لهم ببال^(١). والقارئ المتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يدرك أنه كان شديد الثقة في وعد الله تعالى له ولأمته بالتمكين لقيادة العالم. ولقد كانت هذه الثقة ملازمة له صلى الله عليه وسلم حتى في أحلك الظروف وأقسى المواقف ويغرس هذه الثقة في قلوب أصحابه ويؤكد هذه الحقيقة للناس أجمعين.

وآيات الله تعالى التي تعد بالتمكين ومن أجل القيادة وتبشر به كثيرة جدا ولكن اقتصر البحث على بعضها:

١. ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] وذكر الرازي في تفسيره « أن المراد من الأرض أرض الدنيا فإنه سبحانه وتعالى سيورثها المؤمنين في الدنيا وهو قول الكلبي وابن عباس في بعض الروايات ودليل هذا القول قوله سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى قَوْلِهِ لَيْسَتَّخْلِفَنَّهْمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] »^(٢)

(١) التحرير والتنوير (باختصار) ، المصدر السابق ، (ج ٤ ص ٣١٢-٣١٣)
(٢) التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، تحقيق : عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية- القاهرة ، (بدون تاريخ) (مج ١١ ج ٢٢ ص ٢١٨)

٢. ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:

[٥٥

اعلم أن تقديرالنظم بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وأنه يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمناً بأن ينصرهم عليهم فيقتلهم ويأمنوا بذلك شرهم فيعبدونني آمنين لا يشركون بي شيئاً ولا يخافون ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أي من بعد هذا الوعد وارتد ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ والاستخلاف : جعلهم خلفاء أي عن الله في تدبير شؤون عباده كما قال ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ والاستخلاف يحصل في معظم الأرض وذلك يقبل الامتداد والانتقاض كما كان الحال يوم خروج بلاد الأندلس من حكم الإسلام . ولكن حرمة الأمة واتقاء بأسها ينتشر في المعمورة كلها بحيث يخافهم من عداهم من الأمم في الأرض التي لم تدخل تحت حكمهم ويسعون الجهد في مرضاتهم ومسالمتهم . وهذا استخلاف كامل ولذلك نظر بتشبيهه باستخلاف الذين من قبلهم يعني الأمم التي حكمت معظم العالم وأخافت جميعه مثل الأشوريين والمصريين والفينيقيين واليهود زمن سليمان والفرس واليونان والرومان .. ومعنى التمكين في الآية تمكين الدين أي انتشاره في القبائل والأمم وكثرة متبعيه (١)

وفي إطار العصر الحديث، من جراء هيمنة النظام الجاهلي التي بسطتها أوروبا أصبح العالم في أزمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية تطلب حلا سريعا. والحل الوحيد هو قيادة الأمة المسلمة. ولعلي الحسيني الندوي درالقول « والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء التي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة. إن تحول القيادة من بريطانيا إلى أمريكا ومنهما جميعا إلى

(١) التحرير والتنوير، المصدر السابق (باختصار وتصرف)، (ج ٨ ص ٢٨٦-٢٨٧)

روسيا لا يغني غناء ولا يغير من الموقف شيئاً فإن هذا التحول ليس إلا نقل المجداف من اليمين إلى الشمال إذا تعبت الأولى عن العكس فمادام المجداف واحداً فلا فرق بين يمينه وشماله وليست بريطانيا وأمريكا وروسيا إلا أيدي رجل واحد تتداول دفة الحياة وتتأوب تجديف السفينة على خط واحد إلى جهة واحدة. إن التحول المؤثر الواضح هو تحول من أوروبا - بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها من الأمم الشرقية - التي تقودها المادية والجاهلية إلى العالم الإسلامي الذي يقوده محمد صلى الله عليه وسلم برسالاته الخالدة ودينه الحكيم. هذا التحول الذي يغير وجه التاريخ ويحول مجرى الأمور وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه»^(١)

(٤) المحافظة على جو النص القرآني^(٢)

قد يشغل قارئ القرآن نفسه بشواغل وتخيلات تحجب نور القرآن فيحرم من هداياته وإرشاداته وتوجيهاته ولذلك ينبغي له أن يبقى في جو النص القرآني وأن يحضرمعه كل أجهزة التلقي والاستجابة والتأثر والانفعال في الكيان الإنساني لتتعامل مع القرآن وتأخذ عنه. وعلى القارئ أن يحافظ الجو القرآني المبارك وأن يحرص على إبقائه وإثرائه وزيادته كلما أقبل على التلاوة.

وهو في أثناء قراءته للآيات قد تستوقف مجموعة منها توسعا في تدبرها وخوضا في آفاقها الرحيب ولا يزال أن يبقى خواطره وأفكاره ونظراته مع إيحائها وظلالها. فقراءته ليست بعينه فقط ولا سماعه بأذنه فقط بل يقرأ الآيات بكل كيانه ويعيشها بكامل كينونته الإنسانية وأن ينفعل بها ويتأثر لها ويفتح لها حياته كلها. وأن يمعن النظر فيها وأن يعيد قراءتها مرات عديدة وأن تستمر وقفته أمامها دقائق أو ساعات ولوأعادها عشرات. وقال مجدي الهلال « والقرآن لا يبلى من كثرة الرد ففيه الجديد دائما لقراءته ولو نهل البشر جميعا من نبعه لما انقطع أبدا عن التدفق ولما شعر أحدهم بالملل والتكرار أو عدم وجود جديد بل أننا سنفاجأ يوم القيامة بأننا ما أخذنا إلا رشقات وقطرات

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لعلي الحسيني الندوي، دار الغد الجديد- المنصورة (مصر)، (ط ١)، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ص ٢٣٨)

(٢) يعني بـ "محافظة جو النص القرآني" الشعور والانفعال والتجاوب بمعاني القرآن من آيات رحمة أو آيات عذاب وما إلى ذلك

يسيرة من نهر القرآن العظيم الفياض بالخير وصدق من قال بأن القرآن لايزال بكرة»
(١)

ومن المحافظة على جوالنص القرآني - التجاوب مع النص القرآني- بمعنى أن يكون قارئ القرآن يتفاعل بعقله وقلبه عند ما تلاه ويوقظ جهازه الحسي الظاهري متجاوبا مع جهازه المعنوي الباطني وذلك لأن القرآن يخاطب العقل والقلب معا. بناء على هذا الضوء قال الدكتور يوسف القرضاوي « ومن لوازم التدبر أن يتجاوب القارئ مع القرآن الذي يتلوه ويتفاعل بعقله وقلبه مع التلاوة بأن يكون في حضور ويقظة واستجابة لاحالة غيبة وغفلة وإعراض وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر وإذا مر بآية عذاب أشفق وتعوذ أو آية تنزيه نزه وعظم أو آية دعاء تضرع وطلب» (٢) ومن هنا يتأثر قلبه أو عقله بأثار مختلفة بحسب اختلاف مضامين الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء.

وعلى سبيل المقارنة في هذا المنوال، فإن كان الجبل - الذي لا عقل ولا قلب له - في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبرما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عزوجل فكيف يليق للبشرالذي له عقل وقلب ألا تلين قلوبه وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد أشار الله عزوجل بهذاالصدد في قوله ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] قال القرطبي في تفسيرهذه الآية « قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ﴾ حث على تأمل مواضع القرآن وبين أنه لا عذر في ترك التدبر فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة أي متشققة من خشية الله» (٣)

(١) إنه القرآن سر نهضتنا، لمجدي هلال، مؤسسة اقرأ-القاهرة، (ط ١) سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص ٦٦)

(٢) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي، المصدر السابق، (ص ١٨٢)

(٣) تفسير القرطبي، للإمام القرطبي، تحقيق: الشيخ محمد بيومي وأستاذ عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان - القاهرة، (بدون التاريخ) (ج ٩ ص ٥٣٩)

إن البقاء في جو النص القرآني والمحافظة عليه هو مفتاح لابد منه لفتح كنوز القرآن وحسن التعامل معه والتلقي عنه والاستجابة له. ومن أجاد التعامل معه والتلقي عنه يجد شحنات كامنة من معانيه وفيوضات متدفقة من أنواره ولا يدركها إلا من كان يقظا لها ومستحضرا بكل مشاعره ووجدانه. وحينئذ يعطي القرآن الكريم قارئه الكثير من المعاني والحقائق ويزوده العديد من المعارف والثقافات ومناهج الحياة فيتخرج من مدرسته جيلا قرانيا متوازنا سويا.

(٥) استبعاد المطولات الحاجزة نور القرآن

القرآن نزل بلسان عربي مبين وقد يسره الله للذكر وقد كان المسلمون في الصدر الأول يفهمونه عن وعي بأساليب اللغة العربية إلا ما شذ من كلمات خفيت على بعض دون بعض ولكن الزمن توالى بأحداثه السياسية وموجاته الثقافية وهزاته الفلسفية ففاء الناس إلى كتاب الله يستشيرونه في ما أدلهم من المعاضل ووجدت العقول المتباينة في نصوص القرآن ما زين لها أن تسير في تأويله قدر ما تستطيع. وطبيعي أن تتفق التأويلات وتختلف وأن يتسع مجال النقاش حول مالم يكن موضع الاتفاق في هذا التأويل وأن تصدر كتب التفسير مثقلة بالأفكار المتضاربة والآراء المتعارضة حتى يتحول الشرح إلى موسوعات نظرية تبعد عن جو النص القرآني الذي يشرق هذه العقول والقلوب ومن مظاهر العصر الحديث احتياج أبناءه تفسيراميسرا قريب المأخذ- ينتفع به العامة والخاصة- بطريق استبعاد حشو التفسير بالاسهابات والمطولات التي لا طائل لها والتي تحجب هدى القرآن.

وهذه المطولات والمباحث مختلفة منها النحوية المتعلقة باختلافات النحويين في وجوه إعراب الكلمات القرآنية ونقاشاتهم وترجيحاتهم والبلاغية المتعلقة بالكلمات القرآنية ومعانيها واشتقاقاتها والخلافات والترجيحات فيها والفقهية المتعلقة باختلافات الفقهاء في الأحكام الفقهية المستنبطة من النص وردودهم وأدلتهم ونقاشهم. ومنها امتلاء التفسير بآراء المذاهب والتيارات وأصحاب الجدل وهذه المطولات يمكن أن يحتملها الأقدمون بسبب اتساع علومهم ورحابة معارفهم واستيعابهم بمختلف الفنون. وبالمقابل

أن أبناء العصر الحديث يسعهم ميسر التفسير أو التفسير المباشر^(١) الذي يتسم بالاختصار على توضيح المعنى المراد وتصويره كأنه ماثل أمامهم وتشخيصه كأنه واقف قدامهم وترسيمه كأنه مطبق على حياتهم اليومية وحينئذ أصبح منهج حياتهم في ظلال القرآن.

ومن المواصفات التي يتسم بها التفسير الميسر:

١. كانت لغته سلسلة سهلة ومعظم الناس قادرين على فهمه وإدراك المراد منه
٢. لغته بسيطة موفية للغرض يحافظ على أسلوب القرآن ونظمه
٣. يلاحظ بظاهر النص وربما لا يراذ ظاهره أحيانا فلا بد من إدراك مقاصد النص.
٤. الابتعاد من الخوض في الفروعيات والجزئيات المثيرة نقاشا طويلا
٥. وعدم التوسع في الاختلافات التي تبعد عن جوهر المعنى المراد من الآيات.
٦. لا يتحيز إلى أي مذهب أو تيار معين ويخلص تفسيره بالحيدة والموضوعية
٧. ترتيبه على عناصر منتظمة متناسقة يتفق مع البحث العلمي.

(٦) تنزيه القرآن عن الدخيل والأسرائيليات

ولما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى جاء دور الصحابة والتابعين في تبليغ القرآن إلى الناس خارج الجزيرة العربية فاندفعوا يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لرفع راية الإسلام ونشره في ربوع الأرض جمعاء. فدخل كثير من أبناء الأمم المفتوحة في دين الله أفواجا ودخل بعضهم نفاقا ودخل البعض الآخر ليكيدوا الإسلام كيذا وليشوخوا صورته المجيدة أمثال عبد الله بن سبأ وإن كانوا قلة إلا أنهم خطيرين على الإسلام لأنهم يتناولون القرآن بالتحريف أو التأويل الفاسد والدس في تراثنا الإسلامي من أحاديث موضوعة وإسرائيليات وخرافات يرفضها العقل وفريق منهم يزعمون أنهم يخدمون الإسلام ويُرغَّبون فيه فوضعوا أحاديث مكدوبة لا أساس لها من الصحة وفريق منهم وضعوا أحاديث متزلفين للأمراء أو مؤيدين لهواهم أو لمذهبهم فإذا وجدوا في القرآن ما يخالف لهما مالوا إلى تأويله وحملوا الآيات إلى ما لا يحتمله. ومن جراء ذلك احتشد التراث الإسلامي - تفسيراً قرآنياً وحديثاً ومقالاً لسلف الأمة - بالكم الضخم من الدخيليات - فكرياً أو نقلياً -.

(١) التفسير القرآني، للدكتور محمد رجب البيومي، المصدر السابق، (ص ١٢٤)

وفي ميدان الدراسة القرآنية برزت الجهود المشكورة من المعاصرين عبر مناهج التفسير الحديثة لاستبعاد التفسير من الدخيلات والإسرائيليات للدواعي التالية:

١. للذب عن كتاب الله ما علق بتفسيره من الخرافات والأكاذيب.
٢. إن وجود الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتب التفسير تظهر للإسلام أمام الباحثين من المستشرقين والمبشرين وأعداء الإسلام - ولاسيما في العصر الحديث عصر تقدم العلوم الكونية والمعارف البشرية - بمظهر الدين الساذج المشتتل على الخرافات والترهات التي تثير شبهة وتشكيكا واعتراضات وتجنبيات على الإسلام والقرآن والنبى صلى الله عليه وسلم
٣. إنها تذهب الثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسندت بعض الإسرائيليات المنكرة إلى نفر ممن عرف بالثقة والعدالة فاتهموا بأبشع الاتهامات.
٤. إن الإسرائيليات كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بغيره ومواعظه والبحث من حكمه وأحكامه.
٥. أنها تقسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه تعالى ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله وبما تقدح في عصمة الأنبياء الكرام.
٦. إن الإسرائيليات كانت وراء انتشار المذاهب الفكرية الهدامة والنحل العقائدية المنحرفة

٧. إن تنقية التفسير مما فيها من خرافات وأباطيل يعطى معنى أخلاقيا ساميا وشعورا نبيلًا. وهو الاعتراف بالجميل لهؤلاء السلف الصالح لما بذلوه من جهد وما قدموه للإنسانية من فضل وكرم وذلك لأن تراثنا القديم هو تاريخ المعاصرين وثقافتهم. (١)

ويبدو أن الدخيل في التفسير يشتمل إلى:

(١) ما كان من جهة التفسير بالمنقول أو بالأثر

(٢) ما كان من جهة التفسير بالمعقول أو بالرأي

فما كان من جهة التفسير بالمنقول نوعان:

(١) الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية - باختصار وتصرف -، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (ص ٨ - ١٠)

١. الإسرائيليات المخالفة لماورد في القرآن الكريم أو السنة الثابتة عن رسول الله بسند صحيح أو حسن وكذلك الإسرائيليات التي ليس لها في الكتاب ولا في السنة الصالحة للحجية موافقة ولا مخالفة.

٢. الأحاديث الموضوعية سواء ما كان منها في تفسيرالنص القرآني أم كان في بيان فضائله.

وأما ماكان من جهة التفسيربالرأي فهو ما كان ناشأ عن رأي فاسد سواء كان مستند هذاالرأي والباعث عليه هو توجيه المعقول وجهة منحرفة والسير على درب غير مستقيم بأن يحكم العقل أو يتحاكم إليه فيما ليس الحكم فيه للعقل أم أن يظن خطأ أن في ظاهر منطوق النص مخالفة من مقتضى العقل وبالتالي لاحاجة بالمرّة إلى التأويل^(١).

وقد تسرب هذاالدخيل إلى الدين عامة وإلى التفسيرخاصة نتيجة لدوافع خارجية وأخرى داخلية أدت إليه .

فالجانب الخارجي يتمثل في أعداء الإسلام الحاقدين من اليهود والنصارى والمجوس ومن على شاكلتهم الذين قصدوا إفساد الإسلام وتشويه تعاليمه انتقاماً لأمجادهم الغابرة وحضارتهم الزائفة. وذلك بدس خرفاتهم وترهاتهم وأباطيلهم حول القرآن الكريم لفتنة المسلمين في دينهم وزعزعة ثقتهم وإيمانهم بكتاب الله وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية التي أرسى قواعدها الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأما الجانب الداخلي فيتمثل في طوائف معينة انتسبت إلى الإسلام زورا ولكنها في الحقيقة تمت بصلة وثيقة إلى أعداء الإسلام السابقين ومن هنا أدلت هذه الطوائف بدلوها أيضا في التشويش والفرية على القرآن بنشر الخرافات والأباطيل حوله وتفسيره تفسيراً منحرفاً لايرتضيه الدين وقيمه ومبادئه. كل ذلك تمشياً وانسجاماً مع المخطط الهدام الذي رسمه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس للقضاء على الإسلام وتحطيم عقائده.

يسر للباحث أن يعرض موقف العلماء عن الإسرائيليات من حيث القبول والرد

(١) أنظر الدخيل في التفسير، للدكتور إبراهيم خليفة، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م) (ص ١)

قسم الدكتور جمعة علي عبد القادر لإسرائيليات باعتبار موافقتها أو مخالفتها لشريعة الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

(١) الموافق لما في شريعتنا

وهو ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن الكريم والسنة المطهرة إذ أن القرآن الكريم هو المهيم والشاهد على الكتب السماوية قبله فما وافقه فهو حق وصدق وما خالفه فهو باطل وكذب قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] وورد قوله صلى الله عليه وسلم ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) (١). قال الحافظ ابن حجر في الفتح أي لاضيق عليكم في الحديث عنهم لأنهم كان تقدم منه الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكان النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة. ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك (٢)

وهذا القسم صحيح وفيما عندنا غنية عنه ولكن يجوز نكره وروايته والاستشهاد به وإقامة الحجة عليهم من كتبهم مثل ما يتعلق بالبشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء وغير ذلك مما غفلوا عن تحريفه وأحرفوه ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

(٢) المخالف لما في شريعتنا

وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالف هودك مثل ما ذكره في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء ومثل ما ذكره في توراتهم من أن الذبيح هو إسحاق لا إسماعيل عليهما السلام فهذا لا يجوز روايته ونكره إلا مقترنا ببيان كذبه وتحريفه وتبديله قال تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦] أخرج الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

(١) أنظر صحيح البخاري، - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل، المصدر السابق، (ج ٤ ص ٦٣٦)
(٢) فتح الباري، لابن حجر، دار الريان للتراث - القاهرة، سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) (ج ٦ ص ٥٧٥)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ فَقَالَ أُمَّتَهُوْكَوْنَ (١) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَفِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكْذِبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ((٢))

وهذا الحديث يمثل تحذيراً للمسلمين من محاولة التعرف على ثقافات أهل الكتاب سواء كان بطريق القراءة في كتبهم أم سؤالهم أم الاستماع لأخبارهم والسبب في هذا النهي أن ثقافات أهل الكتاب لا يطمأن إليها ولا يوثق بها لأنهم قد حرفوا الكلم عن مواضعه فمن الواجب أن يكون المسلمون على حذر من ثقافتهم كي لا يقعوا في حيرة واضطراب وبلبلة وكي لا يلتبس عندهم الحق بالباطل. ومثل ذلك الحديث الذي ورد أن الشيطان يمثل صورة سليمان الحيث بطوله (٣) وقد ندد الإمام الناقد ابن كثير في تفسيره بهذه الرواية ثم قال «إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها منثناة من قصص أهل الكتاب والله أعلم بالصواب» (٤).

والحق أن نسيج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح ولا يصمد أمام النقد وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول سليمان عليه السلام، فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟

(٣) ما سكت عنه شرعنا ولم ترد موافقة له أو مخالفة

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ((كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله

(١) أي متحيرون شاكون مترددون والإستفهام هنا إنكاري

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد، تحقيق: نور الدين طالب، المصدر السابق، (ج ٨ ص ٢١٠)

(٣) سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت (ط ١)، سنة (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) (ج ٦ ص ٢٨٧)

(٤) تفسير ابن كثير، مكتبة الصفا- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) (ج ٤ ص ٣٦)

عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية ((١)).

مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي نوع من الشجر كانت وأسماء الطيور وأنواعها التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام إلى غير ذلك مما أبهمه القرآن ولافائدة من ذكره وتعيينه. (٢)

يبدو للباحث أن تنزيه القرآن الكريم عن الإسرائيليات ليس على إطلاقه فلا حرج في روايته في تفسير القرآن الكريم طالما لا تتنافى مع صحيح النقل من الكتاب والسنة وصریح العقل والمنطق بل ربما تؤكد وتكمل التفسير لاسيما فيما حدث من قصص الأنبياء والأمم التي قد خلت. وذلك لما يلي:

١. موقف القرآن الكريم عن الكتب التي قبلها يحتل مصدقا لها ومهيما عليها كما ينص به عدد من سور القرآن والكتب السماوية التي نزلت بعدها تصدق لما قبلها على أساس أن كلها نزل من لدن حكيم خبير. وقد قال الله تعالى ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦] وقال سبحانه ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨] وكفي بهذه النصوص حجة لجوازرواية الإسرائيليات.

٢. قصص الأنبياء والأمم التي قبلها تزين معظم سور القرآن ففي بعض الحوادث والوقائع التي لم يتناولها القرآن والسنة يحتاج إليها في تفسيرها.

٣. الرسول صلى الله عليه وسلم أذن لصحابته أن يحدثوا عن بني إسرائيل وأن يرووا عنهم الأخبار شريطة أنها صحيحة كما ذكر في الحديث السالف ذكره

(٧) تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان

(١) أنظر صحيح البخاري، في باب ما يجوز من تفسير التوراة من كتب الله بالعربية وغيرها، المصدر السابق، (ج ٤ ص ٨٣٥)

(٢) أنظر الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية- باختصار وتصرف-، للدكتور جمعة علي عبد القادر، (ص ٧١-٧٧)

العبارة القرآنية لها مرونة تجعل معانيها ودلالاتها متدفقة تجاوز مختلف العصور والأزمان وسيالة تفوق كل البقاع والأمكنة فإمكانية العطاء القرآني متوفرة في كل عصر ومصر. وهذا ما أشار إليها الإمام علي « فإنه - أي القرآن - ذووجوه »، وفي رواية أخرى « القرآن حمال ذووجوه » (١) فكلمة « حمال ذووجوه » هي في الحقيقة تشير إلى طبيعة الصياغة القرآنية تتسم بالمرونة حتى تبقى ممتدة مع الزمان واقعة في كل مكان . ففيها مرونة ظاهرة بحيث إنه إذا تكلم في التاريخ أو في وصف أرض أو تكلم في شيء تنزل عبارة لها نسيج معين بحيث يمكن أن يستقبلها العبقري ويغوص فيها ويمكن أن يصل إليها العامي. فالكتاب لكي يكون للزمان كله وللمكان كله وللعقول كلها وللقوب كلها كانت صياغته فيها هذه المرونة العجيبة التي تجعل كل الناس مهما تفاوتوا يستريحوا إليه ويطمئن به.

والقرآن كتاب الله الخالد صالح لكل زمان ومكان ونصوصه تعطي لكل بني الإنسان ويتفاعل معه المؤمنون مهما كان مستواهم المادي والثقافي والحضاري. فالصحابة أقبلوا على نصوصه وعاشوا بها ولم يقيدوها فيهم ولم يقصروا عليهم وأقبل التابعون وعاشوا بها وأقبل تابعوهم عليها كذلك فعاشوا بها وهكذا كل طائفة من العلماء كانت تجد عند القرآن ما تريد وتلقى عند نصوصه ما هي بحاجة إليه . فعلى قارئ القرآن أن ينظر القرآن بهذا المنظار وأن يتعامل معه على هذا الأساس. ولا يجوز أن يقيد نصوصه بحالة من الحالات أو فترة من الزمان إلا ما كان مقيدا بذلك ولا أن يقصرها على شخص ما أو قوم ما إلا ما كان مقصورا عليه. إنه لا بد أن يحرر هذه النصوص من

(١) الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق (ج ٢ ص ٨٢) وفيه: أخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذووجوه، ولكن خاصمهم بالسنة. وفي رواية أخرى أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل قال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذووجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، جز ١ ص ٥٩) (والحاوي للفتاوي - للسيوطي ج ٢ ص ١١٧) وهذا الحديث يعضده حديث البخاري من حيث المعنى أو المضمون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي) قال أبو هريرة وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتنلوها [٦٥٩٧ ، ٦٦١١ ، ٦٨٤٥] أخرج مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم ٥٢٣ . والمراد (بجوامع الكلم) بالكلمات الجوامع . والكلمة الجامعة هي الموجزة لفظا المتسعة معنى وهذا يشمل القرآن والسنة لأن كلا منهما يقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة . فإذا كان هذا كلام النبي المبين الموضح للقرآن فهو لكلام الله جل وعلا من باب أولى، فكلام الله له وجوه عدة (صحيح البخاري تحقيق وتعليق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ج ٣ ص ١٠٨٧)

قيود الزمان والمكان والأشخاص والأقوام لتعطي دلالاتها لكل الناس وتطلق إشعاعاتها لكل جيل وتشرأضواها على العالمين^(١).

ولو تتبعنا رحلة المفسرين عبر العصور نرى أن علماء كل عصر من خلال معرفتهم السائدة وكسبهم العلمي المتطور عندما ينظرون في القرآن يدركون أبعادا جديدة لم يسبقها من سبقه ويعودون بمردود إضافي تتفق مع آفاقهم العلمية والحضارية. وكل تفسير من تفاسير القرآن يمكن أن تستخرج منه الحالة الثقافية والمستوى الحضاري والوضع الأخلاقي والإجتماعي والإيماني والسلوكي للعصر الذي عاش فيه المفسر وكان هذا التفسير سجلا حضاريا تاريخيا ثقافيا لحالة ذلك العصر وما هذا إلا لأن نصوص القرآن منطبقة على زمان المفسر ومكانه وموجهة للناس حوله.

المطلب الثاني : البعد الواقعي للنصوص القرآنية

من مزايا تعاليم القرآن وقيمه فيما يبدو أن القرآن بما يحمله مسمى « الذكر الحكيم » يلاحظ خطابه للإنسان على فطرته بالمنطق الفطري الواقعي البسيط يتعامل مع هذا المجتمع الإنساني بكل ما فيه من عوامل التركيب البشري وبكل ما يطرع في داخله من عناصر التكوين البشري المتعددة مما خلقه الله بجسمه الأرضي وروحه السماوي وبأوشاقه الصاعدة وغزائره الهابطة وبدوافعه الفردية ونزعته الغيرية بعوامل الفجور وبواعث التقوى أصبحت نظرتة للإنسان نظرة شمولية وواقعية ومن هنا جاء القرآن مخاطبا مع واقع الإنسان وتكوينه الفطري. وفي نطاق أوسع أن القرآن الكريم نزل متضمنا لكل القضايا العامة والمبادئ الأساسية التي لا تجوز مخالفتها ولا يقبل التقريط وتركت آياته فرعيات المسائل وجزئيات الأمور للتطبيق المناسب لحالة العصر وأسلوب المجتمع. ويراعي الواقع القائم ويشرع له ما يعالج أداؤه وما يقيه منها. وكان القرآن وتصوره للوجود ورأيه في الحياة وشريعته للمجتمع وتنظيمه للحياة البشرية ومنهجه المثالي الواقعي الإيجابي لإقامة نظام يسعد في ظله « الإنسان » .

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ص ١١٧)

انطلاقاً من الأغراض الأساسية لما نص به القرآن الكريم يلزم للقارئ أو المفسر أو الداعية أن يلاحظ البعد الواقعي لآيات القرآن وأن يلتفت إلى انطباقها على الواقع المعاصر وأن يدرك معالجتها له وتقويمه لأمره وإصلاحها لمناهج حياته. فكانت آياته معجزة حية متفاعلة تصف حياته وتتحدث عن واقعة وتهتم بالقضايا والمشكلات التي تدور حوله. لأن كل آيات لها بعد واقعي يستوي فيها ما يتعلق بالعقيدة أو القصص أو الأخبار أو التوجيه أو الأحكام أو التي تتحدث عن السنن أو المبادئ أو القيم.

ومثاله أن الآية التي تتحدث عن صفاته تعالى أو أسمائه سبحانه نجد لها بعداً واقعياً كما في قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] تتناول هذه الآية علم الله الشامل لكل ما في الكون فإذا ما استصحب رجل دلالتها الواقعية وعاشها بقلبه مستحضراً معية الله بعلمه استقام على منهج الله وأصبحت حية واقعية ترشد له حياته. وللقصص القرآني الذي يعرض أخبار السابقين من الأنبياء وأمهم بعد واقعي وكأنما يتحدث عن الناس ويصفهم ويحلل شخصياتهم فلا بد للقارئ أن يستخرج دروساً وعبراً لتكون منهج الحياة من خلال ذلك القصص. لأنها ليست مجرد القصة والرواية وإنما الهدف الأسمى من وراءها هو اتخاذ العبر ليحققها في سلوكياته وتصرفاته كما تقر في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]. لقد أحسن ابن عاشور تفسيرها حيث قال ﴿لقد كان في قصصهم عبرة﴾ أي لأن ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وما هو بقصة مخترعة. ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبراً عن أمر واقع لأن ترتب الآثار على الوقائع ترتب طبيعي فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع ولأن حصولها ممكن إذ الخارج لا يقع فيه المحال ولا النادر وذلك بخلاف القصص الموضوع بالخيال والتكاذيب فإنها لا يحصل بها اعتبار لاستبعاد السامع وقوعها لأن أمثالها لا يُعهد مثل مبالغات الخرافات وأحاديث الجن والعُول عند العرب وقصة رستم وأسفنديار عند العجم فالسامع يتلقاها تلقي الفكاهات والخيالات اللذيذة ولا يتهيأ للاعتبار بها إلا على سبيل الفرض والاحتمال وذلك لا تحتفظ به النفوس (١).

(١) التحرير والتنوير، المصدر السابق، (ج ٦ ص ٧٢)

وفي سياق متصل مع ملاحظة البعد الواقعي لوضع العالم اليوم حيث شهده الفساد والانحطاط في شتى مجالات الحياة عقديا وخلقيا ومعرفيا واقتصاديا وسياسيا نتيجة تقاعدهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعرض محمد قطب حلا قرآنيا وعلاجا ربانيا عن هذه الظاهرة - عندما يتحدث عن الإعجاز التربوي للقرآن الكريم - فقال « ويؤكد هذه الأهمية أن الأمة التي تقاعست عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنت في كتاب الله ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] إذا كانت الخيرية هنا أن تركز على قيام الأمة بالمعروف والنهي عن المنكر واللجنة هناك سببها - أو من أسبابها - عدم القيام بتلك المهمة فإن هذا يبين لنا مدى أهمية هذا الأمر في حياة الأمة . ذلك أن التقلت من التكاليف طبع موجود في البشر فإن لم يعالج بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الفساد يظهر - أي يستشري - في الأرض ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] والطريقة الوحيدة لمنع الفساد من الأرض هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدرجاته المختلفة وباختلاف المكلفين بكل درجة من درجاته.

وهذا الدرس الذي تبرزه الآية عن طريق تقديم لفظ على لفظ في السياق. ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] هنا أيضا قدم شيئ في السياق على الإيمان. فقله سبحانه تعالى ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ هو الأمر المختص بالعقيدة أي المختص بالإيمان ولكننا نجد في السياق أن البصيرة قدمت - لفظا - على الإيمان الذي لا يتقدم عليه شيئ فما معنى التقديم؟ معناه أولا أن البصيرة أمر مهم في الدعوة يبلغ من أهميته أن يقدم في السياق على قضية الإيمان التي لا يتقدم عليها شيئ وتلك إشارة واضحة إلى أهميتها. ومعناه ثانيا أن الدعوة إن لم تكن على بصيرة فإنها لا تؤدي مهمتها المرجوة وهذا أمر نلاحظه جيدا في وقتنا الحاضر حيث يذهب كثير من الجهد الذي يبذله بعض الدعاة بلا مردود حقيقي برغم إخلاصهم في الدعوة لنقص عندهم في البصيرة يجعلهم لا يسلكون بدعوتهم المسلك الذي يؤثر في النفوس بل يؤدي أحيانا إلى

انصراف الناس عنهم وعدم الاستفادة من المادة الدعوية التي يقدمونها»^(١). ويمكن أن نلخص مما سبق من عرض محمد قطب أن الحلول الفاعلة - في منظور القرآن - لمشكلات الفساد التي شهدتها العالم في وقتنا الحاضر قيام الأمة بمهمة عظيمة ملزمة لهم وهي الدعوة بطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أنها لا تؤثر كثيرا في إصلاحه وتنويره إلا أن تكون الدعوة على بصيرة وإلا فلا يزال العالم في الفوضى والفساد.

ولا يغيب عن القرآن ملاحظته للبعد الواقعي في جانب الأحكام الشرعية وذاع في الآونة الأخيرة ما يسمى بـ «فقه الواقع» الذي عرفه الباحثون المعاصرون بأنه هو الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس وما يعترضها وما يواجهها وقد اختلف الناس في تقدير هذا النوع إلى حد التطرف في تقييمه.

فعلى أحد الطرفين نجد فريقا قد انصرف عن تدبر واقعه ومعرفة ظروف عصره وما ستجد من أحداثه وأقضيته وما اتسم به من نهضة في الصناعة والعلوم التجريبية مما يتطلب - ولا شك - تكييفاً فقهياً ينبني على فهم هذه المستجدات.

وعلى الطرف الثاني نواجه فريقاً قد أسره الواقع المعاصر وبهرته الحضارة الغربية حتى توهم أننا لن نفهم الدين إلا إذا فقهنا الواقع بصورة لا تقل عن فقهاء النصوص بل إن بعضهم ليصرح بأن فقه المجتمع والواقع يوازي فقه النص.

والحق في الوسط وهو أن فقه الكتاب والسنة هو الأصل وأن فقه الواقع سبيل لذلك وأن الفقيه بالشريعة يكفيه معرفة الواقع إجمالاً إذ لا طاقة له بمعرفة التفاصيل الدقيقة في جميع علوم العصر ومعارفه ومتمى احتاج إلى جزئية من رجع إلى أهل التخصص فيه فإن شعب فقه الواقع لا تكاد تنحصر^(٢)

إن الشريعة الإسلامية التي تأسست على مصادر الأحكام الشرعية - وعلى رأسها القرآن الكريم - تتسم بالسعة والواقعية في مواجهة التطور البشري والتغير الزماني والمكاني مما يجعله صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان. ومن الحقائق المسلمة أنها مع مصادرها ونصوصها وقواعدها لم تقف يوماً من الأيام مكتوفة اليدين أمام وقائع الحياة المتغيرة

(١) لا يأتون بمثله، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ص ١٣٢ - ١٣٣)
 (٢) التجديد والمجددون في أصول الفقه، عبد السلام عبد الكريم، المكتبة الإسلامية - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ص ٤٧٤ - ٤٧٥)

منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر وأنها ظلت القانون المقدس المعمول به في بلاد الإسلام لأنها تفي حاجات كل المجتمعات وتعالج كافة المشكلات بأعدل الحلول وأصلحها نتيجة أنها قامت على مخاطبة العقل وموافقة للفطرة ومراعاة الواقع وجلب المصالح ودرء المفسد بقدر الإمكان مما يجعله مرونة عجيبة تتسع لمواجهة كل طريف ومعالجة كل جديد.

ولعله من أبرز دعائم واقعتها أنها تميزت بسمات بارزة من أهمها:

(١) أنها قامت على مبدأ التسيير وعدم الحرج

تعددت الآيات التي تتحدث عن هذا المبدأ منها:

﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦]

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]

ومن هذه الآيات قامت قاعدة فقهية " المشقة تجلب التيسير " فبالتالي يتضح لنا كل الوضوح أن مبدأ التيسير وعدم الحرج منهج قرآني.

وكذلك وردت أحاديث كثيرة تشير إلى هذا المبدأ:

﴿ وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيَّ اللَّهُ الْخَيْفَةُ السَّمْحَةُ)) (رواه

البخاري في باب الدين يسر) (١)

﴿ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إن الدين يسر ولن يشاد الدين

أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)) (٢)

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان في باب الدين يسر ، دار الكتاب العربي-لبنان : تحقيق : أحمد زهوية وأحمد غناية، سنة ٢٠٠٨م (ص ١٧)

(٢) نفس المصدر، رقم الحديث ٣٩

إن السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها مستندا بهذه الأدلة من الآيات والأحاديث - ويعني بالسماحة - سهولة المعاملة في اعتدال فهي وسط بين التضيق والتساهل وهي راجعة إلى معنى التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وقد قال الله في وصف هذه الأمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير التابعي ((خيرا لأمرأوساطها)) وبعضهم يرويه حديثا وهو مشهور على الألسنة ولكنه ضعيف الإسناد. (١)

(٢) التدرج في تطبيق الأحكام إيجابا أو تحريما

قال يوسف القرضاوي « ومن واقعية الإسلام وتيسيره على البشر أن راعى معهم سنة التدرج فيما يشرعه لهم إيجابا وتحريما فنجد حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة. فالصلاة فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم أقرت في السفر على هذا العدد وزيدت في الحضر على أربع أعني الظهر والعصر والعشاء. والصيام فرض أولا على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطرو فدى أي أطعم مسكينا عن كل يوم يفطر كما روى ذلك البخاري عن سلمة بن الأكوع تفسيراً لقوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. والزكاة فرضت أولا بمكة مطلقة غير محددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير وحول بل تركت لضمائري المؤمنين وحاجات الجماعة والأفراد حتي فرضت الزكاة ذات النصب والمقادير في المدينة.

والمحرمات كذلك لم يأت تحريمها دفعة واحدة قد علم الله تعالى مدى سلطانها على الأنفس وتغلغلها في الحياة الفردية والاجتماعية ليس من الحكمة فطام الناس عنها بأمر مفاجئ يصدر لهم إنما الحكمة إعدادهم نفسيا وذهنيا لتقبلها وأخذهم بقانون

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (باختصار)، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار السلام- القاهرة، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (ص ٥٨-٥٩) وفي شعب الإيمان : (أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنا أبو الحسن الكارزي نا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد نا ابن علي عن إسحاق بن سويد قال : تعبد عبد الله بن مطرف فقال له مطرف يا عبد الله العلم أفضل من العمل و الحسنه بين السينتين و خير الأمور أوساطها و شر السير الحقة (شعب الإيمان - البيهقي تحقيق وتخريج: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد - الرياض، (ط ١)، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) - ج ٣ ص ٤٠٢)

التدرج في تحريمها حتى إذا جاء الأمر الحاسم كانوا سراعا إلى تنفيذها قائلين سمعنا وأطعنا» (١)

(٣) اعتراف الشريعة بالضرورة التي تطرأ في واقع حياة الناس فردية كانت أو جماعية فجعلت هذه الضرورة أحكامها الخاصة وأباحت بها ما كان محظورا في حالة الاختيار من الأطعمة والأشربة والعقود والمعاملات بل أبعد من ذلك أن الحاجة نُزلت في بعض الأحيان - خاصة كانت أو عامة - منزلة الضرورة (٢)

وهذا - أيضا - في ضمن المنهج القرآني الذي يرسم في قوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]

ومن هنا اشتهرت قواعد فقهية

- الضرورة تبيح المحظورات

- الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة

ومما يتصل بما هو من قبيل مراعاة الواقع - من أجل أنه بلغ حد الضرورة - إسقاط عمر حد السرقة عن غلمان حاطب بن أبي بلتعة (٣) عند ماسرقوا ناقة لرجل من مزينة لأنهم مضطرون في مجاعة خاصة بهم وكذا أوقف عمر الحد في السرقة في عام

(١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ٥)، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ص ١٢٩)

(٢) وكتب علي أحمد الندوي مقاله إمام الحرمين في كتابه "الغياثي": "ورمز فيه إلى قاعدة "الضرورة" مع بيان بعض تفاصيلها وذكر فروعها يقول وفق طريقته الافتراضية الحوارية «إن الحرام إذا طبق الزمان وم يجدوا إلى طب الحلال سبيلا فلهم أن يأخذوا قدر الحاجة منهم وتشتت الضرورة التي نرعاها في إحلال الميتة في حقوق أحاد الناس، بل الحاجة في حق الناس كافة تنزل منزلة الضرورة في حق الواحد المضطر». وضبط ذلك بقوله «فالمعري إذا رفع الضرر واستمرار الناس على مايقم قواهم» (القواعد الفقهية، لعلي أحمد الندوي، دار القلم - دمشق، (ط ٥)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ص ١٤٢)

(٣) وفي إعلام الموقعين لابن القيم [فصل سقوط حد السرقة أيام المجاعة] المثال الثالث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسقط القطع عن السارق في عام المجاعة قال السعدي... أن ابن حدير حدثه عن عمر قال لا تقطع اليد في عذق ولا عام سنة قال السعدي سألت احمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال العذق النخلة و عام سنة المجاعة فقلت لأحمد تقول به فقال إي لعمرى قلت إن سرق في مجاعة لا تقطعه فقال لا إذا حملته الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة قال السعدي وهذا على نحو قضية عمر في غلمان حاطب ثنا أبو النعمان عارم ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن حاطب أن غلمة لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم فلما ولي بهم ردهم عمر ثم قال أما والله لولا أنني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وإيم الله إذ لم أفعل لا غرم منك غرامة توجعك ثم قال يا مزني بكم أريدت منك ناقتك قال بأربعمائة قال عمر اذهب فأعطه ثمانمائة وذهب احمد إلى موافقة عمر في الفصلين جميعا ففي مسائل إسماعيل بن سعيد الشالنجي التي شرحها السعدي بكتاب سماه المترجم قال سألت احمد بن حنبل عن الرجل يحمل الثمر من أكمامه فقال فيه الثمن مرتين وضرب نكال وقال وكل من درأنا عنه الحد والقود أضعفنا عليه الغرم وقد وافق احمد على سقوط القطع في المجاعة الأوزاعي وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ويجب على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو مجانا على الخلاف في ذلك والصحيح وجوب بذله مجانا لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج وهذه شبهة قوية تدرا القطع عن المحتاج وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء. (تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث - القاهرة، سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) (مج ٢ ص ١٠)

المجاعة وقال لا أقطع في عام سنة^(١). وأضاف الدكتور محمد البلتاجي أن عمريتق - في فعله ذلك - مع عدد من الآيات التي تبيح أن يأكل المضطرالميتة^(٢) وأنه من باب درأ الحدود بالشبهات كما ورد في حديث مشهور ((ادروا الحدود بالشبهات))^(٣). وروي أيضا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ادروا الحدود عن المسلمین ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة))^(٤). ومن هنا فلا صحة على وجه الإطلاق بدعوى أن ما فعله عمرإلغاء لتشريع قرآني أو تعطيل لنص قرآني بل له موقف مقابل ومنعكس لهذه الدعوى الخبيثة بأنه يعمل نسا آخر يخصص النص الذي يوضح حد القطع للسارق^(٥). وممن يدعي أن عمر يلغى النص الدكتور محمد النويهي حيث كتب مانصه « أما إسقاطه حد السرقة كما فعل في عام المجاعة وحين وجد الأغنياء لاينفقون إنفاقا كافيا أووجد بعض رجال الأعمال لايعطون عمالهم الأجرالكافي فإنه حكم تام الجدة لم يجد له نسا في الكتاب والسنة لكنه جرؤ على أن يستعمل عقله ويتفهم حكمة الإسلام حين وضع ذلك الحد الصارم إلى أن قال فأي شيء هذا إن لم يكن إلغاء تشريعي قرآني حين اعتقد أن الظروف المتغيرة لم تعد تجيزه؟ لكن هل يجرؤ علماءنا وكتابنا على مواجهة هذه الحقيقة الصريحة؟ بل هم يحاولون أن يلتمسوا للتخلص منها تأويلات بعيدة » وقد رفضه الدكتورمحمد البلتاجي^(٦) بالنقض والمعارضة من خلال حجج بالغة مقنعة.^(٧)

(١) السنة هي الشدة والضرورة والحاجة والمجاعة

(٢) إقرأ: سورة البقرة ١٧٣، والمائدة ٣، والأنعام ١٤٦، والنحل ١١٥

(٣) القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، للدكتور محمد بكرى إسماعيل، دار المنار- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م) (ص ٦٧) وفيه قال السيوطي أخرجه ابن عدي في جزء له من حديث ابن عباس.

(٤) رواه الترمذي (أنظر سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بدون تاريخ) (ج ٤ ص ٣٣)

(٥) منهج عمرين الخطاب في التشريع، الدكتورمحمد البلتاجي، دارالسلام- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) (ص ٢٢٠-٢٢١)

(٦) محمد بلتاجي حسن بلتاجي حصل على ليسانس العلوم العربية والإسلامية مع مرتبة الشرف عام ١٩٦٢م من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ثم الماجستير في الشريعة الإسلامية بتقدير ممتاز عام ١٩٦٦م عن رسالة (منهج عمرين الخطاب في التشريع) ثم الدكتوراة في الشريعة الإسلامية مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٦٩م عن رسالة (مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري) من جامعة القاهرة. انتخب عميدا لكلية الشريعة الإسلامية ثلاث مرات متتاليات. قام بتدريس علوم الشريعة في جامعات مصر والسعودية والكويت والإمارات والجامعة الأمريكية بالقاهرة (منهج عمرين الخطاب في التشريع في التعريف عن المؤلف ص ٤٨٢)

(٧) منهج عمرين الخطاب في التشريع، الدكتورمحمد البلتاجي، المصدر السابق، (ص ٢٢٠-٢٢٣)

ورغم أن القرآن يلاحظ البعد الواقعي لا يترتب عليه أنه خاضع للواقع وتابع له في كل ما استجد فيه إذ الواقع لا يُكوّن النص فيلزم تحرره من ضغط الواقع الذي يعيشه المجتمع فضلا عن مجتمعنا اليوم بمظاهره المادية التي وقفت وراءها تيارات فكرية واتجاهات نفسية تخالف تعاليمه ومبادئه الرصينة مثل الفوائد الربوية في البنوك وشيوع الخمر والمسكرات والخلاعة والتبرج والصور الخليعة والأغاني المثيرة والأفلام والتمثيلات المهيبة للغرائز وما إلى ذلك.

ومن المعاصرين الذين يروجون فكرة أصالة الواقع وتكوّن النص منه الدكتور نصر حامد أبوزيد حيث يقول « الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل لإهداره من الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ومن خلال حركته بفعالية البشر تتجدد دلالاته فالواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا »^(١) « فالواقع الذي تشكل النص من خلاله يشمل الأبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ويشمل المتلقي الأول ومبلغه كما يشمل المخاطبين بالنص »^(٢) حتى بلغت مقولته إلى الخطورة للغاية عندما يقول « فالقول بأن النص منتج ثقافي يمثل بالنسبة للقرآن مرحلة التكون والاكتمال وهي مرحلة صار بعدها منتجا للثقافة والفارق بين المرحلتين في تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها وبين إمداده وتغييره لها »^(٣)

على حسب تتبع الباحث لكتاب " مفهوم النص " للدكتور نصر حامد أبوزيد يتبين له آراء غريبة بلغت منتهى الانحراف والتحريف تتمثل في نقاط تالية:

١. الواقع أصل النص (القرآن) ومكونه ويشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي وغيرها مما يدور حول الإنسان.

٢. أصبح شخص النبي صلى الله عليه وسلم ومن خاطبه من قبيل الواقع الذي يشكل النص.

٣. النص منتج ثقافي وبعد التكون والاكتمال أصبح منتجا للثقافة.

وأساسا على مقولاته الخطيرة التي زعزت قداسة القرآن فهي مرفوضة نقليا وعقليا وواقعا:

(١) نقد الخطاب الديني، للدكتور نصر حامد أبوزيد، مكتبة مدبولي- القاهرة، (ط ٣) سنة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) (ص ١٢٠)

(٢) مفهوم النص، للدكتور نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي- بيروت، (ط ٥)، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) (ص ٢٤)

(٣) مفهوم النص، للدكتور نصر حامد أبوزيد، المصدر السابق، (ص ٢٨)

أما رفضها من الأدلة النقلية

١. أنها في مناهضة الآيات المحكمات التي تنص بوضوح وصراحة أن القرآن الكريم تنزّل رب العالمين عن طريق جبريل عليه السلام الذي كانت مهمته تبليغ الوحي إلى الأنبياء والرسول عليهم وبخاصة أن جبريل عليه السلام - نزل من لدن رب العالمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال سبحانه ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤] و ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ٣] و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [النساء: ١٣٦] و ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] و ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ [الزمر: ٢٣] و ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] و ﴿ وَيَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥]

٢. وما كان من قرآن إلا وحي يوحى إليه كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]. قال الإمام فخرالدين الرازي في تفسيرها. المسألة الثانية: [هو] ضمير معلوم أو ضمير مذكور نقول فيه وجهان أشهرهما أنه ضمير معلوم وهو القرآن كأنه يقول ما القرآن إلا وحي وهذا على قول من قال النجم ليس المراد منه القرآن وأما على قول من يقول هو القرآن فهو عائد إلى مذكور والوجه الثاني أنه عائد إلى مذكور ضمناً وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لأن قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣] في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكأنه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه إلا وحي وفيه وجه آخر أبعد وأدق وهو أن يقال قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسّه الجن فليس بكاهن وقوله ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي ليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر فإن الشعراء يتبعهم الغاوون وحينئذ يكون قوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ رداً عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله إلا وحي

وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ ﴾ [الحاقة : ٤١ ، ٤٢] .

المسألة الثالثة الوحي اسم أو مصدر نقول يحتمل الوجهين فإن الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة والإفهام فإن قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب كأنه يقول ما القرآن إلا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا أيضاً أن يقال هو مصدر أي ما القرآن إلا إرسال وإلهام بمعنى المفعول أي مرسل وإن قلنا المراد من قوله ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الإلهام ملهم من الله أو مرسل (١).

والذي جمع القرآن في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وكلما آتاه جبريل بالوحي استمع له وأنصت كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ قَالَ ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا فَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قَالَ جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ قَالَ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَقْرَأَهُ)) (٢)

ورفضها من حيث الأدلة العقلية:

١. لقد اجتهد الدكتور نصر حامد - على حد زعمه - أن النص (القرآن) شكله الواقع أو هو نتاج الواقع. وهذا الاجتهاد اللامنهجي يرفضه العقل من وجوه:

- يمكن أن يتطرق على القرآن انزلاق أو خطأ أو بطلان أو فساد لأن الواقع يحتمل أن يكون حسناً أو قبيحاً امتلاً بالفساد والبطلان كما هو واقع العرب حين التنزيل - اعتقادياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو سياسياً وكل ما يتصل بظواهر الحياة - والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو هدى للناس وليس بطلاناً منه وطغياناً.

(١) التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، المصدر السابق، (ج ٢٨ ص ٢٦١)

(٢) صحيح البخاري، (كتاب بدء الوحي وباب بدء الوحي)، المصدر السابق (ج ١ ص ٧)

- إذا كان القرآن نتاج الواقع فلا يمكن له أن يلبي متطلبات كل عصر يسير عليه القرآن لأن الواقع الذي شكل القرآن لا يستوى مع واقع ما بعده إذ طبيعة الواقع يتطور من حين إلى آخر ويتغير في كل عصر ومصر فكيف يكون واقع العرب يمكن أن يخاطب واقع العصر الحديث الذي يتسم بالعلم الحديث والتكنولوجيا؟

- وإذا كان القرآن نتاج واقع معين من جيل أو قرن يترتب عليه عدم خلود تعاليم القرآن ويشعر بذلك اقتضاره بواقع خاص أو أمة خاصة ويزول عنه عالمية القرآن الكريم فمن المقرر في ميزان علماء القرآن تحرير القرآن من قيود الزمان أو المكان.

- وما شكله الواقع - طبيعته - أن يكون نصا صنعه الإنسان ويتحكم عليه فأصبح نصا إنسانيا فيتنازع أنه جعل إلهي - أو تنزيل إلهي - وبين نص إنساني في شيء واحد وفي آن واحد وهذا يرفضه المنطق السليم لاستحالة اجتماعهما في القرآن في آن واحد.

ورفضها من جانب الواقع :

- القرآن يقدر أن يواكب ما استجد في كل عصر ومصر من حل مشاكل الوقائع منذ قدم العصور إلي اليوم الجاري - بل - وإلى قيام الساعة. وهذا لا يمكن أن يقع من نتاج أي واقع وصنع أي إنسان أو تكوين أي ثقافة.

- من مميزات القرآن تناولها على حد كبير عما وراء الطبيعة (ميتافيزيا) وما فوق الثقافة وما ليس في إدراك الإنسان من الجنة وصفاتها ونعيمها وأحوال أهلها والنار وصفاتها وعذابها وأحوال أهلها والعرش واللوح المحفوظ والقلم وذلك كلها واقع ما في القرآن. فأى واقع شكل ذلك وأنتجه؟

- ومعلوم إن الثقافة نتاج ظروف معينة موضوعية مجتمعة في تاريخ معين بمعنى أن معايير قبول النص ستتغير بتغير أسس الثقافة وبذلك نصل إلى نقطة أساسية في فكر نصر حامد وهي إيمانه بالتغير فلا وجود لشيء ثابت حتى في الثوابت والقطعيات وما هو معلوم من الدين بالضرورة وإذا بلغت فكرته هذه النقطة بدت أنها لا تخدم القرآن بل تهدم من جذوره الرئيسية التي لاشيئ وراءها " قرآن عظيم " احترامها أهل الإسلام. وهذه فتنة دينية هائلة تسالت وراء ستار الدراسة القرآنية الحديثة أو القراءة المعاصرة.

المطلب الثالث: الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة

إن قدرة القرآن على العطاء المتواصل حتى نهاية الزمن إنما جاءت من كونه ليس كتاباً علمياً وليس فناً في علم من العلوم. ذلك أن العلم - بالمعنى الدقيق للعلم التجريبي - في تقدم وتطور ويبطل نظريات ويثبت حقائق وهذه مهمة الإنسان أما القرآن فمهمته بناء الإنسان وتجهيزه بالوسائل التي تعينه على الكشف العلمي من الحواس والعقل والإدراك ووضعها في المناخ العلمي الذي يدفعه للاكتشاف لذلك لا نجد تعارضاً بين الحقائق العلمية ومدلولات الآيات.

إذا كان مفهوم " العلم " في التصور الغربي يطابق مفهوم المعرفة بإطلاق فإن هذا المفهوم في التصور الإسلامي محددات ودلالات لا تتحقق آثاره الطيبة في واقع المسلمين بدونها وتلك المحددات:

١. استغراق المفهوم للعلم بالآخرة إلى جانب العلم بالحياة الدنيا.

ومن هذا الجانب تشير آيات الله البينات ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٦، ٧] أن العلم بأحوال الآخرة جزء لا يتجزأ من حقيقة العلم في المنظور الإسلامي

٢. اقتصار المفهوم على العلوم النافعة دون الضارة

وذلك لأن رسالة الإسلام جاءت لرعاية المصالح ودرأ المفاسد رحمة بالناس جميعاً ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فإنه من البديهي أن يكون العلم المعتبر شرعاً هو العلم الذي يعود على البشرية بالنفع لا العلم الذي يتسبب في خرابها ودمارها.

٣. استغراق المفهوم للعلوم الشرعية - الدينية والعلوم المادية - الدنيوية

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤] هذا النص وجدناه يشير إلى عدد من

العلوم الدنيوية المادية: علم الفلك وعلم الجيولوجيا وعلم البيولوجيا وعلم الأرصاد الجوية مما يؤكد أن مفهوم العلم في الإسلام لا يقتصر على العلوم الشرعية - الدينية كما يتوهم البعض-. كما أن مفهوم العلم في الإسلام لا يقصي تعلم اللغة الأجنبية أيضا فقد كان عنده صلى الله عليه وسلم من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية ويكفيه هم الترجمة منها وإليها ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها يهود فأمربذلك كاتب وحيه الأنصاري زيد بن ثابت (١) ليتقنها قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك.

٤. اشتراط المفهوم للدليل والبرهان في بناء المعرفة

والدليل يشتمل البرهان النظري في العقليات ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤] والمشاهدة والتجربة في الحسيات ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَنُكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] وصحة الرواية وتوثيقها في النقلات ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤] وقد ذم الله تعالى الذين يجادلون بغير علم ولا دليل قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦] ويتضح من خلال ذلك أن المعرفة التي لاتندرج ضمن مفهوم العلم في الإسلام هي التي تقوم على الدليل والبرهان وأما ما قام على مجرد الظن والهوى فلا يعتبر في ميزان الشرع علما

٥. اشتراط المفهوم للخشية والإيمان

قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] أنظر كيف ارتبطت الخشية بالعلم ارتباط السبب للمسبب كما قال تعالى أيضا ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤] فهذه

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي، أبو خازجة: (١١ ق هـ - ٤٥ هـ = ٦١١ - ٦٦٥ م) صحابي، من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين. وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعته حديقة من نخل. وكان ابن عباس - على جلالته قدره وسعة علمه - يأتيه إلى بيته للاخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وأخذ ابن عباس بركاب زيد، فنهاه زيد، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نعمل بعلماننا، فأخذ زيد كفه وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نعمل بال بيت نبينا. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار، وعرضه عليه. وهو الذي كتبه في المصحف ل أبي بكر، ثم لعثمان حين جهز المصحف إلى الامصار. (الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٥٧)

المعاني الثلاث مترتب بعضها على بعض فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتب بلا تعقيب ليعلموا فيؤمنوا والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع وهكذا يثمر العلم الإيمان ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين.

٦. استغراق المفهوم للعمل والتطبيق

يقول الله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] قال القرطبي في تفسيرها « ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ هي جمع سفر وهو الكتاب الكبير لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ قال ميمون بن مهران : الحمار لا يدري أ سفر على ظهره أم زبيل فهكذا اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانية ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء.... ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ أي لم يعملوا بها شبههم - والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها - بالحمار يحمل كتابا وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة»^(١) ويتضح من خلال تفسير الآية أن العلم بغير عمل هو عين الجهل في ميزان الإسلام لذلك شبه صاحبه بالحمار الذي يحمل الكتب النفيسة العظيمة دون أن ينتفع منها بشيء.^(٢)

على قاعدة ما تم تقريره في هذا المحدد الأساسي من محددات مفهوم العلم في التصور الإسلامي أعتقد أنه لو كتب لهذا المحدد الرسوخ الكافي لعقول المسلمين وقلوبهم بحيث يتوسلون بطلب العلم إلى العمل في مختلف شئون حياتهم لما كانت الأمة على هذا الحال من التخلف والجمود ولعل هذا الغياب هو الذي حاول المفكر الجزائري مالك بن نبي معالجته في عدد من كتبه. يقول رحمه الله أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة^(٣).

ومن الجدير بالذكر بعد بيان مفهوم العلم أو المعرفة من منظور إسلامي أن القرآن يکنز عددا من المعارف المادية- الدنيوية بجانب أنه يكمن أكبر قدر من المعارف الشرعية- الدينية. وهذه المعارف التي تحدث بها القرآن تلعب دورا بارزا في بناء

(١) تفسير القرطبي، المصدر السابق، (ج ١٠ ص ٦٠-٥)

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، - باختصار- (عدد ٥٠٦) مفهوم العلم في التصور الإسلامي، إدريس وهناء، ص ٤٤-٤٧)

(٣) شروط النهضة، لمالك بن نبي، دار الفكر - دمشق، (ط ٤)، سنة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، (ص ١٠٣)

الإنسان وثقافته وحضارته عبر العصور وهو يستطيع أن يخاطب العصر الذي نعيش فيه لأنه روح كل عصر.

وحتى ينجح القارئ البصير في جعل القرآن روح العصر يرفع به ثقافته فلا بد من أن يستعين بالعلوم والمعارف الحديثة أن يلم بها بطرف موجز وأن يطلع منها على مسائل وقضايا ذات ارتباط بآيات القرآن وذلك حتى يوظف هذه العلوم والمعارف في خدمة النص القرآني وتوسيعه وزيادة أبعاده ودلالاته. ومعلوم أن الخلفية الثقافية للقارئ وسيلة نافعة لتعامله مع القرآن أن حصيلته من المعارف والثقافات المعاصرة تعينه على سعة نظرتة إلى الآية وتلقيه عنها وحياته بها وتوسيع معانيه وتكثيرها.

وعلى القارئ أن يلم بعلم التاريخ ومراحله وعصوره وأن يستعين بذلك في تفسير الآيات ذات البعد التاريخي والتوجيهات التاريخية مثل قوله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧] وقوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

وعليه أن يلم بعلم الفلك ويستعين به في تدبر الآيات ذات التوجيهات الفلكية والتي تلفت الأنظار في السماء وأفلاكها كما في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧] وفي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢] وأن يلم بالعلوم المختلفة كالطب وعلم الأجنة ليستعين به في تفسير مثل قوله تعالى ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر: ٦] وعلم البحار لقوله تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تَكْذِبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٢] وعلم طبقات الأرض لقوله تعالى ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧] وعلم الفضاء لقوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] وغير ذلك^(١).

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق، (ص ١٤٤ - ١٤٦)

ومن هنا يتبين أن مصطلح علوم القرآن كفنّ من العلوم والمعارف القرآنية يمكن أن يتوسع مفهومه وما صدقه - على حد نظر الباحث- إلى الجانبين :

١. علوم للقرآن- بتقدير معنى اللام في هذا التركيب الإضافي- أي علوم لأجل كشف معاني القرآن الكريم واستخراج أحكامه وحكمه من العلوم التي تكون آلة ووسيلة لتفسير القرآن الكريم كما سلف ذكره في بحث العلوم التي يحتاجها المفسر. وهذا الجانب هو الذي يشتهر في لسان الملمين بعلوم القرآن وعلماء هذا الفن

٢. علوم في القرآن- بتقدير معنى في - بمعنى المعارف والعلوم التي يتناول القرآن بالإشارة إليها كما نشير بعضها من جديد من مختلف العلوم التي تنمو وتثمر في ضوء القرآن ولايتأتى للقارئ أوالمفسر استخراجها إلا بالاستعانة بالمعارف الحديثة .

لوحظ أن ابن عاشور يستعين بفهم النصوص القرآنية ببعض النظريات العلمية ذات الصلة فعند تفسيره قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] يقول ابن عاشور « أما هذه الآية فإنه إذا كانت السماوات متأخرًا خلقها عن خلق الأرض فثم للتراخي الرتبي لا محالة مع التراخي الزمني وإن كان خلق السماوات سابقاً فثم للترتيب الرتبي لا غير »

ويرجح ابن عاشور الثاني وينقل اختلاف السلف حول المتقدم في الخلق السماوات والأرض؟ وقال الجمهور بتقديم خلق الأرض ومن أصحاب هذا الرأي الحسن ومجاهد ونسب مثله إلى ابن عباس رضي الله عنه واستدلوا بقوله تعالى ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ٩]ألى أن قال ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ٩] قال قتادة والسدى والمقاتل أن خلق السماء متقدم واحتجوا بقوله تعالى ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بِنَاهَا . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨] إلى قوله تعالى .. ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [النازعات: ٣٠] ويذكر رأي من قال بخلق الأرض أولاً ويستعين بالعلم في ترجيح هذا الرأي على غيره « وقد أجيب على الرأي القائل إن السماء خلقت أولاً، إن الأرض خلقت أولاً ثم خلقت السماء ثم دحيت الأرض فالمتأخر عن خلق السماء هو دحو الأرض . والمرجح في ذلك عند ابن عاشور لأن هذا ما ذهب إليه علماء طبقات الأرض من أن

الأرض كانت في غاية الحرارة ثم أخذت تبرد حتى جمدت وتكونت منها قشرة جامدة ثم تشققت وتفتتت وهبطت منها أقسام وعلت أقسام بالضغط إلا أن علماء طبقات الأرض يقدرون لحصول ذلك أزمنة متناهية الطول وقدرة الله صالحة لإحداث ما يحصل به ذلك التقلب في أمد قليل بمقارنة حوادث تعجل انقلاب المخلوقات عما هي عليه »

ويرجح ابن عاشور القول الأول الذي قال إن السماء خلقت قبل الأرض، والتعليل لأن لفظ " بعد ذلك " أظهر في إفادة التأخر عن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ولأن أنظار علماء الهيئة ترى أن الأرض كرة انفصلت عن الشمس كبقية الكواكب السيارة من النظام الشمسي وظاهر سفر التكوين يقتضي أن خلق السموات متقدم على الأرض وأحسب أن سلوك القرآن في هذه الآيات أسلوب الإجمال في هذا الغرض لقطع الخصومة بين أصحاب النظرتين. (١)

ومن هذا يظهر جهد ابن عاشور في الاستعانة بالنظريات والكشوفات العلمية الحديثة في توضيح دلالات ومعاني الآيات الكريمة. ولا حرج في ذلك شريطة الاستعانة بالعلم الحديث الذي أصبح حقائق ثابتة وليس مجرد الفروض والاحتمالات القابلة للتعديل والتغيير والنقص والإضافة والقابلة لأن تتقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتغيير جديد بمجموعات الملاحظات القديمة.

ونلفت النظر إلى مفسر آخر بارز في الدراسة القرآنية في العصر الحديث وهو الإمام المراغي لا يألو جهداً في تقريب المعاني القرآنية متوسلاً بالمعارف الحديثة عند ما فسره قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] يحاول المراغي أن يقرب إيماننا بقدرته تعالى على الإحياء دون معرفتنا تفاصيل عملياته بتسليمنا وإيماننا بأمور كثيرة إيماناً يقينا ولا نعرف كيفيتها ونود لو نعرفها فهذا الأثير التلغراف اللاسلكي ينقل أخبار العالم في لحظة ولا نعرف كيفية ذلك بل أكثر من

(١) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، المصدر السابق، (ص. ١٤٦-١٤٧)

ذلك نقل الصور بالتلغراف من الأقطار النائية والقارات البعيدة. ومثله أصوات المذيع وأصوات التلفزة التي تنتشر في جميع الأقطار. (١)

وهنا يظهر النص لنا أن طبع الإنسان ميال إلى الرؤية الحسية، فالرؤية الحسية هي التي تولد عنده الاطمئنان وكأن الاطمئنان القلبي مسألة فوق القناعة العقلية لإبراهيم رسول كان مقتنعا بقدرة الله على إحياء الموتى ولكن أراد الاطمئنان القلبي الذي يصل إليه بالمشاهدة.

وفي سياق متصل يشير الدكتور صلاح أحمد حسن (٢) الدلالات العلمية في هذه الآية نتيجة استفادته بالمعارف والثقافات الحديثة فقال « هذه الآية البينة واحدة من آيات القرآن العظيم المعجزة لأنها احتوت على إعجاز علمي مبهر على كل عناصر المنهج العلمي التجريبي الأساسية وهي التجربة والمشاهدة والاستنتاج ولقد اتفقت حديثا كل الدوريات العلمية أن الآية [البقرة: ٢٦٠] اشتملت على عناصر المنهج العلمي التجريبي الخمسة (الهدف من البحث - مادة البحث - طريق عمل البحث - النتائج - والاستنتاج » وبيان ذلك يتضح في الضوء التالي:

- **الهدف من البحث** : دعوة إبراهيم عليه السلام لربه أن يريه كيف يحي الموتى لا للشك في نفسه ولكن لإشباع رغبته الدفينة في حب الاستطلاع وليزداد بالرؤية العينية يقينا على يقين وهذا يتضح بجلاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمِنَنَّ قَلْبِي ﴾.

- **مادة البحث** : أوحى الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بإحضار أربعة من الطير ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾

- **طريقة العمل** : أوحى الله تعالى لإبراهيم عليه السلام أن يذبح الطير الأربعة ثم يقطعن أشلاء صغيرة ثم يخط الأشلاء والريش بعضها ببعض ثم يقسمها إلى أجزاء ويقوم بتوزيع هذه المجامع المختلطة من اللحم والريش فوق قمم جبال مختلفة ثم

(١) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، المصدر السابق، (ص. ٣٣٦)
(٢) أستاذ العيون بطب أسبوط يلم بالتفسير العلمي ويظل كاتباً أسبوعياً روتينيا في الدلالات العلمية من خلال القرآن الكريم في جريدة " اللواء الإسلامي " الذي احتضنتها رجال الأزهر الشريف. يكاد يتحدث عن الدلالات العلمية بروعة البيان فضلا بالتخصص الذي ينطبع في نفسه (الطب وبيولوجي).

يعود إلى سابق مكانه الذي يذبح فيه الطير ويقوم بدعوتهن إليه، وهذا واضح عند قوله تعالى ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾.

- **النتيجة** : يرى إبراهيم عليه السلام بعينه أشلاء الطير ومعها الريش وهي تنفصل عن بعضها ثم تتجمع لتكون كل مجموعة منها الطائر الذي يخصها سليمان مكتملا ومغطى بريشه ويلبى نداء إبراهيم عليه السلام بالطيران إليه وفي هذا الصدد قال سبحانه ﴿ يَا تَيْبَتُكَ سَعِيًّا ﴾.

- **الاستنتاج** : عندئذ تكون التجربة العلمية قد اكتملت خطواتها وفاز إبراهيم عليه السلام بمطلبه من رب العالمين ورأى بعين اليقين كيف يحيى الله الموتى ولم يتبق له سوى أن يرفع يديه مستغفرا ومتشكرا لله العزيز الحكيم ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) وعلى ضوء ما سبق من أهمية الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة في تقريب معانى القرآن نحو المخاطبين المعاصرين والمتقنين الذين يحيط حولهم المعارف الحديثة المتطورة والثقافات العصرية المتقدمة، يجدر للمفسر أن يستوعب عددا من العلوم الحديثة وثقافة العصر بجانب أن يلم بعدة العلوم الشرعية التي لا غنى عنه لمن يتصدى في تفسير القرآن الكريم.

الفصل الرابع

دراسة نظرية وتطبيقية في أبرز اتجاهات التفسير في العصر

المبحث الأول

دراسة عن التفسير الموضوعي

(١) جريدة اللواء الإسلامي، الدلالات العلمية في قوله تعالى في سورة البقرة ٢٦٠، صلاح أحمد حسن، العدد ١٣٤٧، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧، (ص ٨)

يعود إلى سابق مكانه الذي يذبح فيه الطير ويقوم بدعوتهن إليه، وهذا واضح عند قوله تعالى ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾.

- **النتيجة** : يرى إبراهيم عليه السلام بعينه أشلاء الطير ومعها الريش وهي تنفصل عن بعضها ثم تتجمع لتكون كل مجموعة منها الطائر الذي يخصها سليمان مكتملا ومغطى بريشه ويلبى نداء إبراهيم عليه السلام بالطيران إليه وفي هذا الصدد قال سبحانه ﴿ يَا تَيْبَتُكَ سَعِيًّا ﴾.

- **الاستنتاج** : عندئذ تكون التجربة العلمية قد اكتملت خطواتها وفاز إبراهيم عليه السلام بمطلبه من رب العالمين ورأى بعين اليقين كيف يحيى الله الموتى ولم يتبق له سوى أن يرفع يديه مستغفرا ومتشكرا لله العزيز الحكيم ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) وعلى ضوء ما سبق من أهمية الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة في تقريب معانى القرآن نحو المخاطبين المعاصرين والمتقنين الذين يحيط حولهم المعارف الحديثة المتطورة والثقافات العصرية المتقدمة، يجدر للمفسر أن يستوعب عددا من العلوم الحديثة وثقافة العصر بجانب أن يلم بعدة العلوم الشرعية التي لا غنى عنه لمن يتصدى في تفسير القرآن الكريم.

الفصل الرابع

دراسة نظرية وتطبيقية في أبرز اتجاهات التفسير فى العصر

المبحث الأول

دراسة عن التفسير الموضوعي

(١) جريدة اللواء الإسلامى، الدلالات العلمية في قوله تعالى في سورة البقرة ٢٦٠، صلاح أحمد حسن، العدد ١٣٤٧، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧، (ص ٨)

المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي

ومن المناسب هنا أن نذكر بما نقصده من المنهج الموضوعي وما هي إلا الموضوعية في القرآن الكريم التي تتطلب أن تدرس بمنهج موضوعي يخالف ما استقر إليه الأمر في فترة زمنية بعيدة المدى من دراسة تفسير القرآن الكريم على نهج تقليدي.

والقارئ الواعي يلفت النظر أن القرآن مع متانة أسلوبه وروعة بلاغته نجد فيه ظاهرة عجيبة هي ما نسميه تكرار الموضوع الواحد في سور مختلفة وبأساليب متباينة، فعلى سبيل المثال يصف القرآن الكريم " الإنسان " بأوصاف متعددة وفي شتى الأماكن في سورمكية وأخرى مدنية وهي أوصاف في مجموعها تكشف عن الإنسان وتبين عن حقيقته من غرائز وميول وطباع. ومع هذا تأتي كل آية حول الإنسان مناسبة تماما لما قبلها ولما بعدها من الموضع الذي وردت فيه.

إن هذا الأساس ما دام ليس تكرارا ولا تباينا أو اختلافا هو الوحدة الموضوعية التي تتكامل فيها جانب الموضوع المفارقة في السور، وفي كثير من السور لكل قضية أوجانب من هذا الموضوع موضع ومناسبة لذكره فيها، فإذا ما أخذت هذه القضايا المتناثرة أو الجوانب المتفرقة - لحكم وأسرار - وجمعت معا تكون منها موضوع واحد متكامل ذلك ما نسميه بالوحدة الموضوعية أو وحدة الموضوع في القرآن الكريم.(^١)

• تعريفه

التفسير الموضوعي مركب من كلمتين. أما التفسير فقد سبق أن تحدثنا في تعريفه.

الموضوعي نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع. والوضع : جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك معنى الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء أو التثبيت في المكان. الأول وضع مادي حسي ومنه وضعه على الأرض بمعنى حطه وإلقائه وتثبيته عليها. الثاني وضع معنوي. ومنه الوضع وهو الدنيء المهان الذليل الذي

(^١) اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، الدكتور إبراهيم شريف ، دار التراث- القاهرة، (ط ١)، (سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) (ص ٤٥٢-٤٥٣)

قعدت به همته أو نسبه فكأنه ملقى على الأرض موضوع عليها لا يفارق موضعه الذي التصق به. والنوعان يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مغادرته. وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين وموضوع محدد من موضوعات القرآن يبقى معه ولا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ منه. (١)

وقيل وموضوعي: نسبة إلى موضوع فيقال مثلاً: البر في القرآن الكريم، القيامة والجزاء في القرآن الكريم، الإحسان في القرآن الكريم وهكذا. وإضافة (تفسير) إلى (موضوع) صارت علماً على هذا الفن بعد أن ركبت معها وصارت كلمة واحدة كتركيب (معديكرب) فتوسيت تلك الإضافة.

ومعناه الإصطلاحي أورده العلماء المعاصرون بعدة تعريفات متقاربة المعنى، منها

(١) التفسير الموضوعي: جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية. (٢)

(٢) التفسير الموضوعي: عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد مشتركة في الهدف وترتيبها على حسب النزول - كلما أمكن ذلك - ثم تناولها بالشرح والتفصيل وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم والكشف عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شبه الضالين والملحدين من أعداء الدين. (٣)

(٣) التفسير الموضوعي: اصطلاح مستحدث أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات ذات الهدف الواحد - التي اشتركت في موضوع ما وترتيبها على حسب النزول - ما أمكن ذلك - مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناول بالشرح والبيان والتعليق والإستنباط وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها ووزنها بميزان العلم الصحيح الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفى مسلم، دار القلم - بيروت، (بدون تاريخ) (ص ١٥)

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ١٦)

(٣) معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره - نظرة جديدة في التفسير الموضوعي -، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (ص ١٩)

ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر ويحيط به إحاطة تامة تمكنه من فهم أبعاده والذود عن حياضه.^(١)

التفسير الموضوعي مصطلح معاصر استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعا من موضوعات القرآن الكريم وقد اشتمل على كثير من المباحث والموضوعات المتنوعة التي تخدم الفرد والمجتمع المسلم القوي وتدفع بالجميع إلى حياة أفضل هدفها نشر الدين وإعلاء كلمات الله ثم الجزاء بالحسن في الآخرة. والتفسير الموضوعي تقسيم لآيات القرآن الكريم إلى مجموعات كل مجموعة منها تدرج تحت عنوان يشملها جميعا هذه الآيات المتفرقة تكون بحثا مستقلا متميزا عن غيره ذات موضوع واحد وهدف واحد.

ومن التعاريف السابقة أن التفسير الموضوعي علم له قواعد وأسس وأصول وله منهج وطريقة يلتزم بها الباحث - وسنفضل ذلك فيما بعد - يقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد مشترك في الهدف أو مصطلح واحد من مختلف السور سواء كانت هذه الآيات تتحدث عن نفس المصطلح أو تتحدث عن مصطلحات وألفاظ مقاربة وبعد ذلك يقوم الباحث بتفسير هذه الآيات تفسيرا منهجيا موضوعيا - وليس تفسيرا تحليليا - بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط ليحقق مقاصد القرآن الكريم وأهدافه الأساسية من خلال بحثه الموضوعي في تلك الآيات بحيث يدركها بسهولة ويسر مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع والكشف عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من الشبهات.

والتفسير الموضوعي يطلق ويراد به أمران بينهما ارتباط من بعض الوجوه :

الأول : جمع الأشباه والنظائر في القرآن الكريم حسب مادة الكلمة اللغوية ثم ترتيبها ترتيبا معجميا وذلك كما صنع الفقيه الدامغاني^(٢) في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وكان يسميه أحيانا (قاموس القرآن). وقريب منه كتاب (بصائر

(١) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٤١)
(٢) حسين بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغاني (٤٧٨ - ٥٠٠ هـ = ١٠٨٥ - ١١٠٠ م) فقيه حنفي، نسبته إلى دامغان (بين الري ونيسابور) له كتب، منها (الوجوه والنظائر) في علوم القرآن، مبوب على حروف المعجم، و (سوق العروس وأنس النفوس) و (المجرد في الحكايات) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٤)

ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز). ومنهم من لا يتقيد بالترتيب الهجائي للمفردات كما صنع مقاتل بن سليمان البلخي^(١) المتوفى (١٥٠ هـ) في كتابه (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) مثل كلمة " الاستغفار " فقد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه ثم أتى بعدها بكلمة (الدين) وردت في القرآن على خمسة أوجه ثم ذكر (الحس) وردت على أربعة أوجه وهكذا دون ترتيب أبجدي. وقريب منه أيضا - ابن الجوزي - المتوفى (٥٩٧ هـ) في كتابه القيم (نزهة الأعين النواظر في علم الأشباه والنظائر) وكذا ابن العماد المتوفى (٨٨٧ هـ) في كتابه (كشف الأسرار في الوجوه والأشباه والنظائر) وغيرهم ممن تحدث عن الأشباه والنظائر في القرآن الكريم.

الثاني: ذكر الموضوع ثم جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم مما لها علاقة به، سواء اشتركت معه في اللفظ أو المعنى أو ارتبطت بالموضوع ارتباطا قويا من بعض الوجوه، وذلك مثل موضوع " المرأة في القرآن الكريم " فتجمع الآيات التي تحدثت عن المرأة في الزواج والطلاق والحضانة والميراث والعلاقة الزوجية وغير ذلك مما يتعلق بشئون المرأة مما تناولته الآيات القرآنية. كذلك " الجهاد في القرآن " ومثله " الصبر في القرآن " إلى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة. ومما سبق يتبين لنا أن أقرب تعريف للتفسير الموضوعي أن يقال جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.^(٢)

وهذا الاطلاق - الثاني - هو الذي يتبادر إلى الفهم عند إطلاق اسم التفسير الموضوعي وهو الذي يدور عليه بحثنا وتهدف إليه دراستنا.

• نوع التفسير الموضوعي (ألوان التفسير الموضوعي)

(١) مقاتل بن سليمان المفسر أبو الحسن روى عن مجاهد والضحاك وابن بريده وعنه حرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وخلق قال ابن المبارك ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وعن مقاتل بن حيان وهو صدوق قال ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر وقال الشافعي الناس عيال في التفسير على مقاتل وقال أبو حنيفة أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء وأفرط مقاتل يعني في الإثبات حتى جعله مثل خلقه وقال وكيع كان كذابا وقال البخاري قال سفيان بن عيينة سمعت مقاتلا يقول إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية-بيروت) (ج ٦ ص ٥٠٥)

(٢) معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره، المصدر السابق، (ص ١٩ - ٢٠)

ألوان التفسيرالموضوعي ثلاثة :

١- التفسيرالموضوعي للمصطلح القرآني

٢- التفسيرالموضوعي للموضوع القرآني

٣- التفسيرالموضوعي للسورة القرآنية

وفيما يلي بيان كل لون من هذه الألوان الثلاثة:

اللون الأول: أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وكثير من الكلمات القرآنية أصبحت مصطلحة قرآنية. فكلمات الأمة - الصدقة - الجهاد- الكتاب - المنافقون - الزكاة - الربا- نجدها تأخذ وجوها في الاستعمال والدلالة.

ومن المعلوم أن كتب غريب القرآن وكتب الأشباه والنظائر قد تضمنت هذا اللون من التفسير وهي العمدة في مثل هذه الأبحاث إلا أن المؤلفات القديمة من هذا اللون بقيت في دائرة دلالة الكلمة في موضعها ولم يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السورفبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية. أما المعاصرون الذين كتبوا في هذا اللون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع فكان أشبه ما يكون باللون الثاني من التفسيرالموضوعي. (١)

وفيما يلي نقدم نموذجاً على هذا اللون من التفسيرالموضوعي من كتاب الدامغاني " إصلاح الوجوه والنظائر " حيث قال تحت مادة (خ ي ر):

«خ ي ر على ثمانية أوجه: المال- الإيمان - الإسلام- أفضل - العافية- الأجر- الطعام- الظفر. فوجه منها الخير بمعنى المال كقوله تعالى :

(١) جلال الفكر في التفسيرالموضوعي لآيات الذكر، للدكتورجمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهركلية أصول الدين- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (ص ٢٣)

- كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا [البقرة: ١٨٠] يعني مالا

- فُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ [البقرة: ٢١٥] من مال

- وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ [البقرة: ٢٧٢] أي لا تنفقوا مالا

- وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ [البقرة: ٢٧٢] أي من مال

- قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ [ص: ٣٢] يعني حب المال

- إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا [النور: ٣٣] يعني مالا

الثاني: الخير يعني الإيمان كما في قوله تعالى :

- وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ [الأنفال: ٢٣] يعني لو علم الله فيهم إيماننا

- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا [الأنفال:

٧٠] يعني إيماننا

- وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا [هود: ٣١] يعني إيماننا

الثالث : الخير يعني الإسلام كقوله تعالى:

- مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ

[البقرة: ١٠٥] يعني الإسلام

- مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ [ق: ٢٥] يعني الإسلام نزلت في الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه

أن يسلم. ونظيرها في سورة ن (القلم: ١٢).

الرابع يعني الأفضل كقوله تعالى:

- وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [المؤمنون: ١١٨]

- وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [الأعراف: ٨٧] أي أفضل الحاكمين.

- أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ [الزخرف: ٥٢] أي أفضل من هذا

الخامس: الخير يعني العافية كقوله تعالى:

- وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهَوَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام: ١٧] يعني بعافية.

السادس: الخير يعني الأجر كقوله تعالى:

- وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ [الحج: ٣٦] يعني لكم فيها أجر

السابع: الخير يعني الطعام

- فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [القصص: ٢٤] يعني من طعام

الثامن : الخير يعني الظفر والغنيمة والطنن في القتال كقوله تعالى :

- وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا [الأحزاب: ٢٥] يعني ظفرا وغنيمة.(١)

اللون الثاني: تحديد موضوع ما يلحظ به الباحث تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق.

فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم ويستخرج التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة فينسق بين عناصره ويقدم لها بمقدمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع ويحاول أن يقسمه على أبواب وفصول ومباحث ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها. ويتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات فلا يذكر القراءات ووجوه الإعراب والنكت البلاغية إلا بمقدار ما تلقى أضواء على أفكار الموضوع الأساسية ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذاب

(١) الوجوه والنظائر، للدماغاني، تحقيق محمد حسن أبو العز (بدون ذكر مكان الناشر وبدون التاريخ) (ج ١ ص ٢٩٩-٣٠٢)

لتوضيح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض أفكار الموضوع بأساليب معينة واختيار ألفاظ محددة لها.

وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أطلق اسم التفسير الموضوعي فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه. ومثال هذا اللون سيتناول به الباحث في نماذج التفسير الموضوعي كدراسة تطبيقية له.

اللون الثالث : هذا اللون شبيه باللون الثاني إلا أن دائرة هذا اللون أضيق من دائرة سابقة حيث يبحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة. ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة

وطريقة البحث في هذا اللون أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي أو أهدافها الرئيسية ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدنية ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة.^(١)

وهذا اللون من التفسير الموضوعي يسميه بعض العلماء - مثل الدكتور السيد تقي الدين السيد - بـ "الوحدة العضوية في السورة القرآنية" ^(٢) والبعض الآخر - مثل الدكتور محمد محمود حجازي^(٣) - يسميه "الوحدة الموضوعية في السورة" ^(٤).

يكاد يكون تعدد الموضوع ظاهرة من ظواهر القرآن الكريم وذلك لاختلاف البيئة عند النزول واختلاف جوهر الموضوع وحقيقته بالنسبة للمخاطبين.

(١) جلال الفكر في التفسير الموضوعي لآيات الذكر، المصدر السابق، (ص ٢٩ - ٣٠)

(٢) نظرات في الأسلوب القرآني، للدكتور السيد تقي الدين السيد، هدية مجلة الأزهر المجانية- القاهرة، شهر ربيع الآخر ١٤٢٨هـ (ص ٧٧)

(٣) ولد الشيخ في محافظة الشرقية - عام ١٩١٤م - ودرس العلم في معهد الزقازيق ولما انتهى من دراسته في هذا المعهد يمم وجهه إلى القاهرة دارسا بكلية اللغة العربية وجد فنال العالمية ثم عين مدرسا بمعهد الزقازيق الذي تخرج منه. اتجه التخصص في التفسير وكتب "التفسير الواضح" كان طموحه أن يكون أعلام أساتذة كلية أصول الدين وحصل الدكتوراه في جامعة الأزهر برسائلته الرائعة "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم" (مناهج المفسرين، للدكتور منيع عبد الحليم محمود، مطبعة المدني- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (ص ٢٩٩)

(٤) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، للدكتور محمد محمود حجازي، دار التفسير- الزقازيق، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ص ٨٧)

إن السورالمكية أنزلت قبل الهجرة أكثرسورالقرآن عددا إذ تبلغ بضعا وثمانين سورة بينما المدني يبلغ تسعا وعشرين سورة ، فهي من أكثرها عددا إلا أن فيها المفصل وقصار السور . وعلى الجملة فأهدافها لتحقيق الدعوة الإسلامية ثلاثة:

(١). توحيد الله في العبادة والتشريع وما يتبعه من نفي الشركاء وبيان حقيقتهم.

(٢). الوحي والرسالة وما يتبعها من ذكرقصص الأمم السابقة مع أنبيائهم لبيان العظة والعبرة من نهاية الكافروالمؤمن وليكون ذلك دليلا على صدق الرسول.

(٣) الإيمان بيوم الدين يوم الجزاء وما يتبعه من الجنة والنار

وأما السورالمدنية فهدفها - مع تحقيق الأهداف الكبرى في السور المكية - مجادلة أهل الكتاب ومناقشتهم وللتعرض لماضيهم مع أنبيائهم. كانت عنايتها بالمسلمين ومجتمعهم قوية فسنت التشريعات التي تكفل لحياة الفرد والمجتمع حياة سعيدة. فكل سورة لها هدف ولها طابع وقد طرقت عدة موضوعات كثيرة اللهم إلا بعض قصار السورة مثل الكوثروالماعون وقريش والكافرون. وبقية السورلها هدف عام في سبيل تحقيقه تطرق عدة موضوعات متشعبة إلا أنها مرتبطة ارتباطا تاما مع الهدف العام وذلك تحقيقا لمبدأ المناسبة التامة بين الآيات في السورواإن اختلفت في النزول.(١)

وقد عرض الدكتورمحمد عبد الله داراز نموذجا في مثل هذا اللون من التفسيرالموضوعي المعروف ب" الوحدة العضوية في السورة القرآنية " أو " الوحدة الموضوعية في السورة " لسورة البقرة قائلا « نظام عقد المعاني في سورة البقرة إجمالا وتفصيلا:

اعلم أن السورة على طولها تتألف من مقدمة - وأربعة مقاصد - وخاتمة. وذلك على هذاالترتيب :

(المقدمة) في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدا من الوضوح لا يتردد فيه ذوقلب سليم وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو من كان في قلبه مرض: عشرون آية (٢٠ - ١)

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٨٧ - ٨٨)

(المقصد الأول) في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام : خمس آيات (٢١-٢٥)
(

وعود على بدء وهو وصف طريق القرآن في الهداية ثم عود إلى المقصد الأول لكن
بثوب جديد وذلك في أربع عشرة آية (٢٦ - ٣٩)

(المقصد الثاني) في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في
هذا الدين الحق: ثلاث وعشرين ومائة آية (٤٠ - ١٦٢)

(المقصد الثالث) في عرض شرائع هذا الدين تفصيلا : ست ومائة آية (١٧٨ -
٢٨٣)

(المقصد الرابع) نكر الوازع والنازع الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع وينهى عن
مخالفتها: آية واحدة (٢٨٤)

(الخاتمة) في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد : آيتان في
آخر السورة (٢٨٥ - ٢٨٦) « (١)

ومن هنا يرى الباحث على ضوء هذا التخطيط مدى تماسك بنية القرآن بصورة عامة
وترابط كيان سورة البقرة بصفة خاصة حيث برز نظام الوحدات في هذه السورة مع
كثرة الموضوعات التي احتضنتها ويرى مدى الترابط بين عناصر هذه السورة بحيث
تكون وحدة عضوية فهناك دستور لا يقبل شكا وهذا الدستور موجه للعالمين
وهذا الدستور مكون من بنود. ولكن كيف نجمع الناس حول هذا الدستور؟ بذكر الوازع
الديني وتنميته ثم تأتي الخاتمة لتكون نتيجة طبيعية لهذا الفن الدقيق فما هي هذه
النتيجة؟ هي:

﴿ أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] بعد ما أشار الله
في أول السورة بقوله ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

(١) النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن الكريم- ، للدكتور محمد عبد الله داراز، تحقيق: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، دار
القلم- الكويت، (ط ١٠)، سنة (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) (ص ١٩٦ - ١٩٧) وفي هذا الصدد نقل الباحث مجملًا فكرة الوحدة
الموضوعية لسورة البقرة عند عبد الله داراز الذي يبحثها بحثًا مفصلاً (من رقم ١٦١ - ٢٧٤)

[البقرة: ٢ - ٣]. وهذا يؤكد مواكبة النص القرآني من أول السورة إلى آخرها ويربط بين عناصرها حتى تتعاقب فيها الجمل والكلمات حتى التأمّت كسلسلة واحدة.

• نشأته وتطوره

إنه ليس في وسعنا أن نحدد بداية لنشأة التفسير الموضوعي بالمعنى الاصطلاحي الذي ظهر في عصرنا الحاضر، إذ أنه وجد هذا اللون من التفسير لدى بعض المتقدمين فإنه لم يكن معروفاً وشائعاً بينهم بهذا الاسم ولكننا بعد التأمل في كتاب الله ودراسة بعض الموضوعات ظهر لنا أن أصل هذا الاتجاه في التفسير الموضوعي كامن في كتاب الله تعالى وفي آياته البينات وردت في موضوع واحد لمعالجته في صورته المتنوعة، وظفرت بأمثاله، منها عدة المطلقة فإن الآية الكريمة التي تقول ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قد عمت جميع المطلقات في الحكم وبالنظر في آيات القرآن المتعلقة في هذا الموضوع مجتمعة تبين لنا أن كل آية منها تعني حالة من حالات المطلقة فليس كل مطلقة عدتها ثلاثة قروء سواء كانت القروء بمعنى الأطهار أم كانت بمعنى الحيض بل هناك مطلقة ليس لها عدة أصلاً وهي المطلقة قبل أن يمسه زوجها، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ [الأحزاب: ٤٩] واليائسة من الحيض لكبر سنها مثلاً عدتها ثلاثة أشهر قال تعالى ﴿ وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤]. وهناك نوع آخر من المطلقات وهي المرأة المطلقة وهي حامل فعدتها بوضع حملها ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤] وهذا النوع يذكره الأصوليون في مباحث الخاص والعام لكن لا نرى مانعاً من أن تجري عليه دراسة التفسير الموضوعي لأنه تفسير القرآن بالقرآن. (١)

ومن المعلوم أن أعظم مصادر التفسير تفسير القرآن بالقرآن وهو منهج أصيل استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ووجه إليه كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره، المصدر السابق، (ص ٢١)

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴿ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله فأينا لم يظلم نفسه ؟ قال إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا مقال العبد الصالح ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك)) (١).

ويرى الدكتور عبد الحي الفرماوي (٢) - على حسب ما أشار الدكتور علي خليل - أن ذلك البذرة الأولى في التفسير الموضوعي حيث يقول « ونقول: بهذا الفهم الذكي يشير الأستاذ الدكتور علي خليل إلى البذرة الأولى في الحقل الطاهر لهذا النوع من التفسير، فضلا من أنه لنا قياسا على ذلك أن نقول: إن كل ما فسر من القرآن بالقرآن وهو من التفسير بالمأثور هو من التفسير الموضوعي وهو - في نفس الوقت - بدايات قديمة لهذا المنهج ومن ذلك تفسير لفظ " كلمات " في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿ [البقرة: ٣٧] بقوله عز وجل ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ [الأعراف: ٢٣] وتفسير المستثنى في قوله تعالى ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴿ [المائدة: ١] بقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴿ [المائدة: ٣] ثم نجد بعد ذلك بذورا تظهر في كثير من صفحات الكتب المطولة التي عنيت بالقرآن الكريم ولكن بشكل ثانوي لم يقصد إليه كمنهج مستقل، وفي شكل موجز من الأحيان كالفخر الرازي والقرطبي وابن العربي» (٣) فإذا نظرنا إلى المفسرين القدامى نجد من انتهج هذا المنهج ولو من بعض الوجوه مثل مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة (١٥٠ هـ) له كتاب " الأشباه والنظائر في القرآن الكريم " كما سبقت الإشارة إليه وهي أقدم وثيقة بين أيدينا في كتب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم فمثلا يقول عن كلمة الطعام ما نصه:

تفسير الطعام على أربعة وجوه:

(١) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى - (ولقد آتينا لقمان الحكمة... الآية) (٣٤٢٩)، المصدر السابق، (ج ٣ ص ١٢٨)
(٢) وهو من مواليد رجب ١٣٦١ هـ الموافق ١٩٤٢ م بجمهورية مصر العربية - محافظة منوفية حصل على درجة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن (١٩٧٢ م) بجامعة الأزهر وعلى درجة الدكتوراه (١٩٧٥ م) ثم أعير ليعمل أستاذا زائرا بجامعة الإمام محمد سعود بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة . والجولات الدعوية التي سار عليها خرج مصر: ألمانيا- السويد- الدنمارك- النمسا- الولايات المتحدة - كندا - المكسيك : الموقع : www.hadielislam.com (راجع البداية في التفسير الموضوعي ، للدكتور عبد الحي الفرماوي في السيرة العلمية للمؤلف ص ١٦١ - ١٦٤)
(٣) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٤٢ - ٤٣)

فوجه منها الذي يأكله الناس كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤]

والوجه الثاني الطعام يعني الذبائح وذلك قوله تعالى ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ٥] يعني وذبائحكم حل لهم.

والوجه الثالث: الطعام يعني مליح السمك وذلك قوله تعالى ﴿ أَجِلٌّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ [المائدة: ٩٦]

والوجه الرابع: طعموا يعني شربوا وذلك قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا ﴾ [البقرة ٢٤٩] يعني شربوا من الخمر قبل التحريم كقوله تعالى ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ [البقرة: ٢٦] يعني من لم يشربه.^(١)

وممن ينهج منها قريبا من التفسيرالموضوعي مثل:

ابن القيم^(٢) الذي أفرد كتابا من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن ، وسماه " البيان في أقسام القرآن "

وأبوعبيدة أفرد كتابا للكلام عن " مجاز القرآن "

والراغب أفرد كتابا في " مفردات القرآن "

وأبوجعفرالنحاس^(٣) أفرد كتابا في " الناسخ والمنسوخ من القرآن "

الواحدي أفرد كتابا في " أسباب النزول "

(١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، (ص ١٨٨)
(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) مولده ووفاته في دمشق من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء... تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه كان قد لازم ابن تيمية وأخذ عنه علما جما وبرع في علم الحديث بحيث انتهت إليه فيه الرئاسة ابن قال الحافظ ابو بكر محمد بن المحب قلت لشيخنا الحافظ المزي ابن القيم في درجة ابن خزيمة فقال هو في هذا الزمان كابن خزيمة في زمانه ومن مصنفاته (زاد المعاد في هدي خير العباد) (إعلام الموقعين) وما إلى ذلك (الشهادة الزكية لمعري بن يوسف الكرمي الحنبلي ج ١ ص ٣٣) و(الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٥٦)

(٣) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس(٠٠٠ - ٣٣٨ هـ = ٠٠٠ - ٩٥٠ م) مفسر، أديب مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه وصنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن) و (تفسير أبيات سيويه) و (ناسخ القرآن ومنسوخه) و (معاني القرآن)(الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٠٨)

الجصاص أفرد كتابا في " أحكام القرآن "

والنظار فيما كتبه هؤلاء الأعلام ، يرى أن من كتب في أسباب النزول تحرى جمع الآيات التي نزلت على أسباب خاصة فذكرها وذكر أسبابها وبين المراد منها، ومن كتب في الناسخ والمنسوخ أورد جمع الآيات التي قيل في نسخها وذكر الناسخ لها من القرآن الكريم وكذلك من كتب في مجاز القرآن تحرى جميع الألفاظ المجازية في القرآن وبين أنواع المجاز فيها وهكذا ومن كل هذا ندرك أن نشأة هذا النوع من التفسير قديمة بهذه البدايات التي لم يقصد معها أن يكون لها طابع المنهج المستقل ولكن تثبت لنا - على الأقل - أن هذا النوع من التفسير ليس بجديد على بساط الدراسات القرآنية وإنما الجديد هو اهتمام الباحثين به على هذا النحو الذي جعله يأخذ له من المعالم والملاح ما يوضحه ويميزه عن مناهج التفسير الأخرى بل يبرزه بينها كمنهج فريد مستقل.^(١)

• أسباب ظهور التفسير الموضوعي ومدى أهميته

تبين لنا فيما سبقت الإشارة إليه أن التفسير الموضوعي - بالمفهوم العلمي المنهجي الموضوعي - علم تفسيري معاصر لم يبحث فيه السابقون على هذه الطريقة وأنه يلبي حاجات المسلمين المعاصرة وذكرنا أنه يجب أن ينطلق من التفسير الموضوعي ويتممه فهما متكاملان وليس متغايرين أو متناقضين. إن التفسير الموضوعي هو " تفسير المستقبل " وما زال البحث فيه في بداياته الأولى سواء في الجانب النظري التعقدي المنهجي أو في جانب التطبيقي الميداني العملي.

رغم كثرة التفاسير السابقة إلا أنها لم تأت على كل معاني القرآن ورغم جهود علمائنا المفسرين ونظراتهم النافذة الثاقبة في القرآن إلا أنهم لم يستوعبوا كل ما في القرآن. لقد أخذوا من القرآن ما أخذوا من كنوز وجواهر لآلي، وبقي القرآن بحرا زاخرا بالكنوز والآلي والجواهر، ومهما اغترف العلماء اللاحقون من معين القرآن فإنه يبقى غنيا غامرا وكما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه « لا يشبع منه العلماء ولا تتقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد »^(٢).

(١) البداية في التفسير الموضوعي ، المصدر السابق، (ص ٤٣-٤٤)

(٢) رواه الترمذي، أقرأ سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث ٢٨٣١.

كم ترك علماءنا السابقون من معاني ودلالات وميادين القرآن، رغم نفاسة وأصالة ما قدموا لنا وكم سنترك نحن للأجيال القادمة من هذه المعاني والدلالات سيتركون لمن بعدهم منها. ينطبق على كل العلماء في تعاملهم مع القرآن قول القائل: كم ترك الأول للآخر - وكم هنا هي التكثرية الخيرية وليست الاستفهامية-.

ويمكن أن نستخلص هنا أهم الأسباب التي أدت إلي ظهور التفسير الموضوعي:

١ (الطبيعة العامة لهذا العصر حيث شهد تحكم " الجاهلية " في العالم وقيادتها للبشرية وانتقاش الكفروانتشار الأفكار والآراء الجاهلية الكافرة ووصول هذه الأفكار إلى عقول المجتمع المسلم. وقيام الكفار بتصعيد الغزو الفكري ضد المسلمين. فدعت هذه الحاجة المفكرين والعلماء الإسلاميين المعاصرين إلى التوجه إلى القرآن وتدبره لاستخراج حقائقه ودلالاته التي يتم بها تنفيذ الأفكار والمبادئ الغازية الجاهلية ومواجهتها ووقاية المسلمين من شرورها وهذا حسن إدراك من المفكرين المعاصرين مهمة القرآن الجهادية المتمثلة في مثل قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]

٢ (الوضع العام المحزن للمسلمين في هذا العصر حيث شهد العصر الحديث انحسار الإسلام عن واقع المسلمين إذ تم القضاء على الخلافة الإسلامية وأقصى الإسلام عن الحكم والتوجيه. ونشأت مناهج الحياة في بلاد المسلمين على أسس غير إسلامية وأصبح الإسلام غريبا في مؤسسات ومجتمعات المسلمين. وقد دفعت هذه الظاهرة الدعاة العلماء إلى العودة إلى القرآن الكريم ودعوة المسلمين إلى الالتزام به وتطبيق توجيهاته ومبادئه في حياتهم، لذلك قاموا بدراسة موضوعات القرآن وتقديمها للمسلمين ليفهموها ويستوعبوها ثم ليتربوا عليها ويلتزموا بها.

٣ (مواكبة التطور العلمي المعرفي في هذا العصر حيث شهد العصر الحديث توجه العلماء والباحثين إلى مزيد من التخصص الدقيق والتعمق المنهجي العلمي وتجميع الجزئيات المتفرقة في أطرعامه موحدة. لم يعد المفكرون المعاصرون مهتمين

بالتفصيل والتجزيء وتناول المسائل العلمية والموضوعات الفرعية بصورة فردية منعزلة عن مثيلاتها وإنما صاروا مهتمين بالتصنيف الموضوعي الشامل للمسائل والقضايا. لذلك أقبل المفكرون المسلمون على القرآن ونظروا فيه النظرة التوحيدية التجميعية ولاحظوا مقاصده العامة واستخرجوا منه الموضوعات العامة الموحدة وقدموا هذه الدراسات في التفسير الموضوعي.

(٤) إصدار أعمال علمية موضوعية عامة تتعلق بالقرآن وألفاظه وموضوعاته ساعدت هذه الدراسات المعجمية العلمية الباحثين في القرآن وسهلت لهم استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات. بعض هذه المعاجم العلمية صدر من مستشرقين غربيين مثل كتاب " نجوم الفرقان في أطراف القرآن " للمستشرق الألماني - فلوجل - وكتاب " تفصيل موضوعات القرآن " للمستشرق الفرنسي - جول لا بوم (١) - وكتاب المستدرك على كتاب لابوم لمستشرق الفرنسي إدوار (٢) مونتييه. وبعض هذه المعاجم صدر من باحثين مسلمين أو مجامع عربية مثل كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن " لمحمد فؤاد عبد الباقي وكتاب " معجم الأدوات والضمائر في القرآن " للدكتور إسماعيل عمارة والدكتور مصطفى السيد وهو تكملة لمعجم عبد الباقي وكتاب " معجم ألفاظ القرآن الكريم " الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة وكتاب " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " لمحمد عبد الخالق عزيمة. وكل هذه المعاجم سهلت على الباحثين الوقوف على موضوعات القرآن ومعرفة الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع الواحد في أسرع وقت واستقصاء هذه الآيات. لذلك ساعدت هذه المعاجم على إصدار الدراسات الموضوعية القرآنية.

(١) مفكر فرنسي منصف وموضوعي في النظر للقرآن الكريم والدراسات القرآنية ألف كتاب (تفصيل آيات القرآن الحكيم) وضعه بالفرنسية وبلبه المستدرك، ادوارد مونتييه نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي يقول فيه "العلم انتشر في العالم على يد المسلمين ، والمسلمون أخذوا العلوم من (القرآن) وهو بحر العلم ، وفرعوا منه أنهاراً جرت مياهها في العالم ...". إن أعمال فهرسة القرآن و فهارس الموضوعات مثل المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم ، جمعه / محمد بسام رشدي الزين ، و معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم ، جمعه / الدكتور عبد الصبور مرزوق ، و تصنيف آيات القرآن الكريم ، جمعه / محمد محمود إسماعيل ، و الترتيب والبيان عن تفصيل أي القرآن ، جمعه / محمد زكي صالح . وهؤلاء اتخذوا من عمل المستشرق جول لابوم منهج التأليف في ترتيب المعاني . وهذه الأعمال يعتبرها البعض في ضمن الدراسات البيولوجرافية التي يعنونونها بكشافات آيات القرآن الكريم. (راجع جامع لطائف التفسير ١ / ٢١٦) و (أرشيف ملتقى أهل التفسير- (٨) - ١ / ١٠٤٧) و (أرشيف ملتقى أهل التفسير- (٣) - ١ / ١١١٥)

(٢) المستدرك لجول لابوم في الدراسات القرآنية من أبحاث المعاجم والموضوعات القرآنية

٥) التفات أقسام التفسير في الدراسات العليا في الكليات الشرعية والجامعات الإسلامية وتوجيه الأساتذة المشرفين طلابهم إلى الكتابة في التفسير الموضوعي والبحث في الموضوعات القرآنية وقد صدرت عن الباحثين في هذه الأقسام منوعة في الرسائل الجامعية تتفاوت في قيمتها العلمية لكنها بدايات جيدة مشجعة.^(١)

إن من يدقق نظره في التفسير الموضوعي يرى أنه محاولة جادة لمواكبة أفكار الناس ومشاربهم ومتابعة لاهتماماتهم وملاحقة لقضايا العصر بطريقة تتناسب مع ظواهر العصر ونزعتهم الممكنة لتلقي أبناءه بالقبول بهذا النوع من التفسير وإقبال الجماهير تجاهه حتى يجدوا من القرآن الكريم ما يحتاجونه في مواجهة تحديات الحياة وحل مشكلاتها. ومن هنا يمكن أن يستعرض الباحث مدى أهميته :

١. أنه بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد بعضها مع بعض في مقام واحد يبين بعضها على بعض وتكون هذه الآية تفسر لتلك يكون ذلك تفسيراً بالمأثور وهو أقرب الطريق إلى الصواب في التفسير.

٢. إن جمع الآيات يعطي الناظر في الموضوع الواحد فكرة تامة وإحاطة كاملة بجوانب الموضوع تجعلها يستقصى كل ما ورد فيه من النصوص القرآنية ويدرك ما بينها من انسجام وترابط.^(٢)

٣. إن تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به وتحديد المرحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج به جوانبه وتوجيه ما ظاهره التعارض. كل ذلك يهيء للموضوع جواً علمياً لدراسته بعمق وشمولية تثري المعلومات حوله وتبلور قضاياها وتبرز معالمه.^(٣) فالتفسير الموضوعي وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديمًا علمياً منهجياً لأنسان هذا العصر ولارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي.

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق، (ص ٤٦-٤٨)

(٢) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٥٤)

(٣) جلال الفكر في التفسير الموضوعي لآيات الذكر، للدكتور جمعة علي عبد القادر، (ص ١٤)

٤. عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه.^(١)

٥. تأصيل وتأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظاً وافراً من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية والدراسات الفقهية لآيات الأحكام إلا أن علوماً جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل الإعجاز العلمي لتجنب الإفراط والتقريب في إدخال الآيات مجال البحث والمتعلقة بالعلوم التجريبية من علوم الفلك والطبيعة والإنسان وكذلك علم أصول التربية وأصول علم الاقتصاد الإسلامي وأصول الإعلام الإسلامي وعلم الحضارة القرآنية وما إلى ذلك^(٢). ومن هنا ندرك أن بروز أفكار جديدة وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي.

٦. التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول على أساس القرآن فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة ومعقدة. ومن خلال ذلك يقرر مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى القرآن خصوصاً.

٧. أن هذا اللون من التفسير يتفق مع روح العصر الحديث الذي يطالبنا أن نخرج للناس أحكاماً عامة للمجتمع الإسلامي مصدرها القرآن الكريم في صورة مواد وقوانين مدروسة يسهل تناولها والانتفاع بها رجاء أن يكتفي بها ويعمل بمقتضاها من يهرعون عادة عند التقنين إلى القوانين الوضعية مهما اختلفت مصادرها وتباعدت عن مجتمعنا وروح دينه^(٣).

• منهج الموضوعي للتفسير

يقف الباحث هنا يتحدث عن قواعد أساسية ومنطلقات منهجية لا بد للباحث من التزام بها في أي لون من ألوان التفسير الموضوعي باعتبار أن هذه القواعد منهج علمي

(١) نفس المصدر.

(٢) معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره، المصدر السابق- باختصار وتصرف - ، (ص ٢٧-٢٨)

(٣) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق (ص ٥٤)

موضوعي في غرار الدراسات القرآنية الموضوعية ليتصف بحثه بالعلمية والموضوعية وتحقق نتائجه بالصحة التي تتناسب وتليق بقدسية القرآن وذلك تبدو في النقاط التالية:

(١). الالتزام التام بعناصر القرآن الكريم

فعلى الباحث في التفسير الموضوعي البقاء مع آيات القرآن الكريم في إطار الموضوع الذي قصده وعدم الخروج إلى أي موضوع آخر، وإن عاد الباحث إلى الأحاديث النبوية الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين فإنه يورد المناسب من ذلك باعتباره شارحا وموضحا ومفسرا للآيات القرآنية التي بين يديه وليس باعتباره مادة علمية مستقلة تضيف عناصر جديدة إلى موضوعه القرآني.

(٢) التقيد التام بصحيح المأثور في التفسير.

(٣) تجنب الحشو والاستطراد في التعليق.

وذلك لأن قصد الباحث في التفسير الموضوعي هو إبراز موقف القرآن من قضايا وتقديم حقائق القرآن الكريم ودلالاته حول ذلك ولذلك لا بد أن يعرضه بصورة موجزة مفيدة دالة. وإذا استطراد الباحث إلى مناقشات ومباحث عامة فإنه يقدم رأيه الخاص وثقافته العامة وبذلك يمكن أن يكون بحثه دراسة إسلامية ثقافية لا تفسيراً قرآنياً موضوعياً.

(٤) التدقيق التام قبل التععيد والتأصيل.

وذلك بأن لا يتعجل الباحث في إصدار أحكامه على الموضوع القرآني الذي يدرسه ويجب على الباحث أن يكون إحصاؤه للآيات القرآنية حول موضوعه شاملاً ويكون تدبره لها عميقاً ونظراته لها نافذة وأن يلاحظ لطائف استعمالها وتصريفاتها وتعبيرها عن الموضوع الذي يبحثه. وعندما يخرج من الآيات بأية فكرة أو قاعدة أو كلية أو دلالة فعليه أن يتأكد من عدم مخالفة قاعدته الكلية لآية من الآيات التي أمامه وعليه أن يقدم الدليل على قاعدته من نفس الآيات التي ينظر فيها.

(٥) مراعاة خصائص القرآن الكريم

ومن الخصائص والأصول العامة في النظر للقرآن :

أ- القرآن الكريم أصل الأصول العلمية كلها

ب- القرآن الكريم هو الغاية في الأحكام

ج- لا تكررولا زيادة في الأسلوب القرآني

د- القرآن الكريم كتابة هداية وتوجيه

ه- القرآن الكريم عربي اللسان

و- براءة القرآن الكريم من المثالب والأخطاء التي أخطأ بها بعض العرب

ز- الأصل في التعبير القرآني حمله على الحقيقة ولايقال بالمجاز إلا عند قوة الدليل ويجب حمل القرآن على الحقيقة في آيات العقيدة والتشريع والأخبار والقصص.

ح- لا ترادف في ألفاظ القرآن ومفرداته.

٦) إدراك المهمة الأساسية للقرآن وتصور مقاصده وأهدافه.

٧) الثقة المطلقة بالحقائق القرآنية وعدم الانبهار بالنتائج الجاهلي

يلزم على الباحث في التفسير الموضوعي التعامل مع الموضوعات والحقائق والقيم القرآنية بالثقة المطلقة واليقين التام أن كل ما في القرآن حق لا يتطرق إليه شك.

٨) التركيز على الأبعاد الواقعية للموضوعات القرآنية

إن القرآن الكريم ينظم حياة الناس المعاصرة ويحل مشكلاتهم فيجدوا من كنوزه حلولاً وتوجيهات وذات أبعاد واقعية لأن مضامين القرآن واقعية.

٩) التزود بثقافة العصر من الثقافات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة

١٠) دخول عالم القرآن الكريم دون مقررات سابقة.

على الباحث أن لا يبحث في موضوعات القرآن بمقر فكري مسبوق بأن يؤمن بفكر ما أويعتقد باعتقاداً أو ينتمي إلى مذهب ما وينحاز إلى ما آمن واعتقده ثم يدخل عالم القرآن بدون هدف البحث العلمي الموضوعي المحايد.^(١)

هذه هي الضوابط العامة والأساسية اللازمة مراعاتها لمن يتصدى في التفسير الموضوعي. وفي سياق متصل ما هو أجدد للباحث بالحديث عنه باعتبار أنه إجراءات مهمة للغاية تمس مباشرة عند تناول التفسير الموضوعي وذلك منهج الدراسة في التفسير الموضوعي، ويتم تحديده بما يلي:

١) اختيار الموضوع القرآني المراد دراسته دراسة موضوعية

٢) حصر الآيات التي تدور حول هذا الغرض القرآني وجمعها كلها مكياً ومدنيها

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، المصدر السابق، (ص ٧٦-٨١)

٣) ترتيب هذه الآيات حسب نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف على أسباب نزولها

٤) التعرض لمعرفة مناسبة هذه الآيات في سورها

٥) تكوين الموضوع بجعله في إطار متناسب وهيكل متناسق تام الأجزاء مكتمل البناء قائم الأركان.

٦) تكميل الموضوع بما ورد من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج الأمر ذلك حتى يكمل له هيكله ويزداد وضوحا وبيانا

٧) دراسة هذه الآيات دراسة متكاملة تجانس بينها وتوفق بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها وتواخي بين متعارضها وتحكم بناسخها على منسوخها حتى تلتقي جميع هذه النصوص في مصب واحد دون تباين واختلاف أو إكراه لبعض الآيات على معان لا تتحملها. (١)

أهم المؤلفات في التفسير الموضوعي

ومن المقرر سابقا أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، والكلام عن طبيعته وأهميته وطريقة السير فيه معاصر لذلك كانت المؤلفات التي تتحدث عنه معاصرة ومن أهمها:

١) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم

٢) المدخل التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله السعيد

٣) لبداية في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الحي الفرماوي

٤) الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للدكتور الحسيني أبو فرحة

٥) دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور أحمد عمري

٦) دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر عواض الألمعي

٧) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور أحمد السيد الكومي

٨) المدرسة القرآنية لمحمد باقر الصدر

٩) التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم

١٠) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

(١) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ٤٨-٤٩)

- (١١) جلال الفكر في التفسيرالموضوعي لآيات الذكر للدكتورجمعة علي عبد القادر
 (١٢) معالم سورالقرآن الكريم واتحافات درره للدكتورجمعة علي عبد القادر
 (١٣) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتورعبدالحى الفرماوي

• مكانته وما يتميز به من التفاسيرالأخرى

إن التفسيرالموضوعي منهج خاص لا يشاركه فيه منهج آخر ولا يُظن لأحد أن يماري في فائدة هذاالمنهج وجدواه واستقلاله من حيث الطريقة والغرض في إعانة سالكه إلى طريق الصواب في فهم الموضوعي الذي يعالجه، دون ماعداه من المناهج الأخرى للتفسير فضلا أن قوام هذاالمنهج هو تفسير للقرآن بالقرآن وهو أحسن طرق بلا جدال. وقد أبان الحافظ ابن كثيرعن طريقته في مقدمة تفسيره، قال « فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثيرمن الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»^(١)

ويقول الإمام السيوطي في معرفة شروط المفسروآدابه « قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه»^(٢).

ومن هنا يتبين لنا مدى رفعة منزلة التفسيرالموضوعي على درجة أنه من أعلى مرتبة في مراتب التفسير وأحسن الطرق في تفسير القرآن الكريم. ومن ضوءه نجد كثيرا من الباحثين في السنين الأخيرة يكتب في التفسير ملتزما بهذاالمنهج وبرزفي رحاب

(١) تفسير ابن كثير، المصدر السابق، (ج ١ ص ١٢)

(٢) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، المصدر السابق، (ج ٤ ص ١٦٢)

التفسير وتطور يوماً إثر يوم حتى ملأت المكتبات والصحف والمجلات بالتفسير الموضوعي الذي يتناول بالبحث عن موضوعات مهمة تمس قضايا الأمة وتخدم لحل مشاكلها في شتى جوانب الحياة - إيديولوجيا أو أخلاقيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا-.

وهذا المنهج أصبح مثل أعلى في التفسير - خاصة - في عرض موضوع قرآني يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم نحو الهداية التي تكمن في كنوز القرآن الكريم وسوقهم نحو حياة الأفضل ومستقبل زاهر في ضوء القرآن الكريم باعتبار أن موضوعاته ليست نظرية بحتة دون المساس للواقع وإنما كانت موضوعاته واقعية يمكن أن تنطبق في واقع الحياة البشرية.

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الموضوعي

النموذج الأول : الشورى في القرآن

يعرض الباحث هنا الحديث عن الشورى في منظور القرآن ممثلاً عما كتبه الدكتور عبد الفتاح الخالدي (١) ببعض التصرفات من الباحث من زيادة أو نقصان أو إيجاز. ويشتمل بالعناصر التالية :

• مقدمة

الشورى موضوع من موضوعات القرآن الكريم يتحدث عنه إما باللفظ الصريح مثل " الشورى " وإما بغيره يقترب منه. وتسمية بعض سور القرآن بـ " الشورى " تؤكد على أهمية هذا الموضوع القرآني بجانب أن الشورى قضية ضرورية في الحياة الفردية أو الجماعة وفي كل مجالات الحياة : الأسرة - والعمل - والوظيفة - والإدارات - والشركات - والمؤسسات - والوزارات وما إلى ذلك. (٢)

• معنى الشورى في اللغة

الجذر الثلاثي للشورى هو " شور " ومعناه :

- عند ابن فارس

(١) أنظر التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في الفصل الثاني كما لنموذج الثاني " الشورى في القرآن " (باختصار وتصرف)
(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، المصدر السابق، (ص ١٧٧)

الأول : إبداء الشيء وإظهاره وعرضه

والآخر: أخذ الشيء

- عند الراغب الأصفهاني

وهو عن " شور"، الشوار : ما يبدو من المتاع. والتشاور والمشاورة والمشورة : استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض.

- عند السمين الحلبي

الشورى الأمر الذي يتشاور فيه والمصدر المشاورة والتشاور والمشورة. والمشورة: استخراج رأي المستشار وما عنده.(^١)

• الشورى في السياق القرآني

وردت اشتقاقات مادة " شور" في القرآن أربع مرات:

الأولى : " أشارت "

وهو الفعل الماضي من الإشارة، حيث أخبر القرآن الكريم عن إشارة مريم رضي الله عنها إلى وليدها عيسى عليه السلام ليقدم نفسه إلى قومها قال تعالى ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ... ﴾ [مريم: ٢٩ ، ٣٠] والشاهد في هذه الآية ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ وكانت إشارتها إلى وليدها جوابا على سؤال قومها ﴿ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمًا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴾ [مريم: ٢٧ ، ٢٨] والإشارة قريبة من الشورى والإشارة قد تكون إشارة حسية باليد أو بالعين أو غير ذلك وهذا هو الأصل فيها وقد تكون الإشارة معنوية بأن يشير الرجل على آخر بأن يفعل كذا وهنا تحمل معنى النصيحة والاقتراح وتقديم الرأي وهذه هي الشورى.

الثانية : " شورى "

وهو إسم من " شار " حيث أخبر القرآن الكريم أن الشورى من أهم الصفات المميزة للأمة الإسلامية قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] . جاء وصف المسلمين بأن أمرهم شورى بينهم في السورة المكية وهم مستضعفون في مكة وقبل أن يهاجروا إلى المدينة

(^١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، المصدر السابق، (ص ١٨١)

وقبل أن يكون لهم دولة وكيان ونظام وحكم. هذا يدل على أهمية الشورى في حياتهم السياسية أو الإدارية أو الاقتصادية أو غيرها.

الثالثة : " تشاور " مصدر من تشاور - يتشاور حيث ورد هذا المصدر في سياق اتفاق الزوجين المتخاصمين على إرضاع ابنها قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أشارت الآية أنه لا بد من أن يجتمع الزوجان المتخاصمان ليتدارسا الأمر ويتشاورا في إرضاع الأطفال ومصيرهم فإذا اتفقا بعد التشاور على فطام الطفل بعد السنتين ورضيا بذلك فلا حرج عليهما.

الرابعة : " شاور " وهو فعل الأمر من الماضي " شاور " ورد في القرآن الكريم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم باستشارة المسلمين في أمورهم قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] (١) وذلك بأن يعرض الأمر عليهم ويطلب منهم تقديم التفكير وتبادل الآراء لينظر فيها ويأخذ المناسب منها وبعد الاتفاق على الرأي الأنسب فعليه أن يعزم على تنفيذ ما ارتآه ولا يتردد في ذلك ويفوض أمره إلى الله .

ومن نماذج الشورى - حول يوم بدر - لرسول الله صلى الله عليه وسلم كمطبق أول للآية :

- ١- استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه للخروج لأبي سفيان يوم بدر .
- ٢- استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكان معركة بدر .
- ٣- استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر . (٢)

• وقائع من الشورى في القصص القرآني

إن القصص القرآني مظهر من مظاهر انطباق حقائق الحق وأباطيل الباطل على الواقع ويتمثل تفسيراً عملياً لمبادئ القرآن ومقاصده. ومن أجل استكمال البحث عن

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، المصدر السابق، (ص ١٨٧)
(٢) المصدر السابق، (ص ٢١١ - ٢١٣)

الشورى في القرآن الكريم سنتوجه إلى ميدان القصص القرآني لنقف على وقائع الشورى فيه.

وقائع الشورى في القصص القرآني لها جانبان :

الأول : الشوري الإيجابية حيث كان الرأي المقدم فيها إيجابيا جيدا يقوم على الإصلاح والإحسان.

الثاني : الشوري السلبية حيث كان الرأي المقدم فيها سيئا يقوم على المكروالكيد والتآمر.

ومن وقائع من الشورى الإيجابية :

١- إبراهيم يشاور إسماعيل في رؤياه بذبحه

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]

٢- إبراهيم يشاور إسماعيل في بناء الكعبة

والحوار بينهما بينه الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس في حديث طويل (١)

٣- مشاورة ملكة سبأ لقومها بشأن رسالة سليمان عليه السلام قال تعالى ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٢، ٣٣] وما إلى ذلك في كثير من الآيات.

ومن وقائع من الشورى السلبية :

١- الرهط من قوم ثمود يتآمرون على صالح عليه السلام

دعا صالح عليه السلام قومه ثمود إلى عبادة الله وحده وطاعته وتنفيذ أوامره ونهاهم عن طاعة المملأ المسرفين الكاذبين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥٠-١٥٢] ولكن المملأ المفسدين المسرفين لم يستجيبوا دعوته مصرين على كفرهم وطغيانهم. اجتمع تسعة مفسدون منهم وتآمروا على قتل صالح عليه السلام قال الله تعالى ﴿

(١) صحيح البخاري- في كتاب الأنبياء- (ج ٢ ص ٣٤٤-٣٤٦)

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ [النمل: ٤٨-٥١]

٢- تآمر إخوة يوسف عليه وهو صغير

وهذا التآمر يحدث نتيجة حقدهم عليه باتهام أن أباهم يعقوب عليه السلام يحبه أكثر منهم وحكموا عليه بالضلال المبين فتآمروا عليه وتشاوروا في كيفية التخلص منه وطرحوا عدة آراء : بقتله أو إبعاده عن أبيه أو إلقاءه في قعر بئر فاتفقوا على الرأي الثالث وسجل القرآن الكريم هذا التآمر ﴿ قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ [يوسف: ٧-١٠]

٣- قريش تتشاور ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة

ومكر قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة معروف لدى الدارسين وقد أحسن الحديث عن ذلك ابن هشام (١) في سيرته مبينا به على وجه التفصيل (٢) وفي هذا الصدد تكلم القرآن الكريم في ضوء قوله تعالى ﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴿ [الأنفال: ٣٠] (٣) ويجدر بالملاحظة أن القرآن الكريم لم يطلق على الشورى الشريفة كلمة " شورى " وإنما أطلق عليها ألفاظا أخرى مثل مكر - كيد - تنازع - اختصام - ائتمار - تآمر .

النموذج الثاني : أمية العرب في القرآن

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: (٢١٣ - ٥٠٠ هـ = ٨٢٨ - ٥٠٠ م) مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه " السيرة النبوية " المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله " القصائد الحميرية " في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و " التيجان في ملوك حمير " رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و " شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب " وغير ذلك (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٦٦)

(٢) إذا أردت التذكر به فليراجع السيرة النبوية لابن هشام (ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩)

(٣) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، المصدر السابق، (ص ٢٢٤-٢٢٥)

• تعريفها في اللغة والاصطلاح

الأمية مصطلح معروف كما هو مشهور عدم القدرة على القراءة والكتابة وهذا تعريف يعرف بتعريف الأمية الهجائية.

وهذا التعريف الذي لا يكاد يذكر العلماء - خاصة - القدماء منهم - حسبما تراه في كتب المعاجم (١) وغيرها - خاصة - في تفسير الآيات التي فيها كلمة " الأمي " قال الألوسي في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ولا يخفى أن المراد بهذا الرسول النبي نبينا صلى الله عليه وسلم النبي الامي أي الذي لا يكتب ولا يقرأ، وهو على ما قال الزجاج نسبة إلى أمة العرب لأن الغالب عليهم ذلك. وروى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر قال : « قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » أو إلى أم القرى لأن أهلها كانوا كذلك ، ونسب ذلك إلى الباقر رضي الله تعالى عنه أو إلى أمه كأنه على الحالة التي ولدته أمه عليها، ووصف عليه الصلاة والسلام بذلك تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم فهو بالنسبة إليه بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام صفة مدح ، وأما بالنسبة إلى غيره فلا ، وذلك كصفة التكبير فإنها صفة مدح لله عز وجل وصفة ذم لغيره (٢).

ثم توسع معنى الأمية في العصر الحديث فهناك ما يعرف بالأمية الوظيفية وهي تعني جهل الإنسان برسالته في الحياة ومظهر ذلك المجتمع يتمثل في ضعف الإنتاج وسوء استخدام أدواته وسوء الإدارة والنظام. وهذه أخطر من أمية القراءة والكتابة لأن الذي يقع فيها يفقد القدر الأعظم عن إنسانيته.

وهنا ما يعرف بالأمية الحضارية التي هي المناخ الاجتماعي لنمو و انتشار الأمية الهجائية والأمية الوظيفية ومظهرها في المجتمع يتمثل في سوء التفكير وانحراف القيم والمفاهيم وسوء العلاقات الاجتماعية. (٣)

• الأمية في السياق القرآني

(١) لسان العرب، المصدر السابق، حرف الميم فصل الهمزة مادة (أمم) ، (ج ١ ص ٢٢٨)
 (٢) تفسير الألوسي ، السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية- لبنان، (ط ١)، سنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) (مج ٤ ص ٧٥)
 (٣) حولية كلية أصول الدين القاهرة، تحت الموضوع " الدرر البهية في حديث القرآن عن الأمية "، للدكتور الشمندي عبد الله محمود العواري، المصدر السابق، (العدد ٢٢ ص ٦٦٠)

وردت هذه المادة " أمي " في القرآن الكريم ست مرات :

- ١- قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]
- ٢- قوله تعالى ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]
- ٣- قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: ٧٥]
- ٤- قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]
- ٥- قوله تعالى ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٠]
- ٦- قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة: ٧٨]

والمراد بالأمي في الآية الأولى والثانية هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفه ابن عباس حيث يقول : كان نبيكم صلى الله عليه وسلم أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] (١) والآية الثالثة والرابعة والخامسة تعني بكلمة " الأميين " العرب بمعنى أنهم لا يكتبون ولا يقرأون لغلبتهم الأمية فيهم. (٢) والمراد من " الأميين " في الآية الأخيرة طائفة من اليهود الذين لا يكتبون ولا يقرأون. وقال الرازي في تفسيره هذه الآية « والفرقة الرابعة : هم المذكورون في هذه الآية وهم العامة الأميون الذين لا معرفة عندهم بقراءة ولا كتابة وطريقتهم التقليد وقبول ما يقال لهم، فبين الله تعالى أن الذين يمتنعون عن قبول الإيمان ليس سبب ذلك الامتناع واحداً بل لكل قسم منهم سبب آخر ومن تأمل ما ذكره الله تعالى في هذه الآية من شرح فرق اليهود وجد ذلك بعينه في فرق هذه الأمة، فإن فيهم من يعاند الحق ويسعى في إضلال الغير وفيهم من يكون متوسطاً، وفيهم من يكون عامياً محضاً مقلداً » (٣)

ومن هنا ندرك أن الأمي الذي ورد في القرآن الكريم يراد به الأمي بالمصطلح المعروف لا الأمي الذي يعنى في المعنى الحداثي بما تطورت وتوسع في الأمي الوظيفي أو الأمي الحضاري كما تعرضناه - سابقا - .

• العرب والأمية

فيه مستئتان:

(١) تفسير القرطبي، المصدر السابق، (مج ٤ ص ١٥٧)

(٢) أنظر نفس المصدر

(٣) التفسير الكبير، المصدر السابق، (مج ٢ ص ١٣٢-١٣٣)

المسئلة الأولى: الأدلة القرآنية على وصف العرب بالأمية
وقد سبق البيان في أن الأميين - في الآية الثالثة والرابعة والخامسة وفق تفسير
العلماء - هم العرب.

المسئلة الثانية: حال الكتابة العربية والقراءة قبل مجيء الإسلام
تعددت الآراء عن حال الكتابة العربية والقراءة قبل مجيء الإسلام:
الفريق الأول: يرى أن الكتابة عند العرب قليلة ونادرة حيث قالوا قد شاع معنى الأمية
منذ العصر الإسلامي على أنه عدم الإمام بالقراءة والكتابة ومن ثم أصبح التصاق
هذا الوصف بعرب الجاهلية أمراً وارداً. وممن يذهب بهذا الرأي: الجاحظ وابن عبد ربه
وابن قتيبة (من المتقدمين) والدكتور إبراهيم أنيس والأستاذ حفني ناصف والدكتور عبد
العظيم الزرقاني^(١).

والفريق الثاني: يرى أن الكتابة والقراءة كانتا منتشرين في العرب قبل مجيء الإسلام
ويدل لذلك عدة أمور:

١- النقوش التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية وما حولها، بل هناك نقش عربي وجد
في مصر يرجع إلى العصر البطلمي (٣٠١ - ٣٠ ق.م) ومدون بالخط العربي على
تابوت التاجر المعيني (زيد إيل) والتابوت محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة.

٢- الروايات العربية التي تشير إلى ممارسات كتابية متعددة سواء في مدن الحجاز أو
في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة.

٣- ذكر البلاذري^(٢) في فتوح البلدان أسماء أربعة وعشرين شخصاً من مكة كانوا
يعرفون الكتابة والقراءة في تلك الفترة سبعة عشر من الذكور وسبعة من النساء

٤- وإذا تركنا قلب الجزيرة إلى أطراف الشمالية نجد الروايات العربية الكثيرة تؤكد
استخدام الكتابة على نطاق واسع.

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني: (١٣٦٧ - ١٩٤٨ هـ = ١٩٤٨ م) من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين،
وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن) و(بحث في الدعوة
والإرشاد. (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢١٠)

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (٢٧٩ - ١٠٠٠ هـ = ٨٩٢ م) مؤرخ، جغرافي، نسبة، له شعر. من أهل
بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد
أزدشير) وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشد بالبيمارستان إلى أن توفي. نسبته إلى حب البلاذري
(Anacardium). من كتبه (فتوح البلدان) (القرابة وتاريخ الأشراف). (الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٦٧)

٥- وفي الواقع فإن ممارسة الكتابة في المجتمع الجاهلي أمر يؤكد القرآن بشكل متكرر ومتواتر والقرآن إلى جانب وصفه ككتاب من عند الله لا يرقى الشك إلى ماجاء فيه هو كذلك وثيقة ظهرت في هذا المجتمع الجاهلي وكانت آياته تدون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في وقت نزولها... ولا يقتصر القرآن على الإشارة بالكتابة ولكنه يشير إلى الكتب والكتاب وما كانوا يتخذونه من أدوات الكتابة. (١)

• مدى أمية العرب

ومع أن هذا المعنى اللغوي للأمي أي أنه لا يقرأ ولا يكتب هو نفسه ما عناه القرآن الكريم فإنه توجد الكتابة في العرب بصورة واضحة ويمثل ذلك " الكتابات العامة " التي كانوا يكتبونها في كثير من شئون حياتهم وما يفرضه عليهم نشاطهم العلمي والعملية أو الوجداني مثل المواثيق والعهود والصكوك التي كانت يكتبون فيها حساب تجارتهم وحقوقهم لدى غيرهم، النقش على الخواتم والرسائل والمعلقات.

كما كان يوجد بينهم في الجاهلية وإبان ظهور الإسلام من تعلم الكتابة وأتقنها إتقاناً جعله يصيربه معلماً لغيره مما يمكننا أن نطلق على هذا الفريق وصف " المعلمين " أمثال عمرو بن زرارة وغيلان بن سلمة وابن معتب ويوسف بن الحكم الثقفي والحجاج بن يوسف الثقفي وعبادة بن الصامت.

بل فوق ذلك كان بعضهم بجانب معرفته بالكتابة العربية يجيد بعض اللغات الأجنبية أمثال عدي بن زيد العبادي الذي تعلم الخط العربي ثم الخط الفارسي فصار أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية وورقة بن نوفل الذي كان يكتب بالعبرانية في إنجيل ما شاء أن يكتب وكذلك زيد بن ثابت الذي تعلم السريانية بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم في تسعة عشر يوماً كما يقوم رضي الله عنه بأعمال الترجمة التحريرية والفورية للنبي صلى الله عليه وسلم في الفارسية والرومية والقبطية والحبشية كذلك.

كل هذا يرينا بوضوح أن الكتابة كانت موجودة في العرب بدرجة كبيرة ولكنها لا تصل إلى درجة يمكننا معها أن ندعي أن معرفتهم هذه يمكن لها أن تناطح أو تلغي شهرتهم

(١) حوالية كلية أصول الدين القاهرة، تحت الموضوع " الدرر البهية في حديث القرآن عن الأمية"، المصدر السابق، (العدد ٢٢ ص ٢٧٦-٢٨١)

بـ" الأمية " إن هذه لصفة - الأمية - ظلت هي الغالبة عليهم السائدة فيهم حتى عمل الإسلام على إزالتها من قاموس صفاتهم.(^١)

• منهج القرآن في محاربة الأمية

وإذا كان محو الأمية تعالت أصواته في عصرنا الحاضر على درجة أنها تحول التقدم والتطور في ساحة الدول المتقدمة. فإن ديننا الحنيف منذ طلوع فجره قد دعا إلى ذلك فحارب الأمية في شتى صورها وحث بتعلم القراءة والكتابة ويرفع قدرها ومكانتها. ومن هنا ظل محو الأمية ضرورة دينية اهتم بها القرآن الكريم اهتماما فائقا وقبل كل شيء في مشروع بناء الكيان الاجتماعي بحجة أن أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم " اقرأ " (سورة العلق ١ - ٥).

ومنهج القرآن الكريم في محو الأمية يتمحور في المحاور التالية:

١. حث القرآن الكريم على الأمية الهجائية بتعلم القراءة والكتابة
ومن الآيات التي تشير ذلك :

- ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١-٥]
- ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١]
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

٢. حث القرآن على تنمية التفكير والتدبر

القرآن الكريم يلحظ مدى اهتمامه بهذا الأمر ويتضح ذلك من خلال الضوء التالي:

- حثه النظر في الأدلة الكونية أو النفسية قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

(^١) البداية في التفسير الموضوعي، المصدر السابق، (ص ١٢٨-١٢٩).

- رفع قدر الذين يستخدمون تفكيرهم في بحث ما في الكون. قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

- ذم من لا ينتفع من حواسة المدركة في التفكير والتدبر. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

٣. حث القرآن على طلب العلم والتفقه في الدين

طلب العلم فريضة في الإسلام بما أنه يرفع درجة الإنسان بالعلم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]

المبحث الثاني

دراسة عن التفسير الأدبي الاجتماعي

المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسير الأدبي الاجتماعي

لقد برز لبعض المفسرين المعاصرين أن يفسروا القرآن تفسيراً أدبياً وقالوا إن هذا التفسير الأدبي ينبغي أن يكون هو الأول والأساس لكل ما عداه من تفسيرات أي أن لكل ذي غرض - فيما يقولون - الحق في التماس ما يشاء من الكتاب ولكن بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي يستطيع الباحث أن يقصد لما يشتهي من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك من الأغراض.

رغم أن الدراسة الأدبية في التفسير تحتل في مقام الصدارة قبل أي كل تفسيرات لا يمكن أن تتفصل عن تلك الأغراض من اعتقاد وأخلاق وإصلاح اجتماعي. وكل هذه الأغراض يتداخل بعضها مع بعض ولا يمكن أن يتصور وجود مستوى من المعنى يتميز من تلك المستويات الأخرى فكل هذه النواحي يختلط بعضها ببعض. إذن فالدراسة الأدبية لم تفهم فهما خاصا مستقلا إلى حد بعيد عن الفهم الاجتماعي والأخلاقي والروحي بمعناه الشامل إنها تتطلب معنى اجتماعيا يتضمن من خلاله معنى أخلاقي وروحي ومعنى القيم.

وفي هذا السياق يقول الدكتور مصطفى ناصف^(١) « إن أبرز جانب في تفسير الكتاب في العصر الحديث هو يصح تسميته باسم التفسير الاجتماعي. إننا نعلم جميعا أثر الشيخ محمد عبده في هذا الصدد فهو يشير في مقدمة تفسير الفاتحة إلى العلم بأحوال البشر. هذا التفسير لا يتم إلا به هذه النعمة تسمعا أيضا في كلام السيد رضا.

وواضح أن مدرسة الشيخ محمد عبده كانت تعني بما تسميه العلم بأحوال البشر شيئا واسعا لقد كانت تريد المساهمة في بناء شرقي ناهض برئ من الضعف والوهم والتقليد متطلع إلى العلم والثقافة الحديثة آخذ بكل أسباب الحضارة وتراث العقل البشري. وفي ضوء هذه الغاية النبيلة رأت مدرسة الشيخ محمد عبده أن تناول القرآن الكريم ينبغي أن يسهم في خلق وعي اجتماعي وثقافي جديد وقد ظل هذا النحو من العناية بالمسائل الاجتماعية يشغل معظم الأذهان^(٢)

وفيما يبدو لقد كان هذا اللون من التفسير يحرص كل الحرص أن يأخذ من كل آية بعدا اجتماعيا لأن القرآن الكريم أنزل هدى ورحمة وبشرى للناس، لذا فإن كل آية تحمل إصلاحا للمجتمع تعالج أمراضه وتزكي روح الخير والإيجابية في الإنسانية حتى يبدو للنص القرآني واضحا للعقول أن العلاج الاجتماعي يتواجد في القرآن الكريم.

• اللون الأدبي الاجتماعي في عصرنا الحاضر

(١) وهو من مواليد سمنود بمحافظة الغربية في جمهورية مصر العربية عام ١٩٢٢ م. دكتورة في البلاغة من جامعة عين الشمس ١٩٥٢م قرأ الشعر القديم خاصة قراءات متنوعة وعنى بدراسات مقارنة بين التراث والفكر الأدبي المعاصر. من مؤلفاته (الصورة الأدبية، نظرية المعنى في النقد العربي) (مسئولية التأويل، للدكتور مصطفى ناصف،- المؤلف في السطور- ص ٣٠٢)

(٢) مسئولية التأويل، للدكتور مصطفى ناصف، المصدر السابق، (ص ٦٥)

وإذا كان هذا اللّون الأدبي الاجتماعي يعتبر في نظرنا عملاً جديداً في التفسير، وابتكاراً يرجع فضله إلى مُفسري هذا العصر الحديث، فإننا نستطيع أن نقول بحق: إن الفضل في هذا اللّون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. هذه المدرسة التي قام زعيمها - ورجالها من بعده - بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة.

مما لا شك فيه أن المدرسة المصرية بأقطابها المشاهير من رجال الإصلاح: جمال الدين الأفغاني ثم محمد عبده ورشيد رضا أثرت تأثيراً كبيراً على سير الحركة الفكرية والثقافية فبلقائهم التقى حسن التدبير بقوة الحجة ونصاعة البيان بالاستهداء بالقرآن وغير ذلك مما غير من أوضاع ونبه ما نبه من همم وحقق ما حقق من نتائج. فجريدة "العروة الوثقى" تجلت فيه الأفكار الجمالية السامية ممتزجة بالعبارات الفكرية العالية تجمع بين الحكمة وفصل الخطاب.

بهذه الإمكانية العالية أظهر محمد عبده للعيان صورة من العلم الديني اختلفت عن الصور المألوفة عندهم التي عكف الناس عليها منذ قرون.

إن محمد عبده ورشيد رضا وقبلها جمال الدين الأفغاني^(١) هما أركان تفسير المنار وفق الفاضل بن عاشور، إن الأفغاني الذي انقدحت عن فكره نظرية وجوب إصلاح المجتمع الإسلامي برجوع المسلمين إلى منبع الدين ومحمد عبده باشر فعلاً بتفسير القرآن الكريم على الطريقة التي بشر بها الأفغاني وثالث الرجال محمد رشيد رضا الذي قيده ما كتبه محمد عبده ونشره في مجلة المنار ثم أكمله بعد وفاة محمد عبده.^(٢)

فإذا كان محمد عبده ورشيد رضا يرتبطان بالمنهج والعمل والرأي فلا بأس من القول أن محمد عبده ورشيد رضا أسهما إسهاماً فعالاً في تخلص التفسير من قيود الماضي

(١) محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: (١٢٥٤ - ١٣١٥ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الافذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند، وجاء إلى مصر، فنسخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون. وفتحه الحكومة المصرية (سنة ١٢٩٦) فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس. وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) ورحل رحلات طويلة (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٦٩)

(٢) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، المصدر السابق، (ص ٣٤٤)

الذي ملأ التفاسير بعلم وبحوث أبعدت التفسير عن المتناول لما فيه من إعراب كثيرة وبلاغة ومنطق وعلم بدت بعيدة عن جعل القرآن الكريم مادة يتناولها الجميع.^(١)

• مدارس التفسير الأدبي الاجتماعي

وقد ساق الإمام محمد عبده التفسير الحديث ضمن حديثه العام عن نهضة المسلمين الحديثة والإصلاح الديني والفكري الذي نهض به قادة الإسلام المحدثون أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا الذين أفاقوا على تغير العالم ونهضته العلمية ووعوا ظروف العصر الحديث فحاولوا وسعهم أن ينفصوا عن الفكر الإسلامي غبار القرون المتتالية تشحذهم عزائمهم القوية وجهودهم الفكرية الواعية التي تنطلق من أصل الحياة وقوامها وهو التفكير الديني المؤسس على القرآن وتفسيره.

ويكشف لنا الشيخ في وعي وعمق اتجاه مدرسة المنار وأساسها النظري الذي اعتنقه فيما بعد كل التفاسير التي درجت في رحاب هذه المدرسة وقد انبثق هذا الأساس في روعي الأستاذ وتلميذه الإمام من التنبيه القرآني البليغ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] فأقبلا على تغيير حال المسلمين من السئ إلى الحسن وعملا على إعادة الحكم الإسلامي والهداية الدينية إلى ما كان عليه في العصر الأول من الطهر والعدل والكمال وانتهيا إلى أن عود الإسلام إلى حال عزه متوقف على تقويم انحرافات المسلمين الاعتقادية والخلقية والاجتماعية.^(٢)

أطلقت عبارات مختلفة والمقصد بها مدلول واحد وهو هذه المدرسة. هذه العبارات هي:
 (١) " اللون الأدبي الاجتماعي في التفسير في عصرنا الحاضر " أو " مدرسة الإمام محمد عبده " وأهم رجالها هو والشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي. وهذا ما أطلقه الشيخ حسين الذهبي في كتابه " التفسير والمفسرون "
 (٢) " التفسير الاجتماعي " ، " المدرسة المصرية " أشهر رجالها : أبوالأعلى المودودي^(٣) والسيد علي أحمد خان بهادر من عليكرة لكن كتابته الاجتماعية باللغة

(١) نفس المصدر.

(٢) اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، المصدر السابق ، (ص ١٣٤)

(٣) أبوالأعلى المودودي نموذجاً فريداً للداعية الإسلامي المجتهد الذي أوقف حياته على الدعوة إلى الإسلام. ينتمي أبو الأعلى المودودي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب، نشأ أبو الأعلى في ذلك الجو الصوفي، وتفتحت عيناه على الحياة التي تفيض بالزهد والورع والتقوى. وقضى أبو الأعلى طفولته الأولى في مسقط رأسه في مدينة "أورنك آباد الدكن"، بمقاطعة حيدر آباد، وكان أبوه معلمه الأول، ومن أبرز المؤلفات: (الجهاد في الإسلام - الحضارة الإسلامية - نظرية الإسلام السياسية) (المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين ج ١ ص ٣٠)

الأردية هذان وغيرهما في بلاد الهند. أما مصر فمستقل علماءها من التأثر بالهنود وأشهر المصريين : الثلاثة السابقون كما عند الدكتور بكري الشيخ أمين في كتابه " التعبير الفني في القرآن "

(٣) " اتجاه عقلي توفيقى يوفق بين الإسلام والحضارة الغربية ". ورائد هذا الاتجاه الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) كما رآه الدكتور عبد المجيد المحتسب في كتابه " اتجاهات التفسير في العصر الراهن "

(٤) " المدرسة العقلية الحديثة " هذا من عنوان كتاب " منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير " للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي وأشهر رجالها:

- السيد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٤ هـ)

- والثلاثة السابقون

- محمد فريد وجدي^(١) المولود بين عامي (١٨٧٥، ١٨٧٨م) على خلاف بين المؤرخين وكانت وفاته في (١٩٥٤م)

- الشيخ محمود شلتوت المولود (١٨٩٣م) والمتوفى ليلة الجمعة (١٣٨٢ هـ)

- عبد العزيز جاويش المولود (١٨٧٦م) المتوفى (١٩٢٩م)

- عبد القادر المغربي^(٢) المولود في اللاذقية (١٢٨٤ هـ) المتوفى (١٣٨٤)

- أحمد مصطفى المراغي المولود (١٣٠٠ هـ) المتوفى (١٣٧٥ هـ)

والعبارة الموجزة: " التفسير الاجتماعي " تؤخذ من قوله " منهج التفسير الاجتماعي " في كتابه " بحوث في أصول التفسير "

(٥) " مدرسة المرحلة التطبيقية في التفسير " و " مدرسة الاتجاه الاجتماعي في التفسير الحديث " تؤخذ كل منهما من كتاب " اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث " للدكتور عفت محمد الشرقاوي.^(١)

(١) محمد فريد بن مصطفى وجدي: مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين. (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م) ولد ونشأ بالاسكندرية. وأقام زمنا في (دمياط) وكان أبوه وكيل محافظ فيها. وانتقل معه إلى السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الاكوان) و (المدنية والاسلام) وسكن القاهرة ، وأنشأ مطبعة أصدر بها جريدة (الدستور) وتوفي بالقاهرة (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣٢٩)

(٢) عبد القادر بن مصطفى المغربي الطرابلسي: (١٢٨٤ - ١٣٧٥ هـ = ١٨٦٨ - ١٩٥٦ م) نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق. من العلماء باللغة والادب. أصله من البلاد التونسية من بيت " درغوت " ومولده في اللاذقية. نشأ في طرابلس الشام وقرأ على أبيه وبعض علماء دمشق والقسطنطينية. وعرف بالمغربي واتصل بجمال الدين الافغاني، ومحمد عبده. وانصرف إلى الصحافة فكتب كثيرا في كبريات الجرائد. ولما أعلن الدستور العثماني (١٩٠٨ م) عاد إلى طرابلس ودرس في الكلية الصلاحية ببيت المقدس ثم استوطن دمشق. وفي حين من الأحيان أصيب بصدمة سيارة في القاهرة فعولج في أحد مستشفياتها قريبا من ثلاثة اشهر، وسافر إلى دمشق، فلم يعيش كثيرا، وتوفي بها (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٤٧)

٦) الاتجاه الهدائي

اتخذ أصحاب هذا الاتجاه فكرة الهداية القرآنية محورا لمحاولاتهم التفسيرية فهداية القرآن الكريم أساس دعوته وأصل أصوله وعنهما تفرعت آدابه وشرائعه وبها قامت أركان علومه ومعارفه وعلى دعائهما نهضت حكمه وأحكامه وهي دروس في التربية للأفراد والجماعات والأمم والشعوب لأنها الحق الذي نزل به القرآن وإليه قُصدَ، والهداية بلفظها وروح معناها توفيق ورحمة ويقين وإيمان وطمأنينة وسكينة وعلم وعمل وتحصيل ما يمكن من البر والخير وتحقيقاً لحكمة الله وسننه في الإفادة من حقائق الكون العظيم. (٢)

اعتبرت هذه المدرسة - على حد رأي الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - امتداداً من المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة القديمة) التي كان رائدها وأصل بن عطاء. ومن هنا يمكن تسمية هذه المدرسة بالمعتزلة الحديثة (الجديدة) بريادة محمد عبده. (٣) بينما أن بعض العلماء يعتبرها مدرسة ذات نزعة عقلانية أو المدرسة العقلانية ليست مدرسة المعتزلة ولا المدرسة الأشعرية أو مدرسة الجبرية حيث قال « طرح فكر الإمام تأثيرات متعددة الأبعاد والجوانب واتجه في قنوات متعددة ولهذا ليس للإمام مدرسة محددة المعالم تحمل فكره الخاص وإنما مارس تأثيره على عديد من تيارات الفكر المصري الحديث. وهناك عدة أسباب وراء ذلك تتعلق أساساً بصميم فكره فهو أولاً لم يلزم نفسه بمدرسة معينة من مدارس الفكر الإسلامي فلا يمكن القول مثلاً أنه من مدرسة المعتزلة أو مدرسة الأشعرية أو مدرسة الجبرية وإنما غلبت على فكره النزعة العقلانية وكان معياره للنقل عن أي مذهب فقهي هو ما يعد صالحاً لشئون الناس أو ما يتفق المصلحة العامة وثانياً إنه لم يقدم برنامجاً سياسياً لعمله الإصلاحية ولم يحول حركته الفكرية إلى دعوة سياسية » (٤)

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، المصدر السابق، (ص ٦٢٩-٦٣٠)

(٢) اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، المصدر السابق، (ص ٣٠٩)

(٣) أنظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المصدر السابق (ص ٤٣)

(٤) الفكر السياسي للإمام محمد عبده، لعبد العاطي محمد أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة، سنة (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٥م) (ص ٢٤٧)

ويرى ثالث أنه يقف موقف متوسط بين النظريات العقلانية عند المعتزلة وبين الاتجاه التقليدي عند الأشاعرة ولكنه أميل إلى الأشاعرة وذلك واضح فيما نصه السيد يوسف في كتابه " رائد الاجتهاد والتجديد الإمام محمد عبده " : « ومن هنا تفاوتت الأقوال في فكر محمد عبده هل العناصر الأشعرية أكثر في فكره أم العناصر المعتزلية: هناك من يرى أنه يقف في موقع متوسط بين النظريات العقلانية عند المعتزلة وبين الاتجاه التقليدي عند الأشاعرة، ومهما كانت الفوارق فإنه يظل دوماً في الاتجاه التقليدي المحافظ والأصلي الخاص بالأشاعرة »^(١)

وفي هذا الصدد سيورد الباحث بتعريف رجال هذه المدرسة وما يرتبط بهم على شكل موجز:

(١) الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

ولد في شبرا من القرى الغربية بمصر تعلم بالجامع الأحمدى بطنطا ثم بالأزهر وتصوف وتفلسف وأجاد اللغة الفرنسية ولما احتل إنكليز مصر ناوأمهم وشارك في مناصرة الثورة العربية فسجن مدة ثلاثة أشهر للتحقيق ونفي في بلاد الشام وسافر إلى باريس وأصدر مع صديقه جمال الدين الأفغانى جريدة العروة الوثقى وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف وسمح له بدخول مصرفعاد سنة ١٨٨٨م وتولى منصب القضاء ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف ثم عُيِّن مفتياً للديار المصرية توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة.

• إنتاجه فى التفسير:

فالذى أنتجه الأستاذ الإمام فى المتداول بين أيدينا - فى التفسير - تفسيره المشهور لجزء " عم " ذلك التفسير الذى ألقه بمشورة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية، ليكون مرجعاً لأساتذة مدارس الجمعية فى تفهيم التلاميذ معانى ما يحفظون من سور هذا الجزء، وعاملاً للإصلاح فى أعمالهم وأخلاقهم، ولقد أتم الأستاذ الإمام تفسير هذا الجزء فى سنة ١٣٢١ هـ ببلاد المغرب، وبذل جهده أن تكون العبارة فيه سهلة التناول، خالية من الخلاف وكثرة الوجوه فى الإعراب، بحيث لا يحتاج فى فهمها

(١) رائد الاجتهاد والتجديد الإمام محمد عبده، السيد يوسف، مكتبة أسرة - القاهرة، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) (ص ١٦٨)

إلا بأدنى فهم وتأمل وكذا تفسير مطوّل لسورة " العصر " كان قد ألقاه على هيئة محاضرات، أو دروس على علماء مدينة الجزائر ووجهائها في سنة ١٣٢١ هـ (سنة ١٩٠٢ م) وكذلك نجد له بعض بحوث تفسيرية، عالج فيها بعض مشكلات القرآن، ودفع بها بعض ما أثير حول القرآن من شكوك وإشكالات، كشرحه لقوله تعالى في الآية [٧٨] من سورة النساء: ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾، وقوله في الآية [٧٩] من السورة نفسها: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وجمعه بينهما. وتوفيقه بين ما يُظنّ فيهما من تناف وتضاد، وهو نسبة أفعال العباد تارة إلى الله تعالى، وتارة إلى العبد.

وكذلك نجد من آثار الأستاذ الإمام في التفسير، تلك الدروس التي ألقاها في الأزهر الشريف على تلاميذه ومريديه، وكان ذلك بمشورة تلميذه السيد محمد رشيد رضا، وإقناعه به، كما يقول هو في مقدمة تفسيره. وإذا كان الأستاذ الإمام قد ألقى هذه الدروس في التفسير على طلابه ولم يدون شيئاً، فإننا لا نرى حرجاً من جعلها أثراً من آثاره في التفسير.

وذلك لأن تلميذه السيد محمد رشيد رضا كان يكتب في أثناء إلقاء هذه الدروس مذكرات يودعها ما يراه أهم أقوال الأستاذ الإمام، ثم يحفظ ما كتب ليمده بما يذكره من أقواله وقت الفراغ، ثم قام بعد ذلك بنشر ما كتب في مجلته " المنار " هذا هو كل ما أنتجه الأستاذ الإمام في التفسير، وهو وإن كان إنتاجاً يُعد قليلاً بالنسبة لهذه الشخصية البارزة، إلا أنه - والحق يقال - كان له أثر بالغ في تطور التفسير واتجاهاته، كما سيظهر لك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

• محور أفكاره في التفسير وغيره:

١- ينهج محمد عبده في تفسيره على اعتبار القرآن الكريم الأصل الأول من أصول التشريع والاعتماد عليه أولاً عند تقنين أي حكم من الأحكام^(١)

(١) الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي، للدكتور عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) (ص ٧٩)

- ٢- يذم الأستاذ الإمام التقليدي في تفكير المسلم المتأخرو ويوجب الرجوع إلى فهم الأولين في القرآن الكريم. (١)
- ٣- كان محمد عبده يسعى لتحقيق الإصلاح الأخلاقي من خلال الإصلاح الديني. فقد كان يركز كثيرا على الأخلاق ويهتم بها وإعطاء الأولوية للأخلاق خاصة فتفسيره قضية ملحوظة. (٢)
- ٤- الهدف من تفسيره كان التأكيد على جانب الهداية والإرشاد والأخلاق القرآنية والتي تركز عليها سعادة البشر في الدنيا والآخرة. (٣)
- ٥- وينتقد أيضا منهج بعض المفسرين الذين يكررون ما يقوله الآخرون في سورة ما أو آية أو مفهوم لغوي. (٤)
- ٦- وهو يخالف المنهج الذي يعتمد على الظاهريين والمشبهة الذين يحملون نصوص القرآن والحديث محملا ظاهريا ولا يدعون مجالا لتصرف العقل. ويرى أيضا بأن شرط أي تفسير وصدقه منوط برعاية الجانب الشرعي الذي لا يخالف مفهوم التنزيه فإذا واجهنا نصا معناه اللفظي الظاهري التشبيه فإن علينا أن نعدل معناه اللفظي الظاهري إلى التأويل. (٥)
- ٧- للتفسير عنده مراتب أدناها أن يُبين بالإجمال ما يُشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر، ويجذبها إلى الخير، وهذه هي التي قلنا إنها متيسرة لكل أحد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]
وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور:
- أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكثف بقول فلان وفهم فلان،
- ثانيها: الأساليب، فينبغي أن يكون عنده من عملها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التقطن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه.

(١) الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي، المصدر السابق، (ص ٨٥)

(٢) التفسير والتفاسير الحديثة، المصدر السابق، (ص ٦٨)

(٣) نفس المصدر

(٤) لتفسير والتفاسير الحديثة، المصدر السابق، (ص ٦٩)

(٥) لتفسير والتفاسير الحديثة، المصدر السابق، (ص ٦٩ - ٧٠)

ثالثها: علم أحوال البشر، فقد ورد في القرآن من الحديث عن أحوال الخلق وقصص الأمم والسُنن الإلهية في البشر ما يجعل العلم بأطوار البشر وأدوارهم و مناشئ اختلاف أحوالهم من أَلزم الأمور.

رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن بمعرفة ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم وما كانوا عليه من العوائد.

خامسها: العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل، وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها.^(١)

٢) السيد محمد رشيد رضا

نشأ السيد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام، وفيها تلقى العلم عن شيوخها وعلمائها، وجلس يفيدهم بعلمه، ويرشدهم بنصحه ووعظه، وفي هذا الأثناء وقع في يده نسخة من جريدة " العروة الوثقى " التي كان يقوم بإخراجها والكتابة فيها رجل الإصلاح جمال الدين الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده فقرأ الشيخ رشيد رضا ما في الجريدة فأعجب بالرجلين إعجاباً شديداً ورغب في الاتصال بالسيد جمال الدين الأفغانى فلم يسعه الحظ ثم تعلق أمله بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده فأسعه الحظ في هذه المرة واتصل بالشيخ ويكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة " العروة الوثقى "، فكان يكتب بعض ما يسمع ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلته " المنار "، ولكنه لم يفعل إلا بعد مراجعة أستاذه لما كتب، وتناوله له بالتنقيح والتهديب.

لهذا كله نستطيع أن نقول إن الشيخ رشيد هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ، وألف في حياته وبعد وفاته، فكان لا يحيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره. وليس غريباً ما يرويه الشيخ رشيد من أن الأستاذ الإمام - رحمه الله - كان يقول: " صاحب المنار ترجمان أفكارى ". كما أنه ليس غريباً ما يُحدِّث به أحد تلاميذ الشيخ رشيد من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيد بأنه " متحد معه في العقيدة والفكر والرأى والخُلق والعمل ".^(٢)

(١) مناهج المفسرين، للدكتور منيع عبد الحليم محمود، المصدر السابق (٢٤٥-٢٤٦)
(٢) أنظر التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٤٢٣) - باختصار وتصرف -

أشهر رجال الإصلاح في العصر الحديث ثلاثة : حكيم الشرق السيد جمال الدين والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والسيد الإمام محمد رشيد رضا وغرضهم الذي سعوا له إصلاح أمتهم بما صلح به سلفهم وقد كثر - والحمد لله - مؤيدوهم ينقلون ما يؤثر عنهم ويشيدون بهم وبأعمالهم ويدعون إلى الاقتداء بهم في جميع المعاهد العلمية وغيرها .

فأما السيد جمال الدين الأفغاني فكانت خطته الإصلاحية سياسية تبعاً لميله واستعداده وأما الشيخ محمد عبده فكان همه الإصلاح والتجديد من طريق التربية والتعليم وقد استفاد السيد رشيد مما ذهب إليه ومضى على سَنَنهما وجمع بين خطيهما وبنى على أساسهما فله رأي صائب في السياسة وأثر محمود فيها فنبه الأفكار إلى معرفة حقوق الأمة وأيقظ الهمم لأخذها وسعى أيضاً لتجديد أمر هذه الأمة من طريق التعليم والوعظ والإرشاد والتربية الدينية التي هي قوام الفضائل وصار بذلك أشهر من نار على علم.(^١)

• إنتاجه في التفسير :

وإذا تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام إنتاجاً في التفسير، وذلك أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الكريم، والمشهور بتفسير المنار.. ابتداءً بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى في الآية [١٠١] من سورة يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .. ثم عالجته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله. هذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلداً كبيراً ينتهي المجلد الثاني عشر عند قوله تعالى في الآية [٥٣] من سورة يوسف: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي... ﴾ الآية.

(^١) مجلة المنار، السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا، (المجلد [٣٥] الجزء [٩] ص ٧٠٥ جمادى الآخرة ١٣٥٩ - أغسطس ١٩٤٠)

وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار^(١) تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله.

هذا .. وقد فسّر الشيخ من القصار: سورة الكوثر والكافرون والإخلاص والمعوذتين ولا نعرف له إنتاجاً في التفسير أكثر من هذا وهو إنتاج لا بأس به وفيه تتجلى روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هي المصادر والهدف هو الهدف والمنهج هو المنهج والأفكار هي الأفكار ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر.^(٢)

غير أن رشيد رضا يخرج عن نهج أستاذه بعد وفاته لمصلحة ارتأها « وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل اللغوية بين العلماء وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق حاجة تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها^(٣)»

• تقرّظ الشيخ محمد بهجت البيطار الدمشقي لتفسير المنار

واليك أهم ما انفرد به المنار وتفسيره عن غيره ، وجعله وحيداً في نوعه :

(١) تصديه لملاحدة العصر الداعين إلى استباحة الألبضاع ، الساعين في تقويض دعائم العمران ، وقلب سنن الاجتماع ، ونظام الاشتراع، وفي صحفهم المنشرة المشتهرة ، فهذا التفسير يكشف عن مخازيهم وإفكهم، ويرد سهامهم الخاسرة في نحورهم .

(٢) مقاومته لمهاجمة دعاة التثايلث في كتبهم التي لا تتضرب مادتها، ولا يحصى عددها وما أشد مزاعمهم في الإسلام ومفترياتهم عليه وحسبك أنه لا تمر به شبهة

(١) ولد محمد بهجت البيطار بدمشق سنة ١٨٩٤ في أسرة دمشقية عريقة اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى المعجم الجامع في تراجم أ محمد بهجت البيطار في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني حسن إبراهيم الشهير بابن البيطار، كان والده هذا عالماً أديباً يقرض الشعر، محبوباً من الخاصة والعامة لمؤانسته إياهم، فقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه يخطب ويدرس الناس مختلف العلوم في مسجد محلته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر. عام ١٩٤٤ أوفد إلى الطائف مدة ثلاث سنوات ليتولى إدارة معهد (دار التوحيد السعودية) بناء على رغبة الملك عبد العزيز سعود. وفي عام ١٩٤٧ عهده إلى جامعة دمشق القيام بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب، توفي محمد بهجت البيطار يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ / ٢٩ أيار ١٩٧٦ إثر مرض لم يمهل طويلاً. ومن مؤلفاته: (البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) و (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) وما إلى ذلك (المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين ج ١ ص ٣٢٩)

(٢) مجلة المنار ، المصدر السابق ، (ج ٢ ص ٤٢٣- ٤٢٤)

(٣) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (ج ٤ ص ١٦)

منهم إلا ويأتي عليها نقضاً وإبطالاً .

(٣) فتاويه التي تبحث في أدق المسائل الإسلامية، وتحل أعقد المشاكل الدينية الاجتماعية حلاً يفي بحاجة العصر، ويتمشى مع قواعد النصوص الشاملة، والمصلحة العامة الراجحة، وعالم الإسلام - أيده الله تعالى بروح منه- يذكرنا بما يلقي إليه من الأسئلة المشكلة من أطراف المعمور، وبما يجيب به عنها بأسلوبه الحكيم الصادر عن علمه الراسخ بشيخ الإسلام ومفتي الأنام الإمام ابن تيمية رضي الله عنه في ذلك كله على أن مشاكل عصرنا أكثر وطرق حلها أصعب .

(٤) دعوته إلى التوحيد الخالص، ومذهب السلف الصالح وتحذيره من شوائب الشرك والبدع والشكوك والافتتان بدعاء المخلوق ومقارعة القبوريين الذين يغرون الناس بالتهافت على أضرحة الصالحين وإنزال حوائجهم وطلباتهم بهم وتذكيره علماء الأمة ونصحه لهم بأن يرشدوا العامة إلى كل ما هو أهدى سبيلاً وأقوى دليلاً وأجمع لمصالحهم في الآخرة والأولى .

(٥) أنه يثبت أن جميع ما استحدث في هذا العصر من السيارات والطائرات والغواصات والكهرباء وسائر المخترعات التي تحفظ بها مصالح الأمة وتحمي حوزتها وتدفع عوادي الشر عنها وتجعلها قوية البأس موفورة الكرامة هو مقتضى دين الإسلام ومن تعاليم السنة والقرآن وأن المسلمين الذين هداهم الله تعالى في كتابه إلى علوم الأكوان وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض تسخير تمكين هم أولى بالمسابقة بل السبق في هذا المضمار .

(٦) أنه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون وتاريخ البشرو سنة الله في الخلق وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة وكجعل كل شيء حي من الماء وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين والرياح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر إلى الأنثى .

(٧) قال الأستاذ ومما امتاز به هذا التفسير على جميع كتب التفسير بيان سنن الله

في الكائنات وسنته في سيرا الاجتماع البشري كقوة الأمم وضعفها وسعادتها وشقائها وعزها وذلك وسيادتها لنفسها ولغيرها وسيادة غيرها عليها واستعبادها إياها مع تطبيق ذلك على المسلمين في ماضيهم وحاضرهم والمخرج لهم من ضعفهم الحاضر .

(٨) بيان موافقة تعاليم القرآن وهدايته لمصالح البشر في كل زمان ومكان وأن شقاء البشر الحاضر العام للأمم الحضارة وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع لا يزول إلا باتباع هدايته.

أقول ما أشار إليه الأستاذ من الشقاء الحاضر وفوضى الآداب والاجتماع في أمم الغرب المتمدينة تقابله الطمأنينة على الأنفس والأعراض والأموال في جزيرة العرب المتدينة وأين هذا من ذلك ؟ أين تأثير قوة الإسلام على الوجدان من تأثير قوة السلاح على الأبدان ؟ الإسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام والقرآن هو الذي هدى من دانوا به من الأمم إلى كل ما تمتعوا به من صنوف النعم ولقد كثّر الله به أهله بعد قلة وأعزهم بعد ذلة وقوّاهم بعد ضعف وأظهر على أيديهم تلك المدنية الزاهرة التي جددت ما اندرس من المدنيات الغابرة وأوجدت أصول مخترعات الأمم المعاصرة .

(٩) بيان أن القرآن الحكيم هو الذي هدى السلف إلى الجمع بين مطالب الروح والجسد فهم بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدها الإسلام من الفروض كفنون الرياضيات وسنن الكائنات وإن شئت قلت علم الأرض والسماوات عملا بقوله جل اسمه ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله عزوجل ﴿ قُلْ انظُرُوا مَادَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] وقوله سبحانه ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١] فهذه الآيات الكريمة وأمثالها هي التي أرشدت سلفنا الصالح إلى ما في السماوات من أسرار ومنافع وما في الأرض من كنوز وذخائر فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم الإلهية والفنون الصناعية ارتقاء سادوا به الأرض وساسوا به العالم سياسة هي في نظر المطلعين على تاريخ الأمم القديمة والحديثة أفضل مثال للعدل والرحمة .

(١٠) تطبيق ما في القرآن من المواعظ والبر على حال أهل هذا العصر والإتيان بالشواهد والأمثال على ذلك وبيان الفرق بين ماضي المسلمين وحاضرهم وحجة القرآن

عليهم ووصف المَخْرَج لهم من جحرالضب الذي سلكوه باتباع سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم (١)

• أفكاره حول التفسير واتجاهاته

١- مصادر التفسير عنده :

- (١) القرآن نفسه لأن بعض آيات القرآن يفسر بعضه بعضا
- (٢) أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة في تفسير القرآن
- (٣) أقوال الصحابة
- (٤) أقوال التابعين
- (٥) أساليب العرب
- (٦) سنن الله في خلقه

وكان على نهج شيخه حرالتفكير لا يتقيد بأقوال السالفين إلا إذا رأى صحة ما يقولونه. (٢)

٢- هدف التفسير عنده تلبية حاجة الناس التي صارت شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح. (٣)

٣- اتضح اتجاه رشيد رضا في التفسير باللون الأدبي الاجتماعي من أنه رسم مقاصد القرآن إلى عدة المقاصد. ومن أهمها الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني وهذا واضح في قوله « المقصد الرابع من مقاصد القرآن : الإصلاح الإنساني الاجتماعي الإنساني بالوحدات الثماني : وحدة الأمة - وحدة الجنس البشري - وحدة الدين - وحدة التشريع بالمساواة في العدل - وحدة الأخوة والمساواة في التعبد - وحدة الجنسية السياسية الدولية - وحدة القضاء - وحدة اللغة » (٤)

٤- تفسير المنار قريب من المنهج الجامع في التفسير الذي يجمع بين صحيح المأثور وصريح المعقول حيث وصفه صاحبه بقوله « تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم

(١) أنظر مجلة المنار، تفسير المنار تقريبه بمناسبة طبع الجزء الأول منه، للشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي، (مجلد ٢٩ الجزء ٤ الصفحة ٢٧٤ يوليو ١٩٢٨)

(٢) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، المصدر السابق، (ص ٣١٨)

(٣) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، المصدر السابق (ج ١ ص ١٠)

(٤) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المجلس الأعلى للشئون الدينية- القاهرة، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ص ٢٢٨)

المنا هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول الذي يبين حكم التشريع وسنن الله في الإنسان وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرضوا عنها وما كان عليه سلفهم المعتصم بجلها «(١)

٥- وقد عرض في تفسيره لآية التحدي في سورة البقرة أهم وجوه الإعجاز وهي:

الأول : إعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه.

الثاني : إعجاز القرآن ببلاغته

الثالث : إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب

الرابع : إعجاز القرآن بسلامته من الاختلاف

الخامس : إعجاز القرآن بعلومه الدينية وتشريعاته

السادس : إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شيء منه.

السابع : إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر.(٢)

٣- الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

إن المفسر الذي نتحدث عنه ليس هو المرحوم الشيخ أحمد مصطفى المراغي صاحب التفسير الكامل للقرآن الكريم المسمى " تفسير المراغي " وإنما هو الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق وقاضي قضاة السودان الأسبق وقد ولد رحمه الله تعالى بقرية المراغة سنة ١٣١٩ هـ - ١٨٨١ م وأخذ يتعلم القرآن وشياً من العربية في قريته ولما استأهل لأن ينتسب إلى الأزهر سافر إلى مصر والتحق بالأزهر.

وأظهر نبوغاً وذكاءً وجداً في التحصيل والدرس ولزم دروس الأستاذ محمد عبده ونهل من معينه وهو يعد من مدرسته ونال الشهادة العالمية سنة ١٩٠٤ على حداثة سنه فلم تكن العادة في الأزهر أن ينال الإنسان في سن الخامسة والعشرين.(٣)

(١) تفسير المنار، المصدر السابق، (ج ١ ص ١)

(٢) البيان في إعجاز القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار - (عمان) الأردن، (ط ٣)، سنة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) (ص ١٢٣)

(٣) مناهج المفسرين، للدكتور منيع عبد الحلیم محمود، المصدر السابق، (ص ٢٦٨)

وهو رجل تأثر بروح الأستاذ الإمام ونهج على طريقته من التجديد وطرح التقليد والعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي أُلصقت به تربى هذا الرجل فى مدرسة الأستاذ الإمام وتخرَّج منها وهو يحمل بين جنبيه قلباً مليئاً بالرغبة فى الإصلاح والثورة على كل ما يقف فى سبيل الإسلام والمسلمين. وكان الشيخ المراغى أقرب إلى أستاذه الشيخ محمد عبده من السيد محمد رشيد رضا لأنه كان أكثر مرونة فى الدين منه ولم يكن متردداً مثله بين مدرسة ابن تيمية ومدرسة جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده.

• معالجته للمشاكل الاجتماعية:

كذلك نجد الشيخ المراغى - رحمه الله - يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط فى دول الإسلام فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله على قلبه وعقله ولسانه من هداية القرآن وإرشاده. ولقد كان الأستاذ - رحمه الله - بصيراً بمواطن الداء وأسباب الشفاء فكان يهدف فى دروسه إلى علاجها واستئصالها وكان كثيراً ما يوجه الخطاب إلى أرباب الحل والعقد فى الدولة - وهم غالبية المستمعين له - ويُفت أنظارهم إلى ما فى أعناقهم من أمانات وما عليهم من تبعات ثم يأخذ بيدهم إلى حيث يكون صلاحهم وصلاح مَنْ تحت إمرتهم ورعايتهم ... يدفعه فى هذا كله إخلاصه لربه ولوطنه ولأمته.

فمثلاً عندما تعرَّض لقوله تعالى فى الآية [١٣] من سورة الشورى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾.... الآية، نجده يقول: "... والحكمة فى هذه الشرائع الإلهية أن الإنسان إذا تُرك إلى مداركه الحسية ونظرياته العقلية ضلَّ وكره الحياة وكان أشقى من أنواع الحيوان وشقاؤه يكون من ناحية العقل نفسه فقد دلَّت التجارب على أن العقل غير المؤيد بالشرع الإلهى يذهب مذاهب شتى، منها الصواب ومنها الضلال وهو فيما عدا المحسَّات والماديات ضلاله أكثر من صوابه. وهذه آراء العلماء فى الفلسفة والأخلاق يشبه بعضها هذيان المحموم وبعضها لا يُدرَك له محصل على كثرة ما يقولون من مقدمات وبراهين. وهذه مذاهب الاجتماع قديمها وحديثها لم تسعد الأمم بها فلا بد من هداية تصدر عن المعصوم يحملها من عند الله العلى الحكيم. وقد

دلّت التجارب أيضاً على أن الأمم التي عملت بالهدى كله أو بعضه سعدت بمقدار ذلك الهدى الذي عملت به.

وأما أنه لولا الدين لما احتمل الإنسان هذه الحياة فإنها على قصرها مملوءة بالمصائب والويلات فمن فقرٍ مدقع إلى مرض مزمن ومن فقد الأهل والعشيرة إلى فقد العزة والجاه ومن شرف رفيع إلى ذلة ومهانة .. واحتمال هذا كله إذا لم يكن أمام الإنسان أمل ينتظره وحياة دائمة فيها سعادة دائمة ليس في طاقة الإنسان فالاعتقاد بالآخرة يرفه العيش ويجعل المؤمن في سعادة نفسية ويقويه على احتمال الصعاب وعلى الصبر على معاشره الناس فلا بد من نظام يُعتقد فيه العصمة من الخطأ ويُهدر معه حكم العقل إذا حصل تعارض بينهما فإن دائرة العقل محدودة وهي قاصرة عن إدراك خفايا المستقبل.

وإذا قيل إن التدين مُقيّد للحرية ومانع من التمتع باللذات فكيف تكون فيه السلوى والعزاء؟ فالجواب: أن الإسلام أباح الطيبات وحرّم الخبائث ولم يحظر من اللذات إلا ما يضر الإنسان وليست السعادة في حرية البهائم بل في حرية يسبح بها فيما فيه خيره وسعادته ويحظر عليه فيها ما فيه ضرره وشقاؤه وقوام آداب الأمم وفضائلها التي قامت عليها صروح المدنية الحقة مستند إلى الدين وبعض العلماء يحاول تحويلها عن أساس الدين وبناءها على أساس العقل والعلم غير أنه لا شبهة في أن الأمم التي تروم هذا التحول تقع في اضطراب وفوضى لا تعلم عاقبتهم وليس من الميسور أن تُبنى للعامة قواعد الفضيلة على أساس علم الأخلاق أو أية قاعدة علمية أخرى ولكن من الميسور دائماً أن تُبنى قواعد الفضيلة على أساس العصمة للدين فالذي يحاول العلماء وهم وخيال. (١)

ومن هنا ندرك اتجاه المراغي في تفسير آية من الآيات المتواجدة في القرآن الكريم وهو ينصب بين عينيه نفعا اجتماعيا عند التعامل مع القرآن الكريم ولا يمر بأية إلا ويتصور في ذهنه الجانب الاجتماعي الذي يتوسل من خلاله تنظيم المجتمع بنسيج قرآني وحل مشاكلهم وقضاياهم لتوجيههم نحو المستقبل الأفضل حتى يتم بناء كيان المجتمع المسلم في حدود ما رسمه القرآن الكريم.

(١) المصدر السابق، (ص ٤٣٩-٤٤٠)

٤ - سيد قطب

سيد قطب هو الرائد الفكري الإسلامي المعاصر إمام في الدعوة والجهاد وإمام في التفسير واسمه سيد قطب بن إبراهيم حسين شاذلي ولد في قرية " موشة " في منطقة أسيوط في صعيد مصري ١٩٠٦/١٠/٩ م تخرج من كلية دارالعلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٣ م حاملاً شهادة البكالوريوس في الآداب كان في شباب مقبلاً على الأدب والنقد والشعر والكتابة الأدبية في الصحف والمجلات كما كان من تلاميذ الأديب عباس العقاد وبعد التخرج من كلية دار العلوم عمل في التربية والتعليم وأصدر أول إنتاجه الديني في وسط الأربعينات وهو " التصوير الفني في القرآن " وكان هذا الكتاب بيان للمفتاح الجمالي الذي وقف سيد قطب به على كنوز القرآن البيانية الجمالية وأن التفسير " في ظلال القرآن " هو أساس المفتاح الحركي الذي وفق سيد قطب على كنوز القرآن الحركية الدعوية التربوية. وترقى في عالم النقد الأدبي حتى صار في مقدمة رواد النقد الأدبي في مصر والعالم العربي في الأربعينات.

وتحول من الاهتمامات الأدبية إلى الاهتمامات الإصلاحية على أساس إسلامي حيث صار له كتابات وندوات ونشاطات اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية وفكرية حتى قامت الثورة في مصر بزعامة جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٢ م وفي هذا الوقت كانت جماعة الإخوان المسلمين في قمة نشاطها ونفوذها بمصر وكان سيد قطب معروفاً باهتماماته الإسلامية وكان قائداً من قيادات الإخوان. ومات نتيجة وقوع السجن والحكم عليه بالإعدام سنة ١٩٦٦ م. (١) وكانت فترة السجن الأولى فاتحة خير له وألف فيها كتابه " في ظلال القرآن " ثم تعاوده بعد ذلك بالتنقيح والتهديب.

• اتجاهه وإنتاجه في التفسير

ولعل كتاب " في ظلال القرآن " في تفسير القرآن لسيد قطب أحد أكثرين هامين في التفسير الحديث في مصر أشاراً من الجدل والنقاش حولهما ما لم يثر غيرهما وذلك لما اختص به الأثر الأول من تمثيله لفكر جماعة دينية استهدفت خدمة الإسلام وإعلاء كلماته واستعادة سلطانه ولما تميز من قواعد منهجية التزمها على طوله وكانت في جانب منها سورة مشرفة للتجديد التفسيري وفي جانب آخر تخففاً من بحوث غير

(١) تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٥٩٧-٥٩٨) - بتصرف واختصار-

ضرورية ثم لما تمتع به صاحبه من نظرة ذاتية وفنية قربت كثيرا بينه وبين مذاهب الفن وإن كانت لم تخرجه عن وجهته التوجيهية الهدائية فجاء في نظرنا مزدوج الاتجاه جامعا للهداية والأدبية في آن واحد. (١)

لقد تبدو فنية الاتجاه وأدبيته عند الشهيد - كما تبدو الذاتية والانطباعية - واضحة جلية تطالعك منذ النظرة الأولى في تفسيره بل منذ السطور الأولى كذلك ولكن لمحاته في فهم الأسلوب القرآني وخصائص التعبير القرآني ثم خواطره الذوقية وانطباعته النفسية دائرة كلها في فلك هداية القرآن وتوجيهات مبادئه التي يبسطها الشهيد ويقربها من نفوس المؤمنين لعل الله ينفع ويهدي فالهدى حقيقة القرآن والهدى طبيعته والهدى كيانه وماهيته والقرآن كتاب دعوة ودستور ونظام ومنهج حياة وقد جعل الله من منهجه مفاتيح كل مغلق وشفاء كل داء ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] [الإسراء: ٩٠] ﴿ هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩٠] (٢)

ومن هنا يبدو بوضوح أنه يرى أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد بل إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية. والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني حين يرتفع إلى هذا المستوى الرفيع حين تصفو النفس لتلقى رسالة الجمال (٣)

وفي سياق الحديث عن تميز القرآن الكريم بالتصوير الفني الذي يبرز في أهم ملامح الاتجاه التفسيري لسيد قطب، قال الدكتور محمد إبراهيم شادي « ويرى سيد قطب أن الجمال الفني أو التصوير هو الأساس المطرد الخالد الذي اعتمد عليه القرآن في المقام الأول في توصيل معانيه وتأثيره. وهو في هذا مقدم على الإعجاز بالآيات الكونية أو التشريعية أو الغيبية لأننا نجد في سائر سور القرآن والدليل على هذا أن أول ما نزل من القرآن ابتداء من سورة العلق والمزمل والمدثر والقلم. هذه السور لا نجد فيها شيئا من

(١) اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، المصدر السابق، (ص ٥٦٩)

(٢) اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، المصدر السابق، (ص ٥٧٠)

(٣) التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - القاهرة، (بدون تاريخ) (ص ١١٧)

الغيبيات أو التشريع أو الآيات الكونية وإنما نجد الصوت الأعلى فيها هو الاعتماد على الأسلوب والجمال الفني والتصوير»^(١)

فعن طريق الجمال الفني لتعبير القرآن استطاع أن يؤثر في الناس ويكسب قلوبهم وعقولهم بل لقد استطاع أن يسحر الناس قد كان هذا السحر البياني للقرآن من أكبر العوامل التي سيطرت على المجتمع العربي في أول ظهور الإسلام ودفعت بالعرب أفواجا إلى الإيمان بالدين الجديد وقد ظل هذا السحر البياني عن طريق جمال الفن من أكبر عوامل التأثير على مر الأيام وتوالى الأجيال والعصور.

لقد تخفف الشهيد كثرة القيود في التفسير بحيث لم يتعرض لمباحث لغوية أو بلاغية أو فقهية وغيرها من المباحث التي لا صلة وثيقة ولا مباشرة لهدى القرآن وجماله ولكنه تسلح في فهم القرآن - حيث كان القرآن مصدره ومرجعه وغايته - بما هو أهم من قيود المفسرين المعروفة وذلك الشرط الوحيد في مقدم الأهمية وهو التقوى « فلا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن الكريم أن يجيء إليه بقلب سليم خالص ثم يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى ويحذر أن يكون على ضلالة أو تستهويه ضلالة وعندئذ تتفتح أسرار القرآن الكريم وأنواره ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقيا خائفا حساسا متهيئا للتلقي»^(٢)

ومن خصائص تفسيره اهتمامه بالجانب الاجتماعي واجتهده في أن يرتبط المسلمون بكتاب الله ارتباطا قويا ليس مرتبطا بمجرد القراءة فحسب وإنما يكون تعاملهم مع القرآن الكريم باعتباره الرائد الحي لقيادة أجيال الأمة وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة ولذلك يصف القرآن فيقول هو كتاب الدعوة هو روحها وباعثها وهو قوامها وكيانها وهو حرسها وراعيها وهو بيانها وترجماتها وهو دستورها ومنهجها وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة - كما يستمد منه الدعاة - وسائل العمل ومناهج الحركة وزاد الطريق.

ويرى سيد قطب بحق - أن صلاح الأمة لا يكون إلا بنفس الطريق الذي سلكه الأقدمون وذلك حينما اتخذوا القرآن دستورا ينظم حياتهم على وفق هدى السماء فتعلموا

(١) إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، للدكتور محمد إبراهيم شادي، مكتبة جزيرة الورد - المنصورة (مصر)، (بدون تاريخ) (ص ١٠٩)

(٢) التصوير الفني في القرآن، المصدر السابق، (ص ٨)

منه كل أمورهم ليس الشعائر والعبادات فقط وإنما تعلموا منه منهج التصور للحياة كلها بسلمها وحريها وكذا تعلموا منه التعامل مع الكون كله بأرضه وسمائه وكافة مخلوقات الله.

وكتاب " في ظلال القرآن " تفسير كامل للحياة في ضوء القرآن وهدى الإسلام عاش مؤلفه في ظلال الذكر الحكيم كما يفهم من تسميته يتذوق حلاوة القرآن ويعبر عن مشاعره تعبيراً صادقاً انتهى فيه على أن الإنسانية اليوم في شقائها بالمذاهب الهدامة وصراعها الدمي من حين لآخر لا خلاص لها إلا بالإسلام يقول في المقدمة « وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حاسم أنه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله. والرجوع إلى الله - كما تجلى في ظلال القرآن - له صورة واحدة وطريق واحد... واحد لاسواه إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم إليه وحده في شئونها وإلا لهو الفساد في الأرض والشقاوة للناس والارتكاس في الحمأة والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار وإنما هو الإيمان... أو فلا إيمان ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨ ، ١٩] (١) «

وعلى ضوء ما سبق جعل بعض الباحثين كتاب " في ظلال القرآن " ضمن كتب التفسير الاجتماعي وجعله بعضهم ضمن كتب الاتجاه الأدبي في التفسير مثل عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي وذلك في كتاب " اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في

(١) في ظلال القرآن ، المصدر السابق، (ج ١ ص ٨)

مصر" للدكتور محمد إبراهيم شريف بل إننا نجد " في ظلال القرآن " مذكورا مرتين في كتاب واحد هو كتاب " بحوث في أصول التفسير ومناهجه " للدكتور فهد الرومي مرة في كتب التفسير الاجتماعي ومرة في منهج التدوق الأدبي.

وجعله الباحث ضمن اتجاه الأدبي الاجتماعي وفق ما كتبه عبد القادر محمد صالح في كتابه " التفسير والمفسرون في العصر الحديث " بجانب عرض الباحث السابق لما اتجه إليه سيد قطب على غرار " ظلاله " من التصوير الأدبي والفني من طرف والإصلاح الاجتماعي من طرف آخر. وهذا يعني أنه يعالج النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن المجتمع ومظاهره وواقعه.

وبعض العلماء أطلق منهج سيد قطب في تفسيره " قي ظلال القرآن " بالمنهج الحركي الدعوي التربوي:

يقال منهج حركي: لأنه يدعو المسلمين إلى حسن فهم القرآن وتدبره ثم حسن الحركة به في عالم الواقع وليس الاكتفاء بدراسته دراسة نظرية.

ويقال منهج دعوي: لأنه يريد منا أن نجعل القرآن منطلقنا في الدعوة إلى الله ومعرفة حقائقه وتوجيهاته الدعوية ومواجهة الأعداء به ورد مؤامرتهم ضد الأمة.

ويقال منهج تربوي: لأنه يريد من المسلمين أن يتربوا على القرآن ويتخلقوا بأخلاقه ويلتزموا بتوجيهاته وأن يصوغوا أنفسهم صياغة قرآنية ليكونوا قرآنيين ربانيين ويريد أن يتربى المجتمع الإسلامي على القرآن وأن تنشأ مؤسساته عليه وأن يكون القرآن هو المهيم على كل مجالات الحياة فيه.(^١)

• مناهج المفسرين فيه

كان محمد عبده داعية تجديد وتحرر ولم يكن داعية جمود وتقليد فأتى بأفكار خالف السابقين - فجلبت له غضب الكثيرين من تيار المحافظين - وفهم الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والكسب في معارفه إلى ينابيعها الأولى وفهم القرآن فهما يبرز الدين أداة رشاد وهداية وفتاحا لسعادة البشرية بحياة طيبة دنيا وأخرى واهتم بفهم

(^١) تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٦٠٦)

المراد والمقاصد من القول كما حاول أن يدرس علل التشريع وأسبابه وحكمه ونأى بنفسه من خلال تفسيره بعيدا عن التفريعات الفقهية أو التطبيقات النحوية والصرفية لأنه يرى أن التركيز على النحو والصرف والفقه في كتب التفسير السابقة والقديمة قد أخرجت هذه التفسيرات عن مقاصدها وأهدافها الداعية إلى الرشد والهداية وتوضيح سبيل المؤمنين على نحو سهل ميسر.

ومن هنا إن مدرسة محمد عبده صاحبة الكأس المعلي في هذا المجال من التفسير إذ قام رجال هذه المدرسة بجهود ضخمة في سبيل تحرير التفسير من التفسير الجاف والعبارة اليابسة والقوالب الجامدة التي ألقت بثقلها على البيان العربي في عهود الأيوبيين والمماليك والعثمانيين..فما إن هبت رياح التقدم العلمي والثقافي حتى استجابت رجالات هذه المدرسة لهذه العوامل الجديدة وأدلت بدلائها في هذا المجال. ومن أسس منهج المفسرين لهذه المدرسة التي أغلبها تتجه باتجاه الأدبي الاجتماعي:

١. الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية

وهي أساس متين ومن الخصائص البارزة في رجال تفسير هذه المدرسة وقد وقع فيه خلاف بين علماء المسلمين السابقين فذهبت طائفة إلى القول بالتناسق بين آيات القرآن الحكيم وارتباط بعضها ببعض وذهبت أخرى إلى أن القرآن لم تأت على نسق الكتب الموضوعية إذ ليست لها مقدمة وليست فيه مباحث موضوعية مرتبة لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب وإنما كان القرآن مشتملا على عدة سور كل سورة منها احتوت على آيات متعددة كل آية في غرض. فهذه للوعظ وتلك للزجر وهذه قصة وأخرى لحكم من الأحكام وأخرى لوصف الجنة أو النار. (١)

ومن الملاحظ - عند هذه المدرسة- أن سور القرآن نوعان:

١- نوع يشتمل على غرض واحد وأغلبه في المفصل: مثل سورة الماعون وسورة الفيل وسورة الكوثر والكافرون والنصر.

٢- نوع آخر لم يقتصر فيه على غرض واحد بل جمع أغراضا عديدة وطرق موضوعات كثيرة وإن كان للجميع هدف واحد ونهاية واحدة وتلك معجزة من أروع

(١) منهج المدرسة الحديثة في التفسير، المصدر السابق، (ص ٢٢٢)

المعجزات التي امتاز بها القرآن^(١) وذلك مثل البقرة والنساء وقد تناول الباحث بالعرض في ألوان التفسير الموضوعي (اللون الثالث)

٢. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

لقد تكلم السابقون - منهم السيوطي والزرکشي - عن " المناسبات " التي تكون أساسا لنظرية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم التي برزت مصطلحة حديثة في ساحة الدراسة القرآنية. لقد أحسن الزرقاني القول في هذا الصدد « أن القرآن الكريم تفرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جملة وآياته وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواليا لآخره »^(٢) وهكذا كتب الإمام السيوطي ناقلا قول ابن العربي « ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد »^(٣)

وهذه النظرية تأسست على ما تعارف عليه المسلمون بأن القرآن الكريم عربي غير ذي عوج ليس فيه اختلاف ولا تباين وأن في القرآن ظاهرة عجيبة هي ما نسميه تكرار الموضوع الواحد في سور مختلفة وبأساليب مختلفة فمثلا يصف القرآن الإنسان بأوصاف متعددة في أماكن متعددة في سورمكية وأخرى مدنية وهي أوصاف في مجموعها تكشف عن الإنسان وتبين عن حقيقته من غرائز وميول وطباع ومع هذا تأتي كل آية حول الإنسان مناسبة تماما لما قبلها ولما بعدها من الموضع الذي وردت فيه. إن هذا الأساس مادام ليس تكرارا ولا تباينا أو اختلافا هو الوحدة الموضوعية أو وحدة الموضوع التي تتكامل فيها جوانب الموضوع المتفرقة في السور. وفي كثير من السور لكل قضية أو جانب من هذا الموضوع موضع ومناسبة لذكره فيها فإذا ما أخذت هذه القضايا المتناثرة أو الجوانب المتفرقة وجمعت معا تكون منها موضوعا واحدا متكاملًا. وقد سبق البسط والتفصيل عن ذلك في " التفسير الموضوعي "

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٣٨)

(٢) مناهل العرفان، المصدر السابق، (ج ١ ص ٧٦)

(٣) الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٢٦١)

٣. الشمول في القرآن الكريم

والشمول فيه متفرع عن الشمول في الرسالة الإسلامية وهو دعوة عامة للناس جميعا وفق قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] وهو دستور باق وتشريع مستمر باستمرار حاجة الناس إلى التشريع وقد تكفل الله بحفظه مشيرا بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقد أجاد أحد العلماء البيان بالحديث عما نحن بصدده « إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة »^(١)

ولهذا فهم يرجحون قول الجمهور " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " على عكس قول غيرهم " العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ " ومحل خلافهم إذا لم تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله أما إذا قامت قرينة بهذا فإن الحكم يكون مقصورا على سببه لا محالة بإجماع العلماء، وعلى سبيل المثال تفسير الإمام المراغي عند قوله تعالى ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] « والأوامر التي جاءت في القرآن الكريم موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هي له ولأمته إلا إذا دل الدليل على أنها خاصة به كقوله تعالى ﴿ خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] وقوله ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لِّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩] وإنما أكد الأمر باستقباله ووجهه إلى المسلمين بعد أن أمره نبيه وشرفهم بالخطاب بعد خطاب رسوله لتشتد عزيمتهم وتطمئن قلوبهم ويتلقوا تلك الفتنة التي أثارها المنافقون وأهل الكتاب واليهود بعزيمة صادقة وثبات على اتباع الرسول »^(٢)

٤. القرآن هو المصدر الأول للتشريع

قال الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في بيان هذا الأساس لمنهج مدرسة محمد عبده « ويجب أن نفرق هنا بادئ ذي بدء بين من يقول هذا القول وبين من يقول أن القرآن هو مصدر التشريع أو يقول الإسلام هو القرآن وحده، ويقصدون من

(١) مجلة الأزهر ذي القعدة ١٣٩٦ هـ ص ١٣٩٢ مقال (الإسلام دعوة شاملة) للشيخ يوسف القرضاوي
(٢) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، تخريج باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، (ط ١) سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) (ج ٢ ص ١٠)

هذا نبذ السنة وفصلها عن الشريعة الإسلامية ملحدين- ولا أقول مستدلين بآيات منها قوله تعالى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩].

وليست هذه الدعوى وليدة العصور وإنما أخذت طريقها إلى عقول بعض الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة وكانت في بدايتها عبارة عن رد بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة لعدم موافقتها لأصولهم وتطور عند بعضهم إلى رد السنة مطلقا والاعتماد على الكتاب والعقل استغل هذا المستشرقون أبشع الاستغلال وربوا عليهم تلاميذهم وأسقوه إياهم كما يسقى الرضيع اللبن فصار الخطر منهم على أكثر من الخطر من المستشرقين عليه»^(١)

وليس لنا طويل نقاش مع هؤلاء فحجية السنة والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة هو يصادم الواقع وليقل لنا قائل هذا القول في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات وبيان ما يجتنب في الصوم وبيان زكاة الذهب والفضة والأنعام وبيان أعمال الحج ومن أي موضع تقطع يد السارق وأحكام البيوع وغير ذلك بل لا يلزم قائل هذا القول من الصلاة إلا ركعة ما بين دلك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم الصلاة ولا حد للأكثر في ذلك.^(٢)

٥. ترك الإطناب فيما ورد مبهما في القرآن الكريم والتحذير من الإسرائيليات القرآن الكريم كتاب هداية يذكر من الأخبار والحوادث وأحوال السابقين ما يحقق هذه الهداية ويمسك عما لا فائدة له من ذكره فالبحث عنه تكلف. وقد جرت عادة المفسرين أن يطنبوا في الكلام عما ذكره القرآن بصورة موجزة. ويفيضوا في تفاصيل قصة أو حادثة أشار إليها القرآن وغالب هذه الإفاضة لا تعتمد على طريق موثوق به بل تعتمد غالبا على النقل في الإسرائيليات وقد أمرنا أن نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لا علم عندنا به.

(١) من هؤلاء مثلا أحمد أمين في (فجر الإسلام) و محمود أبو رية في (الأضواء في السنة المحمدية)
(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المصدر السابق، (ص ٤٣)

كان محمد عبده ومن في نهجه محذرا من الإسرائيليات لا يتدخل في الجزئيات قناعة منهم بعدم الفائدة من ولوجها ولعدم تكليف الله تعالى عباده بولوجها بحثا عن دقائقها وتفصيلاتها والمنتبع لتفسير محمد عبده وتلامذته لوجدهم عزوفين عن التكلف في فهم المبهمات أو الجزئيات إنما كان مذهبهم في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه. وينتقد محمد عبده تدخل بعض المفسرين في تفسير بعض المغيبات التي لم يكشفها النص القرآني مثل تناول بعضهم صفات الميزان الذي يزن أعمال الناس يوم القيامة. وذلك خلال تفسير سورة القارعة. إنه ميزان بلسان وكفتين كأطباق السموات والأرض ولا يعلم ماهيته إلا الله ويعقب محمد عبده على أقوال المفسرين « فماذا بقي من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض فيه العلم إلى الله؟ والكلام فيه جرأة على غيب الله بغير نص صريح متواتر من المعصوم »^(١)

هذا وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال في آية أخرى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨] وذلك تنبيه إلى أن ما في مكنون الكون وفي باطن خلق الله ما لا تدركه العقول ولا تصل إليه الأفهام ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] وإذا كانت هذه لمحة ترشدنا إلى أن في خلق الله أسراراً لا تدرك للعباد فإن في الصلاة من جهة أعداد ركعاتها وفي أوقاتها وفي أنصبة الزكاة ومقادير الكفارات لمحات أخرى واضحة جلية في أن لله سبحانه تعالى في تكاليفه ما يعجز البشر عن إدراك أسرارها وما عليهم إلا أن يؤمنوا ويمتثلوا فتصدق فيهم العبودية ويخلص منهم الإيمان.^(٢)

ومثال ذلك عدم الخوض بالبحث عما استأثر الله بعلمه كفواتح السور (ألم) و (كهيعص) و (حمعسق) وغيرها فقالوا ولعل من الخير للناس أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث في معاني هذه الحروف وأسرار ترتيبها واختيارها على هذا النحو وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل إلى علمه ولم يكلفهم الله به ولم يربط به شيئاً من

(١) تفسير الفاتحة وجزع، لمحمد عبده، المصدر السابق (ص ١٤٥)

(٢) تفسير القرآن الكريم، لمحمود شلتوت، دار الشروق - القاهرة، (ط ١٢)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤) (ص ٤٩)

أحكامه وتكاليه. (١) وقد سبق الحديث عن الاسرائيليات وحكمها وأقسامها ومثالها وما هو مقبول منها أو مردود في الفصل الثاني من الباب الثاني تحت الموضوع " الخطوات المترجة في التعامل مع التفسير في العصر الحديث " .

٦. تحكيم العقل في التفسير

لا ينكر صاحب لب ما للعقل من قيمة وما له من مكانة في كبيرة في الحياة عامة ولا ينكر صاحب فهم وعلم ما له من قيمة ومكانة في الإسلام أيضا تشهد لذلك النصوص العديدة والآثار البارزة والعلامات البينة كلها تدل عليه وتشير إليه. دعا الإسلام إلى استعمال العقل في مواضع عديدة :

- ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٣]

- ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٢]

وذم الإسلام بعض الأفعال لمخالفتها العقل:

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤]

- ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١٤]

- ﴿ أَفِ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٧]

وذكر الإسلام من أسباب دخول النار عدم الاهتداء بالعقل ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ [الملك : ١٠] ﴾ (٢)

ومحمد عبده ومن ينهج نهجه يعدون أصول الإسلام الأولى والثانية منها النظر العقلي وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض. يقول ومحمد عبده « الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي. والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟ »

(١) تفسير القرآن الكريم، لمحمود شلتوت، المصدر السابق، (ص ٦١)

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، المصدر السابق، (ص ٦٤٢)

وهذا الشيخ عبد العزيز جابوئيش - من رجال هذه المدرسة- يرفع العقل إلى مرتبة تستطيع أن تصل بالنفس الإنسانية إلى مراتب الكمال في الأحكام والتصورات والنظم الاجتماعية والمسائل العلمية والآداب والخلقية وغيرها وليس بالوحي ولكن بالبحث والتتقيب والتجارب. وهكذا الأستاذ فريد وجدي يستدل بأحاديث باطلة أو منكورة أو ضعيفة سندا لعقيدته في العقل ووصفا هذه الأحاديث - وهي بهذه الدرجة - بأنها " قواعد إلهية " فأورد حديث (الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له) (١) وحديث (يا أيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم الخ) (٢) ثم عقب عليهما قائلاً: « بهذه القواعد الإلهية نال الفكر حرته وتخلص من وثاق كان يئن منه ويتعثر في أصفاده وصار هو المرشد الحقيقي للإنسان وهي الوظيفة التي خلقه لأجلها الملك الديان » (٣)

ومن المشكلات والتساؤلات التي واجهها هذا الأساس في منهج التفسير لهذه المدرسة تدور بالمحاور التالية:

١. وما هو فائدة إرسال الرسل للبشر إذا كان العقل المصدر الأول في التفسير؟ ومن المعلوم لدى المسلمين جمعاء أن ما في القرآن أمور الغيبيات والسمعيات التي لا يستطيع العقل عن إدراكها بل في أمور الشريعة ما لا يصل إليه العقل عن أسرارها كأعداد الصلاة وأوقاتها والكثير والكثير من أمور الدين.
٢. هل النظر العقلي هدف الشرع أو المقصد الشرعي أو حاكم الشرع أم هو وسيلته لفهمه أو كشف حكمته أو فلسفته؟ فمن اللامعقول واللاموضوعية وغير معتدل في التفكير إذا جعلت الوسيلة مقصداً وجعل المقصد وسيلة أو قلب الحاكم محكوماً والمحكوم حاكماً؟ إن هذا إلا قلب للحقائق ومجاف للتفكير السليم المنصف وإن في ذلك لواضح لأولى الألباب.

(١) قال الشيخ الألباني في كتابه " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " : (الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له) باطل أخرجه النسائي في الكنى والأسماء. وقال النسائي حديث باطل منكرو. أنظر " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " (ص ١٣)

(٢) قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: حديث (يا أيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل الحديث) داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود، انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٩٢)

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، المصدر السابق، (ص ٦٤٤)

٣. فلا يخطر ببال أحد ذي لب معتدل سليم أن يصف الإسلام بأنه " يذعن لسلطة العقل " كما وصف بذلك محمد عبده في مقاله السابق ذكرها. فهذا تعبير يبعد عن الصحة والصواب ويجانب عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما عرض عليه قضاء أو سؤال فالوحي هو أول ما قضي وأول ما أجاب ولو على طريقة من أجاز للرسول الاجتهاد إن لم يجد الوحي. وما ينطق عن الهوى ومن الأهواء ما هو منبعه العقل الذي ينظر القرآن أو النصوص الدينية بمقررات سابقة أو مبادئ سابقة فيؤدي إلى حمل النصوص إلى ما لا يحتمله وصرفها عن ظاهرها عندما خالف ظاهرها تلك المقررات أو المبادئ. وإن هذه الطريقة لفي خطورة للغاية في الدين الإسلامي وفي التفكير الإسلامي.

٤. وهناك عدد من الآيات أو الأحاديث التي تعارض هذا الأساس منها:

- ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١]

- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

ومن التفسير العقلي المجرد عن الدليل لصحيح من رجال هذه المدرسة ما فسره محمد عبده في قوله تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ [الفجر: ١٠] بقوله « وفرعون هو حاكم مصر الذي كان في عهد موسى عليه السلام وللمفسرين في الأوتاد اختلاف كبير وأظهر أقوالهم ملاءمة للحقيقة أن الأوتاد المباني العظيمة الثابتة، وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد فإنها هي الأهرام ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض بل إن شكل هياكلهم العظيمة في أقسامها شكل الأوتاد المقلوبة يبتدئ القسم عريضا وينتهي بأدق مما ابتداء وهذه هي الأوتاد التي يصح نسبتها إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين «^(١)

(١) تفسير جزم عم ، لمحمد عبده، المصدر السابق، (ص ٧٩)

وهذا التفسير لا يقوله المفسرون القدامى مع أنه لا يستند إلى روايات وردت فيها ولا يوافق
ظاهر اللغة المعهودة المتبادر ففهمها في عرف العرب (١)

٧. إنكار التقليد وذمه والتحذير منه

وهو أساس متولد من سابقه ويطلق التقليد ويراد به في عرف الفقهاء " قبول قول الغير
من غير حجة ". بدا من هذا الأساس - على حد زعمهم - تحرير الفكر من قيد التقليد
وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى
ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لتتم حكمة
الله من حفظ نظام العالم الإنساني وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على
البحث في أسرار الكون .

فلا يترك الأستاذ الإمام آية من آيات القرآن تدم أتباع الآباء السابقين من غير تفكير
مثل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَّلُو كَانِ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] إلا ويلحق بهذا النوع
من التقليد العلماء الذين يصرحون بأنهم مقلدون لا يلزمهم النظر في الكتاب والسنة بل
يعتمدون على ما كتب غيرهم في الفقه ويدينون لكتب المقدمين على تعارضها
وتناقضها. (٢)

وإذا تتبعت عن كتب رجال هذه المدرسة فإنك ترى الحرص الشديد على ذم التقليد
والتشجيع على المقلدين وخطوا بين التقليد في العقيدة والتقليد في الأحكام وقلبوا الآيات
ففي تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤]
قال محمد عبده « فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الأخذ بآراء بعض الفقهاء
في العبادات والحلال والحرام هو عين ما أنكره كتاب الله تعالى على أهل الكتاب

(١) قال الطبري في تفسير الآية :- وقوله: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) يقول جلّ ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضا بفرعون
صاحب الأوتاد. واختلف أهل التأويل في معنى قوله (ذِي الْأَوْتَادِ) فقال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذي يقوون له أمره،
وقالوا: الأوتاد في هذا الموضع: الجنود. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) قال: الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يُؤتد في
أيديهم وأرجلهم أوتادا من حديد، يعلقهم بها. وقال آخرون: بل قيل له ذلك لأنه كان يُؤتد الناس بالأوتاد. ذكر من قال ذلك:
حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن
ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (ذِي الْأَوْتَادِ) قال: إلى أن قال وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: غني بذلك:
الأوتاد التي تُؤتد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان
يعذب الناس بها، كما قال أبو رافع وسعيد بن جبيرة، وإما أن يكون كان يُلعب له بها. (تفسير الطبري - المصدر السابق - ج ٢٤ ص
٤١٠)

(٢) الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي، المصدر السابق، (ص ٨٥)

وجعله منافيا للإسلام بل جعل مخالفتهم فيه هي عين الإسلام فليعتبرالمعتبرون»^(١) وهذا التفسير يعتبره الباحث غريبا لا يقوله أحد المفسرون باعتباره تفسيراً بالرأي لا يصدق اللغة ولا سياق الآية^(٢)

٨. التقليل من التفسير بالمأثور

ومن المعلوم أن التفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة وتفسيره بأقوال الصحابة وأقوال التابعين وقد درج علماء المدرسة الاجتماعية على التقليل من شأن التفسير والتشكيك فيه وعدم الاحتجاج به وإن كانوا يظهرون قبوله واعتباره وتارة يرفضون التفسير بالمأثور بأسلوب آخر وهو الزعم بأنه من الإسرائيليات حتى وإن رواه البخاري ومسلم وخذ مثلاً تفسير الأستاذ رشيد رضا في تفسيره ﴿أَوْ يَأْتِي رَبِّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال « وأقوى الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها مارواه البخاري في كتاب الرقاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلِيَهَا فَذَلِكَ حِينٌ) لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)) وأخرجه أيضاً أحمد ومسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه وغيرهم ثم « قال « هذا وأن أبا هريرة رضي الله عنه لم يصرح في هذه الأحاديث بالسمع من النبي صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الأخبار وأمثاله فتكون مرسلة ولكن مجموع الروايات وما في بعضها من مخالفة الأدلة القطعية على ما أشرنا إليه من الأسباب كالرواية من مثل كعب الأخبار من رواة الإسرائيليات - والله أعلم»^(٣)

(١) تفسير المنار، المصدر السابق، (ج ١ ص ١١٤)

(٢) والآية بكمالها ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ وسياق الآية لا يرتبط بشأن التقليد بحال . والحق في معناها قل - أيها الرسول - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالوا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعاً: وهي أن نُخْص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله. فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم - أيها المؤمنون - : اشهدوا علينا بأننا مسلمون منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص. والدعوة إلى كلمة سواء، كما تُوجَّه إلى اليهود والنصارى، تُوجَّه إلى من جرى مجراهم. (أنظر التفسير الميسر لعدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (ج ١ / ص ٣٦٣) وقال الإمام فخر الرازي في تفسيرها « ثم قال تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } والمعنى إن أبوا إلا الإصرار ، فقولوا إنا مسلمون ، يعني أظهروا أنكم على هذا الدين ، لا تكونوا في قيد أن تحملوا غيركم عليه » (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٨٢).

(٣) تفسير المنار، المصدر السابق، (ج ٨ ص ٢١٠-٢١١)

ومن ثالث أساليب رفضهم للتفسير بالمأثور فهو وإن لم يكن رفضا مباشرا إلا أنه إغفال له يجعله في درجة المرفوض فهذا الشيخ أحمد مصطفى المراغي مثلا يفسر ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] بقوله « والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يستتب لهم فيه الحق » (١) ويقول هذا مع أن تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم « لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين » (٢)

وبصراحة يرفض الأستاذ محمد عبده حديث الآحاد ولو كان صحيحا حيث قال « إن الحديث يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من يصح عنده أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم عليه حجة وعلى أي حال قلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل » (٣) وقد سبق الحديث عن ذلك عرضا ونقدا نحو إنكاره لحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم في باب مناهج التفسير في العصر الحديث.

٩. أعمال النظر واستخدام المنهج العلمي في البحث والاستنباط

وأطلقه البعض بـ "التفسير العلمي الحديث" وهذا الأساس مرتبط بما سبق الحديث عنه وهو التحذير من الإسرائيليات وتحكيم العقل في التفسير. فإن كان ترك التقليد مبدأ سلبي فإن البحث وضم المقدمات اليقينية واستنتاج المجهول منها مبدأ إيجابي وهذا المبدأ يزعم الغربيون أن الفضل بالعمل به يرجع إلى العلامة "بيكون" الفيلسوف الإنجليزي الذي دعا إلى المنهج الحديث الذي يقوم على المشاهدة والتفكير المنظم ولكن الأستاذ الإمام بين في أكثر من موضع أن هذا المنهج قديم جاء به القرآن الكريم فالقرآن حافل بآيات تدعو الإنسان إلى النظر في الكون وتدبر آياته وعجائبه واعتبار

(١) تفسير المراغي، لمحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، (ج ١ ص ٣٧)

(٢) الإتيان، المصدر السابق، (ج ٢ ص ١٩٠)

(٣) تفسير جز عم، المصدر السابق، (ص ١٨١)

الكون كتابا مفتوحا يقرؤه كل إنسان ويتأمل في خلق الله ليعرف أن لهذه الصنعة البديعة المحكمة وهذا النظام المنسق والخلق الكامل السليم. ومن تلك الآيات:

- ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦]
- ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ .
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق: ٥-٨]

- ﴿ انظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠] (١)

وقد كان لتوجيهات القرآن الكريم أبلغ الأثر في الدعوة إلى التفكير العلمي على علماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة وذلك أن جوانب المعرفة لا تقوم إلا على العلم والعلم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال منهجية واعية تؤكد على إعمال العقل وتستثمر قدراتها. وقد دعا القرآن التفكير العلمي في سائر جوانب المعرفة النافعة وقد جعلت جوانب المعرفة في ثلاث تصنيفات وهي :

١. العلوم المتعلقة بإقامة الشعائر الدينية وهي ما يمكن تسميته بـ"العلوم الشرعية "
 ٢. العلوم المتعلقة بالكون وهي ما يمكن تسميته بـ" العلوم الطبيعية "
 ٣. العلوم المتعلقة بالاجتماع البشري وهي ما يمكن تسميته بـ" العلوم الإنسانية "٢.
- والأساس الذي نحن بصدد أن ينهج رجال المدرسة بالتفسير العلمي عن طريق إعمال النظر في الكون أو طبيعته وفق ما أشار إليه القرآن من دلالات علمية برغم أن قدرة القرآن على العطاء العلمي والمعرفي والثقافي إنما جاءت من كونه ليس كتابا علميا ولا كتابا فنيا، هو كتاب هداية الإنسان ولكن كلامه عن الإنسان والكون يتفق مع العلم لأن موضوع العلم هو الكون والإنسان فوحدة الموضوع متحققة بين القرآن والعلم. ولوأننا نتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم، لوجدنا أن هذه النزعة - نزعة التفسير العلمي - تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا، ولوجدنا أنها كانت في أول الأمر عبارة عن محاولات، يُقصد منها التوفيق بين القرآن، وما جَدَّ من العلوم، ثم وُجِدَت الفكرة مركزة وصريحة على لسان الغزالي، وابن العربي، والمرسي،

(١) الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي، المصدر السابق، (ص ١٠٦)
(٢) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، للدكتور خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدرى، دار علم الفوائد- مكة المكرمة، (ط١)، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ص ٩٣)

والسيوطي، ولوجدنا أيضاً أن هذه الفكرة قد طُبِّقت علمياً، وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي، ضمن تفسيره للقرآن ثم وُجِدَت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجاً كبيراً بين جماعة من أهل العلم، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما أُلفت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة. وسيتناول الباحث الاتجاه العلمي في التفسير أو التفسير العلمي على وجه التفصيل - إن شاء الله - بعد العرض بكل جوانب هذا الاتجاه - الأدبي الاجتماعي - باعتبارهما أروج الاتجاهات التفسيرية في البروز والظهور في ساحة الدراسة القرآنية في العصر الحديث.

١٠. الإصلاح الاجتماعي

ارتبط تاريخ تفسير القرآن في القرن الأخير بالحركات الاجتماعية خاصة حركات الإصلاح الديني كبعث فكري شمل أقاليم العالم الإسلامي . هذه التغييرات الفكرية كانت لها مبررات عديدة وجذور ممتدة تماماً كحركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر في أوروبا التي تعود جذورها إلى القرن الثاني عشر واستمرت حتى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ولا زالت مستمرة وهي حركة بطيئة والناظر إليها من بعيد يجدها منسجمة ومنظمة كأنه خط مستقيم.

فالنهضة التي استهدفت تجديد الحياة في العالم الإسلامي وتجديد الفكر لها مبررات دينية ودنيوية فقيادة الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي كانت لهم مواجعتهم للفكر الغربي بصورة مباشرة وغير مباشرة للقيم وللنظرات للمجتمع الإسلامي خاصة - وبالدرجة الأولى - للخرجين والمنقذين الذين تأثروا بها. بعض المحققين يعددون عوامل النهضة والحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي بما يلي :

١. الضغط الوهابي الذي كان هدفه الأصلي إحياء الأخلاق الإسلامية كالسلف الصالح

٢. انتشار الطباعة وطباعة الآثار الكلاسيكية وإنشاء الصحف.

٣. نفوذ المدنية الغربية.

٤. التغييرات التحريرية في الحكومة العثمانية.

٥. نشاط المبشرين البروتستانت الذين تأثر المسلمون بحماسهم الديني.^(١)

ذلكم أن رجال المدرسة الاجتماعية يعاصرون يقظة العالم الإسلامي الذي انبهرت طائفة منهم بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كغيرهم من المصلحين إلى تلمس السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي وفق أحكام الشريعة الإسلامية بحيث تسبق هذه الأمة أمة الغرب أو تلحق بها مع التزامها لمبادئ دينها، والتاريخ شاهد - بلا شك - أن الأمة الإسلامية تقوى وتسود العالم بتمسكها بدينها وتضعف وتغيب من ريادته بإعراضها عن دينها. لقد سادت الدولة الإسلامية أرجاء واسعة من الأرض بسطت عليها سلطتها وأرست دعائم حكمها العادل ثم ضعف تمسكها بالقرآن الكريم وأحكامه فما لبث أن بدأت تتهاوى وتسقط الواحدة تلو الأخرى حتى أصبحت غثاء كغثاء السيل وحتى تداعت عليها الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها.

ثم أفاق العالم الإسلامي من نومته فشمرت طائفة من العلماء عن سواعدها - وفي مقدمتهم رجال المدرسة الاجتماعية - داعية إلى السلامة والإصلاح والتفتوا إلى القرآن الكريم وقاموا حسب طاقتهم من ضوئه بإصلاحات العالم الإسلامي واتجهوا بالحل القرآني نحو قضايا ومشكلاته الشائكة. جد رجال هذه المدرسة في أن يلتزموا عند تفسير كل آية ما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي ويتخذوا منها مدخلا إلى الإصلاح حتى وصف أستاذ هذه المدرسة ضمن أوصافه بالمصلح الاجتماعي.

كانت القضايا الاجتماعية لا تكاد تحد ولا تعد بدءا من الحكومة الإسلامية والقواعد التي تقوم عليها ومرورا بالوحدة الإسلامية والحرية الفردية والحرية السياسية وحرية العقيدة ثم إصلاح العقائد من الخرافات والأوهام التي ألصقت بها إصاقا ثم إصلاح التعليم ثم إصلاح الاقتصاد عامة ونشرا لاقتصاد الإسلامي خاصة ثم القضية التي يسمونها قضية المرأة ما لها وما عليها ما تطلبه وما يطلب منها شغلت الناس حيناً من الدهر وما زالت ثم قضايا التربية الإسلامية والالتزام بمبادئه التهذيبية كالأمانة والصدق والصبر مما يهذب النفس الإسلامية ويصبغها بمثله ومبادئه ثم قضايا الخمر والزنا والسرقه وبيان آثارها وأضرارها في المجتمع.

(١) التفسير والتفاسير الحديثة، المصدر السابق، (ص ١١ - ١٢)

ومن أمثلة تفسيرهم في إصلاح المجتمع من الجانب التهذيبي ما يتحدث أحمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] عن حكمهما ثم عن مضار كل منهما وذكر مضار الخمر الصحية بإفساد المعدة وفقد شهوة الطعام ومرض الكبد والكلى والسل حتى قال أحد الأطباء : اقلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات... ثم يتحدث عن مضارها العقلية ومضارها المالية ثم عن مضارها في المجتمع ووقوع النزاع والخصام بين بعض السكارى وبينهم وبين من يعاشرهم لأدنى بادرة تصدر من واحد منهم ويتحدث عن مضارها النفسية من إفشاء الأسرار لا سيما إذا كان متصلاً بالحكومات وسياسة الدول وشتونها العسكرية وعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهامهم التي ندبوا إليها ويتحدث عن مضارها الدينية وينتقل إلى ذكر مضارالميسر من أنه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله ويفسد الأخلاق ويخرب البيوت بغيته.

ويقول : وإذا استمر انتشارالخمروالزنا في هذه البلاد ولا سيما الخمرالتي تباع للفقراء فهو مواد سامة محرقة (سبيرتو) يضاف إليها قليل من الماء والسكرفليس بالبعيد أن تتقرض الأمة بعد جيلين أوأكثر كما انقرض هنود أمريكا لا يبقى منهم إلا بعض الأجراء والخدم فالسكر والزنا مقرضان يقرضان الأمم، وقد شاع حديثاً في مصر ما هو أفتك بالأمة من الخمر وأقتل لها وهو بعض السموم التي تستعمل حقناً تحت الجلد أو شما بالأنف كالمورفين والهرويين.(١)

• مميزات التفسير الأدبي الاجتماعي

يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللون الأدبي الاجتماعي، ونعنى بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصرذلك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلَوْن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف

(١) تفسير المراغي، المصدر السابق، (ج ٢ ص ١٤٤)

القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظّم العمران.

التفسير الأدبي يقصد إلى اكتشاف روعة البيان القرآني ودقته التعبيرية في كيفية معالجة قضايا النفس الإنسانية المتشعبة ويبين رقة اللفظ القرآني ورشاقته الفنية في التصوير والتشخيص، وكيف يجعل المعنوي حسيا مائلا أمام القارئ وهذا عرف عند علماء الأدب بالتصوير والتشخيص. وذلك التصوير يجعل الإنسان يتصور المعنوي قائما أمام الحواس مرسوما بأبعاده فيتزك آثاره الهائلة على النفس البشرية.

فقد ذكر أن علم أحوال البشر مما لا يتم التفسير إلا به وأنه لا بد للناظر في القرآن الكريم من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم وهذا ما عناه المعاصرون بعلم الاجتماع. فحياة المجتمع تتجدد بمرور العصور والأجيال وكلما تتجدت الحياة استقبلت من المشكلات ما يجعلها في سباق رهيب مع الزمن طردا وعكسا. وليس من الغريب أن القرآن خطاب الله الذي يمس بل يخالط حياة الناس مخالطة لم يدع صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها ووضع لها الحلول التي جعلته يصلح لكل زمان ومكان حتى في أدق الأمور وأخفاها.

ومن هنا فقد تميز وأبدع رجال التفسير الأدبي الاجتماعي حينما كشفوا للقرآن سرا خاصا على تأثيره النفوس وإيقاعه في القلوب من خلال ضوءه الفني والأدبي ثم جعلوا من تفسير القرآن مجالا رحبا وطرائق ميسرة يلتمسون بها ما يروونه ويحسون به من المشكلات الاجتماعية بشكل لم يسبق إليهم لا في طريقة عرضهم ولا في قدرتهم على استخراج العلاج من خلال الآية أو الآيات فكم من قضية اجتماعية تعرض لها وناقشوها في دروس التفسير مناقشة جعلت من هذا الدرس منارة يهتدى بها كل حائر وموثلا يؤمه كل راغب في الإصلاح.

• أهم كتب المؤلفات

ومن أهم الكتب المؤلفة في التفسير الأدبي الاجتماعي

١. تفسير المنار لمؤلفه محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) ورشيد رضا

(١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/١٨٦٥ - ١٩٣٥)

٢. تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (١٣١٩ هـ -/١٨٨١م - ١٩٥٢م)

٣. تفسير القرآن الكريم لمحمد شلتوت (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م)

٤. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب (١٣٢٥ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م)

• نشأة التفسير الأدبي الاجتماعي في العصر الحديث

وقد عرض الباحث سابقا - في التمهيد عندما تناول تعريف مصطلحات البحث - أن العصر الحديث يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية قرن العشرين. وذلك حينما شهد العصر الحديث هيمنة المادية الغربية في العالم، حيث تقدمت أوروبا وأمريكا في العلم والتكنولوجيا وانتشرت الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية والآراء التي تهاجم الدين والإيمان، وتدعو إلى اللادينية والنظريات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومن جراء نفوذ أوروبا وأمريكا في ربوع الدول الإسلامية فكريا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا استعمرت جميع بلدان المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى ، نجح الكفار في إزالة آخر رمز للحكم الإسلامي وهو الخلافة حيث ألغى مصطفى كمال أتاتورك^(١) - ربيب الغرب - الخلافة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين. فقامت أنظمة الحكم في بلاد المسلمين بعد أن نالت البلاد استقلالها الظاهري ولكن هذه الأنظمة حرصت على إقصاء الإسلام عن الحكم والتوجيه والحكم بغير ما أنزل الله واستعارة مناهج الحكم الغربية والشرقية.

وانتشرت في بلاد المسلمين الأفكار والمذاهب الجاهلية : الماركسية والوجودية والدروينية والقومية والرأسمالية والاشتراكية وغير ذلك بظهور فلاسفة ومفكرين لا دينيين كفار مثل هيجل^(٢) وماركس^(٣) ودوركايم وداروين وفرويد ونييتشه^(٤) وسارتر ونشأت أجيال

(١) ولد سنة (١٨٨٠) في مدينة سلانيك (مدينة يهودية). التحق بمدرسة دينية، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية، دخل المدرسة الحربية في سلانيك سنة (١٨٩٣م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكرية ثم الثانوية في (موناستر) بالبلقان. أعلن مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٤ إلغاء الخلافة في تركيا. في يوم الخميس (١٠) نوفمبر سنة (١٩٣٨م) الساعة التاسعة وخمس دقائق رحل أتاتورك من الدنيا (موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ - (٤٠) / ٣٠١ م.ش)

(٢) هيجل : فيلسوف ألماني (١٧٧٠-١٨٣١م) ولد بشتوتجارت هو من أعظم الفلاسفة تأثيرا في تاريخ الفلسفة ولم يعرف فيلسوف بعد أفلاطون وأرسطو له هذه المكانة الرفيعة مثل هيجل ولا يمكن أن نفهم الوجودية والماركسية والبرجماتية وغيرها دون أن نفهم هيجل وفلسفته. من مؤلفاته (علم ظواهر العقل) و(علم المنطق) و(موجز موسوعة العلوم الفلسفية) (أنظر: الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ٢٨٢)

(٣) فيلسوف ألماني (١٨١٨-١٨٨٣ م) ولد بنتريفز الألمانية هو أبو الشيوعية العلمية وصاحب المادية الجدلية والتاريخية ومؤسس الاقتصاد السياسي العلمي وملهم أغلب تيارات الفكر الاشتراكي كان أجداده حاخامات يهود ولكن أبواه تنصروا. درس القانون بجامعة بون والفلسفة بجامعة برلين تأثر بهيجل. حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة بينا هاجم الرأسمالية ودعا إلى الشيوعية توفي بإنجلترا. وأشهر مؤلفاته: كتاب "رأس المال" (أنظر: الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ٢٢٦)

جديدة من المسلمين متأثرة تأثراً كبيراً بالمذاهب الجاهلية الغربية ومقلدة للآخرين في أفكارهم وحياتهم وممارستهم وسلوكهم وكانت بعيدة عن إسلامها ودينها. قامت حركات إسلامية في بلاد المسلمين تدعو الأمة إلى العودة لإسلامها وتطبيق شريعتها والتخلي من تبعيتها للأعداء واستقطبت هذه الحركات الإسلامية كثيراً من فئات وطبقات الأمة لكن الأعداء خشوا أن تنجح هذه الحركات في إعادة الأمة إلى إسلامها وقوتها وهويتها فشنوا عليها حرباً شعواء شديدة شرسة واستعانوا برجالهم وأعوانهم المنتقذين في بلاد الإسلام في القضاء على هذه الحركات.^(١)

ودعا هذا الواقع المؤلم للمسلمين في العصر الحديث الدعوة والمصلحين إلى الإقبال على القرآن الكريم يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة والتربية والإصلاح. وظهرت مدارس فكرية إسلامية انطلقت من تفسير القرآن الكريم في إصلاح المجتمع وأشهر هذه المدارس اثنتان:

الأولى: مدرسة الشيخ محمد عبده

ومحمد عبده كان شيخاً للأزهر ومفتياً لمصر وهو تلميذ للرجل المشهور جمال الدين الأفغاني وقام بجهود كبيرة في الدعوة والإصلاح وقد اختلف أحكام الباحثين في الحكم على محمد عبده. وقد اختلفت أحكام الباحثين في الحكم على محمد عبده فهو في نظر كبير تلاميذه الشيخ محمد رشيد رضا "أستاذ الإسلام الأكبر" و"حكيم الإسلام في هذا العصر" و"إمام المسلمين في كل بادية ومصر" و"مولانا الأستاذ الأكبر".

وصدرت عدة كتب عن تلاميذه تحدثوا فيها عن حياته، من أشهرها كتاب "تاريخ الأستاذ الإمام" لمحمد رشيد رضا، وعده الأستاذ أحمد أمين رائد الإصلاح والدكتور عثمان أمين اعتبره رائد الفكر المصري والأستاذ عباس العقاد عبقري الإصلاح والتعليم، والأستاذ محمد حسين الذهبي اعتبره رائد اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في العصر الحديث. بينما يراه المحققون من الباحثين مؤسساً للمدرسة العقلية

(١) نيتشه: فيلسوف الماني (١٨٤٤-١٩٠٠م) ربي على التقوى ودرس اللاهوت لكن تفواه انقلبت ثورة عقلية تأثر بفلسفة عمل أستاذاً لأصول اللغة بجامعة بال. لم يتزوج وكره المرأة وعادها. دعا إلى الحياة القوية وهاجم الضعفاء وبشر بالإنسان الأعلى والسوبرمان. له تأثير عميق في الفكر الألماني. أصيب باضطراب عقلية (أنظر: الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ٢٧٤)

(٢) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ٥٦١-٥٦٢)

التوفيقية في التفسير وهي تعتمد على دعامتين: تحكيم العقل تحكيما مبالغا فيه في فهم مراد الله تعالى والتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية.

الثانية: مدرسة إخوان المسلمين

أسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر الإمام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٢٨م وهي أول حركة إسلامية شاملة تأسس بعد القضاء على الخلافة وانتشرت على حد كبير في مختلف بلدان العالم الإسلامي وتركت آثارا واضحة في الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومنها ظهر مفكرون إسلاميون ولهم دراسات قرآنية عديدة. وفي مقدمة المفسرين المنتمين لحركة الإخوان سيد قطب وسعيد حوى. ومن الباحثين الذين أصدروا دراسات قرآنية محمد الغزالي^(١) والبهى الخولي ومحمد قطب^(٢) ويوسف القرضاوي وعلي عبد الحليم محمود والدكتور أحمد حسن فرحات والدكتور محمد لطفي صباغ والدكتور عدنان زروروكثيرون.^(٣)

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الأدبي الاجتماعي

النموذج الاول : معالجة المسئلة الاجتماعية من خلال سورة " العصر "

عرض الدكتور حسين الذهبي نموذجا للتفسير الأدبي الاجتماعي لمحمد عبده في معالجة المسئلة الاجتماعية على ضياء سورة " العصر " قائلا: « ثم إننا نجد الأستاذ الإمام لا يكاد يمر بأية من القرآن يمكنه أن يأخذ منها علاجاً للأمراض الاجتماعية إلا أفاض في ذلك بما يُصَوِّر للقارئ خطر العلة الاجتماعية التي يتكلم عنها ويُرشده إلى وسيلة

(١) وهو من دعاة الإسلام العظام، ومن كبار رجال الإصلاح ولد في قرية "نكلا العنب" التابعة لمحافظة البحيرة بمصر ولد الشيخ محمد الغزالي في (٥ من ذي الحجة ١٣٣٥هـ = ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧م) ونشأته في أسرة كريمة، وتربى في بيئة مؤمنة؛ فحفظ القرآن، وقرأ الحديث في منزل والده، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل به حتى حصل على الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلى القاهرة سنة (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م) والتحق بكلية أصول الدين، وفي أثناء دراسته بالقاهرة اتصل بالإمام حسن البنا وأصبح من المقربين إليه، حتى إن الإمام البنا طلب منه أن يكتب في مجلة "الإخوان المسلمين" لما عهد فيه من الثقافة والبيان؛ فظهر أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثة بالكلية، وكان البنا لا يفتأ يشجعه على مواصلة الكتابة حتى تخرج سنة (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م) ثم تخصص في الدعوة، وحصل على درجة "العالمية" سنة (١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م). (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ج، أعضاء ملتقى أهل الحديث ج ١ ص ٢٨٤)

(٢) مفكر إسلامي مصري (١٩١٩-.....) ولد بأسبوط . شقيق السيد قطب. تخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة دارسا للآداب الانجليزي حصل على دبلوم التربية وعلم النفس. تأثر بأخيه السيد قطب من حيث أسناده ومعلمه . انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين اعتقل أكثر من مرة مؤلفاته كثيرة اهتم فيها بروح الإسلام وفلسفته ونقد حضارة الغرب. ومنها: (اتجاهات فكرية معاصرة) و(جاهلية قرن العشرين) (شبهات حول الإسلام) وغيرها (الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، المصدر السابق، (ص ٢٤٧)

(٣) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المصدر السابق - (بالإختصار) - (ص ٥٦٣-٥٦٤)

علاجها والتخلص منها. كل هذا يأخذه الأستاذ الإمام من القرآن الكريم ثم يُلقى به على أسماع المسلمين وغير المسلمين رجاء أن يعودوا إلى الصواب ويثوبوا إلى الرشاد. فمثلاً عندما تعرّض لقوله تعالى في الآية [٣] من سورة العصر من التفسير المطوّل لها: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .. نجده يقول: " والصبر مَلَكَةٌ في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضا بما يكره في سبيل الحق. وهو خُلُقٌ يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أُتِيَ الناس من شيء مثل ما أُتوا من فقد الصبر أو ضعفه. كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة ولنضرب لذلك مثلاً: نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين اليوم إذا دققت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر فإن من عرف باباً من أبواب العلم لا يجد في نفسه صبراً على التوسع فيه والتعب في تحقيق مسائله وينام على فراش من التقليد هَيِّنَ لَيِّنَ لا يكلفه مشقة ولا يجشمه تعب ويسلى نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه ولو كان عنده احترام حقيقي لسلفه لاتخذهم أسوة له في عمله فحذا حذوهم وسلك مسلكهم وكلف نفسه بعض ما حملوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بمعصومين.

ثم هو إذا تعلّم لا يجد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم وحملهم على عرفان ما يعرف ولا جلدأ على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده بل متى لاقى أول معارضة قبع في بيته وترك الخلق للخالق كما يقولون .

يجلس الطالب لدرسه سنة أو سنتين ثم تعرضه مشقة التحصيل فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له فينقطع عن الطلب ويذهب في الجهل كل مذهب وكل هذا من ضعف الصبر.

يبخل البخيل بماله ويجهد نفسه في جمعه وكنزه وتعرض له وجوه البرفيرعرض عنه ولا يُنفق درهماً في شيء منها فيؤذى بذلك وطنه ومِلَّتِه ويترك الشر والفقر يأكل قومه وأُمته ولو نظرنا إلى ما قبض يده لوجدناه ضعف البصر لما أُصيب بذلك المرض القاتل له ولأهله.

يُسرف المسرف في الشهوات، ويتهتك المتهتك في المنكرات حتى ينفد المال وتسوء الحال ويستبدل الذل بالعز والفقر بالغنى ولا سبب لذلك إلا ضياع صبره في مقاومة

الهُوى وضبط نفسه عن مواقع الردى ولو صبر فى مجاهدة تلك النزعات لَمَا كان قد خسر ماله وأفسد حاله .. وهكذا لو أردتُ أن أَعُدَّ جميع الرذائل وأبحث عن عليها الأولى لوجدتموها تنتهى إلى ضعف الصبر أو فقده. ولو سردتُ جميع الفضائل وطلبتُ ينبوعها الذى تستمد منه حياتها لما وجدتُ لها ينبوعاً سوى الصبر أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يُخص بالذكر»

ثم يبين بعد ذلك وسائل الدعوة إلى الخير فيقول: «... يجب على العلماء ومن يتشبه بهم أن يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما تدعو إليه الحال على حسب الأزمان وأول ما يجب عليهم فى ذلك أن يتعلموا التاريخ الصحيح وعلم تكوين الأمم وعلم الأخلاق وأحوال النفس وعلم الحس والوجدان ونحو ذلك مما لا بد منه فى معرفة مداخل الباطل إلى القلوب ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والأخروية ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير فإن لم يحصلوا على ذلك كله فوزر العامة عليهم. ولا تنفعهم دعوى العجز فإنهم ينفقون من أزمانهم فى القيل والقال والبحث فى الألفاظ والأقوال فليطلبوا العلم من سبله التى قام عليها السلف الصالح أما وقد انقطعوا إلى ما يعجزهم عن القيام بأمره فلن يقبل الله لهم عذراً بل فليتربصوا حتى يأتى أمر الله.»

« لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واشتغال الناس بالحق عن الباطل أن يضرب الإنسان فى الأرض ويمسحها بالطول والعرض، وأن يتعلم اللغات الأجنبية ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله وما يخشى ضرره على قومه فيدمغه لوجب على أهل العلم أن يأخذوا من ذلك بما يستطيعون ولهم فى سلف الأمة من القرون الأولى إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة أحسن أسوة وأفضل قدوة وكل ما يهونون به على أنفسهم مما يخالف ذلك فإنما هى وساوس شيطان يشغلهم بها عن النظر فى معانى القرآن، ويحرمهم من التعرض لرحمة الرحمن» (١).

النموذج الثاني : الربط بين الفرد والمجتمع ربطاً محكماً سورة الانفطار ١٣

(١) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٤١٣-٤١٤)

موقع الإنسان الفرد في مجتمعه كموقع اليد من الجسد فإذا ما أصاب اليد الشلل أو العطل فإن هذا المجتمع أصيب بالقصور لذا كان لا بد للفرد أن يبذل من الجهد من أجل دفع مجتمعه نحو التقدم والتطور . ولاحظ كيف ربط محمد عبده علاقة الفرد ومجتمعه من خلال دور الفرد وذلك في تفسيره قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الإنفطار: ١٣] فقال « فلا يُعَدُّ الشخص بَرًا ولا باراً حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب فلا يَغْتَرَّنْ أولئك الكسالى الخاملون، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات، وصيحات غيرلائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات ثم بصوم أيام معدودات لا يجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات ومع حرصه لما فى أيدي الناس وهم يجرون على سُنَّةِ الحق وهو مستمسك بسُنَّةِ الباطل فهؤلاء ليسوا من الأبرار بل يجدر بهم أن يكونوا من الفجار». (١)

المبحث الثالث

دراسة عن التفسير العلمي

المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير العلمي

• معنى التفسير العلمي في القرآن لغة واصطلاح

التفسير العلمي مركب من كلمتين : التفسير - العلمي

(١) تفسير جزم ، محمد عبده، - بالاختصار- (ص ٣٧)

وبناء لما سبق من عديد التعاريف يمكن أن يعرفه الباحث بأنه الكشف عن معاني الآية ببعض الحقائق العلمية الثابتة على مقتضى اللغة ونتائج البحث في الكون وظواهره.

وهناك مصطلح آخر يقترب ويتشابه مع مصطلح " التفسير العلمي " وهو الإعجاز العلمي. وتعريفه عند عبد المجيد الزنداني (١) « إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرا وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ». (٢) ومن هنا ندرك أن التفسير العلمي لا يستوي مع الإعجاز العلمي لأن التفسير العلمي يتمحور بحثه في كشف معاني القرآن الكريم بالحقائق العلمية الثابتة حصيلة نتائج البحث في الكون وظواهره بينما أن الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن بتلك الحقائق العلمية التي لا يتمكن إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسمى التفسير العلمي إعجازا علميا وهذا ما ذهب إليه الدكتور عدنان محمد زرزور قائلا « والذي يمكننا أن نقوله إن الإعجاز الحقيقي في هذا الجانب وأعني جانب الحقائق العلمية عن الكون والإنسان التي أشار إليها الكتاب العزيز يكمن في طريقة القرآن (٣) في التعبير عن هذه الحقائق لا فيما سميناه تفسيراً علمياً قد نخطئ فيه أو نصيب لقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق على نحو يفهم خلال العصور بمعنى أن أسلوب القرآن ونظمه وبيانه - الذي جعلناه مناط الإعجاز فيما سبق - اتسع للتعبير عن هذه الحقائق العلمية على نحو لا يعجز عن

(١) ولد الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني في ناحية بدران من محافظة إب إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، في عام ١٩٤٢م، وتلقى التعليم الأولي في الكتاب -إبان الحكم الإمامي في اليمن- ثم في عدن وأكمل الدراسة النظامية فيها. هو سياسي و داعية يمني ، وهو مؤسس جامعة الإيمان الشرعية باليمن ومن مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة. عضو الهيئة العليا لحزب التجمع اليمني للإصلاح. وأحد كبار مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في اليمن. ذهب إلى المملكة العربية السعودية وعاش فيها حقبة من الزمن ، وقام بالتدريس وإلقاء المحاضرات، وساهم في تأسيس هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المملكة العربية السعودية عين أولا الأمين العام السابق لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ثم يحتل بمنصب الرئاسة فيها. أعلن الشيخ عبد المجيد الزنداني في قناة الجزيرة الإخبارية اكتشافه علاجاً من الأعشاب الطبيعية للشفاء من مرض نقص المناعة المكتسب - الإيدز- وقال الزنداني إن اكتشاف العلاج لم يكن من باب الصدفة، مشيراً إلى أن البحث فيه يعود إلى ١٥ عاما عندما شكل فريق بحث في المدينة المنورة بحث في الطب النبوي والإعجاز الطبي في السنة النبوية. وقال الشيخ عبد المجيد الزنداني وفريقه إن نحو ١٥ شخصا استطاعوا التخلص من الفيروس خلال فترة تراوحت من ثلاثة أشهر إلى سنة بعد تعاطيهم العلاج. ومن مؤلفاته : علم الإيمان ، طريق الإيمان ، التينة العلمية في القرآن الكريم (أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٤ - ج ٣٩ ص ٤٠٣ م. ش) (عبدالمجيد الزنداني <http://ar.wikipedia.org/>)

(٢) تأصيل الإعجاز العلمي، لعبد المجيد الزنداني، المصدر السابق (ص ٢٥)

(٣) وهذه الطريقة من طرق البيان والتعبير ليست في مقدور أحد البشر أو في استطاعة أحد.

خطاب الإنسان في أي عصر ولا يحمله كذلك أكثر مما يطيق هذا وجه الإعجاز عندنا في هذه المسئلة»^(١)

وفي عرف الكثير من الباحثين والدارسين اعتبروا التفسير العلمي والإعجاز العلمي قرينين بل شيئاً واحداً وهذا الاعتبار - التفسير العلمي والإعجاز العلمي شيء واحد - وقع فعلاً في ساحة الدراسة القرآنية سواء في الحلقات العلمية أو في المحاضرات أو في تسمية الكتب التي تتناول تفسيراً قرآنياً بالحقائق العلمية الثابتة واكتشافات العلوم الحديثة التي أشار إليها القرآن الكريم، بل ربما إطلاق " الإعجاز العلمي " أكثر استعمالاً في الدراسة القرآنية لدى الباحثين المعاصرين.

ببروز هذا الاتجاه وظهوره في الحقل التفسيري وجد المسلمون وجهاً جديداً من وجوه الإعجاز القرآني ووجدوا مجالاً مناسباً للدعوة إلى الإسلام يواكب روح العصر ومزاجه ويساير مع تقدم العلم والتكنولوجي حتى يظل الإعجاز الجديد قادراً على مخاطبة العرب وغير العرب كما يمكن إدراكه المسلمون. وفي الوقت نفسه يشعر التفسير العلمي أن القرآن مشتمل على سائر العلوم ما جَدَّ منها وما يَجِدُّ فيروج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم وعناية بالقرآن الكريم. لقد رأى الشيخ طنطاوي جوهرى - كرائد بارز في ترويج التفسير العلمي - أن وقوف مسلمي العصر في عجائب الكون والخلق وغرائب العلوم من ضوء القرآن الكريم لفي أهمية للغاية مشيراً بقوله « يا أمة الإسلام آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم وهذا زمان ظهور نور الإسلام هذا زمان رقيه يا ليت شعري .. لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آبائنا في آيات الميراث؟ ولكنى أقول: الحمد لله ... الحمد لله إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للزيادة في معرفة الله وهي فرض عَيْن على كل قادر ... إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء

(١) مدخل إلى القرآن والحديث، للدكتور عدنان محمد زرزور، المصدر السابق، (ص ٢٣٩)

فى الإسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم»^(١)

ويقول فى موضع آخر: «لماذا أَلَّف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية فى علم الفقه ... وعلم الفقه ليس فى القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثيرالتأليف فى علم الفقه، وَقَلَّ جداً فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة؟ بل هى تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة. فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته قليلة. ويجهلوا علماً آياته كثيرة جداً؟ إن آباءنا برعوا فى الفقه، فلنبرع نحن الآن فى علم الكائنات .. لنقم به لترقى الأمة»^(٢).

المحاولة من قبل علماء العصر فى إدراك التطابق بين القرآن الكريم والحقائق العلمية الحديثة مطابقة لما اقتضت حكمة الله فى جعله الإسلام آخر الأديان وجعله القرآن معجزة خالدة متجددة يتبين للناس منها على مرالدهور يكون هذاالتجدد فى الإعجازالعلمي هو تجديد للرسالة الإسلامية كأن الرسول صلى الله عليه وسلم قائم فى كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلاً على صدقه آية جديدة تطابق مزاج العصر ونزعتة.

• مصادر التفسير العلمي

ومصادره تتضح فى النقاط التالية:

(١) مصدرشرعي خاص

وهذاالمصدرهو يتمثل فى :

أ- القرآن الكريم

المفسرالواعي كان يستعين ببعض آيات القرآن على فهم بعض آخر منه، خصوصاً إذا تكررت الآيات فى موضوع واحد يشير من خلالها إلى بعض الحقائق العلمية والنواميس الكونية فما أشارإليه الله فهو الحق الذى لا يمكن أن لا تتناقض معه الحقائق العلمية.

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهرى، مطبعة مصطفى الحلبي، (١٣٤٠-١٣٥١هـ)، (ج ٣ ص ١٩)

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهرى، المصدرالسابق، (ج ٢٥ ص ٤٠)

ب- الأحاديث النبوية

ومما لا يخفى على كل مسلم منصف أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم بيان ما نزل إلى الأمة وفق قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ومن هنا فلا يمكن لمن يتصدى بالتفسير العلمي أن يطلع الأحاديث التي تبين تفسير الآيات الكونية حتى يتبين على فهمه مراد الآيات ومقصدها باطلاع الأحاديث التي وردت في بيان مرادها - وهذا يحتل في المقام الأول بعد تفسير القرآن بالقرآن - وبالتالي يخوض في ربط الآيات مع الحقائق العلمية الثابتة.

ت- كتب التفسير المعتمدة

إن كتب التفسير المعتمدة تلعب دورا هاما في التفسير العلمي وهي تعين - أيضا - معرفة معاني الآيات بجانب أن الانحراف في التفسير أو تكلفه يبعد عن تفسير القرآن تفسيراً علمياً إذا اعتمد في تفسيره إلى كتب التفسير المعتمدة. وهذا لا يغلق باباً له أن يبتكر بجديد من كنوز معاني القرآن الدفينة وخاصة في معانيه التي تتصل بالعلوم الحديثة طالما ينهج منهاجاً سليماً مع صلاحيته العلمية وصلاحيته الدينية.

ث- كتب اللغة وكتب المعاجم

نزل القرآن الكريم على نبي عربي أمي، وقوم أميين، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكانت لهم فنون من القول يذهبون إليه ولهم أساليب في كلامهم. قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤] .. فألفاظ القرآن عربية، إلا ألفاظاً قليلة، اختلفت فيها أنظار العلماء

ومن جانب ذلك استعمل القرآن في أسلوبه الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب وعلى نمط العرب في كلامهم غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقاً لإعجازه، ولكونه من لدن حكيم عليم.

ومن هنا فالتفسير العلمي يتحتم أن يرجع إلى كتب اللغة والمعاجم ويلتزم على حدود اللغة العربية الصحيحة ودلالة الكلمات القرآنية فلا يخرج عما يصلح له اللفظ عربياً ولا يبعد عن الظاهر إلا عن دليل ولا يكون تكلفاً بينا حتى يؤوله إلى معنى لا يحتمله الآيات من أجل تأييد نظرية العلوم الحديثة.

(٢) مصدر خاص بالعلوم الكونية

أولاً: أمهات الكتب المعتمدة في كل صنف من العلوم الكونية والكتب العلمية المترجمة والمقررة في المدارس والجامعات مثل علم الأجنة وعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح وعلم الفلك والكيمياء الحيوية وما إلى ذلك مما يعين قدر ما يبين معاني القرآن من منظور العلوم الكونية

ثانياً: الدوريات العلمية التي تحوي كل جديد وحديث في العلوم بما في ذلك من أحدث الاكتشافات العلمية.

ثالثاً: الأبحاث العلمية التي تتناول البحث في شتى الفروع العلمية المختلفة.

رابعاً: الموسوعات العلمية في العلوم الكونية.

• شروط التفسير العلمي

ولشروط التفسير العلمي جوانب تالية:

أولاً: منهج القرآن في عرض الحقائق الكونية

وبالاستقراء يتبين أنه يقوم على مرتكزات ظاهرة:

المرتكز الأول: عرض الآيات الكونية خادمة للمقصد الأعلى من إنزال القرآن وهو الهداية والتوجيه إلى التي هو أقوم.

المرتكز الثاني: أن القرآن عند التعرض لمسائل العلوم كان موقفه منها موقف الدافع للبحث فيها والنظري أسرارها المؤيد لها بعكس الديانات الأخرى حيث حارب العلماء أشد المحاربة.

المرتكز الثالث: أن القرآن عرض العلوم في سياق إغراء وتشويق وتكريم للإنسان باعتبار أن كل ما يكتشفه من طريق النظر والبحث هو في الأساس مسخر^(١) له - لمنفعته - من قبل الله تعالى وليس مجرد إشباع غزيرة المعرفة.

المرتكز الرابع: أن القرآن جاء في الحديث عن الكونيات جامعا بين الإجمال والتفصيل وبهذا السياق يمكن أن يأتي بحديث يسع أجيال البشر المتتابعة.

(١) والقرآن قد حسم قضية الكون والإنسان في لفظة "التسخير" وحسبك بكتاب يدعو العبد للنظر عبادة إلى كون قد سخريأسره له.

المرتكز الخامس: أن القرآن حين أتى بالذكر لفروع المعرفة فقد جاء منعتقا تماما من معارف العصر الذي نزل فيه فقد كان المعارف بدائية وغير متطابقة وأكثرها ضلالات وميراث من جاهليين فذكر القرآن حقائق في موضوعات لا علاقة لها بما يجري حال نزوله من قريب أو بعيد.^(١)

ثانيا: الشروط اللازمة لمن يفسر القرآن علميا

وأهم هذه الشروط:

الأول : أن يكون مستوفيا للشروط التي أجمع عليها العلماء والواجبة في حق من يتصدى للتفسير - كما هو معروف لدى الدراسين في الحقل القرآني -.

الثاني : ألا تطغى المباحث العلمية على مقصود القرآن الأول ألا وهو الهداية والإرشاد فلا يسرف المفسر في تفرجات ودقائق تنسى الغرض من القرآن الكريم بحيث تكون أشبه بكتب العلوم الكونية الصرفة منها بكتب التفسير والعقيدة والهداية.

الثالث : أن يلاحظ في امتزاج التفسير بتلك العلوم ما يلائم العصر ويوائم الوسط لأن تلك الأبحاث الكونية والأدبية قد تكون ضرورية ومفيدة أيما فائدة إذا شرح بها القرآن في عصر من عصور الثقافة أو لجمهور من المفتونين بالمادة وعلوم الكون أو لطائفة من المتأدبين المشغوفين بفنون البلاغة في القول بينما تكون هذه الأبحاث نفسها نكبة وفتنة إذا شرح بها القرآن في عصر من عصور الجهالة أو لفئة أخرى من فئات الناس وما من أحد يخاطب قوما بغير ما تسعه عقولهم إلا كان فتنة عليهم.

الرابع : أن لا يتم التفسير إلا ما ثبت قطعا من العلوم الكونية بحيث صار عند الكافة كالمشاهد المحسوس والبدهي الذي لا مرية فيه.

الخامس: أن يدرس الكون في القرآن على أنه (يعني القرآن) حقائق ثابتة فلا تجعل حقائق القرآن موضع نظر بل إن الإيمان بالقرآن يوجب الإيمان بكل ما اشتمل عليه ولا يصح لنا أن نترك ظاهر القرآن ونتجه إلى تأويله إلا أن يكون الظاهر يقبل التأويل وتكون حقائق العلم الثابتة تقتضى الأخذ بالتأويل الذي يحتمله القرآن من غير تعسف ولا خروج بألفاظ إلى غير معانيها.

(١) أنظر حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية) - بالتصرف والاختصار - ، للدكتور توفيق محمد توفيق علوان، دار المنار الحديثة - القاهرة، (بدون التاريخ) (ص ٥١٢-٥١٣)

السادس : أن لا يكون التفسيرالعلمي لآية معينة معارضا لآية أخرى ومضمونها بحيث لا يمكن التوفيق بينهما فإنه يؤدي القرآن الكريم عرضة للتضارب والاضطراب.
السابع : أن يكون مضمون التفسيرللآية الكونية هو أصل المعنى الذي بسببه يتم تفسيرالآيات بل يكون التفسيرالكوني خادما لمعاني السياق القرآني في موضع التفسير^(١).

الثامن : أن يفرق بين التفسيرالعلمي والإعجازالعلمي كي لا تختلط عليه المفاهيم وهما ليسا أمرا واحدا كما يظن الكثيرون - كما هو سابق الذكر -
التاسع : ضرورة التقيد الصارم بقواعد اللغة العربية لا يجوز قبول أو تفسيرالقرآن بوجه لا تحتمله اللغة العربية وقواعدها، ومن حدودها - حسب رأي الشيخ محمد أمين ولد الشيخ - :

أولاً: ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة فلا بد من :

- ١- أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة العربية إبان نزول الوحي
 - ٢- أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها.
 - ٣- أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها، خصوصا قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريئة كافية.
- العاشر : أن يجمع أطراف الأدلة من الآيات في كل مسألة كونية. إذا لم تأت المسئلة مجتمعة في مواضع بذاتها بل تأتي الآية متفرقة في عموم القرآن وبالنظر والاستقراء وجمع الأدلة من القرآن الكريم بأجمعه يتحصل الموضوع على صورته المثلى.
- الثاني عشر : أن يكون هذا النوع من التفسير يذكرعلى سبيل الاستئناس والتأييد للنظرية وليس على أن النظرية تحمل معها التأييد لهذا التفسير أو ذلك لأنه في هذه الحالة يكون قطعاً بمراد الله تعالى فيترتب على هذا أخطاء لا يمكن الدفاع عنها لأن العلم لا يعرف الثبات والاستقرار فيجب التنبيه من أول الأمر على أن القرآن الكريم في عليائه بعيد عن هذه التغيرات والتقلبات.^(٢)

(١) وقال الشيخ خالد عبد الرحمن العك بمثل هذا الشرط « شروط التفسيرالإشاري العلميسادسا: أن يجعل مضمون الآيات القرآنية الكونية أصلا للمعنى الذي يدورحوله الإيضاح والتفسير» (أنظر التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمن العك، ص ٢٢٤)

(٢) روضة الباحثين في مناهج المفسرين، المصدر السابق، (ص ١٨٠)

• المانعون والمجيزون في التفسير العلمي قديما وحديثا

إن قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة قد ظهرت بصورتها الكاملة مصاحبة لموجة التقدم التي فتحت له أبواب العلوم في القرون الثلاثة الأخيرة على العالم وخاصة أوروبا أولا ثم أمريكا بعد ذلك ومما يذكر أن هذا التقدم العلمي الباهر جاء مصاحبا لأفول نجم الخلافة الإسلامية في الفترة الزمنية ذاتها مع استحكام السيطرة الكافرة على مقدرات العالم. وقد بلغت المحنة ذروتها بسقوط الخلافة الإسلامية نهائيا في الربع الأول من القرن العشرين ووقوع معظم الدول الإسلامية تحت الهيمنة المباشرة لدول الكفر مما أدى إلى ردود فعل بالغة من عامة المسلمين وعلمائهم وأدى إلى عودة كثير من المخلصين للتماس النجاة في كتاب الله بما يلاحق من الموجات المتتالية من هجمات الكافرين فكريا وحضاريا وثقافيا مستخدمين كل معطيات علومهم في إخضاع المسلمين وإهانة الإسلام.

فخرجت تقاسير جديدة يحملها مدرسة جديدة لم تكن قبل هذه الحقبة ولم يوجد من يفكر فيها لغياب الدافع والداعي لذلك وكان المقصد وراء هذا التجديد في تناول علم تفسير القرآن الكريم مخلصا في عمومته للتخلص من الأوضاع المؤلم وظروف الذل والهوان ولأجل نهضة الأمة من سباتها العميق. وفي مقابل ذلك هبت طائفة أخرى من العلماء على غاية الإخلاص مثل الطائفة الأولى للوقوف أمام هذه التيارات المستجدة في التفسير وتمسكة بكل ما أوتيت من قوة بالنهج السلفي المحض بدون أدنى رغبة للتغيير معتبرين أن الاستبقاء على تراث الأمة كما هو وعدم إدخال التعديلات إليه سبيل النجاة وحفاظ تراثها المجيد. ومن هنا قد واجه الخلاف بين الفريقين. كلاهما على هذا القدر من الإخلاص والولاء وكلاهما على هذا الشعور الجسيم بالخوف الهائل على مصير الإسلام.

• ومن المانعين والمعارضين من المتقدمين :

أولا : من أهل الأصول

- الإمام أبو اسحاق الشاطبي (المتوفى ٧٩٠ هـ)

ثانيا : من المفسرين

وهذا يتفرع على نوعي التفسير بين منهج التفسير بالمأثور ومنهج التفسير بالرأي فأهل التفسير بالمأثور لا يعتمدون إلا على الروايات والأسانيد في تفسيرهم ملتزمين بذلك دون الحرج عنه مما يجعل أي خروج عن الرواية والأثر والسند هو خروج عن التفسير المقبول.

ومن أهم المفسرين المانعين لتفسير أي شيء من القرآن ما لم يكن يتوافر لذلك أثر مرفوع أو موقوف ما يلي:

١. الإمام جرير الطبري (سنة ٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

٢. علاء الدين أبي الحسن الشيعي البغدادي الصوفي الشافعي المعروف بالخازن (٦٧٨هـ - ٧٤١هـ)

٣. الإمام ابن كثير (٧٠٠هـ - ٧٧٤هـ)

٤. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري المالكي (المتوفى ٨٧٦هـ)

ثالثا : الطائفة الثالثة من العلماء المتقدمين

- مذهب العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ

ومن العلماء من ذهبوا إلى أن العبرة في تأويل آيات القرآن إنما تكون بمراعاة خصوص الحوادث التي بسببها أنزلت الآيات القرآنية. وعلى هذا فإنهم يعتبرون أن الآيات محددة التفسير ومقيدة بهذا السبب المخصوص ولذا كان مذهبهم معارضا لأي نوع من تفسير القرآن بناء على اعتبار عمومات ألفاظه بما يشمل المستجدة إلى قيام الساعة أما بخصوص الإعجاز العلمي فإنهم يعارضونه باعتبار أن الحقائق العلمية الحديثة ليست هي الأسباب التي أنزلت بسببها الآيات المعينة (١)

• الأدلة التي اعتمدها المانعون من المتقدمين

- أدلة المانعين من أهل الأصول

ومن أشهرهم الإمام أبو اسحاق الشاطبي وتتلخص حججه في معارضة اعتبار العلوم الكونية جزءا من علوم القرآن فيما يلي:

(١) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية) بالتصرف والاختصار، المصدر السابق ، (ج ١ ص ١٢٠-١٢٣)

١. انزعاجه من اقتحام كثير من الناس مجال علوم القرآن كل بحسب ما تخصص فيه وسواء في الفلسفة أو علوم الحكمة أو علوم الفلك وغيرها من علوم الطبيعيات وجميع ما نظر فيه الناظرون من أهل الفنون وأشباهها. واتخذ الشاطبي هذا الموقف حفظاً من قداسة القرآن وسداً للباب في القول على الله بغير علم

٢. أننا أمة مقتدية بالسلف الصالح على رأسهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه ولا يبلغنا أنهم تكلموا في شيء من هذا التفسير العلمي. أشار الشاطبي بهذا الموقف قائلاً:

« ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبني عليه قواعد منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعي سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلي ذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا»^(١)

٣. اعتبار فهم كل آية للقرآن تابعا لفهم العرب لها باعتبار أن القرآن الكريم أنزل عربيا مبينا يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] فجعل علة فهم القرآن فهم عقل اللسان العربي - لا فهم الأطباء أو الرياضيين أو الفلكيين-. فكل معنى لم يتبادر إلى ذهن العربي الأول حال نزول القرآن عليه غير معتبر في القرآن.

٤. بطلان استدلال المستدلين ببعض آيات الكتاب في غير موضعها مثل قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وذلك أن فهم هذه الآيات ينبغي أن يفهم أصلا

(١) الموافقات، للإمام الشاطبي، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٢٤٦)

بما فهم العربي الأول منها وهم لم يفهم من ذلك شيئاً من علوم الطب والطبيعة والرياضة وخلافها.

٥. أطبق المفسرون لكتاب الله من علماء سلف هذه الأمة على تفاسير متأثرة لهذه الآيات وأمثالها. وليس من بينها أنها تحوي العلوم الدنيوية المذكورة. بل إنهم خصصوا الآية الأولى بالعلوم الشرعية وعلى رأسها الأحكام والعقائد وما يحتاج إليه الناس من أمور أخرهم أما الآية الثانية فسروا الكتاب بأنه اللوح المحفوظ لا القرآن أصلاً

ومن هنا يتبين أن إضافة العلوم الدنيوية إلى القرآن باعتباره هو الكتاب خطأ من جهة تعريف الكتاب ثم خطأ آخر بتحميل العلوم المذكورة لهذا الكتاب . فظهر من جملة الأدلة المذكورة بطلان مذهب الداعين إلى إضافة العلوم غيرالشرعية أو بعض منها إلى كتاب الله عزوجل.(^١)

- أدلة المانعين من أهل التفسير بالمأثور

١. أن التفسير بالرأي هو قول على الله بغير علم.

٢. أن هناك نهياً صريحاً في كتاب الله تعالى ووعداً شديداً لمن يجروا بالقول على

القرآن بغير علم، قال تعالى ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

٣. النهي الصريح من النبي صلى الله عليه وسلم ((اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))(^٢)

٤. ذم النبي صلى الله عليه وسلم لمنهج الرأي رأساً فيما يتعلق بالنظر في كتاب الله عن اعتبار نظر في القرآن بالرأي هو خطأ ابتداء بغض النظر عن النتائج المتحصلة من هذا الرأي في ظل هذا المنهج. وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ))(^٣)

(^١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية)- بالتصرف والاختصار-، المصدر السابق، (ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٦)

(^٢) أخرجه أحمد (٣٢٣/١ ، رقم ٢٩٧٦) ، والترمذى (١٩٩/٥ ، رقم ٢٩٥١) ، وقال : حسن . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (٢٢٨/٤ ، رقم ٢٣٣٨)

(^٣) سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٥٨ قال البيهقي رحمه الله : و هذا أصح فإنما أراد - و الله أعلم - الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الرأي لا يجوز الحكم به في النوازل فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به و أما الرأي الذي يسنده برهان فالحكم به في النوازل جائز و كذلك تفسير القرآن به جائز وهذا هو المعنى أيضا فيما روي عن أبي بكر الصديق

- أدلة المانعين على منهج اعتبار خصوص السبب لا بعموم اللفظ - وهذا المنهج بخلاف الجمهور:-

استند مخالفوا الجمهور لتأييد مذهبهم - وهو أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ - أن الإجماع قد انعقد على عدم جواز إخراج السبب من حكم العام الوارد على سبب خاص إذا ورد مخصص وذلك يستلزم أن العام مقصور على أفراد السبب لا يتناول غيرها لأنه لو لم يكن مقصورا عليها لتساوت هي وغيرها في جواز الإخراج عند المخصص وذلك ممنوع للإجماع المذكور.

وأضافوا قائلين إن تأخير البيان عن وقوع الواقعة وتوجيه السؤال في العام الوارد على سبب يدل على أن العبرة بخصوص السبب لأن تأخير لفظ الشارع إلى ما بعد حدوث سببه يفهم منه أن السبب هو الملحوظ وحده للشارع في الحكم عليه بهذا اللفظ العام النازل فيه وإلا لما ربطه بالسبب بل لأنزله قبله أو أخره عنه.(^١)

• ومن المانعين والمعارضين من المتأخرين :

١. محمد حسين الذهبي

اعتبر حسين الذهبي التزيد في التفسير العلمي خطرا في كتاب الله ولغة العرب وعده في عداد الانحراف في تفسير القرآن الكريم ومن أجل هذا عارضه جملة وتفصيلا قائلا : « وفي بعض كلامه ما يصرح بأن بعض ما ذكره القرآن منها على تأويله الذي تأوله حاصل اليوم في أيدي دول الغرب التي اسغلتها الريح في كثير من وسائل مراسلاتها ومواصلاتها وهذا بلا شك خروج صريح عن مدلولات النصوص القرآنية والحاد في آيات الله سبحانه وتعالى »(^٢).

وقال أيضا اختيارنا في هذا الموضوع « أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله، لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدَّعاه أدلة قوية، لا يعترها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم، ولا يبقى معها مدَّعاهم. وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق في

رضي الله عنه في ذلك (أنظر شعب الإيمان، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٢٣) قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف (مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث - دمشق، (ط ١)، سنة (١٩٨٤ م) (ج ٣ ص ٩٠)

(^١) مناهل العرفان، المصدر السابق، (ج ١ ص ١٤٠)

(^٢) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، للدكتور حسين الذهبي، مكتبة وهبة- القاهرة، (ط ٣)، سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) (ص ٩٤-٩٥)

جانب الشاطبي ومن لفّ لفه، ثم يبرهن على قوة ذلك من الناحية اللغوية والناحية البلاغية والناحية الاعتقادية.^(١)

٢. عبد العزيز بن باز^(٢)

ومن أسس معارضته ما يلي:

- أن الله حرم على عباده القول بغير علم وحذرهم من ذلك في كتابه المبين فقال ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالثبوت من أخبار الفاسقين فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]^(٣)

- وقال الشيخ ابن باز ردا على من قال إن الدليل على دوران الأرض « وهذه أيضا شبهة زائفة تتادي بجهل قائلها وقلة بصيرته بكتاب الله وعلى جهله بالواقع فإن هذه الآية الكريمة ذكرها الله في سياق الخبر عن يوم القيامة وذلك يعلم مما قبلها... ثم هذا القول مخالف للواقع المشاهد المحسوس فالناس يشاهدون الجبال في محلها لا تسير... وكل من تصور هذا القول يعرف بطلانه وفساد قول صاحبه وأنه بعيد عن استعمال عقله وفكره»^(٤)

٣. الشيخ محمود شلتوت

قد أنكر في مقدمة تفسيره على طائفة من المنقذين أخذوا بطرف من العلم الحديث حيث قال « فلوطبقنا القرآن على هذه المسائل المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا في الدفاع عنها. فلندع للقرآن عظمتة وجلالته ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى

(١) التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ٣٥٩)

(٢) هو الفقيه المحدث والرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة السعودية العربية وهو العالم الجليل صاحب المؤلفات الشرعية التي انتفع بها من الخلق ما لا يعلمه إلا الله وكان أحد رواد الصحوة الإسلامية لتجديد الاتجاه السلفي . وقد جاء ذكره في كتاب صحوة الرجل المريض رائدا من رواد الصحوة جنبا إلى جنب مع المودودي والبنا وسيد قطب وأبي الحسن الندوي وغيرهم (حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، المصدر السابق (في الهامش)، ص ١٣٣)

(٣) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية)- بالاختصار-، المصدر السابق، (ج ١ ص ١٣٣- ١٣٤)

(٤) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية)- بالتصرف والاختصار-، المصدر السابق، (ج ١ ص ١٣٥)

أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم. وحسبنا أن القرآن لم يصادم الفطرة ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تظمن إليها العقول. قيل يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة فنزل قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبُرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبُرَّ مِنَ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] وإنك لتجد هذا في سؤالهم عن الروح حيث يقول الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] أليس في هذا دلالة واضحة على أن القرآن ليس كتاباً يريد الله به شرح حقائق الكون وإنما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع» (١)

٥. الشيخ أمين الخولي وآخرين

ووجدنا من المعارضين له أمين الخولي في بحثه المركز (التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم) وقد نقل فيه رأي الشاطبي واعتراضه على الذين أرادوا أن يخرجوا بالقرآن عن نهجه في مخاطبة العرب بما يفهمون وفي إطار ما يعهدون من علوم ومعارف وردّ على الذين زعموا أن في القرآن علوم الأولين والآخرين دينية ودنيوية وشرعية وعقلية. وهو رأي الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق قاله في تقديمه لكتاب الدكتور عبد العزيز (باشا) إسماعيل (الإسلام والطب الحديث) وهو رأي الدكتور عبد الحليم محمود (٢) والشيخ عبد الله المشد والشيخ أبو بكر ذكري أعلنوه في مقدمة تفسيرهم الموجز للقرآن الذي كان ينشر في مجلة "نور الإسلام" لسان علماء الوعظ والإرشاد في الأزهر. (٣)

٦. عبد الكريم خطيب

(١) مقدمة تفسير الشيخ شلتوت، المصدر السابق (ص ١٣-١٤)
 (٢) أحد شيوخ الأزهر الشريف (١٨١٠-١٩٧٨) وأحد أعلام القرن العشرين ولد بالشرقية درس في الأزهر ونال العالمية حصل على دكتوراة الفلسفة من باريس. عمل مدرساً بالأزهر وعميداً لكلية أصول الدين فأميناً لمجمع البحوث الإسلامية فشيخاً للأزهر من ١٩٧٣-١٩٧٨م: ومن مؤلفاته: (الفيلسوف المسلم) (الحمد لله هذه حياتي) (مناهج المفسرين) (راجع: الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ١٩٤)
 (٣) كيف نتعامل مع القرآن، الدكتور يوسف القرضاوي، المصدر السابق (ص ٣٧١)

وهو من المعارضين بشدة وصف من يلجأ إلى هذا في التفسير بالتلاعب بكتاب الله والخروج عن المؤلف وقال « إن العلم متغيرلا يثبت بحال حيث تنقض النظريات القائمة بنظريات حديثة.... الخ »^(١)

٧. خالد عبد الرحمن العك

٨. سيد قطب

٩. مناع خليل القطان^(٢)

١٠. عبد الله دارز

١١. عباس المحمود العقاد^(٣)

• ومن المجيزين للتفسير العلمي من المتقدمين

إن المؤيدين للتفسير العلمي قد ظهوروا منذ القرون الأولى واعتبروا أن في القرآن علوما لا يحصيها العدد. تتبين آراء بعض المتقدمين في ذلك بالحجج والبراهين على وجود أصناف العلوم الحكيمة والكونية والنفسية وغيرها في القرآن الكريم فمنهم:

١. ابن أبي الفضل المرسي

٢. جلال الدين السيوطي

٣. القاضي أبو بكر بن العربي

٤. علي بن عيسى

٥. عزالدين بن عبد السلام

٦. ابن تيمية

٧. أبوحامد الغزالي

• ومن المجيزين للتفسير العلمي من المفسرين:

١. قاضي القضاة ناصرالدين البيضاوي الشافعي صاحب " أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل "

(١) مجلة " المسلمون"، العدد الأول- ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.
(٢) هو فضيلة الشيخ مناع خليل القطان مديرالمعهد العالي للقضاء بالرياض. ورأى فيه خلا لا تحمد عقباها وهي أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعا لسنة التقدم فلا تزال في نقص دائم يكون يكتنفه الغموض أحيانا والخطأ أحيانا أخرى وأن أي نظرية عندما تبدأ بالحدس وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها أو ينضح خطأها ولهذا كانت عرضة للتبديل. (انظرمباحث في علوم القرآن، المصدرالسابق ص ٢٧٠)

(٣) هو المفكرالإسلامي الكبيروعملاق الفكرالعربي(١٨٨٩- ١٩٦٤م) ولد بأسوان حصل على الإبتدائية فقط كان موسوعي الثقافة عمل بعدة وظائف وتركها ثم احترف الصحافة والكتابة أسس جماعة ديوان الأدبية مع المازني وعبد الرحمن شكري اشتهر بصالونه الثقافي له ١٠ دواوين شعرية نتاجه خصب وغزير. ومن مؤلفاته (الله) (عقرية محمد) (أنظر) (أنظر: الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، المصدرالسابق- ص ٢٧٤)

٢. عبد الله بن احمد بن محمود الحنفي المعروف بالإمام النسفي صاحب " مدارك التنزيل وحقائق التأويل "
 ٣. أبو سعود سمحمد بن محمد الحنفي المعروف بأبي سعود صاحب " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم "
 ٤. شهاب الدين السيد محمود أفندي الألوسي البغدادي المعروف بالإمام الألوسي صاحب " روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني "
 ٥. الإمامان الجليلان جلال الدين محمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن السيوطي صاحبي " تفسيرالجلالين "
 ٦. سهل بن عبد الله التستري صاحب " تفسيرالقرآن العظيم "
 ٧. محمد بن عمرالتميمي البكري الطبرستاني الرازي المعروف بالإمام فخرالدين الرازي صاحب تفسيرمفتاح الغيب أوالتفسيرالكبير .
 ٨. أبو حيان الأندلسي الغرناطي صاحب تفسير " بحرالمحيط "
- من أجازوا القول بالرأي بناء على القول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهم الجمهور
- ومعنى ذلك أن يأتي الجواب أعم من السبب ويكون السبب أخص من لفظ السبب وذلك جائز عقلا وواقع فعلا لأنه لا محظور فيه ولا قصور بل إن عمومته مع خصوص سببه موفٍ بالغاية مؤد للمقصود وزيادة. وعلى ذلك فإن جمهورالعلماء على أن الحكم يتناول كل أفراد السبب الذي ترتب عليه صدورالحكم أوغيرهم ما داموا في دائرة اللفظ الشرعي الصادر بهذاالسبب.
- وهذا مذهب الجمهوروقس على ذلك ما جاء في القرآن والسنة بما يفوق الحصر من العمومات الآتية على أسباب حوادث أعيان بذاتها.
- وبهذا يقوم مذهب الجمهورعلى أمرين :
- أولا: إن الحكم أفراد غيرالسبب مدلول عليه بالنص النازل فيه عند الجمهوروذلك النص قطعي المتن اتفاقا وقد يكون مع ذلك قطعي الدلالة.

ثانيا : إن أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها.
(١)

ومن هنا يتبين لنا أن مذهب الجمهور أقرب توافقا مع التفسير العلمي للقرآن باعتبار أساسه الذي يشتمل كل حادثة وظاهرة تجانس التي من أجلها نزلت الآية. وقد اعتمد هذا المذهب الكثير والكثير من الآيات القرآنية التي تعمل في عموم الأحداث والوقائع ولا يقتصر العمل بها في التي بسببها نزلت. منها آية الظهر نزلت في أوس بن الصامت وغيرها وورد الحديث للتنصيص الصريح بشرعية هذه القاعدة : عن معاذ بن جبل قال ((أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما ترى في رجل لقي امرأة لا يعرفها فليس يأتي الرجل من امرأة شيئا إلا قد أتاه منها غير أن لم يجامعها؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثم صل قال معاذ: فقلت: يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال ثلاث مرات بل هي للمؤمنين عامة)) (٢)

من المجيزين من العلماء المتأخرين

١. الإمام محمد عبده
٢. بديع الزمان سعيد النورسي
٣. السيد رشيد رضا
٤. حسن البنا
٥. طنطاوي جوهرى
٦. محمد عبد العظيم الزرقاني
٧. جمال الدين القاسمي
٨. عبد الحميد باديس

(١) مناهل العرفان، المصدر السابق، (ج ١ ص ١١٨)
(٢) المعجم الكبير، للطبراني (ج ١٥ ص ٥٣) وكذا رواه البخاري في (باب الصلاة كفارة) رقم الحديث ٥٢٦ (انظر فتح الباري ج ٢ ص ١١) ، دار الحديث - القاهرة، (ط ٢٠٠٤ م) وكذا رواه مسلم وأحمد والبيهقي.

٩. محمد طاهر بن عاشور

١٠. محمد فريد وجدي

١١. محمد الغزالي

١٢. محمد أبوزهرة

١٣. يوسف القرضاوي

١٤. الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

١٥. الشيخ متولي الشعراوي

• ومن الحجج الساطعة لدى المجيزين للتفسير العلمي ما قاله أبو حامد الغزالي نصه « بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم قال علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن (١) فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال صلى الله عليه وسلم إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا (٢) ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها. (٣)

وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا

(١) حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم كتاب قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة قال قلت فما في هذه الصحيفة قال العقل وفكالك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر (صحيح البخاري ج ١ ص ٣٨ في باب كتابة العلم)

(٢) ولاحظ ابن عاشور: فإن قلت فما روى: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا. وعن ابن عباس أنه قال: إن للقرآن ظهرا وبطنا. قلت لم يصح ما روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، بله المروي عن ابن عباس فمن هو المتصدي لروايته عنه على أنهم ذكروا من بقية كلام ابن عباس أنه قال فظهره التلاوة وبطنه التأويل فقد أوضح مراده إن صح عنه بأن الظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى (التحرير والتتوير - الطبعة التونسية - ج ١ ص ٣٤) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود (إحياء علوم الدين ومعه تخريخ الحافظ العراقي ج ١ ص ١٩٣) والحديث من الأحاديث المختلفة التي لم يرو أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن عن الحسن البصري موقوما أو مرسلا (مجموع فتاوى ابن تيمية: فصل في ماهية العلم الباطن، ج ٢ ص ١٩٩)

(٣) تقدم البيان عن الحديث في (ص ٦١)

فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخريين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر. وبالجملة فالعلوم كلها داخله في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها. والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فيكفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ((اقرءوا القرآن واتمسوا غرائبه)) (١) وهناك عالم بارز - من المتقدمين - يرى مثل مارآه الغزالي وهو جلال الدين السيوطي يقرر بصراحة على جواز التفسير العلمي ومن الأدلة التي يسوقها لحججته:

فمن الآيات:

(١) قوله تعالى ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨]

(٢) وقوله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] (٢)

ومن الأحاديث:

(١) ما أخرجه الترمذى وغيره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم)) (٣)

(٢) وما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة)) (٤)

(١) مسند أبي يعلى، المصدر السابق (ج ١١ ص ٤٣٦) وفيه: قال حسين سليم أسد عن الحديث: إسناده ضعيف جدا. وفي الإحياء للغزالي (ج ٢ ص ٦١-٦٢) حديث اقرءوا القرآن واتمسوا غرائبه أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف وأبو يعلى الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (إحياء، المصدر السابق- ج ٢ ص ٦٢)

(٢) أنظر الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، (ص ٢ ج ١٣٥)

(٣) نفس المصدر، (ص ٢ ج ١٣٦) وفي رواية أخرى: عن الحارث قال: دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت لا ترى ان أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد فقال قد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن قلت وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم (سنن الدارمي ج ٢ ص ٥٢٦) عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: «نزل جبريل- [٤٦٤]- عليه السلام على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فأخبره : أنها ستكون فتن ، قال : فما المخرج منها يا جبريل ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، ونبأ ما هو كائن بعدكم ، وفيه الحكم بينكم الخ، [قال أيمن صالح شعبان] هذا الحديث من زيادات رزين ، لم أهدت إليه ، وقد استغربه العماد بن كثير من حديث ابن مسعود - فضائل القرآن. (جامع الأصول في أحاديث الرسول، جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار البيان-..... ، سنة (١٩٧٢ م) (ج ٨ ص ٤٦٣)

ومن الآثار:

(١) ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه قال ((مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلِيهِ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ فِيهِ خَبْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ))^(٢)

وما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال (أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّ عِلْمٍ وَبَيَّنَّ لَنَا فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ لَكِنِ عَلِمْنَا يَقْصِرُ عَمَّا بَيَّنَّ لَنَا فِي الْقُرْآنِ))^(٣)

ومن أدلة المجيزين من المتأخرين ما رآه بديع الزمان سعيد النورسي^(٤) من خلال البحث المختصر الذي ألقاه الدكتور سعاد يلدروم رئيس قسم التفسير بجامعة أتاتورك تركيا في مؤتمر إسلام آباد ١٩٨٧م مانصه :

« في الصفحات الآتية نعالج ونترجم قسماً من أفكاره (أي سعيد النورسي) إلى اللغة العربية للتوفيق بين المعنى القرآني وبين الحقائق الصحيحة من العلوم الطبيعية: قسم من آيات القرآن يزداد وضوحاً بمرور الزمان وبتطور العلوم وهذا يعني أن القرآن الكريم خزانة لا تحصى جواهرها ولا تتقضي عجائبها له محكمات ونصوص لا تتغير معانيها وأحكامها في كل الأزمان.

ولكن له أيضاً معانٍ ثانوية تشير إلى بعض الحقائق العلمية التي تتكشف شيئاً فشيئاً حسب تقدم مستوى العلم البشري والقرآن وضع أمانة لكل وجه من هذه الوجوه : إما لفظية وإما معنوية والأمانة المعنوية إما أن تفهم من سياق الكلام وإما من آية

(١) العظمة - لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض (ط ١) سنة (١٤٠٨ هـ) (ج ٢ ص ٥٣٤) والإكليل، للسيوطي، دار الكتب- لبنان، (بدون تاريخ) (ص ٥)

(٢) سنن سعيد بن منصور في فضائل القرآن (ج ١ ص ٧ م ش)، (أنظر الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص ٢ ج ١٢٦) وفي شعب الإيمان، المصدر السابق - للبيهقي (٣ / ٣٤٧) : أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل بن زكريا الضبي النضروي بهراة، حدثنا أبو الفضل أحمد بن نجدة بن العريان، حدثنا أبو عثمان سعيد بن منصور، حدثنا خديج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود قال: " من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين " ورواه شعبة، عن أبي إسحاق، وقال فيه: فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين.

(٣) الإكليل، نفس المصدر. وكذا التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي - (ج ٢ ص ٣٥١)

(٤) ولد من أبوين كرديين في قرية (نورس) وهي إحدى قرى قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس) شرقي الأناضول سنة (١٢٩٣هـ : ١٨٧٦م) كان والده (الصوفي ميرزا) ورعا وأمه (نورية) تعترف أنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على ظهر أو وضوء. تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شب ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة حتى لقب بـ(بديع الزمان) و(سعيد مشهور) في الثامنة عشر من عمره ألم بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلاً عن حفظه القرآن الكريم، أخذاً نفسه بالزهد والتشفي. عمل مدرساً لمدة خمسة عشر عاماً في مدينة وان وهناك بدأ دعوته الإرشادية التربوية. انتقل إلى استانبول لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكله الجامع الأزهر بمصر، وصادف أن كان هناك الشيخ بخيت شيخ الجامع الأزهر الذي أبدى إعجابه الشديد ببديع الزمان. - عين عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو دار الحكمة الإسلامية. من مؤلفاته (الكلمات)، (اللمعات)، (المكتوبات) وعدد كثير (أنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر ص ٧٢٣-٧٣٠) و(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية - ...، (بدون تاريخ) (٧٧ / ١)

أخرى تشير إليها (أي إلى هذا المعنى) وكتب التفاسير التي تعد بالآلاف والتي ألفها المحققون تشهد بجامعية القرآن وخارقيتها»^(١) ومن تلك الحجج والأدلة التي يعتمد عليها المجيزون تضيء لنا أن التفسير العلمي معترف لدى العديد من فحول العلماء قديما وحديثا. إذن يمكن للمفسر أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً علمياً طالما تتوفر فيه الشروط اللازمة لمن يتصدى في التفسير بإضافة شروط التفسير العلمي السالف ذكرها.

• جهود العلماء في التفسير العلمي

هذا المطلب يتناول جهوداً مشكورة في مسيرة التفسير العلمي من قدم القرون إلى القرن الراهن. وذلك يشتمل جهوداً فردية - سيعرضها الباحث في هذا المطلب - وجهوداً جماعية - سوف يبحث عنها في المطلب السادس - إن شاء الله.

- الجهود الفردية

أولاً : تفسير الصحابة لكتاب الله علمياً

إن التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم كان مصاحباً له من أول يوم وقد ظهر ذلك عند ما سأل رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن السموات والأرض كانتا رتقا وهو سؤال في التفسير عن ظاهرة كونية وكيف أحال على ابن عباس رضي الله عنهما وكيف أجاب ابن عباس وأقربان عمر^(٢). فهذا كله وأمثاله يشهد أن الصحابة

(١) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، المصدر السابق (باختصار)، (مج ١ ١٧٦-١٧٨) والنص مأخوذ من كتاب " أى الكلمات" لسوزر (ص ٤١٤-٤١٥)

(٢) وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة، حدثنا حاتم، عن حمزة بن أبي محمد، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض { كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } ؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني بما قال لك. قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله. فقال ابن عباس: نعم، كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت. فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً، صدق - هكذا كانت. قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً. (أنظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣٣٩) في تفسير سورة الأنبياء: ٣٠ { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء: ٣٠) . وهذه الآية قرأها المؤمنون من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفهماها من فهمها قبل أن تظهر هذه النظرية الانفصالية . ومن لم يفهما لم يسكت على جهله ، ولكنه سأل أهل الذكر . وفسرها الحبر ابن عباس في رواية صحيحة النقل عنه . روى أبو تعيم عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما. قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني بما قال لك، قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس: نعم كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً، صدق هكذا كانت، قال ابن عمر: قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً. (أرشيف ملتقى أهل التفسير ١ ج ١ ص ٤٥٥ م.ش)

وكذا من تبعهم بإحسان من بعدهم (١) يتكلمون عن الآيات الكونية ويؤكد أيضا أن التفسير العلمي للقرآن الكريم يرجع إلى القرون الأولى فورنزوله في عهد خير الأجيال وأفضل القرون.

ثم ألفت بعد هذا كتب مخصوصة بأسماء مشهورة تحت مسميات عديدة مثل وجوه الإعجاز أو الإعجاز القرآني أو غيرها مما واكبه مع استجد في كافة فروع العلم والمعرفة وتطورها نتيجة تداخل الثقافات ونشوء التخصصات المختلفة حسب الظروف والوسائل المتاحة. وفي هذا الإطار ذهب الدكتور توفيق محمد توفيق علوان أن جهود التفسير العلمي - بالتصنيف والتأليف - بدئ من القرن الثالث. يسرد الباحث توالي الجهود الفردية حسب القرون المتعاقبة كما يلي :

(١) من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري (الرماني - الخطابي) (٢)

كتب أبو عيسى الرماني (٢٩٦هـ - ٣٨٦هـ) كتابا في إعجاز القرآن سماه "النكت في إعجاز القرآن" ركز على البلاغة والإخبار بالغيوب المستقبلية وخلال أعوام (٣١٩هـ - ٣٨٨هـ) قام أبو سليمان الخطابي بتصنيف سفر سماه "إعجاز القرآن" متصديا للحملات التشكيكية في كتاب الله تعالى ومركزا على إخباره بالغيوب الماضية والمستقبلية.

(٢) القرن الخامس (الباقلاني) (٣) - الجرجاني - ابن حزم (٤)

(١) وقال إسماعيل بن أبي خالد: سألت أبا صالح الحنفي عن قوله: { أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } ، قال: كانت السماء واحدة، ففتق منها سبع سماوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين. وهكذا قال مجاهد، وزاد: ولم تكن السماء والأرض متماستين. وقال سعيد بن جبيرة: بل كانت السماء والأرض ملتزقتين، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه. وقال الحسن، وقاتدة، كانتا جميعا، ففصل بينهما بهذا الهواء (نفس المصدر).
(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: (٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨ م) فقيه محدث من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له (معالم السنن في شرح سنن أبي داود) و (بيان إعجاز القرآن) و إصلاح غلط المحدثين باسم (إصلاح خطأ المحدثين) (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٧٣)
(٣) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م) قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه ضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه (إعجاز القرآن) و (الانصاف) و (مناقب الأئمة) وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٦)
(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزمية". ولد بقرطبة. وكانت له ولايته من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة. روى عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخطه أبيه من تأليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و (الناسخ والمنسوخ) (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٥٤)

صنف الباقلائي (٤٠٣ هـ) كتابا يسمى " إعجاز القرآن " ذكر في مقدمته أنه مادعاه إلى تأليفه إلا سقوط كثير من المسلمين في الكفر مثل الدخول في طريقة البراهما الهندية. وخرّج في هذا القرن ابن جزم وعبد القادر الجرجاني، فالأول خرج " الفصل في الملل والنحل " وهو رد بإعجاز القرآن عقائديا والثاني إعجازه بلاغيا " دلائل الإعجاز " .

(٣) القرن السادس (الزمخشري - الغزالي - الأصفهاني)

وفي القرن السادس جاء الغزالي (٥٠٥ هـ) بتفسيره الشهير باعتماد الرأي والبلاغة والزمخشري (٥٣٨ هـ) والراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) وقد كتبوا جميعا في إعجاز القرآن. وبدأت تظهر أكثر وأكثر النزعة العلمية جنبا إلى جنب مع النزعة الأدبية التي غلبت في القرن السابق. فالزمخشري في تفسيره " الكشاف " عرض للجدل والمنطق وعلم الهيئة والطب والتشريح مع اعتناؤه الجم بالبلاغة. والغزالي ألف مصنفا في علوم القرآن صرفا أسماه (جواهر القرآن) وكذلك في الإحياء صنف فصلا حول الإعجاز العلمي (بمعنى لا نهاية لعلوم القرآن) .

(٤) القرن السابع (الرازي - القرطبي)

وببدء القرن السابع الهجري ظهر فخرالدين الرازي (٦٠٦ هـ) وتفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) والذي اقتحم فيه صراحة مجالات العلوم الكونية والنفسية. وناقش في الهندسة والطب والفلك وعلوم الأرض وتوصل إلى كروية الأرض استنتاجا من آيات كتاب الله. وكان جهدا فريدا في الإعجاز العلمي ويعتبر أبرز الداعين إليه في هذه الفترة المبكرة. ثم جاء القرطبي صاحب تفسير " الجامع لأحكام القرآن " (٦٧١ هـ) وقد عرض فيه العلوم الكونية معتبرا أنه من معجزات القرآن.

(٥) القرن العاشر إلى الثالث عشر (السيوطي - الشوكاني - الألوسي)

ثم جاء جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) وألف سفرا مطولا في إعجاز القرآن (معترك الأقران) وقد تضمن فصولا كاملة في علوم القرآن واحتوائه العلوم بما لا طاقة للبشر به. ثم الشوكاني (١٢٥٠ هـ) في فتح القدير وفسر تفاسير تكاد تكون مطابقة للعلوم الحديثة ثم الألوسي (١٢٥٠ هـ) وقد نهج طريق التعامل مع العلوم المختلفة في

تفسيره (روح المعاني) وقد صنف كتاباً خاصاً في التفسير العلمي إسمه " ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان ".^(١)

(٦) القرن الرابع عشر الهجري (محمد عبده - رجال مدرسته)

يعتبر محمد عبده رأس الناهضين بالتفسير العلمي واتبع سننه من بعده تلاميذه الذين هم ممثلون لرجال مدرسته - يعني المدرسة العقلية الحديثة-. ويؤكد ذلك أن محمد عبده بنى منهجه في التفسير على أسس، منها إعمال النظر واستخدام المنهج العلمي في البحث والاستنباط وأطلقه البعض بـ " التفسير العلمي الحديث " وسبق الحديث عن ذلك في بيان أسس مناهج التفسير الأدبي الاجتماعي. ورجال مدرسته:

١. السيد رشيد رضا

٢. عبد القادر المغربي

٣. محمد مصطفى المراغي

٤. جمال الدين القاسمي

٥. عبد الحميد بن باديس

٦. محمد الطاهر بن عاشور

٧. طنطاوي جوهري

٨. سيد قطب

ولكل منهم مؤلفات تأثرت فيها تجربة العلم الحديث تأصيلاً وتصنيفاً وإضافة وكان لهم فضل لا ينكر على مسيرة التفسير العلمي.

هذا .. وأن أعظم رجال المدرسة تشيخاً للنزعة التفسيرية العلمية وأكثرهم إنتاجاً لهذا التفسير العلمي هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري إذ أنه جمع وأطال في تفسيره " الجواهر " الذي يقع في خمسة وعشرين جزءاً كبيراً والمطبوع بمصر سنة (١٣٤١ هـ - ١٣٥١ هـ) رغم أن تفسيره يرفضه بعض العلماء ولم يلق بالقبول من جميع.

(٧) القرن الخامس عشر

(١) وهذه الجهود الفردية من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر لخصها الباحث من كتاب " حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، للتوفيق محمد توفيق علوان " (مج ١ ص ٤٩-٥٥)

ظهرت فيه عدة الأسماء في مسيرة التفسير العلمي مثل المتولي الشعراوي ومحمد أبو زهرة^(١) والقرضاوي ومحمد الغزالي وجاد الحق علي جاد الحق^(٢) وبرز في الآونة الأخيرة زغلول النجار وأحمد شوقي إبراهيم وصالح أحمد حسن والعديد من العلماء المعاصرين الذين اعتنوا فائقة العناية بالتفسير العلمي على درجة أنه أبرز اتجاهات التفسير في العصر الحديث وأفضل المناهج لخطاب القرآن للجنس البشري غير العرب وأبلغ الطرق للحوار مع الآخر.

ومن الأسماء المشهورة في القرن الخامس عشر عبد المجيد الزنداني الذي يمثل المرحلة الوسطى بين الجهود الفردية والجهود المؤسسية التطوعية (الجماعية) فقد سعى بجهوده الخاصة لتأصيل الإعجاز العلمي شطرا من حياته العلمية ثم بدأ بتأسيس مؤسسة جماعية للإعجاز العلمي في مكة المكرمة وبذلك تنتهي الجهود الفردية الصرفة لتتداخل مع مرحلة الجهود الجماعية.

• الجامعات التي تبنت بإنشاء الهيئة الخاصة للتفسير العلمي

يعترف البعض أن الأزهر الشريف يسبق غيره من طريق علمائه لتقديم الإعجاز العلمي للبروز على ساحة الأمة وعلى شكل مؤسسي وجماعي إثر بروزه بجهود فردي. وقد يلعب الأزهر الشريف دورا كبيرا لتعريف التفسير العلمي للعالم بأسره إسلاميا أو غيره بل كان أقرب إلى تبنيه ورعايته وذلك لعدة العوامل:

١. الهجوم على الإسلام فكريا وسياسيا الذي تبنته فرنسا وانجلترا
٢. الهجوم العلماني ممن ينتسبون إلى الإسلام.
٣. ظهور شخصيات بارزة وعقول نابغة عالميا من علماء الأزهر تبنت قضية الإعجاز العلمي.
٤. أصحاب المؤلفات القيمة معظمهم من علماء الأزهر الشريف.^(٣)

(١) وهو عالم فقيه إسلامي (١٨٩٨-١٩٧٤م) حفظ القرآن صغيرا التحق بالجامع الأحدي . تخرج في مدرسة القضاء الشرعي . درس بكلية أصول الدين وكلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف . عضو بمجمع البحوث الإسلامية . منع من التدريس والمحاضرة بقرار سياسي نظرا لمجاهرته بالحق وحرية رأيه . رفض ما يسمى ببيت الطاعة . من مصنفاته : (تاريخ المذاهب الإسلامية) و(القرآن المعجزة الكبرى) (الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ٢٤٢)

(٢) هو جاد الحق علي جاد الحق (١٩١٨-١٩٩٦م) ولد بطلخا بالدقهلية : أحد شيوخ الأزهر . حفظ القرآن ودرس بالمعهد الأزهرى بطنطا تخرج من كلية الشريعة الإسلامية وحصل على العالمية . عمل موظفا قضائيا بالمحاكم الشرعية ثم أمينا للفتوى بدار الإفتاء ثم قاضيا ثم مفتيا للجمهورية ثم عضوا بمجمع البحوث الإسلامية ثم وزيرا للأوقاف ثم شيخا للأزهر الشريف . من مؤلفاته: (مع القرآن) (النبي في القرآن) (الفقه الإسلامي مرونته وتطوره) وما إلى ذلك (الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، ص ٩٦-٩٧)

(٣) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المصدر السابق، (مج ١ ص ٥٩-٦١)

ومن هنا أنشئت الهيئة العامة للإعجاز العلمي مسبوقة بالمؤتمرات العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة لغرض تبني ونشر أبحاثه. ولقد خطت الهيئة منهجا جديدا في مسيرة الإعجاز العلمي لتحويل مسار الجهود المبذولة في شتى أنحاء العالم الإسلامي والعربي. ثم في المرحلة المتلاحقة تمت بحوث الإعجاز العلمي كمادة دراسية في الجامعات نتيجة توصيات جميع المؤتمرات العالمية الحاشدة للإعجاز العلمي وتلح وتؤكد ضرورة السعي لتدريس الإعجاز العلمي في الجامعات وتوفير وسائله العلمية عبر الهيئات الجامعية الإسلامية لإفساح المجال لمن أراد أن يدرس على أساتذة هذا العلم المعبرين والمؤهلين شرعيا وتجريبيا كما أنه يضمن تخرج طلاب الجامعة تأهيلا وفهما ودراية لمستقبلية الأمة الإسلامية في عصر العولمة والمعرفة.

ومن الجامعات التي تبنت الإعجاز العلمي:

(١) جامعات الأزهر الشريف

والأزهر الشريف من أوائل الجامعات التي ألحت ضرورة تدريس ما يتعلق بمسائل الإعجاز العلمي لتطوير المناهج الدراسية الأزهرية نحو طراز جديد يستجيب متطلبات العصر ونحو قفزة جديدة يتسابق مع الجامعات الأخرى المتقدمة في مجال بحوث العلم والتكنولوجيا الهائل.

وهذا كتاب " مناهل العرفان " المقرر على طلاب الجامعة الأزهر الشريف وهو من تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني العالم الأزهرى وهو كتاب جليل يضم بين الأصالة والمعاصرة وجمع بين دفتيه فوائد جمة من التأخي بين الإسلام والعلم ويعالج شبهات العصر الراهن علاجا ينحى الأذى عن طريق عشاق الحق ورواد البحث ومريدي الإسلام.

وإن تباشير الأمل قد بدأت مع ورود الأخبار عن عزم الأزهر الشريف على تأسيس قسم للإعجاز العلمي في القرآن والسنة وهذا متوقع ومأمول خاصة أن الأزهر الشريف كان أول جامعة في العالم تخصص تفسيراً (لمجلس الدراسات الإسلامية - تفسير المنتخب) جعلت اللجنة القائمة على هذا التفسير من مستشارها علماء كونييين للرجوع إليهم في تفسير الآيات الكونية.

(٢) جامعات الإمارات العربية المتحدة

وهي من أوائل الجامعات التي اعتمدت التفسير العلمي للقرآن فيما يتعلق بالآيات الكونية وعلى الرغم من أن المقرر لم يستوف التأصيل الشرعي لمسألة العلم التجريبي في كتاب الله تعالى إلا أنه كان محاولة موفقة وإضافة متميزة للمقرر الجامعي. وأما الكتاب الذي تقرر تدريسه فهو كتاب " تفسير الآيات الكونية " لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الله شحاتة العالم الأزهرى.

لقد اعتمد المؤلف في هذا المقرر الجمع بين التفسير المنقول والتفسير العلمي بادئا في كل آية بالجوانب اللغوية ثم ماراه المفسرون في نفس الآية ثم الإشارة إلى الجانب الكوني والعلمي. وجمع فيه عددا من الآيات المختارة من كتاب الله المتعلقة بالعلوم الكونية من جوانب شتى فمنها ما تشرح ظواهر كونية كالبرق والرعد والسحاب والجبال وغيرها ومنها ما تشرح واجب المسلم إزاء هذه الظواهر من لزوم العبرة والتفكير والتدبر ومنها ما تشرح أثرها على الإيمان والعقيدة وغير ذلك من جوانب النظر في الآيات الكونية.

٣) جامعات السعودية والسودانية

ولقد جمعنا جامعتين معا وذلك لأنها محاولة ناضجة تمت في كليهما عن طريق المصدر نفسه ففي مقدمة كتاب " الإسلام والعلم التجريبي " قال المؤلف الدكتور عبد الله حسن زروق: « هذا الكتاب ثمرة مادة دراسية كنت أقوم بتدريسها في جامعة الملك سعود واسم المادة " الإسلام والعلم التجريبي " وكانت هذه المادة تدرس كإحدى مواد الثقافة الإسلامية التي تدرس لجميع طلاب جامعة الملك سعود. فالكتاب يهدف إلى توفير مادة يمكن الرجوع إليها في تدريس هذه المادة التي بدأت تدرس في جامعة السودان. والأمل معقود أن يعمم تدريسها في جميع الجامعات السودانية وفي جامعات الدول العربية والإسلامية كما يهدف البحث إلى إفادة الباحثين في مجال تأصيل العلوم وأسلمتها ».

أما فيما يختص بـ " أسلمة العلوم " فقد قال « إن أسلمة العلوم تحتاج عموما إلى المزوجة بين معرفة الشريعة الإسلامية بكافة فروعها عقيدة وعبادات وقوانين ونظم وأخلاق وآداب وسلوك وكافة علومها علوم قرآن وحديث وفقه وأصوله ومعرفة العلوم الوضعية كالرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ولعل الإجابة على المسألة الواحدة تحتاج إلى علوم مختلفة »

(٤) الجامعات التجريبية الغربية

لأول مرة في تاريخ علم الأجنة يتم وضع حواشٍ لواحد من أشهر كتب علم الأجنة في هذا العصر الحديث وهو كتاب Human development ومؤلفه - كيث إل مور - (Keith L. More) وهو أحد أقطاب علم الأجنة في الفترة المعاصرة. وبعد حضور عدد من المؤتمرات الدولية للإعجاز العلمي ولقائه بكبار رجال الدعوة والعلوم الشرعية من المهتمين من قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية وبعد استعراض الآيات القرآنية التي تحتوي على تفاصيل مذهلة حول علم الأجنة وبعد لقاءات عديدة بينه وبين الشيخ عبد المجيد الزنداني أقر بأن هذا الكلام يستحيل أن يكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو وحي من عند الله فلما استأذن فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني في إضافة هذه الآيات القرآنية باللغة العربية وترجمتها باللغة الإنجليزية إلى كتابه المشهور الذي يدرس في معظم جامعات العالم وقد ترجم إلى سبع لغات وافق كيث مور من غير تردد.

وبدأت أول خطوة فريدة في تاريخ العلم الحديث ألا وهو وجود كتاب علمي صرف في علم الأجنة وبه المعلومات التجريبية بأدلتها الكاملة ولكنها مهمورة بالآيات القرآنية المعجزة والمعبرة من الحقائق العلمية نفسها في علم الأجنة منذ أربعة عشر قرناً.

(٥) جامعة الإيمان باليمن

وهي جامعة شرعية قام بتأسيسها الشيخ عبد المجيد الزنداني مؤسس هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة من قبل ولا شك أن اهتمامات مؤسس هذه الجامعة قد أنصبت على الإعجاز العلمي باعتباره واحداً من أهم مجالات نشاطه في المملكة العربية السعودية سنين عدداً وتعتبر جامعة الإيمان هي أول جامعة تفرد للإعجاز العلمي مقرراً دراسياً منهجياً جامعياً بل وتعتبر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة مادة أساسية من مقررات طلابها على جميع سنوات الدراسة بها ولقد نص على ضرورة دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في أهداف الجامعة ونظامها الأساسي.

انتهجت جامعة الإيمان منهجاً جديداً في تدريس المادة وحددت الأهداف من تقريرها على الطلاب وأيضاً نصت على التطبيقات العملية أسوة بغيرها من المواد الشرعية مثل التفسير والفقه والحديث وغيرها وكذلك تأسس في نظام الكليات قسم الإعجاز

العلمي في القرآن والسنة. والأمل الكبير في أن تقتفي الجامعات الشرعية المسار نفسه بحيث تضمن تخرج أجيال من طلاب الإعجاز العلمي وأساتذته يحملون علوم الشريعة والعلوم التجريبية معاً. (١)

• الشخصية البارزة في التفسير العلمي

أقبل كثير من الباحثين المعاصرين - في العصر الحديث - على الآيات ذات المضامين العلمية وتخصصوا بدراسة الإعجاز العلمي في القرآن واشتهروا بالاهتمام بهذا الجانب على درجة أنهم اعتبروه من أبرز وجوه الإعجاز لأهل هذا العصر يفوق الوجوه الأخرى بسبب التقدم العلمي المذهل والانبهار العالمي بهذا العلم. ومنهم من صنف كتاباً خاصاً حول الإعجاز العلمي في القرآن ومن كتب عنه مقالات في المجلات والصحف ومن ألقى محاضرات في الملتقى العلمي والفكري. ومن هؤلاء - حسب ما كتبه الأستاذ الدكتور عاطف المليجي -:

١. عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٢ م) (٢)

٢. الغازي أحمد مختار باشا (١٨٣٧ - ١٩١٩ م) (٣)

٣. طنطاوي جوهري (١٨٧٠ - ١٩٤٠ م)

٤. محمد بخيت المطيعي (٤)

٥. مصطفى صادق الرافعي (١٨٨١ - ١٩٣٧ م) (٥)

ثم ذكر حنفي أحمد ومحمد جمال الدين الفندي ومحمد أحمد الغمراوي وعبد الله شحاتة (١) وغيرهم (٢)

(١) وهذه الجهود الجماعية من خلال إنشاء الهيئة الخاصة للإعجاز العلمي في الجامعات ملخصة - بشكل موجز وبقلم من التصرف - من كتاب " حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المصدر السابق (مج ١ ص ٩٥-١٠٥)

(٢) محمد بن حسن بن أحمد الكواكبي الحلبي: (١٠١٨ - ١٠٩٦ هـ = ١٦٠٩ - ١٦٨٥ م) مفتي حلب، وأحد علمائها. مولده ووفاته فيها له كتب، منها (الفوائد السمية في شرح الفرائد السنوية) في فقه الحنفية، كلاهما له و (نظم الوقاية) فقه و (نظم المنار في أصول الفقه، ويعرف بمنظومة الكواكبي. (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٩٠)

(٣) ألف كتاباً باللغة التركية سماه الرافعي " سرائر القرآن " وحنفي أحمد "رياض المختار" بناه على سبعين آية فسرهما بأخر ما انتهى إليه العلم الحديث في الطبيعة والفلك.

(٤) أصدر (سنة ١٩٢٣ م) كتابين " تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية " و " توفيق الرحمن للتوفيق ما قاله علماء الهياة وبين ما جا في الأحاديث الصحيحة والقرآن " وصرح أن القرآن شامل لجميع العلوم الباحثة عن دقائق الأعيان الكونية في العوالم كلها.

(٥) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (١٢٩٨ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٧ م) عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم (بمنزل والد أمه) ووفاته في طنطا (بمصر) أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. له كتب منها (ديوان شعر) و (تاريخ آداب العرب) و (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٣٥)

ومن وجهة النظر الأخرى متقاربة مما سبق - في ذكر الشخصيات البارزة في التفسير العلمي - يرى الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حيث قال « ومن أشهر من عرف بالاهتمام بهذا الجانب والتخصص فيه المفسر طنطاوي جوهرى في تفسيره " الجواهر في تفسير القرآن " ومنهم الدكتور محمد أحمد الغمراوي والدكتور محمد جمال الدين الفندي وعبد الرزاق نوفل والشيخ عبد المجيد الزنداني والشيخ محمد متولي الشعراوي

وأضاف أن مما يدل على اهتمام المعاصرين بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة في هذا الزمان تشكيل هيئة خاصة به فقد تم تشكيل - هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " وهي تابعة للمجلس الأعلى للمساجد في المملكة العربية السعودية والمشرف على هذه الهيئة هو الشيخ عبد المجيد الزنداني وهو أحد علماء اليمن ومن أشهر المتخصصين في الإعجاز العلمي في هذه الأيام وقد ألقى الشيخ الزنداني عددا من المحاضرات في الإعجاز العلمي وحضر كثيرا من المؤتمرات التي تتحدث عن الإعجاز العلمي القرآني «(٣)

وهناك أسماء أخرى برزت على الساحة في يومنا الحاضر مثل الدكتور محمد شوقي إبراهيم^(٤) - رئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بالقاهرة - والدكتور صلاح أحمد حسن - أستاذ العيون بطب أسيوط - وزغول النجار - رئيس لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في المجلس الأعلى للشئون الدينية بالقاهرة - وهو أبرزهم بالتأليف وإلقاء المحاضرات في الحلقات العلمية والدروس الجامعية عبر وسائل الإعلام وغيرها. وقد اختارت اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم^(٥)

(١) عبد الله شحاته رئيس قسم الشريعة بكلية دار العلوم بالقاهرة ألف كتابا متخصصا في النظر لهدف أساسي كل سورة ومقاصدها في القرآن سماه " أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن " وأهم مؤلفاته: علوم الدين الإسلامي منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، الدكتور عبد الله شحاته (أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٥ - ٤٠ / ٨٦) (المناسبات - ١ / ٣٣ م ش)
(٢) أنظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للدكتور عاطف المليجي، (ط ٤) سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) (ص ٢١-٤٣)
(٣) البيان في إعجاز القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، المصدر السابق (ص ٢٦١)
(٤) أحمد شوقي إبراهيم أحمد ولد. ٢٠ مايو ١٩٢٥ بكالوريوس الطب والجراحة (جامعة القاهرة ١٩٥٢). وهو رئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ورئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر وعضوية كلية الأطباء الملكية بلندن ١٩٧٢ وعضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) وأستاذ محاضر بجامعة الكويت (كلية الطب والمعهد الصحي). وإحدى عشر بحثا علميا في الإعجاز العلمي في القرآن والحديث النبوي أقيمت في المؤتمرات العلمية المختلفة في مصر والكويت وباكستان.

(انظر موقعه على الإنترنت : أحمد شوقي إبراهيم/ www.marefa.org/indek.php)

(٥) بدأت الجائزة بفعاليتين: (١) المسابقة الدولية للقرآن الكريم - ٧٤ متسابقا من دولة الإمارات وعدد من الدول العربية والإسلامية والأجنبية- (٢) وشخصية العام الإسلامية. أضيف إليها بعد ذلك العديد من الفعاليات مثل المسابقة المحلية للقرآن الكريم والمحاضرات والندوات والأنشطة المصاحبة للجائزة.

بدورتها العاشرة عام ٢٠٠٦ الدكتور زغول النجار " شخصية العام الإسلامية " في دورتها العاشرة وذلك لدوره المتميز في خدمة القرآن الكريم وعلومه من خلال مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية.

وقال المستشار إبراهيم محمد بوملحة رئيس اللجنة المنظمة للجائزة « إن الدكتور زغول النجار من العلماء البارزين في الأمة الإسلامية بما يقوم به من خدمات كثيرة في الدعوة الإسلامية واستجلاء عظمة كتاب الله بما يحتوي عليه من مظاهر في الإعجاز العلمي» ومن جانبه قال الدكتور سعيد حارب نائب رئيس اللجنة « إن الدكتور زغول النجار هو أول من ربط الإعجاز العلمي بالحديث بالقرآن الكريم وبدأ في ذلك منذ ٥٠ عاما ومن ثم انتشر هذا العلم في العالم العربي والإسلامي وفي العالم الغربي واستحدث له ولأول مرة كراسي في الجامعات ومؤسسات البحث العلمي إضافة إلى جهده الشخصي» (١)

• فعاليات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة

احتضنت دولة الكويت فعاليات المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الفترة من ٢٦/١١/٢٠٠٦ إلى ٢٩/١١/٢٠٠٦ تحت رعاية سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت عقد المؤتمر بالتعاون بين وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت والهيئة العامة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

شارك في المؤتمر ثلاثمائة عالم وباحث متخصص من ثلاثين دولة إسلامية في مختلف مجالات العلم من فيزياء حيوية وطاقة وعلوم الأرض والطب الإسلامي وأصول الشريعة الإسلامية والدراسات النفسية في القرآن والسنة وكذلك علم الاقتصاد واللغات والتاريخ الطبيعي إضافة إلى علوم الفلك والنجوم والجغرافيا وغير ذلك من التخصصات العملية المتميزة والفريدة كما ضم المؤتمر رابطة العالم الإسلامي وأساتذة الجامعات المتخصصة وعمداء بعض الكليات الإسلامية. وما هذا المؤتمر إلا ثمرة من ثمار الجهود الجماعية الموفقة من الجهات المعنية. وهو مؤتمر دعوي بمنهج علمي

(١) مجلة منار الإسلام، جائزة شخصية العام الإسلامية، بقلم مبارك المهيري، العدد ٣٨٢ السنة ٣٢ أكتوبر ٢٠٠٦ (ص ٢٦)

يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويزاوج بين العلم والدين ويوفق بين العقل الصريح والنقل الصحيح ليبرز صورة حضارية ومشرقة وليؤكد أن الإسلام دين الوسطية والسماحة. وهؤلاء الجم الغفير ناقشوا ثمانين بحثا وقدموا أربعة عشر مكتشفا علميا موثقا بالمنهج العلمي الدقيق لهذه المكتشفة المستتبطة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أن الإسلام دين العلم والحضارة. وليس أدل على ذلك من الأبحاث والأفكار الراقية والاكتشافات الباهرة التي يقدمها العلماء المسلمون منذ القرون الأولى لدولة الإسلام. وما يقدمه العلماء المسلمون من أبحاث لهي اسهامات حقيقية في بناء الحضارة المعاصرة والمكتشفات العلمية التي تخدم الإنسانية جمعاء.

يعقد المؤتمر لأجل تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في المحاور التالية:

١. إثراء البحوث في مجال الإعجاز العلمي واستنهاض همم علماء الأمة ليقوموا بهذا الواجب.

٢. اكتشاف تطبيقات علمية جديدة لدلالات النصوص في القرآن والسنة وفي مجال الطب النبوي

٣. تنسيق الجهود العالمية المبذولة في مجالات الإعجاز العلمي والتواصل بين الباحثين ومراكز البحث العلمي

٤. إظهار نتائج الإعجاز العلمي لكافة الناس بالوسائل الإعلامية المختلفة كباب جديد من أبواب الدعوة إلى الله

٥. توثيق العلاقة بين الجهات المهمة بقضية الإعجاز العلمي.^(١)

وألقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله التركي كلمة ذكر فيها أن هذا المؤتمر العلمي الدوري هو أحد الوسائل المهمة التي تعتمد عليها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في التعريف بالإسلام من أفق العلم الحديث وبالكشف عن وجوه جديدة من الإعجاز في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مؤكداً أن العصر الحديث تميز بتوسع هائل مستمر في الاكتشافات العلمية والاختراعات التقنية ما يدعو المسلمين إلى الاستفادة من نتائجها والدفاع عن الكتاب والسنة.

(١) مجلة الوعي الإسلامي ، " المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة "، عبد الله متولي، العدد ٤٩٧ - محرم ١٤٢٨ هـ / يناير ٢٠٠٧ م، (ص ٨-٩)

ومن جانبه أشار الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عبد العزيز المصلح مشدداً أن هذه الهيئة هي الصبغة الحضارية والقيمة العلمية والقيمة المتعالية إلى منازل الشاهد الثقة إنه العلم ولا يرد العلم إلا من سفه نفسه والمحصلة منه البرهان واليقين ولا يرده إلا كبراً وهوى. وأضاف أن التلاقي بين الآية المنظورة والآية المسطورة في القرآن والسنة لهو الدليل والبرهان على أن من خلق الأكوان والإنسان هو من أوحى إلى نبيه وحبيبه بالسنة والقرآن.

وفي نهاية أيام المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة أصدر المشاركون فيه مجموعة من التوصيات ضمن عدد من المحاور على الشكل التالي:

المحور الأول : المنهجية العلمية

دعوة العلماء والباحثين والمهتمين بالإعجاز العلمي في العالم إلى التزام منهج الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة وتشجيع العلماء المتخصصين في مجالات الصحة والعلوم الطبية والصيدلية ودراسة الطب النبوي مع إجراء التجارب حوله لصالح الإنسانية.

المحور الثاني : الإعلام

توجيه الإعلاميين إلى الاهتمام إلى مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ونشرها عبر الوسائط المتعددة وإنشاء قناة فضائية متخصصة في مجالات الإعجاز العلمي تبث برامجها باللغة العربية وغيرها.

المحور الثالث : الدعوة

الاستفادة من بحوث الإعجاز العلمي في ربط العلوم والتقنية الحديثة بحقائق الإيمان والاستفادة من إنجازات الهيئة العالمية في خطاب غير المسلمين لتعريفهم بحقيقة الإسلام ودوره الحضاري.

المحور الرابع : الترجمة والمعلومات والنشر

الاهتمام بترجمة ونشر وتوزيع بحوث الإعجاز العلمي على أهم اللغات العالمية وذلك للتعريف بها وتعميم الاستفادة منها. وإنشاء مركز معلومات في الهيئة يتضمن قاعدة بيانات عن العلماء والمراكز البحثية ذات العلاقة بالإعجاز العلمي لتحقيق التنسيق والتعاون.

المحور الخامس : التدريس والتدريب

حث الجامعات والمعاهد العلمية على تدريس كتاب الإعجاز العلمي الصادر عن الهيئة وتقديم منح للطلاب المتميزين المهتمين بهذا الشأن. وعقد دورات متخصصة بالإعجاز العلمي للأئمة والخطباء والدعاة والمشتغلين في مجال الإعلام.

المحور السادس : المسابقات والجوائز

إقامة مسابقة عالمية سنوية في الإعجاز العلمي لإثراء البحوث وكذلك إنشاء جائزة عالمية سنويا تقديرا للمتميزين في هذا المجال.

المحور السابع : التعاون والشراكة

التنسيق بين المؤسسات والهيئات العاملة في أنشطة الإعجاز العلمي وبرامجه على المستوى العالم الإسلامي وعقد اتفاقية تعاون بين الوزارات والهيئات المعنية في مجال الإعجاز العلمي.

المحور الثامن : الدعم المالي

العمل على إنشاء أوقاف لدعم برامج الإعجاز العلمي. وتفعيلا للتوصيات الصادرة اقترح المشاركون في المؤتمر المشاريع الآتية:

مشروع وقفية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ومركز بحوث للإعجاز العلمي ومشروع إنشاء قناة فضائية للإعجاز العلمي ومشروع الإعجاز العلمي ومشروع مركز الترجمة والنشر والتوزيع.(^١)

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير العلمي

النموذج الاول : الجاذبية وأثرها في بناء السماء

قال تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [لقمان: ١٠]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢]

(^١) مجلة الوعي الإسلامي ، " المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة "، عبد الله متولي، العدد ٤٩٧- محرم ١٤٢٨هـ يناير ٢٠٠٧م، (ص ١٠-١١)

أشارت الآياتان السابقتان إلى تماسك أجزاء السماء على البعد بقوة الجاذبية العامة من غيرتماس في حين ظلت المجتمعات العلمية حتى القرن السابع عشر الميلادي تأخذ بأراء علماء اليونان الأقدمين الذين قالوا بأن النجوم معلقة على كرات من الكريستال وأن الأرض ثابتة في مركز الكون إلى أن اكتشف العالم الإنجليزي إسحق نيوتن في القرن السابع عشر الميلادي قوة الجاذبية وأثرها في النظام الكوني. فكل شيء يتحرك في الكون يجذب ويجذب.

والجاذبية هي غراء الكون أو صمغه وهي تجذب الأشياء بعضها نحو بعض فتبقى الأشياء على الأرض وتجعل القمر يدور حول الأرض والكواكب حول الشمس والنجوم حول المجرات والمجرات حول أكداص المجرات ولو انعدمت الجاذبية لسبح كل شيء في الكون على غيرهدى ولتشتت الكواكب والنجوم والمجرات بغير نظام في أرجاء الكون الفسيح بل لما كان هناك كون، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١] (١)

وتأمل قوله تعالى ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ - في سورتي [لقمان: ١٠] [الرعد: ٢] - فلو قيل بغير عمد فحسب لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد المرئية وغير المرئية. والنفي المطلق يخالف الواقع الذي علم الله أنه سيهدي إليه عباده بعد نحو ألف سنة من نزول القرآن. فكان من الإعجاز المزدوج أن يقيد الله نفي العمدة في الخلق والرفع بقوله ترونها والضمير المنصوب في ترونها يرجع أولا إلى أقرب مذكور - وهو عمد - فيكون المعنى بغير عمد مرئية (٢) أي بعمد من شأنها وفطرتها أن لا ترى. (٣) وفي هذا السياق قال السيد محمود شكري الألوسي (٤) في تفسير سورة لقمان ١٠ « أي خلقها بغير عمد مرئية على التقييد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى وهي عمد القدرة وعلى قول

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٧١-٧٢)

(٢) تمكن علماء الفضاء مؤخرا من اكتشاف ما يسمى بالخيوط الكونية التي تربط عناصر الكون ومن تحقيق طبيعة هذه الخيوط والتي تماثل الأعمدة وعرفوا عنها طبيعة مادتها وخواصها وكثافتها بقياسات علمية دقيقة. ويقول العلماء أن هذه الخيوط تربط الأرض والكواكب والنجوم بالسموات العليا.

(٣) المصدر السابق، (ص ٧٢)

(٤) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي: (١٢٧٣ - ١٣٤٢ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٤ م) مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائله ٥٢ مصنفا، بين كتاب ورسالة، منها (بلوغ الأرب في أحوال العرب) (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) و (فتح المنان) في الرد على أهل البدع في الدين وغيرها (الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٢)

علماء الهيئة في زماننا " عمد الجاذبية " ولايخرج ذلك عن قدرة مودعها جل جلاله»^(١)

ومن هذه الجاذبية التي هي - حقيقة - قدرة الله تشير وحدة الوجود أو وحدة الكون المقتضية وحدة موجده ومدبره. وإذا طلبت برهاناً على وحدة هذا الوجود كله وانتظامه في سلك واحد لكان من أول البراهين التي يقى بها على مائدة البحث قانون هذا التجاذب الذي يعمل في صمت في أرض وسماء وهواء وماء وهو يعمل في كل ذي حياة وكل ذي جماد .

وصرح في هذا الصدد - بوجه تفصيلي ينشرح به الصدر - الدكتور أحمد شوقي إبراهيم قائلاً « ومن خلال التقدم العلمي في عصرنا هذا تبين لنا أن الكون كله في طواف مستمر ، والأقمار تطوف حول كواكبها والكواكب حول نفسها وهي وأقمارها تطوف حول شمسها والشموس تطوف حول نفسها وحول مركز المجرة والمجرات تطوف حول مركز السموات وإذا تركنا السماء وما فيها من أجرام تطوف حول نفسها وصعدنا إلى أعلى لوجدنا الملائكة تطوف حول العرش ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥] فحركة طوافهم حول العرش تسبيحهم بحمد ربهم.

وإذا عدنا إلى أصغر المخلوقات وهي الذرة لوجدنا فيها صورة مصغرة من النظام الشمسي : النواة في الوسط تدور حول نفسها... ومافي داخلها من بروتونات ونيوترونات تدور حول نفسها وتطوف حول مركز النواة ..والإليكترونات تطوف حول النواة ..وأجسامنا مكونة من ذرات إذن فحركات الطواف داخل كل ذرة في أجسامنا... وفي كل ذرة وفي أجسام الكائنات الحية والجماد جميعاً... إلى أن قال... إنه نفس فطرة الخلق في كل خلق في الكون كله مما يدل على وحدة النظام في الخلق في الوجود كله... ووحدة نظام الخلق تدل على وحدانية الخالق وأنه لا اله إلا الله»^(٢)

والإنسان المسلم أيضاً يطوف حول الكعبة المشرفة في الأرض إذن طواف الإنسان يشترك مع طواف السماوات والأرضين وطواف الملائكة حول العرش وكل ما في

(١) كتاب " ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان "، للسيد محمود شكري الألوسي، (ص ١١٧)
(٢) تسبيح الكون، للدكتور أحمد شوقي إبراهيم، (ص ٥١) ومجلة الوعي الإسلامي، "لسنا وحدنا في الكون"، بقلم مهندس سعد شعبان، (العدد ٥٠٠) (ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ - أبريل ٢٠٠٧ م)

الكون كله. إذ الكون كله في تسبيح لله رب العالمين وهذا في مصداق قوله جل جلاله ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]

النموذج الثاني : تعدد الشموش والأقمار

رغم أن القرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا وأن الإنسان لم يعرف في ذلك الوقت إلا شمسا واحدة وقمرا واحدا فقد أشارت الآيتان التاليتان في إعجاز لغوي وعلمي بالغ إلى حقيقة تعدد الشموش والأقمار. (١)

قال الله تعالى

﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٥ ، ١٦]

ويتضح من الآية الأولى أن لفظ ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ أتى بضمير الجمع المؤنث بدلا من ضميرالمتنى أي بدلا من لفظ " خلقهما " كما تقتضيه اللغة العربية لو كان المعنى مقصورا على شمسا وقمرنا فقط وهذه إشارة واضحة أن في الكون شموسا وأقمارا أخرى كما أن أداة التعريف " أل " في الآية الكريمة صادقة الدلالة بوجهيها فهي للعهد أي للشمس والقمر المعروفين لنا وقت نزول القرآن بدلالة النهي بالسجود لهما وهي أيضا أداة التعريف للجنس أي لجميع الشموش والأقمار بدليل ضمير الجمع في لفظ ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ وبهذا فإن الآية تمثل إعجازا مزدوجا من الناحية اللغوية والعلمية. فتأمل عظمة القرآن الذي تعرض بمثل هذا الأسلوب لحقيقة كونية هامة لم يتم اكتشافها إلا في العصر الحديث.

(١) في عام ١٩٨٠ أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية عن اكتشافها للقمر الخامس عشر من أقمار كوكب المشترى. وذلك طبقا للصور التي التقطتها سفينة الفضاء فويجر - ١ مؤخرا. وقد أمكن حديثا رصد قمرين لكوكب المريخ و٧ اقمارا لكوكب زحل وخمسة عشر قمرا لكوكب يورانوس وقمرين من كوكب نبتون وقمر واحد لبلوتوا وأصبح عدد الأقمار التابعة لبعض كواكب المجموعة الشمسية (٥٣) قمرا (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٧٩)

وآية سورة نوح تشير أيضا إلى نفس الأمر ولا يحتاج في فهم هذا من الآية الكريمة إلا إلى اعتبار "أل" في القمر للجنس واحتمال ذلك موجود يدل عليه أو يشير إليه ضمير الجمع في ﴿ فَبِهِنَّ ﴾ وليس هذا ببعيد فالكلام كلام الله ولعله سبحانه يلفت عباده بهذه القرينة إلى آية من آياته في الخلق بلفظة تحتل وجهين:

- (١) وجها معهودا يدل على قمر الأرض حين تكون "أل" للعهد
 - (٢) وجها غير معهود ولا معروف ينبئ بحقيقة كونية مجهولة. ولو أن المفسرين انتبهوا إليه حين تكون "أل" للجنس لسبقوا العلم إلى القول بتعدد الأقمار والشمس. (١)
- المتدبر يجد في الآيات القرآنية التالية إشارات صريحة أو غير مباشرة عن وجود ألوان من الحياة في الكون بخلاف الأرض والحياة بمعناها العام قد تكون لمخلوقات ليس لزاما أن يكونوا على صورة بشرية كالإنسان. ومن المعقول أن تعدد الحياة في الكون - غير الحياة البشرية في كوكب الأرض - يقتضي تعدد وسائل الحياة مثل الشمس والقمر اللذان يمثلان وسيلتي الحياة لما في الأرض من الإنس والحيوان والنبات فلا يبعد - بل لقد اكتشف العلم الحديث - أن في كوكب آخر مثل - كوكب المشترى وكوكب المريخ - شمس أو قمر أكثر عددا مما يشهده كوكب الأرض.

الفصل الخامس

التفاسير المنحرفة في العصر الحديث

المبحث الأول

ظهور الانحرافات في التفسير

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٧٩-٨٠)

وآية سورة نوح تشير أيضا إلى نفس الأمر ولا يحتاج في فهم هذا من الآية الكريمة إلا إلى اعتبار "أل" في القمر للجنس واحتمال ذلك موجود يدل عليه أو يشير إليه ضمير الجمع في ﴿ فَبِهِنَّ ﴾ وليس هذا ببعيد فالكلام كلام الله ولعله سبحانه يلفت عباده بهذه القرينة إلى آية من آياته في الخلق بلفظة تحتل وجهين:

- (١) وجها معهودا يدل على قمر الأرض حين تكون "أل" للعهد
 - (٢) وجها غير معهود ولا معروف ينبئ بحقيقة كونية مجهولة. ولو أن المفسرين انتبهوا إليه حين تكون "أل" للجنس لسبقوا العلم إلى القول بتعدد الأقمار والشمس. (١)
- المتدبر يجد في الآيات القرآنية التالية إشارات صريحة أو غير مباشرة عن وجود ألوان من الحياة في الكون بخلاف الأرض والحياة بمعناها العام قد تكون لمخلوقات ليس لزاما أن يكونوا على صورة بشرية كالإنسان. ومن المعقول أن تعدد الحياة في الكون - غير الحياة البشرية في كوكب الأرض - يقتضي تعدد وسائل الحياة مثل الشمس والقمر اللذان يمثلان وسيلتي الحياة لما في الأرض من الإنس والحيوان والنبات فلا يبعد - بل لقد اكتشف العلم الحديث - أن في كوكب آخر مثل - كوكب المشترى وكوكب المريخ - شمس أو قمر أكثر عددا مما يشهده كوكب الأرض.

الفصل الخامس

التفاسير المنحرفة في العصر الحديث

المبحث الأول

ظهور الانحرافات في التفسير

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٧٩-٨٠)

المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسيرالإلحادي

• التفسير الإلحادي^(١)

ومن أهم المحاذير التي ينبغي الالتفات إليها والتنبيه عليها في فهم القرآن وما يحتوي من عقائد وشرائع وأحكام وأداب وضع النص في غير موضعه الصحيح وهو نوع من تحريف الكلم عن مواضعه فكثيرا ما يكون النص صحيحا لامطعن فيه ولا خلاف في ثبوته وإنما الخلل أو العيب يقع في الاحتجاج بهذا النص على أمر معين وهو لا يدل عليه لأنه سيق مساقا آخر.

نجد في العصر الحديث أناسا يكيّدون للقرآن ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد وطرق الهدم وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة وهي تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة تتنافى مع ما في القرآن من هداية فبرز أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم ويقضى حاجات في نفوسهم وانحرفوا فيه انحرفا يقف وراءه مبادئ هادفة وأغراض مغرية .

وفي هذا السياق صرح الدكتور صلاح عبد الفتاح أن الانحراف في تفسير القرآن يحدث في تفسير القرآن الكريم بالرأي المذموم القائم على الخطأ والهوى والمقرر السابق. والأخطاء التي يقع فيها المفسرون ثلاثة أصناف:

١. خطأ في الهدف والقصد والباعث

وهذا الصنف مثل أخطاء غير المسلمين في نظرهم في القرآن

٢. خطأ في منهج النظر في القرآن الكريم

مثل خطأ أصحاب الفرق من أهل القبلة

٣. خطأ في بعض الجزئيات الفرعية

ويقع هذا في أخطاء مفسري أهل السنة والجماعة^(٢)

وأكثر ما يقع في التفسير الإلحادي يبدأ من الخطأ في الغرض والهدف كما هو صنف أول من الأصناف الثلاثة المذكورة. ويتمثل في شذمة ممن ينتسبون زورا وبهتانا إلى

(١) ليس المراد من الإلحاد هنا إنكار وجود الله تعالى بل المراد الميل عن الصراط المستقيم في فهم الآيات وتحريفها عن موضعها وحملها على المحامل الباطلة كما قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا [فصلت : ٤٠] (٢) تعريف الدارسين، المصدر السابق، (ص ٤٩٦)

العلم وقد تأججت نار الحقد في قلوبهم فأخذوا - أول وهلة- في التنقيب عن ثغرات في القرآن يدلّفون منها إلى القول بأن القرآن ليس كلام الله أو أنه طرأ عليه التحريف وقام به بعض مفكري الغرب من المستشرقين أو المبشرين وشاركهم - في الإلحاد - العلمانيون بل هؤلاء أجزأ طعنا في قدسية القرآن وأخطرانتهاكا فيها قبل تفسيره. ومن نتائج انتهاك الاتجاه العلماني لقدسية النص القرآني:

(١) الأنسنة : يراد بها دعوة إلى بشرية النصوص على وجه العموم والقرآن الكريم على وجه الخصوص فهذه النصوص قد تأنست منذ تجسدت في التاريخ واللغة وتوجهت بمنطوقها إلى البشر في واقع تاريخي محدد ومذ تعرض النص الديني لفهم الإنسان فقد صفة الثبات وهي محكومة بجدلية الثبات والتغير فهي ثابتة في المنطوق متغيرة في المفهوم.

(٢) تاريخية القرآن الكريم والنصوص الدينية: ومن لوازم هذه الأنسنة المزعومة القول بتاريخية القرآن الكريم فالقرآن عند هؤلاء أسير بيئته التاريخية والجغرافية والنظام الاجتماعي الثقافي والذهنية السائدة إبان نزوله وقد ظهر القرآن الكريم إجابة عن أسئلة شتى طرحتها الثقافة في المجتمع العربي الإسلامي الأول فلا يتعدها.

(٣) نقد القرآن الكريم: إذا كان القرآن نصا بشريا غير مقدس وقد تأنسن وكان نصا تاريخيا كسائر الوثائق الأثرية فإن النتيجة الحتمية لذلك أن يتناوله معول النقد. فالاتجاه العلماني عموما يدعو إلى إعمال النقد في القرآن الكريم وإخضاعه للتحليل والتفكيك. (١)

وبحثوا في آيات القرآن وزعموا بجهلهم أن القرآن به تحريف وأتوا بالآيات يفسرونها بعقولهم الحاقدة تفسيرا ينحرف عن الجادة واتجهوا نحو ذلك لأجل التشكيك في مصداقية القرآن - من أنه نزل من لدن حكيم خبير - وقدسيته وإثارة الشبهات حوله ثم تشويه صورته لتغيير الآخرين من هداة بدعوى أنه كتاب مليء بالخرافات التي تتنافى مع روح العصر وكتاب يدعو إلى القتل والإرهاب وما إلى ذلك.

(١) معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، للدكتور عبد القادر محمد الحسين، (بالاختصار)، دار الوثقائي للدراسات القرآنية- دمشق، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) (ص ٤٤٩)

وهذا الإلحاد في التفسير بدا - أيضا- من موازين البحث عند المستشرقين - خاصة- حيث اعتمد جمهورهم في أبحاثهم وخاصة المتعلقة بالإسلام والأحكام الشرعية (القرآن) على منهج غريب وميزان عجيب لا يليق إطلاقا بالباحث وهو الخضوع للأهواء وعدم التجرد والموضوعية في البحث فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها إلا أن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة ومقررة سابقة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها ولا يهتمهم بعد ذلك صحة هذه الأدلة أو عدم صحتها ولكن الذي يهتمهم في المقام الأول هو الاستفادة منها لدعم آرائهم وكثيرا ما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور وهذا بلا شك مخالف لأصول وقواعد البحث العلمي.(^١)

ومما يمثل بالإلحاد في التفسير نتيجة خطأ في منهج النظر في القرآن الكريم - وهذا من الصنف الثاني- ما كان للإمامية الإثنا عشرية من معتقدات يدينون بها وينفردون بها عن عداهم من طوائف الشيعة. وهم حين يعتقدون هذه المعتقدات لا بد لهم - ما داموا يقرون بالإسلام ويعترفون بالقرآن ولو بوجه ما - أن يقيموا هذه العقائد على دعائم من نصوص القرآن الكريم، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل وقوة الدليل.

وهذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أنمتهم فهم يلقون على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ويرون أن الأئمة " أركان الأرض أن تميد بأهلها وحُجَّة الله البالغة على مَنْ فوق الأرض وَمَنْ تحت الثرى " ويرون أن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزة المؤمنين.

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يُحكم عليه وفوق الناس في طينته وتصرفاته فإننا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التي للأنبياء والرسل وأنه مُشَرِّع ومُنْقِذ، وأن الله قد فَوَّضَ النبي والإمام في الدين، ويروون عن الصادق أنه قال: " إن الله خلق نبيه على أحسن أدب وأرشد عقل ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم أتى الله عليه

(^١) أنظر التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق، للدكتور بكر زكي عوض والدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (ص ١٥٨)

فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ثم بعد ذلك فَوَضَّ إِلَيْهِ دِينَهُ، فَوَضَّ إِلَيْهِ التَّشْرِيعَ فَقَالَ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. والله فَوَضَّ دِينَهُ إِلَى نَبِيِّهِ. ثم إن نبي الله فَوَضَّ كُلَّ ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ سَلَّمْتُمْ وَجَدَهُ النَّاسُ فَوَاللَّهِ لَنَحْبِكُمْ أَنْ تَقُولُوا إِذَا قُلْنَا وَأَنْ تَصْمَتُوا إِذَا صَمْتْنَا وَنَحْنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي خِلَافٍ أَمْرًا.

وحيث إن الله تعالى خلق النبي وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد عقل فلا يختار النبي ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب ولا يخطر بقلب النبي ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يتناقض مصلحة الأمة فيفوض الله تعيين بعض الأمور إلى رأى النبي ورأى الإمام مثل الزيادة في عدد ركعات الفرض ومثل تعيين النوافل من الصلاة والصيام وذلك إظهاراً لكرامة النبي والإمام ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي ثم لم يكن الاختيار بالإلهام وله في الشرع شواهد حرّم الله الخمر وحرّم النبي كل مسكر فأجازة الله وفرض الله الفرائض ولم يذكر الجد فجعل النبي للجد السدس وكان النبي يُبَشِّرُ وَيُعْطِي الْجَنَّةَ عَلَى اللَّهِ وَيَجِيزُهُ اللَّهُ. وأيضاً فَوَضَّ اللَّهُ لِلنَّبِيِّ وَالْأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ أُمُورَ الْخَلْقِ وَأُمُورَ الْإِدَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ مِنَ التَّأْدِيبِ وَالتَّكْمِيلِ وَالتَّعْلِيمِ وَوَجِبَ عَلَى النَّاسِ طَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ. قالوا: وهذا حق ثابت دلّت الأخبار عليه. (١)

وأخطرتعاملهم مع القرآن كانوا يزيدون فيه ألفاظاً لم يسمع بها عامة المسلمين على الإطلاق وذلك من أجل الحفاظ على مبادئهم وعقائدهم وتقريرها في نفوس أتباعهم بصياغة الروايات الموضوعية مثل ما نقله السيد محمد أبو سيف عن كتاب شيعي " أصول الكافي" نصه « ويروى أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له لم سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قال الله سماه وهكذا أنزل في كتابه « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولِي وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » (٢)

(١) أنظر التفسير والمفسرون، المصدر السابق، (ج ٢ ص ١٩-٢٠)
(٢) دفاع عن القرآن والرد على مدعي تحريف القرآن، لأبي عبد الرحمن المصري، مكتبة الإيمان - المنصورة (مصر)، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (ص ١١٨)

والصنف الثالث - من العلماء المعاصرين- يزعمون أن القرآن منع تعدد الزوجات الذي أباحه القرآن نفسه بشرط العدل بآية من السورة نفسها تهدم - في نظرهم- وتبطل أثرها وتتنسخ حكمها وهي آية ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩] ومعنى هذا هم يتهمون الرسول والصحابة والسلف الصالح بل الأمة كلها خلال أربعة عشر قرناً أنها لم تفهم كتاب ربها المنزل إليها بلسانها حتى جاء هؤلاء في آخر الزمن يستدركون عليها. ثم مقتضى كلام هؤلاء أن القرآن يناقض بعضه بعضاً فهو يبيح الشيء في آية ثم لا يلبث أن يحرمه في آية أخرى وكذبوا فإن الله يقول ﴿ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ولو أن هؤلاء أكملوا الآية التي تبطل إباحة تعدد الزوجات لوجدوه ترد عليهم لأن تمامها ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء: ١٢٩] ومفهوم الآية أن بعض الميل مغتفر وهو الميل العاطفي الذي لا يتحكم البشر. وهو الذي ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في شأنه بعد أن يقسم فيعدل بين نساءه في الأمور الظاهرة من النفقة والكسوة والمبيت (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) يعني أمر القلب^(١)

• دوافعه

اندفع هؤلاء النفر المنحرفون في التفسير نحو اللون الإلحادي بعدة دوافع:

(١) الدافع الديني والتعصب الديني من اليهود والنصارى ضد القرآن بدعوى الانتحال من كتب اليهود والنصارى والزعم بأن محمداً زور القرآن ولفقه من مصادر اليهودية والنصرانية ولهذا فإنهم يفسرون القرآن تفسيراً غريباً عجيباً ومريباً في الوقت نفسه.^(٢) وفي هذا الإطار قال الدكتور مصطفى السباعي^(٣) لاحتجاج إلى استنتاج وجهه في البحث لتتعرف إلى الدافع الأول للإستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني فقد بدأ

(١) رواه أبو داود (سنن أبي داود - ج ٢ ص ٢٠٨) والحاكم (المستدرک علی الصحیحین للحاكم مع تعلیقات الذهبي فی التلخیص ج ٢ ص ٢٠٤) والبيهقي (سنن البيهقي الكبرى ج ٧ ص ٢٩٨)

(٢) القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، للدكتور محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات- القاهرة، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) (ص ١٠٣)

(٣) مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: (١٣٣٣ - ١٣٨٤ هـ = ١٩١٥ - ١٩٦٧ م) عالم إسلامي، مجاهد، من خطباء الكتاب. ولد بحمص (في سورية) وتعلم بها و بالأزهر واعتقله الإنكليز في مصر وفلسطين سنة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهراً. وانطلق فكان على رأس كتبية من (الأخوان المسلمين) في الدفاع عن بيت المقدس (١٩٤٨) وأحرز شهادة (دكتور في التشريع الإسلامي وتاريخه) من الأزهر (١٩٤٩) واستقر في دمشق، استاذاً بكلية الحقوق (١٩٥٠) ومراقباً عاماً لجمعية الأخوان المسلمين، وعميداً لكلية الشريعة (١٩٥٥) وقام برحلات. وأنشأ مجلة (حضارة الإسلام) وما

بالرهبان - كما رأينا- واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر. وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وقد كانوا يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين- دين لا يستحق الانتشار إلى أن قال وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال الدين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث. (١)

(٢) الادعاء بالتجديد والزرع بأن هذا سبب لظهور والبروز - ولو بتحريف كتاب الله- فأخذوا يثورون على قدماء المفسرين ويرمونهم جميعاً بالسفه والغفلة ثم طلعوا على الناس بجديدهم في تفسير كتاب الله ... جديد لا تفره لغة القرآن ولا يقوم على أصل من الدين.

وهؤلاء الدعاة إلى التجديد غير المنضبط متأثرون بالفرق المنحرفة في تفسير القرآن فمنهم من هو استمرار لفكر المعتزلة المبالغ في تقدير العقل ومنهم من هو استمرار لفهم الصوفية المغرق في التأويل والتحريف والإشارات البعيدة غير المقبولة ومنهم من هو امتداد لفهم الشيعة الإمامية الغريب أو للتأويل الباطني العجيب ومنهم المبالغ في التفسير العلمي اللاهث وراء النظريات العلمية الغربية التي لم تثبت ومنهم المتأثرون بالمذاهب الفكرية الغربية الجاهلية المعاصرة المخالفة لحقائق القرآن ومنهم المتأثرون بالدعايات اليهودية أو النصرانية أو الماركسية أو الرأسمالية أو الوجودية أو العالمية أو الماسونية ومنهم المعجب بالقيم والحياة الغربية وما إلى ذلك.

زالت تصدر كان السباعي مولعاً بالمطالعة والبحث في كتب الأدب والثقافة المختلفة، وفي ذلك قام بتأليف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية التي أنشئت بمساعدة السلطات الاستعمارية الفرنسية، وكانت هذه المدارس تحبب إلى طلابها الثقافة الغربية وتعمل على إبعادهم عن عقيدتهم.. فعمل السباعي على محاربتها، كما ساهم في تأسيس وقيادة عدد من الجمعيات الإسلامية في حمص وفي غيرها، ومنها (الرابطة الدينية بحمص) و(شباب محمد صلى الله عليه وسلم) و(الشبان المسلمين في دمشق. ونشر من تأليفه ٢١ كتاباً ورسالة، منها (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) وهو كتاب أطروحته، و(اشتراكية الإسلام) و(شرح قانون الأحوال الشخصية) و(الدين والدولة في الإسلام) (الأعلام للزركلي - ج ٧ ص ٢٣١-٢٣٢) (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ج ١ ص ٣٤٤)

(١) الاستشراق والمستشرقون، للدكتور مصطفى السباعي، دار السلام - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)

٣) النظر لكتاب الله نظرة حرة لا تتقيد بأى أصل من أصول التفسير مع قلة حظهم من العلم ولكنهم اغتروا بما لديهم فحسبوا أنهم بلغوا مبلغ الراسخين في العلم ففسروا القرآن تفاسير تتنافى مع ما قرره أئمة اللغة وأئمة الدين ولأول نظرة يتضح لمن يطلع عليها أنها لا تستند إلى حُجَّة، ولا تتكى على دليل.

٤) استغلال الاتجاه العلماني - خاصية القرآن بسعته وثراء معناه وقابليته لتعدد الأفهام - بلا حدود باعتبار أن هذه الخاصية شاملة وعامة لجميع نصوص القرآن ويقول أحد العلمانيون « فاللغة في النصوص - ولو كانت معاصرة لقارئها - ليست بينة في ذاتها إذ يتدخل أفق القارئ الفكري والثقافي في فهم لغة النص ومن ثم في إنتاج دلالاته. ولعله من قبيل التكرار المهم أن نستدعي قول الإمام علي " القرآن حمال أوجه " أو نستدعي قوله الذي سيق الاستشهاد به " القرآن خط مسطورين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال ». فإننا هنا عند هذه الخاصية نقرر أن قابلية النص لتعدد الأفهام ليست كذلك فالآيات على قسمين :

الأول : قابلة لتعدد الأفهام وهي التي تتعلق بمصالح الناس الآنية والمتغيرة أو التي تشير إلى المعاني المطلقة كصفات الجلال الإلهي ونحو ذلك من الآيات التي أراد الله تعالى أن يذهب الذهن الإنساني فيها كل مذهب في حدود إطلاق اللفظ ومعانيه التي يحتملها لغة.

الثاني : غير قابلة لتعدد الأفهام وهي الآيات التي لا تحتل أكثر من معنى واحد بل إنها صيغت لا تسمح لتعدد كآيات العقائد الأساسية من وحدانية الله تعالى ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه وعدم احتياجه للخلق وكذلك البعث والحساب والنشور وحقائق المعاد من الجنة والنار وكذلك مقاطع الأحكام الأساسية كفرائض الإسلام والحدود ونحو ذلك. (١)

٥) تسلط الأفكار والآراء من نحلٍ مختلفة وامتزاجها منها في عقولهم فانطلقوا إلى القرآن وهم يحملون في قلبهم ورأسهم هذه الأمشاج من الآراء فأخذوا يُؤوِّلونَه بما يتفق معها تأويلاً لا يقرره العقل ولا يرضاه الدين.

(١) أنظر معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، المصدر السابق، (ص ٥٨)

• الشخصية البارزة فيه

ومعظم المنحرفين لم يقوموا بتفسير القرآن كاملا وإنما يقومون بدراسات حول تفسير القرآن وبمؤلفات متفرقات في آي القرآن يفسرونها على وجه الانحراف وصرف معانيها إلى غير موضعها وذلك لانهم ينطلقون من منطلق غير صحيح من سوء القصد والنية نتيجة التعصب الديني وخلل المنهج والتحيز للمبادئ والمقررات التي تؤيد إلى مذهب أو تيار معين وكل ما سبقت الإشارة إليه في دوافع التفسير الإلحادي.

ومن التفاسير المعاصرة التي انحرف فيها مؤلفوها :

١. الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لأبي زيد الدمنهوري طبع سنة ١٣٤٩هـ

٢. الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهرى طبع سنة ١٣٥١هـ

٣. التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم الخطيب طبع سنة ١٩٦٧هـ

وليست هذه التفاسير الثلاثة على مستوى واحد من الانحراف فانحراف الدمنهوري كان بعيدا وكان الرجل خبيثا مغرضا وقد صودر تفسيره من قبل الحكمة في مصر لانحرافه وضلاله

أما الشيخ طنطاوي جوهرى فقد كان عالما فاضلا صادق النية ولكن الانحراف في تفسيره (الجواهر) كان في خروجه عن النص القرآني الذي يفسره إلى المباحث العلمية المعاصرة واستطراداته العلمية العديدة وغلوه ومبالغته في ذلك بحيث يصح أن يقال عنه فيه كل شيء إلا التفسير.

وعبد الكريم الخطيب يباليغ في تفسيره في اعتماد دور العقل وجعله حاكما على النص القرآني وهو متأثر بالأفكار المعاصرة حول المرأة والغيبيات والجهاد واليهود والنصارى والتشريع والنسخ.

ومن الكتب والدراسات المعاصرة المنحرفة

١. الفن القصصي في القرآن للدكتور محمد أحمد خلف الله^(١)

(١) من مواليد جمهورية مصر العربية . تخرج في كلية الأدب من جامعة القاهرة وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراة . وقدم رسالة الدكتوراة حاملة الموضوع " الفن القصصي في القرآن الكريم " عام ١٩٤٧/١٩٤٨ بإشراف أمين الخولي. شغل وظائف التدريس بكلية الآداب ومعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية. عمل وكيلا لوزارة الثقافة المصرية ثم أحيل إلى التقاعد. كان متخصصا في الدراسات القرآنية ومن مؤلفاته: (القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة) (القرآن والدولة) (القرآن والثورة الثقافية) وغيرها (أنظر : مفاهيم قرآنية ، لمحمد أحمد خلف الله ، عالم المعرفة-....، سنة (١٩٨٤م) - المؤلف في سطور- ص ١٧١)

٢. القرآن محاولة لفهم عصري للدكتور مصطفى محمود.

٣. مفهوم النص للدكتور نصر حامد أبو زيد

٤. الكتاب والقرآن دراسات معاصرة للدكتور محمد شحرور. (١)

ومن أخطر المستشرقين :

١. جولد تسهير (٢) (Gold Ziher) ويقول: « لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني » وله كتاب في الحديث عن القرآن " تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي "

٢. نولدكه الألماني (٣) (Theodor Noldeke) ونفى في كتابه " تاريخ القرآن " أن تكون فواتح السور من القرآن مدعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصفح المغيرة والهاء لصفح أبي هريرة والصاد لصفح سعد بن أبي وقاص والنون عثمان فهي - كما يزعم - إشارات لملكية الصحف وقد تركت في مواضعها سهواً ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآناً.

وقال طه حسين (٤) - مقلداً للمستشرقين - « هناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم إليه وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدئ بها بعض السور مثل -

(١) تعريف الدارسين، المصدر السابق، (ص ٥١٦-٥١٧)

(٢) إجناس كولد صهر Ignaz Goldziher مستشرق مجري موسوي بلفظ اسمه بالألمانية إجناتس جولد تسهير (١٢٦٦ - ١٣٤٠ هـ = ١٨٥٠ - ١٩٢١ م) . تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك. ورحل إلى سورية سنة ١٨٧٣ م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة. وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. وعين أستاذاً في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها. له تصانيف باللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقهاء الإسلامي والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية. ونشرت مدرسة اللغات الشرقية بباريس كتاب بالفرنسية في مؤلفاته وأثاره. ومما نشره بالعربية (ديوان الحطينة) وجزء كبير من كتاب (فضائح الباطنية) المعروف بالمستظهري، للغزالي. وترجم إلى الألمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الاثر) لطاهر الجزائري، وكتاب (المعمرين) للسجستاني، وغيرهما. (الأعلام للزركلي ج ١ ص ٨٤)

(٣) تيودور نولدكه: (١٢٥١ - ١٣٤٩ هـ = ١٨٣٦ - ١٩٣٠ م) شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع ولد في هاربورج (بألمانيا) متقن للغات السامية الثلاث (العربية، السريانية، العبرية) ، وعنده لغات أخرى كثيرة . وتعلم في جامعات غوتنجن وفينا ولبدين وبرلين. وانصرف إلى اللغات السامية والتاريخ الإسلامي فعين أستاذاً لهما في جامعة غوتنجن (سنة ١٨٦١) فجامعة كيل (١٨٦٤) ثم في جامعة ستراسبورج (١٨٧٢) ومات في كارلسروه حصل على الدكتوراة الأولى عام ١٨٥٦ برسالة عن تاريخ القرآن ، وكان يبحث عن المخطوطات الشرقية ويعكف عليها لدراستها ، فسافر إلى فينا ثم ليدن ثم جوتا في ألمانيا ثم برلين ثم روما ، لكنه لم يرحل إلى البلاد العربية أو الإسلامية مع أن تخصصه فيها ، عين في جامعة كيل أستاذاً للغات السامية ، ثم تنقل بين مناصب عدة . (موسوعة المستشرقين ، للدكتور عبد الرحمن البدوي، دار الملايين-بيروت، ط ٣)، سنة (١٩٩٣) (ص : ٥٩٥) (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٩٦)

(٤) طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: (١٣٠٧ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م) من كبار المحاضرين جدد مناهج وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجذري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال

الم - آلر - طس - كهيعص - حم - عسق ... إلخ فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف أو هي رموز وضعت للتمييز بين المصاحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب فمثلا - كهيعص - رمزاً لمصحف ابن مسعود، - حم عسق - رمزاً لمصحف ابن عباس - طس - رمزاً لمصحف ابن عمر وهلم جرا ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا «^(١)

٣. أثر جفري Arthur Jeffry : مستشرق استرالي عُين أستاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم أستاذاً في جامعة كولومبيا ثم أستاذاً للغات السامية في مدرسة اللغات الشرقية في القاهرة له عدة مؤلفات منها تحقيق كتاب المصاحف لأبي داود والمفردات الأجنبية في القرآن وغيرها^(٢)

وكثيرمن المستشرقين الذين يقومون بدراسة القرآن الكريم تحريفاً في طرف وموضوعياً في طرف آخر ولكن الأغلب منهم - وهؤلاء الثلاثة أخطرهم - يقفون ضد القرآن الكريم.

المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الإلحادي

• نموذج من هذا التفسير

دعا كاتب معاصر بإعادة النظر في النصوص القرآنية التي وردت في الحدود وذلك في قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨ - ٣٩] وقوله تعالى في حد الزنا ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] « فهل لنا أن نجتهد في الأمر

شهادة (الدكتوراه) منها (١٩١٤) بكتاب (ذكرى أبي العلاء) وسافر في بعثة إلى باريس فخرج بالسوربون (١٩١٨) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم كان عميداً لتلك الكلية فوزيراً للمعارف. وفي هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المرسلين بدمشق ثم رئيساً لمجمع اللغة بمصر. ومن كتبه: (في الأدب الجاهلي) و (قادة الفكر) و (فلسفة ابن خلدون) وهو رسالة الدكتوراه بالفرنسية، إلى السوربون ترجمها محمد عبد الله عنان إلى العربية وتوفي بالقاهرة (الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٣١)
(١) الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمحسن بن زين بن متعب المطيري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم- القاهرة، (ج ١ ص ٤٩)
(٢) نفس المصدر

الوارد في حد السرقة وهو قوله تعالى ﴿فَاقْطِعُوا﴾ وفي حد الزنا وهو قوله تعالى ﴿فَاجْلِدُوا﴾ فنجعل كلا منهما للإباحة لا للوجوب؟ ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] فلا يكون قطع يد السرقة حدا مفروضا لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رداة ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر وتقبل التأثر بظروف كل زمان ومكان.

وهل لنا أن نذل بهذا عقبة من العقوبات التي تقوم في سبيل الأخذ بالتشريع الإسلامي مع أننا في هذه الحالة لا نكون قد أبطلنا نصا ولا ألغينا حدا وإنما وسعنا الأمر توسيعا يليق بما امتازت به الشريعة الإسلامية من المرونة والصلاحية لكل زمان ومكان وبما عرف منها بإيثار التيسير على التعسير والتخفيف على التشديد»^(١).

ونناقش هذه الكتابة الخطيرة التي زعزت كيان الشريعة المحكمة المعلومة من الدين بالضرورة. ونقول إن هذا الاجتهاد المزعوم أو التجديد الموهوم مردود على صاحبها جملة وتفصيلا - من جهة - وعقلا ونقلا - من أخرى - لما يلي:

أولا : لأنه أجتهد فيما لا مجال للاجتهد على درجة أن ذلك أمر قطعي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ومعلوم من الدين بالضرورة وقد تنص القاعدة أنه " لا مساغ للاجتهد في مورد النص".^(٢) لأن الحكم الشرعي حاصل بالنص فلا حاجة لبذل الوسع في تحصيله ولأن الاجتهاد ظني والحكم الحاصل به حاصل بظني بخلاف الحاصل بالنص فإنه يقيني ولا يترك اليقيني للظني.

(١) مقال هذا الكاتب تحت عنوان " التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي " في السياسة الأسبوعية ص ٦ في العدد السادس

من السنة السادسة (سنة ١٩٣٧)

(٢) الاجتهاد بتحقيق المناط وسلطانه، عبد الرحمن الزايدي، دار الحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) (ص ٣٤) واصطلح المؤلف في مثل هذه القاعدة المشهورة بـ " ما لا يجري فيه الاجتهاد " وبين مفصلا لهذه القاعدة شرح القواعد الفقهية ، للزرقا - (ج ١ ص ٨٢) المراد بالنص الذي لا مساغ للاجتهد معه هو المفسر المحكم وإلا فغيرهما من الظاهر والنص لا يخلو عن احتمال التأويل وبيان ذلك أن أقسام الدليل اللفظي بحسب الإفضاء إلى الأحكام أربعة: (١) ظاهر وهو ما ظهر المراد منه بصيغته مع احتمال التأويل (٢) ونص وهو ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى سيق له الكلام لأجله لا من نفس الصيغة مع احتمال التأويل أيضاً (٣) ومفسر وهو ما ازداد وضوحاً على النص على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل (٤) ومحكم وهو ما أحكم المراد منه من غير احتمال تأويل ولا نسخ. فحيث كان الأولان لا يخلوان عن احتمال التأويل يكون مساغ للاجتهد موجود معهما. المراد بالنص هنا الكتاب والسنة المشهورة والإجماع (انظر نفس المصدر)

وفي هذا السياق تقف هذه النظرة مناهضة للكليات الخمس^(١) التي هي أصل الثوابت الشرعية التي دعا الإسلام للحفاظ عليها نتيجة أنها من الضروريات في مقاصد الشريعة خاصة أن جميع التكاليف الشرعية ترجع إليها ولذلك لم يدخلها النسخ أو التغيير لأنها من الثوابت والأحكام التي لا تتبدل نظرا لاشتغالها دائما على مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة وقد قالوا الأحكام نوعان:

١. نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدره بالشرع على الجرائم ونحو ذلك هذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

٢. ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة^(٢)

ثانيا: وكيف يكون الأمر هنا للإباحة وهو يقول ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال ابن كثير في تفسيرها ﴿ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: تنكيلا^(٣) من الله بهما على ارتكاب ذلك ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي في انتقامه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي في أمره ونهيه وشرعه وقدره.^(٤) ولا عقوبة ولا انتقام في الإباحة. وكيف يكون الأمر في جلد الزانية والزاني وهو يقول عقبه ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فشتان بين ذا وذاك والقياس مع الفارق باطل.

ثالثا: رفض رسول الله شفاعته حد من حدود الله كما ورد في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها أن قریشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ((أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب قال يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه

(١) كليات الخمس: (١) حفظ الدين (٢) حفظ النفس (٣) حفظ العقل (٤) حفظ النسل (٥) حظ المال
(٢) الثابت والمتغير في فكر الإمام الشاطبي، لمجدي محمد محمد عاشور، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - الإمارات العربية المتحدة، (ط ١)، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) (ص ٢٥٠)
(٣) نكأت بفلان إذا عاقبته في جرم أجرمه عقوبةً تنكّل غيره (تجعله جبنًا) عن ارتكاب مثله (لسان العرب ج ١١ ص ٦٧٧)
(٤) تفسير ابن كثير، المصدر السابق (ج ٣ ص ١١٠)

وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).(١)

ثالثاً: وهذا التأويل لو صح لجاز أن يقول قائل نفس القول في آية أخرى ويؤولها نفس التأويل مثل قوله تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فالأمر - وفقاً لهذا التأويل - في هذه الآية للإباحة لا للوجوب فمن شاء فليصل ومن شاء فاليترك وهكذا.. في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ومن هنا أصبحت هذه النظرة السقيمة تهدم القرآن وكيان الشريعة الإسلامية من جذورها ولا يذهب عليها إلا من فقد عقله.

(١) صحيح البخاري في كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (ج ٦ ص ٢٤٩١)

المبحث الثاني الشبهات المثارة عبرالنصوص القرآنية

المطلب الأول : تسرب الدخيل في التفسير المعاصر

وقبل الحديث عن مدى تسرب الدخيل وتسله في التفسير المعاصر يجدر الحديث عن معنى الدخيل أولاً لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. وقد تناول الباحث استعمال مصطلح " الدخيل " فى مواضع متعددة دون التعرض لمعناه الاصطلاحي ولكن يمكن أن يفهم معناه من نسيج السياق. وفي هذاالمبحث سيتكلم الباحث بقدرما يؤكد تفهيمه ببسرو بساطة.

الدخيل ضد الأصيل فيقال رجل أصيل أي له أصل أو ثابت الرأي عاقل فيعرف أن الأصيل لغة هو الذي له أصل ثابت. ومن حيث الاصطلاح فى الدراسات القرآنية أن الأصيل هو التفسيرالذي له أصل فى الدين ويستمد روحه ومقوماته من كتاب الله تعالى أو من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو من أقوال الصحابة والتابعين وما إلى ذلك. (١)

ويعرف الدخيل - من المعنى المضاد من الأصيل - بأن يقال فلان دخيل فى بني فلان إذا كان من غيرهم فيدخل فيهم فالدخيل هو الأمرالطارئ الذي تسلل إلى غيره من

(١) الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية، المصدرالسابق ، (ص ١٥)

خارجه ولا يتوافق مع ما طرأ عليه. والدخيل في الاصطلاح هو التفسيرالذي لا أصل له في الدين على معنى أنه تسلل إلى رحاب تفسير القرآن الكريم علي حين غرة وغفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.^(١) وقد عرض الباحث سابقا عند الحديث عن " الخطوات المتدرجة في التعامل مع التفسير في العصرالحديث " تقسيم الدخيل في التفسيرإلي قسمين:

(١) الدخيل من حيث المنقول

(٢) الدخيل من حيث المعقول

وأما القسم الأول فقد سبق ذكره فالبحث بشكل مفصل في هذاالسياق يتركز في الدخيل من حيث المعقول ويتمثل في ستة أمور:

١. رأي منشؤه تحريف المعقول وتعطيل الظواهر وهذا لمعتزلة وفلاسفة المسلمين
٢. رأي منشؤه الجمود عند الظاهر مع طرح المعقول وهذا للمشبهة والمجسمة
٣. رأي منشؤه التفلسف المتتبع في استبطان المعاني وهو لأهل التصوف الفلسفي
٤. رأي منشؤه التعسف في استعراض المقدرة اللغوية والإعرابية المنحرفة في توجيه الآراء وكذلك تخريجات نحوية مضطربة شاذة أو ضعيفة أدت إلى خلل في معاني التنزيل وهو لبعض النحاة واللغويين
٥. رأي منشؤه إبراز المتكلف والغريب من أوجه الإعجاز، ولا سيما العلمي منه وهو لبعض العاملين بالعلوم المعاصرة.
٦. رأي منشؤه الإلحاد في آيات الله والكيد للإسلام وهو للباطنية وأمثالهم من الفرق الكافرة كالبهائية والبابية والقادنية.^(٢)

وفي هذاالصدد، الحديث عن الدخيل يتمحور فيما كان من جهة التفسير بالمعقول أو بالرأي كمنهج تفسيري بارز في الآونة الأخيرة - وخاصة على مستوى الجامعات وعلى أوساط المثقفين - للنظر على أي مدى تسلل الدخيل على التفسير المعاصرة. ومن المقرر أن شأن الدخيل في التفسير بالرأي صدرعن رأي فاسد أو منحرف يوجه التفسير وجهة منحرفة نشأت من المدارس العقلية. ومن نظر إلى المدارس العقلية في

(١) نفس المصدر.

(٢) أنظر الدخيل في التفسير، للدكتور إبراهيم خليفة، المصدرالسابق (ص ٢)

تاريخ الفكر الإسلامي يجد أصحابها ذهبوا بعيدا في تأويلاتهم الجائرة للنصوص أو - على الأقل - المتكلفة لها. ومن أبرز المدارس العقلية مدرسة الفلاسفة وخصوصا المشائين منهم أتباع أرسطو. لقد كان أكبر همهم التوفيق بين الفلسفة التي أعجبوا بها والدين الذي ورثوه ودانوا به ولكنهم جعلوا الفلسفة هي الأصل والدين هو الفرع واعتبروا قول أرسطو هو الذي يحتكم إليه ويعول عليه وأسرفوا في التأويل فأدخلوه في كل مجالات العقيدة : الإلهيات والنبوات والسمعيات وكذا في الحدود والأحكام.

ومن جهة أخرى أن هذه الجهود الجائرة للنصوص عبر التأويلات المنحرفة يقوم بها طائفة من المسلمين المتأثرين بالأفكار الليبرالية الصادرة من الفلاسفة الغربيين. ومن المعروف أن الليبرالية التي يدعوا إليها العلمانيون تستهدف الإطاحة بالعقائد والمفاهيم والثوابت والقيم الإسلامية أو تزويرها تماما. لقد أفلحت الثقافات الليبرالية في تحرير الفرد من كثير من القيم التقليدية المتوارثة والأفكار التي تفرضها تلك القيم بخاصة الأحكام المتعلقة بمفهومى الصواب والخطأ فيتحرر الفرد من القواعد الأخلاقية والتعاليم الدينية ويرفض أن تكون تصرفاته وحياته الخاصة وتعامله مع الآخرين محلا للتقويم والحكم عليه اجتماعيا وأخلاقيا كما يحدث في المجتمعات أو الثقافات المحافظة أو غير الليبرالية.

أما جمال البنا فيحدد أهم ما تستهدفه هذه الليبرالية في ضرب الثوابت حيث يقول « إن أهم ما يفترض أن تتجه إليه الحرية هو هذه الثوابت بالذات التي وإن كانت تقوم بالحفاظ والاستقرار للمجتمع وتمسكه من الانزلاق أو التحلل إلا أن عدم مناقشتها يجعلها تتجمد بل وتتوتن وتأخذ قداسة الوثن المعبود هذا كله يفرض أن الثوابت هي دائما صالحة ولازمة ولكنها لا تكون كذلك دائما »^(١)

ومن الأفكار الليبرالية التي روجها العلمانيون " النسبية المطلقة وتعدد الحق في العقلية " ومعنى هذا أن لا يوجد أحكام عقلية لا يصح مخالفتها بل الحق يتعدد في العقلية. فالعلمانية ترفض المطلق وبذلك رفضت المطلق الصوري لأنه قائم على العقل المطلق ومبدأ عدم التناقض الذي أصبح معيارا للحقيقة المطلقة فالعلمانية هي

(١) الإسلام الليبرالي، محمد إبراهيم مبروك، الدار القومية- القاهرة، (بدون تاريخ) (ص ٥٠)

النسبية المطلقة المناهضة امتلاك الحقيقة المطلقة دفاعا عن " النسبية " و " التاريخية " و " التعددية " و " حق الاختلاف " .

ولكن المجتهد في العقليات لا بد في النهاية بعد البحث إلى نتيجة واحدة أي أن الحق لا يقبل التعدد في العقليات فلا يمكن الأطراف المتناقضة والمتضادة بأن واحد حقا لا بد أن يكون أحدهما حقا وغيره باطلا ولا ينجو أحد إلا باعتماد الحق لقوله تعالى ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] وهذه الآية صريحة في أنه ليس بين الحق والباطل واسطة. والباطل هو الذهاب عن الحق مأخوذ من ضل الطريق وهو العدول عن سمتة، والحق هو الصراط المستقيم الذي يتضمن في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وصف الله تعالى صراطه وهودينه بالاستقامة وأمر باتباعه والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه فمن اتبعه أوصله ومن ضل عنه هلك فالآيتان السابقتان تدلان دلالة واضحة على أن الحق لا يتعدد في علم الله وفي الواقع فمن أصابه أصاب ومن ضل عنه ضل. فمن هنا أن " النسبية " أو " التعددية " في الحق ليست من تعاليم القرآن في شيء وإنما هي دخيلة من نظريات العلمانية أو الليبرالية التي يتحملها أفكار الفلسفة الغربية ثم تسلت في رحاب دراسة القرآن الكريم .

وها نحن نذكر مثالا لأحد هؤلاء اللاهثين وراء تطبيق النسبية المطلقة في تفسير القرآن الكريم - مع أن الإيمان بالقرآن لا يصح إلا مع الإيمان بالمطلق - وذلك قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] .

بعد أن ذكر الكاتب هذه الآيات قال « نلاحظ أن هذا القرآن يضع معيارا للدين يتمثل في " الإيمان " بالله وباليوم الآخر من جهة وفي " العمل الصالح " من جهة أخرى.

وهذا المعيار العام يكون الخلاص بالمعنى العام الدنيوي والأخروي على السواء انعدام الخوف وغياب الحزن وهذا المعيار يستوعب كل الأديان من يهودية ومسيحية بالإضافة إلى الصابئة. هذا الدين العام الشامل هو " الإسلام " بالمعنى اللغوي أي التوجه الكامل لله مع الإحسان بالفعل والسلوك يقول الله ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] تتسع دائرة الخلاص الديني وفقا لهذا المفهوم العام الشامل للإسلام لتشمل أصحاب الأديان جميعا بلا تمييز وليس من المستغرب أن يصف القرآن جميع الأنبياء - بلا استثناء - بأنهم " مسلمون "... ولكي يزيل الإسلام أي احتمال للتعصب يؤكد أن الفصل بين أصحاب العقائد بما فيهم المجوس عبدة النار والمشركون عبدة الأوثان يجب أن يترك لله سبحانه حيث يكون الحكم له وحده يوم القيامة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧] وفي مقابل وحدة الدين تختلف الشرائع فكل جماعة دينية شرعة ومنهاج وكلها أمة واحدة فيعمل اليهود بشريعتهم ويعمل النصارى بشريعتهم ويعمل المسلمون بشريعتهم على هدى هذه المبادئ القرآنية «(١)

ومن هذه المقالة التي بلغت القمة في الخطورة يدرك الباحث محاورها تتسم بما يلي:

(١) أن مطلق الإيمان بالله واليوم الآخر على أي طريقة أو ملة كاف لنجاة العبد في الدنيا والآخرة وهذا المعيار يستوعب كل الأديان.

(٢) يفهم وحدة الدين بأنها وحدة الأديان بمعنى أن كل الأديان حق مقبول عند الله.

(٣) إن الله جعل لكل من أهل الملل شرعة ومنهاجا فعليهم أن يعملوا بها معا في كل زمان ومكان.

سيقف الباحث أمام هذه الأباطيل التي بدت بياض النهار بالمناقشة والنقد :
 قبل أن يخوض الباحث أعماق النقاش يجدر أن يؤصل هذه المقولة أكان لها أصل من الكتاب والسنة أم كانت دخيلة من الأفكار الغربية وتسلت في الدراسة القرآنية؟. لقد تتبع الباحث الكتب التي تتناول فكرة النسبية والتعددية فوجدها منقولة من غير المسلمين

(١) هكذا تكلم ابن عربي، للدكتور نصر حامد أبو زيد، (ص ٢٠٨-٢٠٩) (باختصار)

أومسلمين الليبراليين مثل أرنس ترولت (Ernst Troeltsch) (١) قسيس مسيحي ليبرالي حيث قال « كل الأديان وعلى رأسها المسيحية يتضمن طريق الأمن والسلامة ولا يوجد لدين من الأديان حق مطلق بمفرده. نظرية الألوهية فوق أديم الأرض تتسم بالتعددية » وكذا جون هيك (John Hick) يروج هذه النظرية (٢). وأما من روجها من المسلمين الليبراليين مثل أولي الأبصار عبدالله - عالم ليبرالي أندونيسي - حينما يقول « كل الأديان على حد سواء وكلها يهدي إلى طريق الحق والدين الحق لا يقتصر على الإسلام فحسب » (٣) ومن هنا يعرف أن هذه المقولة ليست أصيلة إنما هي دخيلة مستندتها لا ينبع من مصادر الإسلام بشيء. ودفاعهم عن نظرية النسبية أو التعددية مستدلين بالآيات القرآنية- ولوبتحريرها عن موضعها- من أجل تحويل الرأي العام بأنها نابعة من المصادر المقبولة لدى المسلمين برغم أن القرآن بريء من هذه النظرية المدسوسة من خلال تفسيره.

وفي الحقيقة أن الأدلة القرآنية التي اعتمدها تكون حجة عليهم لا لهم. أما الآية الأولى تقرر أن الدين الحق عند الله واحد وهو الذي جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنه لا يتبدل ولا يتغير وهذا هو الذي يقبله المنطق لما تقرر أن الحق لا يتعدد في العقليات وأن المصيب واحد قطعاً فكيف يعقل أن يوحى الله إلى نوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الله واحد لا شريك له وهو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، وفي الوقت نفسه يوحى فيه إلى عيسى أن الإله ثلاثة ويوحى إلى المجوس أن الإله هو الظلمة والنور. وقد بطل - نقلياً وعقلياً وعلمياً - دعوى التثليث وألوهية الظلمة والنور.

ودعوى تعدد الحق في العقليات مستدلاً بالآيات القرآنية مخالفة تماماً بعدا هاما من مقاصد القرآن (٤) وهو تصحيح العقائد والتصورات أشار بهذا يوسف القرضاوي قائلاً»

(١) هو عالم اللاهوت (البروستاني) والفيلسوف ومؤرخ الأفكار الألماني المجدد الكبير. درس في جامعة جوتينجن وارتبط بمدرسة تاريخ الأديان وأصبح المنظم الأول لأفكارها. تركزت كتاباته الأولى حول الارتباط وتبادل التأثير بين كل من الدين والتاريخ والفلسفة. وانتقل من جوتينجن إلى جامعة بون ثم إلى جامعة هايدلبرج. وفي عام ١٩١٤م انتقل إلى جامعة برلين وتركزت اهتماماته على قضايا الثقافة الحديثة ومن كتبه : (الاطلاقية المسيحية وتاريخ الأديان) و (التعاليم الاجتماعية للكنائس المسيحية) (أنظر مفكرون من عصرنا، سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة (٢٠٠٨) ص (٢٧٦))
(٢) بحث علمي " التعددية ووحدة الأديان " ، للدكتور آديان حسيني ، (ص ٨-١٠)
(٣) نفس المصدر، (ص ٣٤)

(٤) ومقاصد القرآن - عند القرضاوي- سبعة: (١) تصحيح العقائد والتصورات (٢) تكريم الإنسان ورعاية حقوقه (٣) الأمر بعبادة الله وتقواه (٤) تزكية النفس البشرية (٥) تكوين أسرة وإنصاف المرأة (٦) بناء الأمة الشاهدة على البشرية (٧) الدعوة إلى عالم إنساني متعاون (كيف نتعامل مع القرآن ص ٧١). وأما الإمام الغزالي فقد حدد مقاصد القرآن إلى ستة، ثلاثة من

وقد أصلح القرآن هنا ما أفسدته الديانات الوثنية والكتابية المحرفة من عقيدة التوحيد حتى اليهودية جعلت الرب أشبه بالمخلوقين فهو يتعب ويندم ويخاف ويحسد ويصارع إسرائيل فيصرعه إسرائيل فلا يتمكن من الإفلات منه إلا بوعد منه بمباركة نسله فأطلق سراحه. والنصرانية تأثرت بوثنية روما وطغت عليها الوثنية حتى امتلأت الكنائس بالصور والتماثيل وأخذت عقيدة التثليث والصلب والفداء من عقيدة الهنود في (كرشنة) كل ما فعلوه أنهم حذفوا اسم كرشنة ووضعوا اسم يسوع «(١)

وأما الآية التي يستدل بها- ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ - تشير إلى الدين الواحد لا وحدة الأديان إذ الألف واللام للعهد الذكري الذي دل عليه سياق الكلام قال الإمام النسفي في تفسيرها « أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلماً ، إلى أن قال ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ولا تختلفوا في الدين قال علي رضي الله عنه ((لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب))(٢)

أما الثانية والثالثة فتفتح باب الإيمان الصحيح الكامل الذي أمر به القرآن نفسه وهو كل لا يتجزأ ومن أساسياته وأركانه. الإيمان بسائر الأنبياء والمرسلين كما دلت عليه قواطع الشريعة وأكد عليه القرآن العظيم في نحو قوله ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] وكذلك السنة النبوية الصحيحة في نحو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله

السوابق و الأصول المهمة وثلاثة أخرى من التوابع والتممة. فالثلاثة المهمة (١) تعريف المدعو إليه (معرفة الله) (٢) تعريف الصراط المستقيم (٣) تعريف الحال عند الوصول إليه (من النعيم والجحيم لكلا الفريقين ومقدمات أحوالهما من النشر والحساب والميزان وما إلى ذلك) والثلاثة المتممة: (١) تعريف أحوال السالكين والجاهدين (٢) محاجة الكفار ومجادلتهم وكشف أباطيلهم (٣) تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهية والاستعداد بإعداد لسلح الذي يدفع سراق المنازل وقطاعها- وبعبارة صريحة- ذكر الحدود والأحكام. (جواهر القرآن للإمام الغزالي ص ٤٤)

(١) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٧٥)
(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، لعبدالله بن أحمد أبو البركات النسفي (ج ٤ ص ٨٣) وفي تفسير " البحر المديد " لابن عجيبة القول " لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب " لا يسنده إلى علي رضي الله عنه حيث يقول صاحبه « (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا في الدين فالجماعة رحمة والفرقة عذاب. والمراد : الاختلاف في الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار ، كما ينطق به قوله تعالى : ﴿لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمُنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨]» (البحر المديد ، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، ج ٦ ص ٥٤٤)

- صلى الله عليه وسلم - أنه قال ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)) (١) ومن هنا فلا يقبل جميع ذي لب منصف - منطقيا - أن يقال يستوي من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لا يؤمن به مثل اليهود والنصارى وخاصة أن اليهود قالت عزيزبن الله وقالت النصارى بن الله وقد قالوا نحن أبناء الله. فقل لا يستوي هذا وذلك.

والزعم بأن كل الأديان حق مقبول عند الله مردود بما سبق ولما دل عليه النص القرآني ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩] وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ودعوى الكاتب أن هذا الدين العام الشامل هو الإسلام بالمعنى اللغوي أي التوجه الكامل مع الإحسان في الفعل والسلوك تحكم بلا برهان بل الإيمان المذكور هو الإيمان المعهود شرعا لما نصت القاعدة الشرعية المعروفة " الحقيقة الشرعية تقدم على الحقيقة اللغوية " .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا... ﴾ يدل أيضا أن هناك من كفر في الوقت الذي لا يريد ذلك الكاتب انطلاقا من نسبيته أن يكون هناك كفر أصلا- وهذا أيضا أمر مقطوع به لكثرة النصوص التي تدل على ذلك على الحد الذي يجعل الخلاف فيها سفسطة. ومن تلك النصوص: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] وهناك أية كاملة نزلت تحكم بكفر أهل الكتاب إن لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويسلموا له وهي ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ (٢) حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ.

(١) أخرجه الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ جميع الملل بملته، (ج ١ ص ١٣٤)
(٢) { مُنْفَكِينَ } : منتهين عن كفرهم وشركهم (تفسير البغوي - ج ٨ ص ٤٩٣)

رَسُولٍ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً . فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ النَّبِيُّ ﴿ [البينة: ١-٤] .

والقول- بأن الله جعل لكل من أهل الملل شرعة ومنهاجا فعليهم أن يعملوا بها على
هدى هذه المبادئ القرآنية - لا ترتضيه النصوص الإسلامية ويرفضه المنطق السليم
لما يلي:

(١) أهل الكتاب مطالبون بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

ولأجل هذا وجه الله خطابا لكل الأمم المؤمنة برسالة نبي من الأنبياء السابقين يحتم
عليها ضرورة الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وطاعته واتباع شريعته قال الله
تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿ [
المائدة : ١٥ ، ١٦] وقال أيضا ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُولَئِكَ هُمُ الْمَعْرُوفُونَ وَيُنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿ [الأعراف: ١٥٧ ، ١٥٨] وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا
أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿ [النساء: ٤٧]

وهكذا أيضا وصفت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخطاب التحريضي
والتهديدي الذي وجه تلك الأمم التي أنزلت إليها الكتب سابقا يقول الرسول صلى الله
عليه وسلم ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا
نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)) (١) فالحديث
يوجب على كل من يسمع به أن يؤمن به ويتبعه ويترك ما كان من شريعة سابقة لأن

(١) سبق تخريجه

العمل بها انتهى بعد مجيء محمد صلى الله عليه وسلم وورد في السنة ((أنه في يوم من الأيام دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواظ من التوراة فقال هذه كنت أصبتها مع رجل من أهل الكتاب فقال فاعرضها عليّ فعرضها فتغير وجهه تغيراً شديداً ثم فقال والذي نفس محمد بيده لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم)) (١)

كما أشارت السنة النبوية إلى المثوبة العظيمة لكل من يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتبعه من أهل الكتاب وروى الشيخان بسندهما ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن تأديبها ثم أعنتها وتزوجها فله أجران)) (٢)

٢) وحديث نزول عيسى في آخر الزمان بين يدي الساعة تضمن بأن عيسى عليه السلام سينزل حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الأمر الذي يدل على أن أهل الكتاب لا يسعهم إلا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع رسالته وروى الشيخان بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرأ وإن شئتم ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً ﴾)) (٣)

ومما تقدم يدرك أن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شرط من شروط الإيمان في الديانتين المسيحية واليهودية وأن أي إنسان من أتباع هاتين الديانتين لا يؤمن بمحمد ولا يطيعه رسولا ولا يتحقق إيمانه بأي نبي من الأنبياء السابقين إذ من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً. ذلك أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هي دعوة جميع المرسلين قبله لأنهم جميعاً دعوا وحدانيته تعالى

(١) شعب الإيمان للبيهقي، المصدر السابق (ج ٧ ص ١٧٠) و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لحسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: بكرى حياتي، مؤسسة الرسالة، (ط ٥) ، سنة (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) (ج ١ ص ١٨٣)
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم (ج ١ ص ١٩٠) ومسلم (ج ١ ص ١٣٤-١٣٥)
(٣) رواه البخاري في البيوع (ج ٤ ص ٤١٤) ومسلم في الإيمان (ج ١ ص ١٣٥)

فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة الأنبياء السابقين أيضا هذه من ناحية ومن ناحية أخرى أن الأنبياء السابقين أنفسهم بشرى بنبو محمد صلى الله عليه وسلم فالتكذيب بدعوته يعني التكذيب بدعوة الأنبياء السابقين فيما أخبروه وبشروا به.

٣) شريعة موسى أو عيسى شرعت لفترة محددة ولأمة معينة ولمصلحة أزمنة أو أمكنة محددة لا تتسم بصفة الخلود والأبدية، وبهذه الصفة تنتهي الشريعة بوفاء صاحب الرسالة أو بانتهاء رسالة صاحبها وبانقراض الأمم التي وُجه عليها الخطاب. فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لما قبلها من الشرائع لأن مصالحها قديمة الزمان لا تتجاوز مع مصالح الأمم المتأخرة فهذا الأمر الذي يجعل الشرائع القديمة منسوخة بالشريعة الخاتمة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. هذا من جانب، ومن جانب آخر ندرك أن مما لا يقبله المنطق تطبيق ثلاث شرائع - مع اختلاف طبائع كل منها - في آن واحد وفي أمة واحدة. فلا يمكن ولن يتمكن بذلك أبدا تكوين وحدة الأمة رغم أنها هدف كل شريعة.

المطلب الثاني : رد الشبهات منهج قرآني

فالصراع بين الحق والباطل قديم فورنزوله يمتد ظهوره مع ظهور الإنسان على وجه الأرض ما دام الإنسان يلبي هداه وتقواه من جانب ويبادر بالفعل على مقتضى رأيه وهواه من جانب آخر. ومما لا يغيب عن ذهن كل ذي لب منصف أن الإسلام على مدى تاريخه هو الدين الوحيد من بين الأديان السماوية الذي يحظى بالنصيب الأوفر من الطعون وحملات التشكيك والتضليل وإثارة الشبهات التي يثيرها خصوم هذا الدين تشكيكا في مصادره - وبصفة خاصة القرآن كمصدر أول أساسي - وتعاليمه ومبادئه.

فقد عرف أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وأهله وسر تجده في نفوس المسلمين هو هذا القرآن العظيم الذي لا يخلق من كثرة التردد ولا تنقضي عجائبه ولا يمله القارئ والسامع ولا يزداد به المؤمن إلا يقينا بدينه وتعلقا به هذه المعجزة الخالدة والآية الباقية ما بقي الليل والنهار هذا الكتاب الذي وعد الله تعالى بحفظه بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ولما كانت هذه منزلة القرآن بذل أعداء الدين جهدا بالطعن وإيراد الشبهات في هذا القرآن حتى يسلبوا المسلمين من

التعلق به فيصبحوا صيدا سهلا وغنيمة باردة. وحرب أعداء الدين هذه ليست فقط على القرآن بل على كل أساساته وقواعده فهناك الحرب على الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته وفي عدالة الصحابة والحرب على المرأة المسلمة وحجابها وعفافها والحرب على بعض الشعائر كالجهاد وغيرها ولكن الحرب على القرآن هي أخطرها وأشرسها لأن القرآن هو الذي يدل على الأصول السابقة ويحث عليها فهو أصلها وهي فروعها وبذهاب الأصل تذهب الفروع.

ومواجهة ذلك تكون ببذل جهود علمية من أجل توضيح القرآن بمضامينه الصحيحة وتقاسيره المستقيمة ونشر ذلك على أوسع نطاق. وفوق هذا فالقرآن يفتح باب الجدل والحوار ويطلب من يكفر ويلحد بالبرهان والدليل ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وتأمل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] أي هاتوا برهانكم ودليلكم وحثكم على زعمكم وإن الجنة لكم وحدكم ثم يناقش ويرد فبين أن إسلام الوجه والذات والانقياد لله هو طريق الجنة فيقول ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] فالقرآن يحوي كثيرا من الجدل والحوار في قضايا كثيرة بأسلوب واضح يفهمه العامة والخاصة.

وقد بدا أن الله أمر وأوجب جدال الكفار وأهل الكتاب ومحاورتهم بقوله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] وقوله ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩] وفي الوقت نفسه حث الحديث الصحيح مثل ذلك وسماه " جهادا " فقال عليه الصلاة والسلام ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)) (١). قال ابن حزم - رحمه الله - وهذا الحديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله وهذا الواجب قد فرط فيه كثير من الدعاة والمصلحين ففي الوقت الذي نجد فيه دعاة التقريب بين الأديان ينشطون لذلك ويعقدون الندوات والمؤتمرات تارة باسم التعاون وأخرى باسم التسامح والتعايش.

(١) سنن أبي داود، المصدر السابق (ج ٢ ص ٣١٨) و سنن الدارمي، دار الكتاب العربي - بيروت، (ط ١)، سنة (١٤٠٧ م) (ج ٢ ص ٢٨٠) - قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح - ومسنده أحمد، المصدر السابق (ج ١٩ ص ٢٧٢)

وقد اهتم القرآن الكريم بنقل شبهات المشركين والرد عليهم وكانوا يقولون ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] فرد الله عليهم بقوله ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وبعضهم زعم أن هذا القرآن إنما هو قصص الأولين وأساطير السابقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: ٢٤]. ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤-٥]. فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب فكيف نقلها وكيف قرأها ؟ قال تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَازَتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فما كان لرجل أمي لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بمثل هذا الكلام ويتحدى به الثقيلين ولم يقدر أحد على معارضته وإجابة هذا التحدي .

وهناك نماذج كثيرة للرد على إيراداتهم بعد نقلها أو غيرنقلها ولذا يبدو لنا أن القرآن وضع أسلوباً رائعاً في تفنيد شبهات الكفار ومنهجاً منطقياً تخرس به أسنة المشككين أمامه بل اعتبر الشيخ طاش كبرى زاده أن رد الشبهات علم من علوم القرآن الكريم. (١) ومن المعروف إذا كان الشيء علماً من العلوم فيلزم أن يكون له منهج واضح وأسلوب صريح وطريقة صحيحة ومن هذا المنطق أصبح رد الشبهات منهجاً قرآنياً يخاطب - بأسلوب الحوار والجدل - من ينكر القرآن وتعاليمه أو يثير الشبهات حوله.

وذلك لأن الحوار القرآني أو الجدل القرآني أبعد غوراً وأدق طريقاً وأشمل غرضاً من أي كلام آخر والقرآن يستخدم أحكام الأساليب وأقوى البراهين التي تقنع العقول السليمة والعواطف الشريفة والقلوب الطاهرة و التي تقذف بحقها على باطل خصومها فإذا هو زاهق. لذلك فدراسة ما في القرآن من جدل وتشخيص ما في هذا الجدل من وجوه الاستدلال وتحديد ملامح ما عرض فيه من أدلة عقلية ومحاولة تحليل ما لها من منافع وتمييز ما لها من خاصيات وما ترمي إليها من أبعاد غائية هو عمل يندرج ضمن تبيان وجه من وجوه القرآن الإعجازية وهو ما يعرف - حسب عبارة القاضي عياض (٢) - بالتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية

(١) دفع شبهات المفترين حول القرآن الكريم، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (ص ٢٥)

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل: (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م) عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم

وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة وقال الشيخ طاهر بن عاشور « فمن طرق إعجازه العلمية أنه دعا للنظر » ويبدو أن الوجه المعجز في موضوع الجدل القرآني الذي بهر العلماء والمفكرين يتمثل في وضوح الأدلة وسهولة صياغتها وإيجاز ألفاظها ويسرف فهمها وبعدها عن التعقيدات والجفاف الذي قد نجده في كتب المنطق. (١)

ومن أجل التحقيق والتقرير أن رد الشبهات من طريق الجدل أو الحوار منهج قرآني يتحدث الباحث هنا بما يدور حول الجدل أو الحوار من أقسامه وأوجهه وأمثله في ميزان القرآن الكريم:

والجدل - على حسب ما عرفه المناوي - مقابلة الحجة بالحجة وكذا قال ابن حزم الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل فإن كان للوقوف على الحق كان محمودا وإن كان في مرافعة أو كان جدال بغير علم كان مذموما (٢)

وفي هذا الإطار - عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤] - قسم فخرالدين الرازي الجدل إلى نوعين :

جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل أما الجدل في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ [النمل : ١٢٥] وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام ﴿ يانوح قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود : ٣٢] وأما الجدل في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر : ٤] وقال : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] وقال ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف : ٥٦] (٣)

والحوار محادثة بين شخصين أو أطراف عديدة تباينت آرائهم وأفكارهم وكذلك معتقداتهم ويجري الحوار بهدف المكاشفة والمصارحة مع الإصغاء باحترام إلى رأي أو آراء

قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما. من تصانيفه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع) (الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٩٩)

(١) منهج الجدل وأداب الحوار في الفكر الإسلامي، للدكتور بركات محمد مراد، كتيب المجلة العربية العدد ٩٧-محرم ١٤٢٦ هـ فبراير ٢٠٠٥م (ص ١٩)

(٢) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، للدكتور خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري، المصدر السابق (ص ٤٤٩)

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للرازي، المصدر السابق (ج ١٤ ص ٢٧- ٢٨)

الآخرين ليفهم مقصدها ومرماها بغض النظر عما إذا كان رأي الغير يتلاءم أو يتنافر وآراء الأطراف الأخرى المشتركة معه في عملية الحوار. والفرق بينهما أن الجدل يكاد يلزم الخصومة في أي صورة من صورها ولو بمعنى التمسك بالرأي والتعصب له وأما المحاوره فهي مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين ولا تلزم فيه صورة الخصومة وإنما تغلب عليها صورة الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا تقصد فيه الخصومة. (١)

يذكرالباجث بعض أوجه الجدل التي تتصل برد الشبهات كمنهج قرآني:

(١) جدل وقع طرفين كل يقيم الدليل على مدعاه ويحاول إبطال مدعى الخصم. ومثاله قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢-١٣] (٢)

(٢) أدلة ساقها القرآن الكريم لإلزام المعاندين وإفحامهم بالأدلة القطعية التي لا تمترى فيها العقول الصحيحة ولا ينكرها المنطق السليم. وذلك على أنواع منها:

أ- مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدعاه وذلك كدعوى اليهود بأن النار لن تمسهم إلا بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ - ٨١] (٣)

ب- مجارة الخصم وهي تسليم للخصم ببعض مقدماته مجارة له حيث يراد تبكيته وإلزامه ووثوقاً بأن تلك المقدمات وإن سلمت لا تنفعه بل تساعد على نقيض دعواه بعد بيان وجهة النظر الصحيحة. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا

(١) الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن الكريم، للدكتور علي محمد صالح عبد الله، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (ص ٣٢١-٣٢٢)

(٢) فتح الرحمن في علوم القرآن، للدكتور منيع عبد الحليم والدكتور محمد أمين أبو بكر معوض، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (ص ١٧٦)

(٣) فتح الرحمن في علوم القرآن، المصدر السابق، (ص ١٨٥-١٨٦)

كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [إبراهيم: ١٠ -
[١١]

جـ. إبطال مدعى الخصم بإثبات نقيضه. ومن أمثله ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿ [الأنعام: ٩١]

هـ- القول بالموجب قال السيوطي عن ابن أبي الأصبع « هو رد دعوى الخصم من فحوى كلامه » وجعله بعض العلماء قسمين:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء مثل قوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿ يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [المنافقون: ٨] فقد كنى المنافقون " بالأعز " عن فريقهم و" بالأذل " عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقين حكما وهو إخراج الأعزالأذل من المدينة وأثبت الله في الرد عليهم صفة العزلغير فريقهم إذ أثبتها الله له ولرسوله وللمؤمنين فكأنه قيل صحيح ما تقولون ﴿ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون وأنتم أي المنافقون الأذل ستخرجون من المدينة.

وثانيها: حمل لفظ وقع في كلام الغيرعلى خلاف مراده مما يتحملة ذلك اللفظ بذكر متعلقه مثل قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَدْنُ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [التوبة: ٦١] فلفظ " أدن " وقع في كلام المنافقين بمعنى الذم وأنه عليه الصلاة والسلام يستمع لكل ما يلقي إليه من غير تمييز بين الحق والباطل فرد الله عليهم بحمل لفظ " أدن " على خلاف مرادهم مع توضيح المقصود بذكر المضاف إليه أي أنه أدن لكنه أدن خير يسمع الوحي من رب العالمين وفي ذلك إسعاد للبشرية ورحمة للمؤمنين.

و. الانتقال وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل أو مثال إلى مثال غيرالذي كان أخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول أو أنه كان يفهم ولكنه يقصد

المغالطة فيأتي بدليل أو مثال أخرا يجد منه الخصم مفرا دون الانقطاع أو التسليم. ومن أمثله ما حكاه الله من مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود^(١) حيث قال ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

عندما قال إبراهيم رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ النمرود أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ فدعا رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة أو علم بذلك وغالط بذلك الفعل الذي فعله فانتقل الخليل عليه السلام إلى استدلال لا يجد له الجبار وجها يتخلص به منه ولا يمكن للنمرود أن يغالط فيه وذلك بما نطق به القرآن فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ وكانوا أهل علم بحركة الكواكب المعتادة وعند ذلك أفحم النمرود وانقطت حجته.^(٢)

ومن أهم وسائل الإقناع التي اتبعها القرآن في مجادلة المنكرين للدعوة إلى الله:

أ - أنه ساق الشبهات التي تدرج بها المشركون في عبادتهم لغير الله تعالى بأمانة وموضوعية ثم رد عليها بما يزهقها ويكشف عن بطلانها، ومن تلك الشبهات التقليد الأعمى من المشركين لأبائهم ورؤساءهم والزعيم منهم أن آلهتهم الباطلة ستشفع لهم. ورد القرآن على هذا الموقف بقوله ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ب - وضرب لأهل الكتاب وللمشركين الأمثال لتوضيح المعنى الخفي وتقريب المعقول وعرضه في صورة الأمر المشاهد فيكون المعنى أوقع في القلوب، وهذا منهج أكثر القرآن في محاجة الخصوم وكذا نهج القرآن باستخدام الأقيسة في محاجة أهل الكتاب، ومنها:

(١) وهو نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح أحد ملوك الدنيا زمن إبراهيم وأحد النمارذة الستة (١) نمرود بن كنعان بن حام بن نوح وهو أحد الذين ملكوا الدنيا وهو صاحب إبراهيم الخليل عليه السلام (٢) نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وهو صاحب النسر (٣) نمرود بن ماش بن كنعان بن حام بن نوح (٤) نمرود بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن كنعان (٥) نمرود بن ساروع بن أرغو بن فالغ (٦) نمرود بن كنعان بن المصاص بن يقضان (تلقيح فهوم أهل الأثرلابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت، سنة ١٩٩٧ م) (ج ١ ص ٣٣١)
(٢) فتح الرحمن في علوم القرآن ، المصدر السابق ، (ص ١٨٩ - ١٩٨)

١) الأقيسة الإضمارية وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبىء عن المحذوف. ومن أمثلة ذلك ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] يفهم من هذه الآية بتقديرها إن كان خلق عيسى مسوغ لاتخاذها إلهًا أو إبنًا لله فإن آدم أولى من عيسى لأنه خلق من غيرأب وأم وهم لا يقولون بذلك بل لا أحد يقول به وهذا النوع من الحذف يعطي الدليل فصاحة وبيانا .

٢) قياس الأولى وهو قياس الأشبه وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل واستخدم العلماء هذا النوع في الآية السابقة أي أنهم إن اتخذوا عيسى إلهًا من أنه خلق من غير أب فآدم أولى لأنه خلق من غير أب وأم.

٣) قياس الشبه وقد استخدمه القرآن في مشابهة أهل الكتاب للمشركين عبدة الأوثان مع علمهم بفساد طريقة المشركين قال الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [التوبة: ٣٠]^(١)

وعلى ضوء ماسبق ندرك مدى اهتمام القرآن في وضع المناهج والأساليب في مجادلة الخصوم ردا لشبهاتهم مع أنه يقدم النزاهة والحيادة في موضوع الحوار والجدال ويدفع للخصم إلى التأمل الواعي والتفكير المنهجي يطالبه بإتيان البرهان في مدعاه الباطل إن كان من الصادقين.

إذا كان القرآن الكريم قام بالعناية الفائقة للرد على الشبهات يجدر للملمين بعلوم القرآن الكريم أن يقفوا وجها بوجه- بالتأيف والمناقشة والمناظرة والجدل- أمام شبهات مثارة حوله من قبل المنكرين المعاصرين سواء كانوا من المسلمين- الذين اتجهوا باتجاه العلمانية أو الليبرالية - وغيرهم من المستشرقين والمبشرين. وذلك لعدة أسباب:

- ١- كثرة المطاعن في هذا الزمن خاصة على القرآن واتهامه بالتناقض
- ٢- تأثر بعض المسلمين بهذه الشبه التي تثار فكان لزاما على طلبة العلم وأهله كشف هذه الشبه وبيان فسادها للناس أجمعين .
- ٣- إثبات إعجازالقرآن وأنه من عند الله وأن الله تكفل بحفظه حقا .
- ٤- كشف شبه الطاعنين وأكاذيبهم وبيان أنها ترديد لما أورده الطاعنون السابقون.

(١) الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن الكريم، المصدر السابق، (ص ٣٤٣-٣٤٤)

- ٥- كشف المنافقين المندسين بين المسلمين للطعن في هذا الدين .
- ٦- امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ (قَالَ : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَالسِّنَّتِكُمْ » (١))
- ٧- الدخول في حزب جند الله المدافعين عن كتابه لعله يكون لنا شافعاً يوم القيامة. وأما أهمية ذلك فتتضح من أمور كثيرة منها :
- ١- عموم نفعه للمسلمين وحفاظهم عن التأثر بالشبهات وإنقاذهم منها.
- ٢- أنه يعالج مشكلة معاصرة ومستمرة .
- ٣- .خطورة الطعن في القرآن (٢) حيث إنه من نواقض العهد مع أهل الذمة بل من نواقض الإسلام .

المطلب الثالث : الشبهات في التفسير وردودها

يقدم الباحث في مائدة البحث عدداً من الشبهات المثيرة للجدل في التفسير وردودها بشكل مباشر تتحقق في البنود الآتية:

(١) تهافت القراءة المعاصرة لمحمد شحرور (٣)

برزت على ساحة الدراسات القرآنية قراءة معاصرة في الفترة الأخيرة يقوم بها طائفة من المعاصرين ولا تقل قراءاتهم أو تفاسيرهم تتجه مخالفة تماماً مع التفسير الصحيح وتفاسير القدماء بل وأبعد من ذلك تتصادم مع مبادئ القرآن والسنة وينبغي أن يقال لهذه

(١) سبق تخريجه (ص ٣١٧)

(٢) الطعون على القرآن تنقسم قسمين ، طعون حول القرآن ، وطعون في القرآن ؛ الطعون حول القرآن من مثل الطعن في جمع القرآن ، وتواتر القرآن ، تقسيم القرآن إلى مكي ومدني ، نزول القرآن على سبعة أحرف ، معنى المتشابه في القرآن ، النسخ في القرآن ، ترجمة القرآن ، إعجاز القرآن ، قراءات القرآن ... إلخ تلك الشبه التي تحوم حول القرآن ولا تطعن في آياته طعناً مباشراً وأما النوع الثاني وهو الطعن في القرآن نفسه من حيث دلالاته ومعانيه وأخباره وأحكامه وغير ذلك (الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري ، عبدالمحسن بن زبن بن متعب المطيري، المصدر السابق، ج ١ ص ٢)

(٣) كاتب سورى معاصر، حاصل على الدكتوراه في الهندسة من الجامعة القومية الإيرلندية في دبلن. صاحب كتاب "الكتاب والقرآن" الذي أثار لغطاً ووصفه البعض بأنه "سلمان رشدي" العرب، والذي لا يري أن الحج أو الصوم أو الزكاة من أركان الإسلام. وطعن في تراث السلف؛ من أقوال العلماء واجتهادات الفقهاء وجهود المفسرين: فقال: إن وريثة الأنبياء ليسوا علماء الشريعة والفقهاء وحدهم، إن هذا غير صحيح، إن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ وأصل الأنواع والكونيات والإلكترونيات هم وريثة الأنبياء فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح، والطعام، وفي مجال الحدود: كحد السرقة، والزنا، والحراية، والقتل، العمد الخ ...، وفي مجال الأحكام: كتوزيع الميراث، وأخذ الربا الخ ... اعتبر جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهاد رسم له حدين: أدنى وأعلى، وقد اعتبر أن سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي اجتهاد محمد -صلى الله عليه وسلم- لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي فإن تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء. من مؤلفاته: (الكتاب والقرآن ، قراءة معاصرة) (نحو أصول جديدة نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي) (الدولة والمجتمع) (المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ٧ / ٣٣٨) (موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩) (- مجلة مجمع الفقه الإسلامي ١١ / ٩٤١)

الظاهرة التفسيرية المعاصرة " أنها لاتخدم القرآن الكريم وإنما تهدمها " وسماها عبد القادر محمد صالح بـ " التفسير الحداثي ". وذلك مثل كتاب " الكتاب والقرآن " قراءة معاصرة لمحمد شحرور (١). وللأسف الشديد ملاً هذا الكتاب الشبهات في التفسير وما يدور حول القرآن. وعى بعض العلماء خطورة هذا الكتاب فألف كتاباً مضاداً له سماه " تهافت (٢) القراءة المعاصرة " بقلم الدكتور محامي منير محمد طاهر الشواف (٣) ويقف رداً وتقنيداً على الآراء التي وردت في كتاب محمد شحرور مبيناً حدود هذه القراءة وتهافتها فهي قراءة خارجية تقوم على مرجعيات فكرية تقع خارج نطاق الإسلام ومجاله وهي أيضاً قراءة تعسفية ما دامت تضفي على النص القرآني مضامين لا علاقة له بها.

ويذكر الباحث هنا بعض الشبهات في التفسير كما يكتب مؤلفه وهو ما يتعلق في أحكام المرأة حيث أجازها أن تظهر كل جسدها ما عدا ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والأليتين - صوب يوسف الصيداوي ذلك - وهذه الخمسة يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها وما عدا ذلك فمباح إظهاره بنص كتاب الله. (٤)

ولما جاء إلى جسد المرأة قال « الزينة المكانية والشئئية معا جاءت في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وقوله ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ

(١) إن مركب (القراءة المعاصرة) يعتبر حلقة من سلسلة صراع طويلة ،وله جذوره التي بدأت من أكثر من سبعين عاماً فليس محمد شحرور هو أول من قام بها أو ابتدع هذا المركب البراق بل هو حلقة من سلسلة تعود بدايتها إلى كتابات علي عبد الرزاق وطه حسين. لقد ألف الأول - علي عبد الزارق - كتابه " الإسلام وأصول الحكم " نفى الأسس التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام ، بينما ألف الثاني - طه حسين - " في الشعر الجاهلي " الذي روج فيه لأراء المستشرق الإنجليزي مارجليوث إذ طعن في كتابه أصول ومصادقية الشعر الجاهلي مستخدماً المنهج الديكارتي بحجة مواكبة الحضارة الغربية والسير في ركاب حركة التنوير التي تمسحت بالعقل والعقلانية. ثم جاء محمد أحمد خلف الله وألف كتاب " الفن القصصي في القرآن " وطعن في واقعية الأحداث الواردة في القصص القرآنية. ثم أزره أمين لطفى الخولي الذي انتهج سبيلاً أدبياً في الحديث عن الدراسات القرآنية ليُخرج النص القرآني عن كونه كتاباً منزلاً من عند الله ثم تطورت اللعبة فُحُت لها هذا المصطلح الخُلبي " قراءة معاصرة " ولعب أدوار حلقاتها كلاً من الدكتور : حسن حنفي ، ونصر حامد أبو زيد وسيد محمود القمني ومحمد شحرور وطيب تيزيني. (أرشيف ملتقى أهل التفسير ٣ - ج ١ ص ٢٩٧ م.ش)

(٢) أصدره الشواف للنشر والدراسات، (ط ١) سنة (١٩٩٣)

والتهافت من هفت ومعناه (١) هفت الرجل : إذا تكلم كثيراً بغير روية ولا إعمال فكر (٢) تهافت على الشيء : تساقط وتتابع وأكثر استعمالها في الشر (٣) انهفت الشيء : انخفض واتضع (٤) الهفات : الأحمق

(٣) كان الكاتب دكتوراً في الهندسة المدنية ومتخصص في فحص التربة والأساسات .
(٤) أنظر التفسير والمفسرون في العصر الحديث ، المصدر السابق ، (ص ٤٧٠ - ٤٧١)

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [يونس: ٢٤] أي أن التطور العلمي سيملآن الأرض بالزینتین المکانیة والشئییة فإذا كانت الزینة مکانیة فجسد المرأة کلها زینة والزینة حتما لیست المکیاج والحلی وماشابه ذلك وإنما جسد المرأة کله، هذا الجسد یقسم إلى قسمین قسم ظاهر بالخلق لذا قال ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣١] فهذا یعنی أن هناك بالضرورة زینة مخفیة فی جسد المرأة فالزینة الظاهرة هی ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي ما أظهره الله فی خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجل والیدين ونحن نعلم أن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس وقسم غیر ظاهر بالخلق أي أخفاه الله فی بنية المرأة وتصمیمها هذا القسم المخفی هی الجيوب والجیب جاء من جیب كقولنا جیب القميص أي قورت جیبه وجیبته أي جعلت له جیبا والجیب كما نعلم له طبقتان لا طبقة واحدة لأن الأساس فی جیب هو فعل " جوب " فی اللسان العربی له أصل واحد وهو الخرق فی الشیء ومراجعة الكلام السؤال والجواب فالجیب فی المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بین الثديین وتحت الثديین وتحت الإبطين والفرج والإلیتین هذه کلها جیوب، فهذه الجیوب یجب علی المرأة المؤمنة أن تغطیها لذا قال ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] «^(١)

یقف الباحث وقفة یناقش هذه القراءة المعاصرة الغریبة لها جدید فی الشریعة بلا حدود وإبداع فی الفقه بلا ضوابط تکمن من وراءها الشبهات والانحرافات فی تفسیر الآیات یتضح خللها فیما یلی:

(١) تفسیر معظم المفسرین " الزینة " فی قوله تعالی ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ... ﴾ [الأعراف: ٣٢] یدور بین:

- الثیاب وکل ما یتجمل به^(٢).

- ما یستر العورة هذا علی حد قول مجاهد^(٣)

- اللباس^(٤)

(١) الكتاب والقرآن، لمحمد شحرور، الأهالي للتوزيع - دمشق، (بدون تاریخ) (ص ٦٠٦-٦٠٧)
 (٢) تفسیر البیضاوی (ج ١ ص ١٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبی (ج ٧ ص ١٩٥) تفسیر البحر المدید لابن عبیبة (ج ٢ ص ٣٤٦)
 (٣) الكشف والبیان للثعلبی (٤ / ٢٢٩) وفيه (قال مجاهد : ما توارى به عورتك)
 (٤) تفسیر التحریر والتتویر لابن عاشور (ج ٨ ص ٧٢)

- ما كان من الطيب للجمعة والسواك وبدل الثياب وكل ما وجد استحسانه في الشريعة ولم يقصد به مستعمله الخيلاء^(١)

وعلى ضوء صفحات التفاسير المختلفة فمعنى الزينة يدور حول ما يستر العورة من الثياب واللباس أو الملابس الحسن الرفيع من أجل التجميل في والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزيين، ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ويدخل تحتها المركوب ويدخل تحتها أيضاً أنواع الحلبي لأن كل ذلك زينة ويدخل أيضاً تحته التمتع بالنساء وبالطيب قال بذلك فخر الدين الرازي في تفسيره . (٢)

ويتلخص من عرض أقوال المفسرين السابقة أنه لا يقول أحد منهم مثل ما قال به محمد شحرور عند وقوفه في تفسير " الزينة " بجسد المرأة كله فيعتبر تفسيره تفسيراً شاذاً بل تفسيراً غريباً منعكساً - إن صح التعبير - يخالف من هو أقوى وأجد رمنه في مجال التفسير من حيث العدد والكفاءة العلمية. والجانب الآخر الذي يجعل تفسيره غريباً أن مفهوم " الزينة " في الآية ما يكون حلالاً من منظور الشرع بدليل ما سبقه من سياق الآية " من حرم " باستخدام الاستقهام الإنكاري مشيراً إنكاره تعالى تحريم " الزينة " التي أحلها الله بعباده. وجسد المرأة كله - وخاصة - عورتها ليس من الحلال الذي يجوز لكل إنسان أن يتزين أو يتمتع به ما عدا زوجته. وللأسف الشديد أن " الزينه " يضاف إلى الله (زينة الله) فلا يتصور لرجل منصف أن يقول على الله بتفسير " زينة الله " بجسد المرأة الذي يشمل رأسها وبطنها وظهرها ورجلها على حد تفسير شحرور واعتبرها من الزينة الظاهرة التي يحل لعباده النظر إليها ويتزينون بها . ويمكن القول بأن هذا تأويل متكلف ليبرر مقررًا مسبقاً يتناسب مع " تحرير المرأة " الذي يرتضيه الغرب.

(٢) والمشهور عند جمهور المفسرين يفسرون قوله ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بالوجه والكفين مستدلين بتفسير ابن عباس ومن تابعه حيث أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين،

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ج ٢ ص ٥٧٤)

(٢) تفسير الفخر الرازي (مج ٧ ج ١٤ ص ٥٢)

ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه (١) وذلك لإجماع الجميع على أن على كلِّ مصل أن يستر عورته في صلاته وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها. وقد فسره محمد شحور بالزينة الظاهرة وهي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي ما أظهره الله في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجل واليدين. والسؤال الذي برز على الساحة من أين يأتي هذا التفسير؟ ومن أي مصدر معتمد يصدر هذا الغريب من التفسير؟ وإلى أي مدى يسوغه المصطلح الشرعي؟.

على حسب اطلاع الباحث لعدد من التفاسير يجد بعض المفسرين يستعمل مصطلح " الزينة الخلقية " ولكنه يراد بها الوجه والكفان أو نصف الذراعين. وتفسير شحور قريب من قول ابن العربي « إن الزينة نوعان : خلقية ومصطنعة . فأما الخلقية : فمعظم جسد المرأة وخاصة : الوجه والمعصمين والعضدين والثديين والساقين والشعر . وأما المصطنعة : فهي ما لا يخلو عنه النساء عرفاً مثل : الحلي وتطريز الثياب وتلوينها ومثل الكحل والخضاب بالحناء والسواك . والظاهر من الزينة الخلقية ما في إخفائه مشقة كالوجه والكفين والقدمين ، وضدها الخفية مثل أعالي الساقين والمعصمين والعضدين والنحر والأذنين » (٢) لكنه يلزم أن نتأمل بدقة في قول ابن العربي " والظاهر من الزينة الخلقية ما في إخفائه مشقة كالوجه والكفين والقدمين " ومن هذا يرى مثل ما رآه الجمهور وهو عدم جواز إبداء المرأة إلا ما كان في إخفائه مشقة كالوجه والكفين والقدمين. فأصبح تفسيره للأية موافقا لبعض المفسرين في الاصطلاح لا في مرادها وأحكامها.

(٣) يقول المؤلف أن ولادة الذكور والأنثى عراة دليل على إباحة إظهار جسد المرأة عارياً للنظارة كما خلقه الله ما عدا خمسة جيوب ذكرناها سابقاً وثبتناها من نصه والسؤال هنا أي وجه من وجوه الاستدلال يبرر هذا الاستنباط اللامنهجي؟ ثم لم يطبق المؤلف نظريته في الكشف على الرجل إنما طبق نظريته على المرأة فقط؟ علماً أن الاثنين

(١) حدثنا يعقوب بن كعب الإنطاكي ومُؤمِّل بن الفضل الحَرَّاني قالَا حدثنا الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن خالد بن ذُرَيْك، عن عائشة، رضي الله عنها؛ أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال ((يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرَى منها إلا هذا" وأشار إلى وجهه وكفيه)) (أنظر سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٦)
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج ١٨ ص ٢٠٦)

خلقهما الله عراة. فلا يكون تفسيره متوازنا يفتح مجالا للتأثر بفقہ جندر (gender) من منظورالمجتمع الغربي.

وبلغت الغرابة القمة كيف جعل من نفسه فاهما مقاصد النص القرآني وأخذا منه حكما لموضوع لا وجه لمستدل به البتة قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ثم يقدم بحجة أخرى في نفس الصفحة قائلا « نحن نعلم أن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس » وخلل منهجه في الحجة يتبين في ربطه هذه الآية بقوله السابق مع أن النص لا علاقة له بالكشف والتعري. بل إذا نلقت النظر إلى سبب نزولها يسقط حجته لأنه ينتقد عادة قريش عند طوافهم بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون^(١) فأنزلها الله فأمروا بالثياب الذي يستر العورة وأخذه عند كل صلاة أو طواف من أجل التزين عند الإقبال إلى رحاب الله وينتقد أيضا من حرم ذلك الأمر فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالزينة ههنا لبس الثوب الذي يستر العورة. ومن هنا ظلت حجته تثير جدلا واسع النطاق وتتنافى مع قصد الآية وسبب نزولها.

(٤) الجيوب جمع مفرده جيب والجَيْبُ القَمِيصِ والدَّرْعِ والجمع وفي التنزيل العزيز وَلِيُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَجِبْتُ القَمِيصِ قَوْرَتْ جَيْبَهُ وَجَيْبُهُ جَعَلَتْ لَهُ جَيْباً^(٢) وهو طوق القميص الذي يدخل الرأس عند لبسه وبقي الجيب كذلك حتى القرن الثامن الهجري قال أحمد رضا الجيب عند العامة (لا في كتاب الله) ما يشق في جانب الثوب له كيس صغير متصل بالشق توضع فيه الأشياء الخفيفة الحمل. هذا هو جيب القميص الذي ظل في الأقل منذ أيام طرفة بن العبد حتى أيام فروان السوادي في البادية السورية (١٩٩٢) هو الطوق المنفتح على النحر لم يتغير ولم يتبدل فيا عجا كيف انقلب هذا الطوق إبطين وفرجا وأليتين.

(٥) أجاز شحروا للمرأة أن تظهر كل جسدها ما عدا ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والأليتين. إذا كان هذا الفتوى يسمح للمجتمع شجع لشيوع السفور والفجور وانتشار الفاحشة والرذيلة وعموم التحرش الجنسي. وذلك يفضي إلى أمراض

(١) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٥٢٤) و (تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٨)

(٢) لسان العرب، لابن منظور، أنظر مادة جوب وجيب (ج ٦ ص ٢٧٦)

المجتمع جسدياً ومعنوياً وفكرياً يزيد تراكم المشكلات الاجتماعية التي لا يوجد حلها كما يشهدها المجتمع الغربي في عصرنا الحاضر.

(٢) دعوى تاريخية القرآن وضرورة تعديل بعض أحكامها وفق مقتضى الوضع

فريق من المشككين يعتبرون أن القرآن وقتي (تاريخي) محدد لا يتلائم مع العصر الحالي ويحتاج - بالضرورة- إلي تعديل أو تغيير بعض تفسيراته بما يناسب متطلبات العصر مثل:

(أ) إرث المرأة (للذكر كمثل حظ الأنثيين) يقولون أن هذه الآية جاءت لفترة معينة ويجب أن تتغير بحيث يتساوى الرجل والمرأة في الأثر.

(ب) وكذلك الأمر بالنسبة بشهادة المرأة حيث يطالبون بمساواة الرجل بالمرأة من حيث الشهادة

الرد على هذه الشبهة

أما القول بتاريخية القرآن ووقتيه أحكام القرآن بمعنى أنها غير صالحة لكل زمان... فإن لنا عليها ملاحظات يسوقها في عدد من النقاط:

أولها: أن هذه الدعوى ليست جديدة تبناها- سابقا - فلاسفة التنوير الغربي العلماني بالنسبة للتوراة والإنجيل فرأوا أن قصصهما مجرد رموز ورأوا أن الدين والتدين إنما يمثل " مرحلة تاريخية " في عمر التطور الإنساني مثلت مرحلة طفولة العقل البشري ثم تلتها - على طريق النضج - مرحلة الميثافيزيقا التي توارت هي الأخرى لحساب المرحلة الوضعية التي لا ترى علما إلا عن طريق الواقع ولا ترى سبلا للعلم والمعرفة إلا العقل والتجارب الحسية .

وإذا كان هذا القول قد جازو وجد له بعض المبررات - في الغرب- بالنسبة لكتب رسالات خاصة بقوم بعينهم- بني إسرائيل- الذين جأتهم اليهودية والمسيحية ونزلت لهم التوراة والإنجيل لزمان معين فإن دعوى تاريخية النص الديني لا مكان لها ولا ضرورة تستدعيها بالنسبة للقرآن.

ذلك أن القرآن هو كتاب الشريعة الخاتمة التي تتسم بالخلود. فلو طبقنا عليه قاعدة تاريخية النصوص الدينية لحدث " فراغ " في المرجعية الدينية إذ لارسالة بعد محمد

صلى الله عليه وسلم وإذا حدث هذا " الفراغ " في المرجعية الإلهية على الناس زالت حجة الله على العباد في الحساب والجزاء إذ سيقولون: ياربنا لقد أنزلت علينا كتابا نسخه التطور فماذا كان علينا أن نطبق بعد أن تجاوز الواقع المتطورات وأحكام الكتاب الذي أنزلته لهديتنا

وثانيها: أن تاريخية الأحكام لا يقول بها أحد في أحكام العبادات وإنما يقول أصحابها في أحكام المعاملات وقد أخطئوا إذا ظنوا أن هناك حاجة إلى التغيير في أحكام المعاملات التي جاء بها القرآن الكريم. ذلك أن القرآن الكريم في المعاملات قد وقف عند فلسفة التشريع أكثر مما فصل في تشريع العبادات فهو قد فصل في الأمور الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. وهذه الصيغة الإسلامية الفريدة التي جاءت بالنص الإلهي الثابت تحفظ إسلامية وإلهية المرجعية والمصدر دائما وأبدا بينما وكَّلتُ أمر المتغيرات إلى الفقه المتجدد والمتطور. وبذلك وازنت بين ثبات النص وتطور التفسير البشري للنص الإلهي الثابت أي جمعت بين ثبات المرجعية والنص وبين تطورا لاجتهادي الفقهي المواكب لمتغيرات الواقع عبر الزمان والمكان.

وثالثها: وعندما ننظر في ميراث المرأة وشهادتها نزداد يقينا بخطأ دعوى تطبيق هذه التاريخية على القرآن الكريم وعلى الأحكام التشريعية الواردة فيه فليس صحيحا أن توريث المرأة في الإسلام قد جانب الإنصاف فالأنثى - في الإسلام - لا ترث نصف الذكر أبدا ودائما والقرآن الكريم لم يقل يوصيكم الله في الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين وإنما جعل ذلك في حالة بعينها هي حالة " الأولاد " وليس في مطلق الوارثين ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء: ١١] أما عندما كان التعقيد عاما للميراث فإن القرآن قد استخدم لفظا عاما هو لفظ " النصيب " لكل الذكور والإناث على حد سواء ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء: ٧]

ومما يشهده القرآن الكريم أن نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب الرجل ليس على الإطلاق وليس في كل الحالات قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾

[النساء: ١٢] وهذا في الأخوة لأم لأن الكلاله هو المقطوع الذي لا أصول ولا فروع ولا إخوة أشقاء أولاً أب له فتيين أن المراد بالأخ أو الأخت هو الأخوة لأم وواقع الأنثى في ذلك أن نفقتها لا تجب على أخيها لأمها وإن كان محرماً لها.

بل حصيلة الاستقراء لحالات ومسائل الميراث تبين :

١. أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل
 ٢. وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً
 ٣. وهناك حالات عشراً تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل
 ٤. وهناك حالات فقط ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجل
- أي أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل. (١)

وأما قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] فقد جعل الله نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب الرجل. وهذا في العصابات كالأولاد والأخوة والأشقاء والأخوة لأب لأن واقع الأنثى في ذلك كانت نفقتها واجبة على أخيها إن كانت فقيرة وكانت قادرة على العمل.

ومعايير التفاوت في أنصبة الميراث لاعلاقة لها بالجنس - ذكورة أو أنوثة - على الإطلاق كما يظن ذلك كثيرون وإنما معايير هذا التفاوت ثلاثة:

- ١- درجة القرابة فكلما كان الوارث أقرب إلى المورث زاد نصيبه في الميراث
- ٢- موقع الجيل الوارث في تسلسل الأجيال وتلك حكمة إلهية بالغة في فلسفة الإسلام للميراث وكلما كان الوارث صغيراً من جيل يستقبل الحياة وأعبائها وأمامه المسؤولية المتنامية كان نصيبه من الميراث أكبر فابن المتوفى أكثر من أب المتوفى - وكلاهما ذكر - وبنت المتوفى ترث أكثر من أمه - وكلاهما أنثى - بل بنت المتوفى أكثر من أبيه.

(١) ميراث المرأة وقضية المساواة، للدكتور صلاح الدين سلطان، دار نهضة مصر - القاهرة، سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، (ص ١٠، ٤٦)

٣- العبد المالي الذي يتحملة ويكلف به الوارث طبقا للشريعة الإسلامية فإن اتفقت وتساوت درجة القرابة وموقع الجيل الوارث مثل مركزالأولاد - أولاد الموروث- مع تفاوت العبد المالي بين الولد الذكر المكلف بإعالة زوجة وأسرة وأولاد - وبين البنت- التي سيعولها هي وأولادها زوج ذكر - هنا يكون للذكر مثل حظ الأنثيين وهو تقسيم ليس فيه أية شبهة لظلم الأنثى بل ربما كان فيه تمييز وامتيار لها احتياطا لاستضعافها.

وكذلك الحال مع شهادة المرأة ففي الميادين التي نقل فيها خبرة المرأة عن الرجل تكون شهادتها أقل من شهادته وحتى لاتهدر شهادتها كلية في هذه الميادين سمح القرآن بشهادتها على أن تدعم بشهادة واحدة من بنات جنسها تذكرها بما تنساه من وقائع الشهادة. أما الميادين التي تختص بالمرأة والتي تكون خبرتها أكثر فإن شهادتها فيها تكون أعلى وأحيانا ضعف شهادة الرجل بل إن شهادتها تعتمد حيث لا تعتمد شهادة الرجل في بعض هذه الميادين.

والذين يظنون أن آية سورة البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة: ٢٨٢ - ٢٨٣] تجعل شهادة المرأة نصف شهادة

الرجل بإطلاق وفي كل الحالات مخطئون وواهمون فهذه الآية تتحدث عن دين خاص في وقت خاص يحتاج إلى كتاب خاص وإملاء خاص وإشهاد خاص.^(١)

وقد وجدنا في الفقه الإسلامي كما هو معلوم أنه جعلت شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد في الأعمال التي تكون في جماعة الرجال وفي الحياة العامة كمثل شهادتها في الحقوق والمعاملات قال تعالى ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] ولكن جعلت شهادة النساء وحدهن كافية في الأمور التي تحدث في جماعة النساء فحسب ولا يكون فيها الرجال دور كجناية تحدث في حمام النساء كما يكتفى بشهادة امرأة واحدة في الأمور التي لا يطع عليها إلا النساء كشهادة المرأة في البكارة والثيوبة والرضاعة فالرسول يقبل شهادة امرأة واحدة في الرضاع^(٢)

وانطلاقاً من العرض السابق يعرف أن الإسلام جاء بالتكاليف الشرعية التي كلف بها المرأة والرجل وحين تكون الحقوق والواجبات حقوقاً وواجبات إنسانية أي حين تكون التكاليف تتعلق بالإنسان كإنسان نجد الوحدة في الحقوق والواجبات على كل من الرجل والمرأة واحدة وتكون التكاليف كذلك واحدة للرجال والنساء وينطبق ذلك أيضاً في أحكام العبادات والاقتصاد والسياسة والتعليم والقضايا الاجتماعية وما إلى ذلك. وحين بين الأحكام الشرعية التي تعالج أفعال كل منهما لم ينظر إلى قضية المساواة أو المفاضلة بينهما أية نظرة ولا يجعلها موضع بحث وإنما نظراً هناك مشكلة معينة تحتاج إلى علاج يتناسب مع خبرة كل من الرجل والمرأة وطبيعته وعندما تكون الحقوق والواجبات تتعلق بطبيعة الأنتى وبطبيعة وضعها في الجماعة وموضعها في المجتمع أو تتعلق بالذكر بوصفه ذكراً وبطبيعة مكانه في الجماعة وموضعها في المجتمع تكون هذه الحقوق والواجبات متنوعة بين الرجل والمرأة لأنها لا تكون علاجاً

(١) حقائق الإسلام في مواجهات شبهات المشككين، لجماعة من فحول العلماء - الدكتور عبد الصبور مرزوق، الدكتور عبد العظيم المطعني، الدكتور علي جمعة محمد، الدكتور محمد عمارة، الدكتور حمدي زقزوق -، المجلس الأعلى للشئون الدينية - القاهرة، (ط ٤)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص ٣٠٧-٣١٣)

(٢) أما الشهادة فإن الرضاع يثبت بشهادة رجل وامرأة لما روي عن ابن عمر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يجوز في الرضاع من الشهود ؟ فقال : " رجل وامرأة " رواه أحمد بل وتقبل شهادة المرأة الواحدة إذا كانت مرضية - عدلة - ولا يكلف الشاهد يمينا ولا المشهود له لأن هذه شهادة على عورة فيكفي فيها شهادة النساء منفردات عن الرجال كالولادة (انظر الفقه على المذاهب الأربعة - مكتبة الصفا - (ج ٤ ص ٢١٠) والحديث ورد أيضا في (السنن الكبرى للبيهقي، المصدر السابق ج ٧ ص ٤٦٤)

لا كإنسان بل تكون علاجاً لهذا النوع من الإنسان الذي له نوع من الطبيعة الإنسانية مختلف عن النوع الآخر ولذا فكان لا بد أن يكون العلاج مخصصاً لهذا النوع من الإنسان لا للإنسان مطلقاً.

وهذه الشبهة استمرت بارزة على الساحة الإسلامية في حاضرنا اليوم وتسالت في فكر بعض أصحاب النفوذ والسلطة وحدث مؤخراً في مجلس الشعب المصري حيث طالبت الدكتورة زينب رضوان وكييلة مجلس الشعب المصري بتعديل بعض أحكام الميراث وشهادة المرأة أمام المحاكم حيث دعت إلى إقرار حق المرأة الكتابية المتزوجة من مسلم في ميراثه وكذلك الاكتفاء بشهادة امرأة واحدة وليس اثنتين مشيرة إلى أن الحديث عن شهادة رجل وامرأتين الواردة في القرآن الكريم إنما كانت بسبب أمية المرأة وهذه العلة قد انتفت في العصر الحالي وبذلك ينتفي الحكم المترتب عليها.

وأكد العلماء أن هذه الدعوة تصطدم بنص قرآني قطعي الثبوت والدلالة وأن علة الحكم التي تحدثت بها وكييلة مجلس الشعب لا يمكن استنباطها من نص الآية وقال الدكتور محمد داود أستاذ الدراسات الإسلامية وعميد معهد معلمي القرآن أن العلة الصحيحة المذكورة في الآية من سورة البقرة ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يذكر أن دعوة الدكتورة زينب رضوان تأتي متسقة مع المذكرة التي تقدمت بها منظمة حقوقية إلى مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ورفضها المجمع مؤخراً بشكل قاطع وهو ما يدعو إلى الدهشة أن وكييلة مجلس الشعب دارسة للشرعية الإسلامية وتبوأ منصب العمادة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة فرع الفيوم وقد لقيت مطالبها معارضة كبيرة واسعة داخل المجلس مما دعا لجنة حقوق الإنسان إلى الدعوة لعقد اجتماع مشترك مع لجنة الشؤون الدينية بالمجلس في وجود عدد من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وشيخ الأزهر ومفتي مصر لاستطلاع آرائهم الفقهية في هذه المطالب. (١)

(٣) شبهة خطايا محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب " الهداية " للمرسلين
الأميركان

(١) جريدة اللواء الإسلامي، وكييلة مجلس الشعب تطالب بتغييرات في الشريعة الإسلامية، لمحمود عيسى، (ص ١)، العدد ١٣٦٤، ١٣ مارس ٢٠٠٨م

يقول مؤلفوا الهداية^(١)

١. اعترف القرآن الكريم بأن خطايا محمد صلى الله عليه وسلم جمّة وأنها أبهظت ظهره يعني أنه كغيره من البشر فورد في سورة ألم نشرح ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) ﴿ [الشرح: ٢-٣] أي حططنا عنك وزرك سواء أكان في الجاهلية أو غيرها وبما أن الجميع أخطأوا ولا يخرج عن هذا الحكم كبير ولا صغير ولانبي ولا ولي . ادعوا على أن جبريل أتى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهويلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا من حظ الشيطان منك ثم غسله من طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده على مكانه ومع أن كل عاقل يرى أن هذه الحكاية هي من الخرافات الملفقة إلا أنها أدلة على كمون الخطيئة الأصلية في قلب كل إنسان وزد عليها الخطايا الفعلية ولو كان تطهر كما ادعوا لما فعله في حياته.

٢. إن محمدا كان مشركا يعبد الأصنام كأبيه وعمه وأنه عبد اللات والعزى ومناة والدليل على ذلك ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى: ٧] (٢)

الرد على مؤلفي الهداية

• الرد للشبهة الأولى

وموضع الشبهة الأولى هو في قصر معنى الوزر إلى الأثم والذنب فحسب مع أن معناه في اللغة متسع ومتعدد بل الأصل في معنى الوزر في كلام العرب - على حد ما قاله أبو إسحق - هو الجبل الذي يُلتجأ إليه. ومن معانيه:

١- المَلْجَأُ

٢- الجبل المنيع وكلُّ مَعْقِلٍ وَزْرٌ وفي التنزيل العزيز كَلَّا لَا وَزَرَ

٣- الحِمْلُ الثقيل

٤- الذَّنْبُ لِثِقَلِهِ

٥- الأثْقَالُ والآلات من السلاح إن كان في الحرب وفي التنزيل حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا وهكذا

(١) ألف المرسلون الأميركيان كتابا اسمه " الهداية " في أربعة أجزاء لإثبات تحريف القرآن الكريم.
(٢) تهافت الهداية (في الرد على المسيحيين من كتاب الهداية)، لنخبة من العلماء تحت إشراف نادي فرج درويش العطار، مركز ابن العطار للتراث- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) (ص ١٤٤ و ١٦٥)

ومن هذه المعاني المتشعبة يقال وَزِيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه أوقيل لوزير السلطان وَزِيرٌ لأنه يَزِرُ عن السلطان أَنْفَالٌ ما أُسْنَدٌ إليه من تدبير المملكة أي يحمل ذلك^(١).

وعلى ضوء معانيه في اللغة يري الباحث أن مؤلفي الهداية غير مدققين في اللغة وقصورهم فيها وتكلفهم في تفسير الوزر في الآية بالإثم على حساب مقرر سابق من أجل تشويه صورة محمد صلى الله عليه وسلم وتشكيك رسالته بإضافة أن جمهور المفسرين لا يعنون الوزر بالذنب ولا يحدثون الفهم وفق ما فهمه مؤلفوا الهداية. ويورد هنا الباحث تقاسير المفسرين لهذه الآية:

١. الوزر هنا يعني الحرج ووضع حطه عن حامله والكلام تمثيل لحال إزالة الشدائد والكروب بحال من يحط ثقلاً عن حامله ليريحه من عناء الثقل .

والمعنى : أن الله أزال عنه كل ما كان يتحرج منه من عادات أهل الجاهلية التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من الزكاة والسمو ولا يجد بدأً من مسايرتهم عليه فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرسالة وكذلك ما كان يجده في أول بعثته من ثقل الوحي فيسره الله عليه بقوله : ﴿ سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَنُنَيِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ [الأعلى : ٨٦]^(٢)

٢. وقد حمل الرازي الوزر في الآية وجوها عديدة غير الذنب وهي :

أ- أن المراد منه تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بأن يسرها عليه حتى تيسرت له.

ب- الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل . وكان لا يقدر على منعهم إلى أن قواه الله وقال له : ﴿ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [النحل : ١٢٣]

ت- أنها ذنوب أمته صارت كالوزر عليه ماذا يصنع في حقهم إلى أن قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فأمنه من العذاب في العاجل ووعد له الشفاعة في الآجل.

(١) انظر لسان العرب في مادة وزر، المصدر السابق (ج ٩ ص ٢٨٨)
(٢) التحرير والتنوير، المصدر السابق، (مج ١٢ ج ٣٠ ص ٤١٠)

ث- الوزر ما أصابه من الهيبة والفرع في أول ملاقاته جبريل عليه السلام حين أخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل ثم تقوى حتى ألفه وصار بحالة كاد يرمي بنفسه من الجبل لشدة اشتياقه

ج - الوزر ما كان يلحقه من الأذى والشتم حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة ثم قواه الله تعالى حتى صار بحيث كانوا يدمون وجهه وهويقول « اللهم اهد قومي »

ح- لئن كان نزول السورة بعد موت أبي طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه وزراً عظيماً فوضع عنه الوزر برفعه إلى السماء حتى لقيه كل ملك وحياء فارتفع له الذكر فلذلك قال ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

خ - أن المراد من الوزر والثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك أنه بكمال عقله لما نظر إلى عظيم نعم الله تعالى عليه حيث أخرجه من العدم إلى الوجود وأعطاه الحياة والعقل وأنواع النعم ثقل عليه نعم الله وكاد ينقض ظهره من الحياء لأنه عليه السلام كان يرى أن نعم الله عليه لا تتقطع وما كان يعرف أنه كيف كان يطيع ربه فلما جاءت النبوة والتكليف وعرف أنه كيف ينبغي له أن يطيع ربه فحينئذ قل حياؤه وسهلت عليه تلك الأحوال فإن اللئيم لا يستحي من زيادة النعم بدون مقابلتها بالخدمة والإنسان الكريم النفس إذا كثرت الإنعام عليه وهو لا يقابلها بنوع من أنواع الخدمة فإنه يتقل ذلك عليه جداً بحيث يميته الحياء فإذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل ذلك عليه وطاب قلبه (١).

ولو احتج بعضهم وقوع الذنب للأنبياء بهذه الآية إلا أنه قبل النبوة وفي الصغائر لما جهله من الأحكام والشرائع ولوجوزنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كان في الجاهلية لا في غيرها- كما اتهم به مؤلفوا الهداية- ولا يعبد صنما على الإطلاق ولا يكون خطاياهم صلى الله عليه وسلم جمة كما يقولون وإنما وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها. وهذه الآية مثل قوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح : ٢] (٢) بل الآية الثانية تزيد رفعة قدر النبي صلى الله عليه وسلم وتشير صدقه على أنه صاحب

(١) أنظر التفسير الكبير، المصدر السابق، (ج ٣٢ مج ١٦ ض ٦-٥)

(٢) أنظر تفسير القرطبي، المصدر السابق، (ج ١٠ ص ٤٩٣) و التفسير الكبير، المصدر السابق، (ج ٣٢ مج ١٦ ض ٦-٥)

الرسالة الذي لا يدانيه أحد من البشر في المقام والمرتبة عند الله لأن ما تأخر من ذنبه مغفوره فأصبحت الآية التي احتجوا بها حجة عليهم لا لهم وبذلك يتبين تهافت دعوى مؤلفي الهداية .

ومعنى الآية الذي يرتضيه الكثير مع النظر إلى سابقه ولاحقه : فسحناه أي جعلناه فسيحاً رحباً واسعاً كقوله: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وأزلنا عنه الضيق والحرَج الذي يكون مع العمى والجهل ثم مليء حكمة ورأفة وعلماً ورحمة فانفسح جداً حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق.

• الرد للشبهة الثانية

وأما الشبهة الثانية التي أثارها مؤلفوا الهداية وهي اتهام محمد صلى الله عليه وسلم كان مشركاً يعبد الأصنام - اللات والعزى ومناة - مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى: ٧] فلا أساس من الصحة من حيث اللغة ومن ناحية الاستدلال ومن جانب الإطار التاريخي المحمدي حيث يقولون ويفترون على محمد صلى الله عليه وسلم الكذب بدعواه أنه ظل مشركاً وعابد الأصنام.

فقد قدموا بحجة واهية مغلوطة من خلال التفسير الإلحادي بقسر الآيات إلى وجه يخدم أغراضهم الخبيثة تجاه محمد صلى الله عليه وسلم حسداً من عند أنفسهم بعد ما تبين لهم الحق. يقف الباحث أمام هذه الشبهة رداً لها من النواحي العديدة:

(١) من ناحية اللغة

لفظ ضل - ضلال - ضال معناه اللغوي ليس مقصوراً على ضد الهداية في الدين أو ضد الرشاد فيه بل له عدة معان:

١- ضلَّ الشَّيْءُ يَضِلُّ ضَلَالًا: إذا ضاعَ. وفي " الصحاح في اللغة " : ضلَّ الشَّيْءُ يَضِلُّ ضَلَالًا، أي ضاع وهلك

٢- والضَّالَّةُ من الإِبِلِ: التي تَبْقَى بِمَضِيْعَةٍ لَا يُعْرَفُ لَهَا رَبٌّ

٣- أَرْضٌ ضُلْضِلَةٌ وَضُلَاضِلَةٌ: كَثِيرَةُ الْحِجَارَةِ. وَالضُّلْضِلَةُ بفتح الضاد الأولى : الأَرْضُ العَلِيْظَةُ.

٤- ضَلَّ فلانٌ: أي ماتَ وغيَّبته الأرضُ. وأضَلَّهُ قابِروهُ: دَفَنُوهُ. ومنه: ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ: أي خَفِيَ فيه. (١)

٥- الضَّلَالُ والضَّلَاةُ: ضدُّ الرشادِ. وقد ضَلَلْتُ أضِلُّ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥٠]

٦- ضَلَلْتُ المسجدَ والدارَ، إذا لم تعرف موضعهما. وكذلك كلُّ شيءٍ مقيمٍ لا يُهْتَدَى له وفي الحديث عن الرجل الذي قال: "لَعَلِّي أَضِلُّ اللهَ" يريد أضِلُّ عنه، أي أخْفَى عليه وأغيب. (٢)

(٢) من ناحية الاستعمال القرآني

لقد بدا بكثرة الاستعمال القرآني في مادة "ضل" وتصريفاته لمعان غير الضلال الذي يعنى به ضد الهدى في الدين من الشرك أو الكفر أو البطلان، ومنها:

١- ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] أي لا يغفل (٣)

٢- ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال أبو عبيد معنى تضل تنسى. والضلال عن الشهادة إنما هونسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالا (٤).

٣- ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تالله إنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي في محبتك (٥).

٤- بمعنى ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبههم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم كما في قوله عزوجل ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤] (٦)

٥- معنى حيرة وتخبُّط، لم يقع منه شيء نحو قوله تعالى ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥] (٧)

(١) المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، (ج ٢ ص ١٨٩) في مادة "ضل"
 (٢) الصحاح في اللغة، للجوهري- تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دارالعلم- بيروت، (ط ٢)، سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) (ج ٥ ص ١٧٤٨) في مادة "ضل"
 (٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (دار الكتب العلمية - بيروت) (ج ٢٠ ص ٣٨٩)
 (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار عالم الكتب، الرياض، ط ٢٠٠٣ (ج ٣ ص ٣٩٧)
 (٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المصدر السابق (ج ٢٠ ص ٩٧)
 (٦) تفسير السراج المنير لأحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت (ج ٢ ص ١٧١)
 (٧) تفسير البحر المحيط لأبي حيان، دار الكتب العلمية - لبنان، ٢٠٠١ (ج ٧ ص ٤٤٠)

(٣) من ناحية أقوال المفسرين

ثم يجدر للباحث أن يورد هنا أقوال المفسرين في تفسير الآية ليكشف شبهات التي يثيرها مؤلفوا الهداية. ومن هنا يتضح أن لفظ ضل لا يتعين معناه بالضلال الذي يراد به الميل من الحق أو الشرك أو الكفر بل له تفاسير كثيرة عند المفسرين وهي:

١. ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ يعني ضالاً عما أنت عليه ﴿ فَهَدَى ﴾ أي فهداك للتوحيد والنبوة.

٢. ووجدك في قوم ضلال فهداك.

٣. ووجدك غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول كما في قوله تعالى ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ﴾ [الشورى : ٥٢] وقوله سبحانه ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] فهداك إلى مناهجها في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا كما قال الواحدي أكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج

٤. وجد رهطك ضالاً فهداه بك . وهي على حذف مضاف مثل ﴿ واسئل القرية ﴾

٥. ووجدك ضالاً عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها

٦. ووجدك ضالاً عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها وهو المراد من قوله ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى : ٥٢] وقوله ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣]

٧. وَوَجَدَكَ غَافِلاً عما يراد بك من أمر النبوة فهداك أي أرشدك. والضلال هنا بمعنى

الغفلة لقوله تعالى ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] أي لا يغفل

٨. ووجدك محبباً للهداية فهداك إليها ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى ﴿

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] أي في محبتك - وَوَجَدَكَ ضَالًّا

عن علم الحكم والأحكام ﴿ فهدى ﴾ فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر.

٩. وَوَجَدَكَ ضَالًّا أي غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقة

السمع ﴿ فهدى ﴾ فعرفك الشرائع والقرآن .

وأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة ثم

قالت المعتزلة هذا غير جائز عقلاً لما فيه من التفسير وعند أصحابنا هذا غير ممتنع

عقلاً لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] (١)

ومن هنا ندرك كيف حاولت العقول الحاقدة ضد الإسلام ونبي الإسلام لتشويه صورتها بطريق التصيد بمصادر إسلامية نفسها على وجه لا يعترفه المناهج العلمية النقية ولا منطق المعرفة ولا يقومون مقام الحياد في البحث ولا يزالون ولن يتوقفوا يحارون الله ورسوله ما طلعت الشمس ويريدون أن يطفئوا نور الله الله بأفواههم وأقلامهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

(١) أنظر تفسير الآية في تفسير الرازي (التفسير الكبير) وتفسير ابن كثير وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير النكت والعيون الماوردي . تصرف الباحث في الترتيب والتعبير عن الكلمات

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

أولا : أهم نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد العطيات والصلاة والسلام على خير البريات وعلى آله وصحبه بدور الظلمات.

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع " اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث " (بطريق الدراسة النظرية- التطبيقية والتحليلية-النقدية) انتهى البحث إلى أهم النتائج التي تتمثل في المحاور التالية:

١- ويبدأ العصر الحديث في التفسير بظهور الإمام محمد عبده الذي أرسى أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير وأحدث هزة وتجديدا في التفسير يختلف مع سابقه من المفسرين وظل تلاميذه أخذوا منهجه والتزموا به مع بعض إضافات منهم في بعض التفاسير.

٢- يتميز التفسير في العصر الحديث بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والوحدة الموضوعية في السورة القرآنية والنظرة الشمولية في النص القرآني و تنقية التفسير من الإسرائيليات و من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية والبأس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا يظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية والتوفيق بين القرآن وما استجد من نظرات علمية حديثة.

٣- تجدد القراءة المطلوب أن يعايش القرآن وأن تتجدد مذاقاته به وأن يكتشف المزيد والجديد من كنوزه العجيبة التي لن تنفذ ويمكن للقارئ أن تتجلى كنوز القرآن من المعاني الجديدة بالتدبر على حقائق عبارته والتذكر على حكمه وأمثاله وعجائبه على شكل مستمر لأنه يعتبر كتابا قابلا للتأويل بحيث يمكن اعتبار جميع آياته محكمة،

وفي الوقت نفسه متشابهة وقابلة للتأويل بشروط وضوابط محدودة ومعروفة لدى علماء هذا الفن.

٤- وجانب آخر يجعل القرآن قابلاً لتعدد الأفهام وتجدد المعاني هو تعدد الطبقات لمعاني القرآن ودلالاته لما فيه من معنى الظاهر ومعنى الباطن وقد ورد تعبير الظاهر والباطن حول القرآن في المصادر الإسلامية السنية أو الشيعية.

٥- يبدو أن مصطلح " التجديد " في الإسلام وبصفة خاصة في تفسير القرآن- مصطلح أصيل مستفاد من المصادر الإسلامية وأما مصطلح " التحديث " أو " التنوير " فإنه مصطلح دخيل وافد من الغرب (أروبا)، وأن التحديث في أصل اللغة يأتي بمعنى إدخال الحداثة على شيء موجود قديم. ولذلك أن عصرنا اليوم لفي حاجة ملحة إلى نوع من التفسير الجديد الذي يخاطب المجتمع المعاصر بلغة العصر وأسلوبه.

٦- مناهج التفسير على شكل عام تتمثل فيما يلي:

- المنهج النقلي للتفسير
- المنهج اللغوي للتفسير
- المنهج العقلي للتفسير
- المنهج الاجتهادي للتفسير
- المنهج الفلسفي الكلامي
- المنهج الفلسفي الصوفي الباطني في التفسير الإشاري
- المنهج السياسي للتفسير
- المنهج العلمي للتفسير
- منهج التفسير البياني
- منهج التفسير الفقهي
- منهج التفسير الاجتماعي
- منهج التفسير الأدبي
- منهج التفسير العلمي
- المنهج التحليلي
- المنهج الإجمالي

- المنهج المقارن

- المنهج الموضوعي

٧- وفي العصر الحديث راجت مناهج التفسير التي تثير جدلاً واسعاً في بعض تقاسيرها للقرآن، وعلى رأسها المنهج الأدبي الاجتماعي والمنهج الأدبي ومنهج الهرمنيوطيقا والمنهج التاريخاني.

٨- يجدر للقارئ أن يتبع الخطوات المترتبة في التعامل مع التفسير في العصر الحديث، ومن أهمها:

• الثقة المطلقة للنص القرآني

• النظرة الكلية الشاملة للقرآن

• المحافظة على جو النص القرآني

• استبعاد المطولات الحاجزة نور القرآن

• تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان

٩- ومن ميزات القرآن نظرتة للإنسان واقعية فجاء القرآن مخاطباً مع واقع الإنسان وتكوينه الفطري وأنه نزل متضمناً لكل القضايا العامة والمبادئ الأساسية وتركت آياته فرعيات المسائل وجزئيات الأمور للتطبيق المناسب للحياة البشرية وحالة العصر وأسلوب المجتمع.

١٠- أبرز اتجاهات مناهج التفسير في العصر الحديث هي (١) التفسير الموضوعي بألوانه الثلاث التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني و التفسير الموضوعي للموضوع القرآني والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية. (٢) التفسير الأدبي الاجتماعي. (٣) التفسير العلمي.

١١. والتفسير الإلحادي نوع من الانحراف في تفسير القرآن يحدث في تفسير القرآن الكريم بالرأي المذموم القائم على الخطأ والهوى والمقرر السابق. والأخطاء التي يقع فيها المفسرون ثلاثة أصناف:

(١) خطأ في الهدف والقصد والباعث

(٢) خطأ في منهج النظر في القرآن الكريم

(٣) الخطأ في بعض الجزئيات الفرعية

١٢. ومن أخطر الانحرافات في الدراسة القرآنية انتهاك الاتجاه العلماني لقدسيتها النص القرآني وذلك تتضح فيما يلي :

(١) الأنسنة: بمعنى بشرية النصوص للقرآن الكريم

(٢) تاريخية القرآن الكريم لأنه - عند هولاء - أسير بيئته التاريخية والجغرافية والنظام الاجتماعي الثقافي والذهنية السائدة إبان نزوله

(٣) نقد القرآن الكريم: إذا كان القرآن نصا بشريا غير مقدس وقد تأنس وكان نصا تاريخيا فإن النتيجة الحتمية لذلك أن يتناولها النقد

١٣. تسرب الدخيل - من جانب الرأي - في التفسير المعاصر أو القراءة المعاصرة بالجهود الجائرة للنصوص عبر التأويلات المنحرفة التي يقوم بها طائفة من المسلمين المتأثرين بالأفكار الليبرالية الصادرة من الفلاسفة الغربيين بإثارة الشبهات حول القرآن الكريم. ومن الشخصيات البارزة فيه الفن القصصي في القرآن للدكتور محمد أحمد خلف الله والدكتور ناصر حامد أبوزيد والدكتور محمد شحرور ومحمد أركون

١٤. رد الشبهات منهج قرآني وذلك عن طريق الحوار القرآني والجدل القرآني ببراهين حاسمة تخرس أمامها السنة المثيرة للشبهات من المسلمين الذين تأثروا بفكرة ليبرالية أو غير المسلمين من المشتشرقين والمبشرين.

ثانيا: التوصيات

سبقت لمحة موجزة في الحديث عن أهم نتائج البحث التي يتلخصها الباحث من دراسات قرآنية سار عليها وهذا مما يجعله أن يعرض - لاحقا - بعض التوصيات التي تسهم دورا بارزا في ممارسة الخطوات اللازمة للتجديد التفسيري وتفعيل اتجاهات مناهج التفسير وأبرزها في العصر الحديث لمن يتصدى لتفسير النص القرآني ومن أهمها تتمثل في البنود التالية:

١. المجتمع المسلم المعاصر في أمس الحاجة إلى التجديد التفسيري أو تجديد العقل التفسيري بأن يستلهم آيات الله التوجيه والهداية في كل ما يمس العقيدة والأخلاق أو يدخل في بناء الأمة الإسلامية اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا، وبأن يجعل المعنوي حسيا ماثلا أمام القارئ عبر التصوير الفني والتشخيص الكيفي والكمي ويحرر من الإسلوب الجاف والعبارة اليايسة ويمس مشاعر الأمة الإسلامية للنهضة عن واقعهم المتخلف ويوقظ بالوعي الجديد للعودة إلى القرآن الكريم ولإعادة ازدهار حضارتهم في تاريخهم المجيد. وبجانب ذلك يحرص التجديد التفسيري أن يأخذ نفعا اجتماعيا وحلا للمشكلات الشائكة وسوقا نحو المجتمع المدني المتقدم بروح الخير والإيجابية في الإنسانية ودوام التفاضل لمواجهة الحياة التي كانت في غاية التعقيد.

٢. ضرورة اهتمام العلماء المؤهلين في التفسير أن يتخذوا إجراءات لازمة نحو تأليف تفسير القرآن الكريم - فرديا أو جماعيا - على شكل ميسر يستسيغ به عقول عامة المعاصرين من المسلمين بأدنى تأمل بهدف تعريفهم لمعاني كتاب الله كمصدر أساسي في حياتهم حتى يتمكن منهم تطبيق تعاليمه في كل تصرفاتهم.

٣. فالقرآن - من طبيعته - متصف بالمرونة في بعض آياته وقابل للتأويل. وهذه الطبيعة القرآنية بادر باستخدامها مدعوا التجديد في غير موضعها وبلا حدود وضوابط بدعوى التأويل ففسروا الآيات وفق هواهم ونزعاتهم ولأجل تبرير تيار أو مذهب معين فأصبح لزاما للعلماء الملمين في التفسير أن يكتشفوا خلل وعيوب مثل هذا التفسير الذي يلبس على العوام بل ربما تأثر به بعض المثقفين المسلمين.

٤. كان من البدهي أن القرآن الكريم حي وجديد دائما فتعدد نظر الشخص الواحد وتكررتدبره يجعل تجدد معانيه من ثراء المعاني والأفكار والعلوم والمعارف التي يحملها النص الواحد المحدد. وهذه الميزة القرآنية تتطلب الشخص المسلم تدبر آياته على وجه التعداد والتكرار لكي يعطي القرآن الكريم العطاء المتواصل في خريطة الفكر الديني المستقبلي طوال تاريخ الفكر البشري.

٥. عقد المحاضرات والندوات والدورات والحلقات العلمية وطبع الكتب والصحافات لترويج أبرز اتجاهات مناهج التفسير - التفسير الموضوعي والتفسير الأدبي الاجتماعي

والتفسير العلمي - في ساحة المجتمع المسلم المعاصر باعتبار أنها تتناسب مع مزاج العصر الحديث.

٦. استنهاض هم علماء الأمة لإثراء البحوث في مجال الإعجاز العلمي وإظهار نتائجها أمام المجتمع المعاصر بالوسائل الإعلامية المختلفة كباب جديد من أبواب الدعوة إلى الله. ولفتح همة الباحثين فيها يجدر أن تبذل الجهود الجماعية لتكثير الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة أو المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة في العالم الإسلامي - وخاصة - في جامعاته

٧. فمن واجب علماء الأمة أن يردوا كل محاولة لتشويه القرآن وتشكيكه بإثارة الشبهات حوله. وذلك بطريق الإسهام في وسائل الإعلام المختلفة المقررة والمسموعة والمرئية حتى يتم كشف فضيحة وخل تلك الشبهات وبالتالي يبينون - على الوجه المباشر - صورته الحقيقية الصحيحة.

وبعد... فهذه محاولة مشكورة ومتواضعة تتقدم بالبروز والظهور على حقل الدراسات القرآنية كرسالة ماجستيرية يتحملها الباحث الذي يأمل من وراءها أن يسهم في إثراء دراسة التفسير وعلومه والدفاع عن الطعنات والشبهات التي تتجه إلى رحاب القرآن وتفسيره.

وهذه الرسالة لا تبلغ درجة الكمال والجمال من حيث التعبير وقواعد اللغة ودقة استعمال المصطلحات فلا يبعد أن يلقي النقد البناء أو التعديلات المنتجة ممن يتمثل مؤهلا في الدراسات القرآنية وذلك لا يزال منشودا من الباحث. فما كان من نفع وصواب فمن فضل الله تعالى وما كان من خلل وزلل فمن قصوري وضعفي. فأستغفر الله وعذري فيها ما أرجوه من خلوص النية وأنها مبلغني من العلم والجهد والله من وراء القصد.

وأختم كما بدأت بحمد الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فله الحمد كما ينبغي لجلاله وجماله وعظيم سلطانه. وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفهارس :

- ١) فهرس الآيات القرآنية
- ٢) فهرس الأحاديث النبوية
- ٣) فهرس الأعلام
- ٤) فهرس الأشعار
- ٥) المصادر والمراجع
- ٦) فهرس الموضوعات

• فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾	٧	٢٤٠
سورة البقرة		
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	١٢٧، ٣٥
﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾	٣	١٨٣، ٨٠
﴿ فَإِنِ طَلَقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَّخِجَ ﴾	٢٣٠	٤٧
﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾	٢٣	١٦٢
﴿ ومن لم يطعمه ﴾	٢٦	١٨٦
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٢٩	٢٢٠، ١٦٩
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	١٤٢
﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾	٣٧	١٨٥، ٤٦
﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾	٤٣	٢٢
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ ﴾	٥٥	١١٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ ﴾	٦٢	٣٠٩
﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾	٧٣	٢٣٥
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾	٧٨	٢٠٢
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾	٨١-٨٠	٣٢٠
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾	١٠١	١٢٦
﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾	١٠٥	١٧٩، ٤٩
﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴾	١١١	٣١٧
﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١١٢	٣١٧، ٣٠٩
﴿ وَبِلَهِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا ﴾	١١٥	٥٢

١٢	١١٥	﴿ فَأَيِّدَمَا تَوَلَّوْا ﴾
٣١٢	١٣٦	﴿ قُولُوا أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾
٥٢	١٤٢	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ ، ... ﴾
١٥٨	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾
٥٢، ٢٣٢	١٤٤	﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
٢٠٦، ١٦٥	١٦٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ ... ﴾
٣٢٣، ٢٣٨	١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾
١٥٩	١٧٣	﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾
١٦٢	١٧٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾
١٧٨	١٨٠	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾
١٥٨	١٨٤	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾
١٢٧	١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾
١٦٥	١٨٥	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾
٩٦ ، ٥٧	١٨٧	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ... ﴾
٢٦٦	١٨٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ ﴾
١٧٨	٢١٥	﴿ قُلْ مَا أَنْفَعْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾
٢٤٤	٢١٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾
٤٩	٢٢١	﴿ وَلَا تَتَّكِفُوا الْمَشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ ﴾
١٨٤	٢٢٨	﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾
١٩٨	٢٣٣	﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾
٣٠٤	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾
٢٣٥	٢٤٢	﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
١٨٦	٢٤٩	﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾
٣٢٢	٢٥٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾
١٧١ ، ١٧٠	٢٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ﴾
٣٠٤	٢٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا ﴾
١٧٨	٢٧٢	﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾
٢٠٦، ٣٣٤	٢٨٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ ﴾
٣٣٦، ٣٣٤	٢٨٢	﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾
٣٤١	٢٨٢	﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾

- ﴿ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴾ ٢٨٥ ١٨٣
- ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ..... ﴾ ٢٨٦ ١٥٧

سورة آل عمران

- ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا..... ﴾ ٣ ١٦٢
- ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ..... ﴾ ٧ ٤٦، ١٨
- ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ..... ﴾ ١٩ ٣١٣
- ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ..... ﴾ ٢٠ ٢٠٢
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ..... ﴾ ٢٣ ١٢٦
- ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ..... ﴾ ٥٢ ٤٦
- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ..... ﴾ ٥٥ ٥٣
- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ..... ﴾ ٥٩ ٣٢٣
- ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ..... ﴾ ٦٣ ٢٣٨
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ..... ﴾ ٧٥ ٢٠٢
- ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ..... ﴾ ٨٥ ٣١٣
- ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ..... ﴾ ١٣٧ ١٦٨
- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ..... ﴾ ١٥٩ ١٩٨
- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ..... ﴾ ١٩٠ ٢٠٦

سورة النساء

- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا..... ﴾ ٣ ١٣٢
- ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ..... ﴾ ٧ ٣٣٢
- ﴿ يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ... ﴾ ١١ ٣٣٢، ٣٣٣
- ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ..... ﴾ ١٢ ٣٣٢
- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ..... ﴾ ٢٨ ١٥٧
- ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ... ﴾ ٣٦ ١١١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا..... ﴾ ٤٧ ٣١٤
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ..... ﴾ ٦١ ٢٣٧

٢٣٧ ، ١٣٤	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾
٩٨	٦٦	﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ..... ﴾
٢١٣	٧٨	﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ..... ﴾
٢٩٥	٨٠	﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ..... ﴾
٢٩٦	٨٢	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ﴾
٢١٣	٨٩	﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾
٤٧	٩٢	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً..... ﴾
٢٩٦	١٢٩	﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ..... ﴾
٢٩٦	١٢٩	﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾
١٦٢	١٣٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ..... ﴾

سورة المائدة

١٨٥	١	﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ..... ﴾
١٨٥	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ..... ﴾
٦٠	٣	﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ..... ﴾
٥٠	٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ..... ﴾
١٨٥ ، ٥٠	٥	﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ..... ﴾
١٥٧	٦	﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ..... ﴾
٣١٤	١٦-١٥	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ..... ﴾
٣٠٢	٣٩-٣٨	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا..... ﴾
١٥١	٤٦	﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا..... ﴾
١٥١ ، ١٤٨	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا..... ﴾
١٣	٤٨	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا..... ﴾
٣١٣ ، ٣٠٩	٦٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ..... ﴾
٣١٣	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..... ﴾
١٥٤	٧٩-٧٨	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..... ﴾
٤٨	٨٩	﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ..... ﴾
١٨٦	٩٦	﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ..... ﴾

سورة الأنعام

١٧٩	١٧	﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
١٣١، ٦٧	١٩	﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ..... ﴾
٢٦٣، ٢٣٣	٣٨	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ..... ﴾
٦٠	٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم..... ﴾
١٨٤، ٩٦، ٣٤	٨٢	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ..... ﴾
٣٢١	٩١	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ..... ﴾
٦٨	٩٣	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ..... ﴾
١٦٨	٩٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا..... ﴾
١٣٨	١٢٢	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِنِّيًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا..... ﴾
٣٣٩	١٢٥	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ..... ﴾
١٣٩	١٣٢	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ..... ﴾
٣٠٩	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ..... ﴾
٢٣٩	١٥٨	﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ..... ﴾

سورة الأعراف

٣٢٠	١٢-١٣	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ..... ﴾
١٨٥	٢٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا..... ﴾
١٣٢	٢٦	﴿ وَلِبَاسِ النُّعُورِ ذَلِكَ خَيْرٌ..... ﴾
٣٠٢	٣١	﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ..... ﴾
٣٥٥، ٣٢٩، ٣٢٦	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ..... ﴾
٢٦٥	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ..... ﴾
١٨	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ..... ﴾
١٧٩	٨٧	﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ..... ﴾
٥١	١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ..... ﴾
٣١٤، ٢٠٢، ٢٠١	١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ..... ﴾
١٥٧	١٥٧	﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ..... ﴾

٣١٤ ، ٢٣١	١٥٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ..... ﴾ -
٢٠٢	١٥٨	﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ -
٢٠٦	١٧٩	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ..... ﴾ -
٢٩٥	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ -

سورة الأنفال

١٧٨	٢٣	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ -
١٣٩	٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ..... ﴾ -
٢٠٠	٣٠	﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ..... ﴾ -
٣٣٨	٣٣	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ -
٩٧	٦٠	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..... ﴾ -
١٧٨	٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى..... ﴾ -

سورة التوبة

٤٥	٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ..... ﴾ -
٣٢٣	٣٠	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرَ ابْنُ اللَّهِ..... ﴾ -
٢٢	٣٨	﴿ ﴾ -
٣٢٢	٦١	﴿ ﴾ -
١٠٢	٨٤	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا..... ﴾ -
٢٠٦	١٢٢	﴿ ﴾ -

سورة يونس

٣٢٦	٢٤	﴿ ﴾ -
٣٠٨	٣	﴿ ﴾ -
٢٢٠	١٠١	﴿ ﴾ -

سورة يوسف

٥٦	٢-١	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ .إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ.....﴾
٢٦٣ ،٥٦	٢	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.....﴾
٣٤٢	٣	﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ.....﴾
٢٠٠	١٠-٧	﴿قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ.....﴾
١١٨	٢٨	﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ.....﴾
٢١٧	٥٣	﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي.....﴾
٣٤٢ ،٣٤١	٩٥	﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ.....﴾
٢١٧	١٠١	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ.....﴾
٦٧	١٠٤	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.....﴾
١٥٥	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.....﴾
١٥٤	١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ.....﴾

سورة الرعد

٢٨٨	٢	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ.....﴾
٢٠٩	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ.....﴾
٣٤١	١٤	﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ.....﴾
١٧٩	٣١	﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ.....﴾
٣٢٠	٣٢	﴿يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا.....﴾
٢٦٩	١١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ.....﴾

سورة إبراهيم

٥٦	٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ.....﴾
٣٢١	١١- ١٠	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ.....﴾

سورة الحجر

- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ..... ﴾ ٩ ٣١٧ ، ٢٣٢
- ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ..... ﴾ ١٤-١ ٤٤

سورة النحل

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ..... ﴾ ٢٤ ٣١٨
- ﴿ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ..... ﴾ ٤٤ ٢٥٦ ، ١١٩
- ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ..... ﴾ ٨٩ ٢٦٣ ، ٢٣٣
- ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ..... ﴾ ١٠٣ ٣١٨
- ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ..... ﴾ ١٠٣ ٣١٨
- ﴿ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ..... ﴾ ١٢ ٣٣٨
- ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..... ﴾ ١٢٥ ٣١٧

سورة الإسراء

- ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..... ﴾ ٩ ٢٢٦ ، ١٣٧
- ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ..... ﴾ ١٢ ١٦٨
- ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا..... ﴾ ١٥ ٢٣٧
- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ..... ﴾ ٣٦ ٢٥٦
- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ..... ﴾ ٤٤ ٢٩٠
- ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..... ﴾ ٧٠ ١٣٩
- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ..... ﴾ ٧٩ ٢٣٢
- ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ..... ﴾ ٨٢ ٢٢٦
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ قُلِ الرُّوحِ..... ﴾ ٨٥ ٢٦٦
- ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا..... ﴾ ٨٥ ٢٦٦ ، ٢٣٤
- ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ..... ﴾ ١٠٥ ١٦٢

سورة الكهف

- ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ٥٦ ٣٢٠
 ﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا ﴾ ٧٧ ٥١

سورة مريم

- ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ ﴾ ٢٧-٢٨ ١٩٧
 ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ ﴾ ٢٩-٣٠ ١٩٧

سورة طه

- ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ٥٢ ٣٤٢، ٣٤١

سورة الأنبياء

- ﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٦٧ ٢٣٥
 ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ ١٠٥ ١٤١
 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ١٠٧ ١٦٥

سورة الحج

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ ﴾ ١٧ ٣١٠
 ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ١٩ ٥٤
 ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ٢٧ ٥٥

- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ.....﴾ ٣٦ ١٧٩ -
 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ.....﴾ ٤٦ ١٦٨ -
 ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ.....﴾ ٥٤ ١٦٦ -
 ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.....﴾ ٧٨ ١٥٧ -

سورة المؤمنون

- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.....﴾ ١١٨ ١٧٩ -

سورة النور

- ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.....﴾ ٢ ٣٠٢ -
 ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.....﴾ ٣١ ٣٢٦ -
 ﴿وَلِيُضْرِبَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.....﴾ ٣١ ٣٢٧ -
 ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا.....﴾ ٣٣ ١٧٨ -
 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ....﴾ ٥٥ ١٤١ -

سورة الفرقان

- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ.....﴾ ١ ١٦٢، ٦٧ -
 ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.....﴾ ٤ ٣١٨ -
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ.....﴾ ٥-٤ ٨٢-٨١ -
 ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ.....﴾ ٣٣ ١٦ -
 ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا.....﴾ ٥٢ ١٨٨ -

سورة الشعراء

- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.....﴾ ١٥٢-١٥٠ ٢٠٠ -
 ﴿وَإِنَّهُ لَنُنزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزْلًا بِهِ الرُّوحُ.....﴾ ١٩٤-١٩٢ ١٦٢ -

سورة النمل

- ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ﴾ - ٣٣-٣٢ ١٩٩
- ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ﴾ - ٥١- ٤٨ ٢٠٠
- ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ - ٦٤ ١٦٦
- ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا ﴾ - ٨٢ ٦٨

سورة القصص

- ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ - ٢٤ ١٧٩
- ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ ﴾ - ٥٠ ٢٢٨

سورة العنكبوت

- ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ - ٢٩ ٣١٧
- ﴿ وما كنت تتلو من قبله ﴾ - ٤٨ ٣١٨ ، ٢٠٢
- ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ - ٦٩ ٤٥

سورة الروم

- ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ - ٧-٦ ١٦٥
- ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ - ٤١ ١٥٥
- ﴿ انظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ - ٥٠ ٢٤١

سورة لقمان

- ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ - ٣ ١٨٤ ، ٩٦ ، ٧٦ ، ٣٤
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ - ١٠ ٢٨٨
- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ - ٢٧ ٧٢

سورة الأحزاب

١٨٠	٢٥	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا خَيْرًا ﴾ -
٩٨	٣٣	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ.... ﴾ -
٢٢٨	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ..... ﴾ -
٤٧	٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ..... ﴾ -
٢٣٢	٥٠	﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..... ﴾ -

سورة السبأ

٢٣٢ ، ١٣١	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ -
-----------	----	---

سورة الفاطر

١٦٩	٢٧	﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ..... ﴾ -
١٦٦	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..... ﴾ -
٢٨٨	٤١	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ..... ﴾ -

سورة يس

٤٢	٥٥	﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ..... ﴾ -
----	----	---

سورة الصافات

١٩٩	١٠٢	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي..... ﴾ -
-----	-----	--

سورة ص

١٠٠ ، ٧٤ ، ٧٣	٢٩	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ..... ﴾ -
١٧٨	٣٢	﴿ قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ..... ﴾ -

سورة الزمر

- ١٦٨ ٦ ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ..... ﴾ -
- ١٦٢ ٢٣ ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ -
- ٥٤ ٤٢ ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..... ﴾ -
- ٢٨٩ ٧٥ ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ -

سورة غافر

- ٣٢٠ ٤ ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا..... ﴾ -
- ٣٤١ ٢٥ ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ..... ﴾ -
- ١٦٦ ٥٦ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ..... ﴾ -

سورة فصلت

- ١٦٩ ٩ ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ..... ﴾ -
- ١٦٩ ٩ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ..... ﴾ -
- ٢٩٠ ٣٧ ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ..... ﴾ -

سورة الشورى

- ٣٠٩ ١٣ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا..... ﴾ -
- ١٣٧ ٥ ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا..... ﴾ -
- ١٩٨ ٣٨ ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ..... ﴾ -
- ٣٤٢ ٥٢ ﴿ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ..... ﴾ -

سورة الزخرف

- ١٦٦ ١٩ ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِئَاءً ﴾ -

- ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ٥٢ ١٧٩
 ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ ٥٨ ٣٢٠

سورة الجاثية

- ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ١ ٢٢٠
 ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ ١٨-١٩ ٢٢٨

سورة الأحقاف

- ﴿ انْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا ﴾ ٤ ١٦٦

سورة محمد

- ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ٢٤ ٧٤

سورة الفتح

- ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ٢ ٣٣٩

سورة الحجرات

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ ٤ ٢٣٥
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ ٦ ٢٦٥

سورة ق

- ﴿ أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ٦ ٢٤١
 ﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ ٢٥ ١٧٩

سورة الذاريات

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ..... ﴾ ٤٨ ١٦٩

سورة النجم

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى..... ﴾ ٢ ٣٤٣

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ..... ﴾ ٤-٣ ١٦٢

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى..... ﴾ ٩-٨ ٥٢

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى..... ﴾ ١٨ ٢٣٤

سورة القمر

﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ..... ﴾ ١٧ ٢١٥، ٧٥

﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر..... ﴾ ٤٥ ١٤١، ١٤٠

سورة الرحمن

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ..... ﴾ ٢٢-١٩ ١٦٨

سورة الحديد

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ..... ﴾ ٣ ١٠٦

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ..... ﴾ ٤ ١٥٣

سورة المجادلة

- ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ..... ﴾ ٣ ٤٧
 ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ..... ﴾ ١١ ٢٠٦

سورة الحشر

- ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ..... ﴾ ٧ ٢٩٥
 ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ..... ﴾ ١٤ ٢٣٥
 ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا..... ﴾ ٢١ ١٤٤
 ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصُور..... ﴾ ٢٤ ٤٥

سورة الصف

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ..... ﴾ ١٤ ٤٧

سورة الجمعة

- ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ..... ﴾ ٢ ٢٠٢
 ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا..... ﴾ ٥ ١٦٧

سورة المنافقون

- ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..... ﴾ ٨ ٣٢١، ١٣٩

سورة التغابن

- ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ..... ﴾ ١٤ ١١٧

سورة الطلاق

﴿ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ ﴾ ٤ ١٨٤ -

سورة الملك

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ ١٠ ٢٣٥ -

سورة القلم

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ١ ٢٠٦ -

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ٤ ٢٩٥ -

سورة الحاقة

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ ٤١-٤٢ ١٦٢ -

سورة نوح

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ١٥-١٦ ٢٩٠ -

سورة المزمل

﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ٤ ١٠٠ -

سورة القيامة

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ١٧-١٩ ١٦٣، ٥٦ -

سورة النازعات

- ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَدُ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا..... ﴾ ٢٧-٢٨ ١٦٩
﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا..... ﴾ ٣٠ ١٧٨

سورة عبس

- ﴿ وَفَاكِهَةٌ وَأَبَابٌ..... ﴾ ٣١ ٦٠، ٥٧

سورة الانفطار

- ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ..... ﴾ ١٣ ٢٥١

سورة الانشقاق

- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ..... ﴾ ٧-٩ ٩٦

سورة الطارق

- ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ..... ﴾ ٥-٨ ٢٤١

سورة الأعلى

- ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى..... ﴾ ٨٦ ٣٣٨

سورة الفجر

- ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ..... ﴾ ١٠ ٢٣٧

﴿ إِن رَّبِّكَ لِالْمَرۡصَادِ ﴾ ١٤ ٢١

سورة الضحى

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ٧ ٣٤٠، ٣٣٧

سورة الشرح

﴿ وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ ﴾ ٤-٢ ٣٣٦

سورة العلق

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ٥-١ ٢٠٦

سورة البينة

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ٤-١ ٣١٣

سورة العصر

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ٣ ٢٤٩

سورة قريش

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ٤ ١٨٥

سورة النصر

٢٤ ، ٢٣

٣-١

- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ..... ﴾

سورة الفلق

١١٨ ، ١١٧

٤

- ﴿ النَّقَاتِ فِي الْعُقَدِ..... ﴾

• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الأحاديث
٢٦٩	((أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم.....))
٢٦٤	((اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم.....))
٣٠٤	((أشفع في حد من حدود الله))
١٥٧	((أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ.....))
١٥٩	((ادربوا الحدود بالشبهات))
١٦٠	((ادْرَبُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ))
٢٧٢	((اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه.....))
٢٣	((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.....))
١٥٧	((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد))
٨٥	((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة.....))
٢٧٢	((إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل))
٢٧٣	((أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ))
١٤٩	((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ.....))
٢٧١	((إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعا.....))
٤١	((إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا.....))
٣١٥	((أنه في يوم من الأيام دخل عمر بن الخطاب.....))
٤٨	((أنهما قرآ ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾.....))
١٤٩-١٤٨	((بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً.....))
٣١٥	((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين.....))
٣٢٤ ، ٣١٧	((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم.....))
٢٧٢	((ستكون فتن قيل وما المخرج))
١٦٣	((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ.....))

- ٢٣ ((كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن.....))
- ٤٦ ((لكل نبي حواريا وحواري الزبير.....))
- ١٤١ ((لما نزلت ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾))
- ٨٦ ((مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ.....))
- ٢٧٢ ((مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلِيهِ بِالْقُرْآنِ.....))
- ٤٠ ((من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.....))
- ٢٦٤ ((من قال في القرآن برأيه فأصاب.....))
- ٣١٤ ، ٣١٢ ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي.....))
- ٣١٥ ((والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم))
- ١٢٦ ((وَيَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ.....))
- ١٨٤ ((يا رسول الله فأينا لم يظلم نفسه؟.....))
- ٣١٢ ((لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب.....))
- ١٥٠ ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))
- ٥٥ ((لا تفقه كل الفقه حتى ترى في القرآن وجوها.....))
- ٢٣٩ ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.....))

• فهرس الأعلام

الصفحة	الأسماء
	(أ لف)
٤٦ ، ٦٨ ، ١٣٩ ، ١٨٥ ، ٢٥٣ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣	آدم
٣٠١	آثر جفري
٣٧٣ ، ١٠٣	الأخفش
٥٠ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ٢٠١	الآلوسي
٣٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٦٨	
١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٢٢ ، ٣٧٣	إبراهيم (عليه السلام)
٢٠٣	إبراهيم أنيس
٥٧	إبراهيم التيمي
١٢٩	أبراهم جيجر
٣٣	إبراهيم عبد الرحمن خليفة
٢٨٤	إبراهيم محمد بوملحة
٢٤٠ ، ٦٢	ابن أبي حاتم
٢٦٨	ابن أبي الفضل المرسي
٣٢١	ابن أبي الأصبع
٢٠ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦١ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٦٨	ابن تيمية
٢٧	ابن جريج
١٧٦ ، ١٠١ ، ٥٠	ابن الجوزي
٦٢	ابن حبان
٣١٩ ، ٣١٧ ، ٢٧٥	ابن حزم
٤٥	ابن زيد
٥٥	ابن سعد
٣٠١ ، ٢٧٤ ، ٢٠١ ، ٥٢ ، ٥١	ابن عمر
٤٤	ابن عامر
١١١ ، ٧٤ ، ٦٣	ابن عربي
٣٢٩ ، ٣٢٨ ، ٢٣١ ، ١٨٥ ، ٥٠	ابن العربي

١١٢ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٣٢	ابن عطية الأندلسي
١٩٧ ، ١٨ ، ١٢	ابن فارس
٢٠٣	ابن عبد ربه
١٧٦	ابن العماد
٢٠٣ ، ٢٩ ، ٢٨	ابن قتيبة
١٨٦ ، ٥١	ابن القيم
١١٧ ، ١١٢ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٨٦ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٠	ابن كثير
١٩٥ ، ١٥٠	
٢٣٩ ، ٦٢	ابن ماجه
٢٠٥	ابن معتب
٥٥	ابن منذر
١٦	ابن منظور
٢٠٠	ابن هشام
٢١٠	أبو الأعلى المودودي
٤٥	أبو جعفر
١٨٦	أبو جعفر النحاس
٤٨	أبو حنيفة
٦٢	أبو بكرين مردويه
٥٧	أبو بكر الصديق
٢٦٨ ، ٩٩ ، ٥٠ ، ٣١ ، ١٧	أبو حيان
١٠٣	أبو حاتم السجستاني
٣٢٨ ، ٢٣٩ ، ٨٥	أبو داود
٥٥ ، ٢٧	أبو الدرداء
٥٢	أبو ذر
٢٧٧ ، ٢٧٠	أبو زهرة
٢٩٩	أبو زيد الدمهوري
٢٦٨ ، ١١٢ ، ٥٠	أبو سعود
٢٧٢ ، ٦٢	أبو الشيخ ابن حبان (الأصبهاني)
٣٤١	أبو عبيد
١٠٥ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٥٧ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧	أبو عبيدة معمر بن مثنى

١٨٦ ، ١١٣	
٤٥	أبو عمرو
٦١	أبو العالية
٥٥	أبو قلابة
٥٨	أبو موسى الأشعري
١١٧	أبو مسلم
٥٥	أبونعيم
١١١	أبو محمد الشيرازي
٣٠١ ، ٢٧٢ ، ٢٣٩ ، ١٥٧ ، ١٥٠ ، ٥٨ ، ٥٢	أبوهريرة
٣١٥ ، ٣١٢	
٦١ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٤٨ ، ٢٧	أبي بن كعب الانصاري
١٩٨	أبوسفيان
١٩٤	أحمد عمري
٢٨٣	أحمد الغمراوي
٢٤٨ ، ١٢٥	أحمد أمين
٢١٠ ، ٦٨ ، ١٤	أحمد خان
١٩٤	أحمد السيد الكومي
٢٨٩ ، ٢٧٨ ، ٦٤	أحمد شوقي إبراهيم
١٨٩	إدوار مونتيه
٣٤٧ ، ٢٨٦ ، ١٣٣ ، ١٢٩ ، ٨٢ ، ٨١	أركون
٤٣	الأعمش
٣٠٤	أسامة
٣١٢ ، ١٩٩ ، ١٤٩	إسماعيل (عليه السلام)
٤٣	إسماعيل بن أبي خالد
١٨٩	إسماعيل عمارة
٣١٠	أرنس ترولت
٦١	الأسود بن يزيد
١٠٣	الأصمعي
٥٠ ، ٤٣	الأوزاعي

٢٦٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠	أمين الخولي
٢٦٧	
٥٨، ٥٧، ٥٢	أنس ابن مالك
	(ب)
٢٧٥	الباقلاني
١٥٧، ١٥٠، ١٢٠، ١١١٦، ٦١، ٢٨، ٢٣	البخاري
٢٣٩، ١٩٩، ١٥٨	
١٠٣، ١٠١، ١٠٠، ٩٧، ٥٠	البعوي
١٠٠	بقي بن مخلد الأندلسي
٢٠٤	البلاذري
٢١٨، ٢١٧	بهجت البيطار
٥٥	البيهقي
٢٦٨، ١١٧، ١١٢، ١١١، ٨٨، ٧٣، ٥١، ٥٠	البيضاوي
	(ت)
١١١، ٩٩	التستري
٢٧٢	الترمذي
٢٧٥	توفيق علوان
	(ث)
١١٧، ٦٣	الثعلبي
٥٠، ٤٨	الثوري
١٢٩	ثيودورنولدكه
	(ج)
١٤٩، ٥٨، ٥٢	جابر بن عبد الله
٢٠٣	الجاحظ
٢٧٧، ٢٧٠	جاد الحق علي جاد الحق
١٣٠	جادمير
٢٧٥	الجرجاني
١٨٦، ١٠٧، ٦٣، ٤٩	الجصاص
٢٧٧، ٢٧٠، ٣٢، ١٤	جمال الدين القاسمي
٢٤٧، ٢٢٢، ٢١٦، ٢١٣، ٢١٠، ٢٠٨	جمال الدين الأفغاني

١٩٥ ، ١٤٨	جمعة علي عبد القادر
٣٠٠	جولد تسهير
١٨٩	جول لابوم
٣١١	جون حيك
	(ح)
٦٢	الحاكم
٢٠٥	الحجاج بن يوسف الثقفي
٦١ ، ٥٤ ، ٤٣ ، ٢٨ ، ٢٧	الحسن البصري
٢٧٠ ، ٢٤٨ ، ١٤	حسن البنا
١٠٩ ، ١٠٦ ، ٨٤ ، ٧٠ ، ٦١ ، ٥٩ ، ١٩ ، ٥	حسين الذهبي
١١٥ ، ١١٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤	
٢٦٥	
١٩٤	الحسيني أبوفرحة
٢٨٣	حنفي أحمد
١٥٩	حاطب بن أبي بلتعة
٢٠٣	حنفي ناصف.
٤٤	حمزة
	(خ)
٢٦١ ، ٦٣ ، ٥٠	الخازن
٢٦٧ ، ٩٣	خالد عبد الرحمن العك
٢٧٥	الخطابي
٤٥	خلف
	(د)
٢٤٦	داروين
١٧٨ ، ١٧٦	الدامغاني
٢٤٦	دوركايم
	(ر)
٣٢ ، ٦٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥	رشيد رضا
٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧	
٢٧٧ ، ٢٧٠ ، ٢٤٨	

٢٧٦ ، ١٩٧ ، ٨٨ ، ٣٢ ، ٢٢ ، ١٨
٣١ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٢ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ٢٠٢ ،
٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨
٦٣ ، ٢٧٥

الراغب الاصفهاني
الرازي (فخرالدين الرازي)

الرماني
(ز)

١٩٤
٤٦
٣٤٢ ، ٢٠١
١٧ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ١١٠ ، ٢٣٠
٦٤ ، ٨٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
١ ، ١٩ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١١٧ ، ٢٧٦

زاهرعواض الألمعي
الزبير (بن عوام)
الزجاج
الزرکشي
زغلول النجار
الزمخشري

١٥٠ ، ٦١
٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٠٥
٣٣٦ ، ٣٣٥

زيد بن أسلم
زيد بن ثابت
زينب رضوان
(س)

٢٨ ، ٢٧
٢٤٧
٢٧٣
٣٠١

السدي الكبير
سارتر
سعاد يلدروم
سعد بن أبي وقاص

٦١ ، ٤٩ ، ٢٧ ، ٢٣
١٥٠ ، ٥٢ ، ٤٣
٢٧٢ ، ٥٥
٢٧٣ ، ٢٧٠

سعيد بن جبير
سعيد بن مسيب
سعيد بن منصور
سعيد النورسي (بديع الزمان)

٥٠
٢٨٤
٩٧ ، ٣١
١٩٧
٤٣

سفيان الثوري
سعيد حارب
السمرقندي (أبوالليث)
السمين الحلبي
سليمان التيمي

١٤٢، ١٥٠، ١٩٩	سليمان (عليه السلام)
١١٠، ١١١	السلمي
٣٢، ٦٤، ١١٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،	سيد قطب
٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٧٧	
٢١٢	السيد يوسف
١٧، ٢٢، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٥٠، ٧٦، ٨٠،	السيوطي
١٠٥، ١١٣، ١٩٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٦٨، ٢٧٢،	
٢٧٦، ٣٢١، ٣٧٩	
	(ش)
٧٨، ١٠٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧	الشاطبي
٤٨، ٦١، ١٠٧، ٢٦١، ٢٦٨	الشافعي
٥٢، ٦١	الشعبي
٧٤، ٧٩، ٨٠، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٣	الشعراوي
٥٠، ٥٥، ١٠١، ١١٧، ٢٧٦	الشوكاني
	(ص)
١٩٩، ٢٠٠	صالح (عليه السلام)
٢٨٤	صباح الأحمد الجابر الصباح
٦، ١٣، ٢١، ١٩٥، ٢٨٥، ٢٩٢	صلاح عبد الفتاح الخالدي
١٧١، ٢٧٨، ٢٨٣	صلاح أحمد حسن
	(ض)
٤٥، ١١٧	الضحاك
	(ط)
٦١	طاوس
٩٩	الطباطبائي
٩٨	الطبرسي
٦٥، ٨٨، ٢٥٤، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٣،	جوهرى طنطاوي
٢٩٩، ٣٠٠	
١٢٥، ٣٠١	طه حسين
	(ع)
٣٤، ٥٢، ٥٨، ٧٦، ٩٦، ١٦٠، ٤٠٤	عائشة بنت أبي بكر

٢٢٨ ، ١٢٤ ، ١٠٤	عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ
٤٤	عاصم
٢٠٥	عبادة بن الصامت
٢٦٧ ، ٢٤٨ ، ٢٢٤	عباس المحمود العقاد
٦٣	عبد الجبار بن أحمد
١٩٤	عبد الجليل عبد الرحيم
٢٧٧ ، ٢٧٠	عبد الحميد باديس
١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٨٥ ، ٩٤	عبد الحي الفرماوي
٢٦٧ ، ٢٤٨	عبد الحلیم محمود
٢٨٢	عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي
١٩٤	عبد الستارفتح الله السعيد
٢٦٥	عبد العزيز بن باز
٢٣٥ ، ٢١١	عبد العزيز جاویش
٢٧٩ ، ٢٧٠ ، ٢٠٣	عبد العظيم الزرقاني
٢٧٧ ، ٢١١	عبد القادرالمغربي
٣٠٠ ، ٢٦٧	عبد الكريم خطيب
٥٨	عبد الله بن زبير
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢	عبد الله بن عباس
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٩	
١٠٤ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٢	
٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٢٨	
٥٨	عبد الله بن عمرو بن العاص
٢٧ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢	عبد الله بن مسعود
٩٧ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠١	
٢٨٠	عبد الله حسن زروق
٢٦٧ ، ١٣٨ ، ١٠٤	عبدالله دارز
٢٦٧	عبد الله المشد
٨٥	عبدالمتعال الصعيدي
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣	عبدالمجيد الزنداني
٢١٠	عبد المجيد المحتسب

٢٦٧	عبد العزيز (باشا) إسماعيل
٩٣ ، ١٣ ، ٦	عبد الغفور محمود مصطفى جعفر
٢٨٣ ، ٢٨٠	عبد الله شحاتة
٥٩	عثمان بن عفان
٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٨	عدنان محمد زررور
٢٠٥	عدي بن زيد العبادي
٣٠٤	عروة
٢٦٨	عزالدين بن عبد السلام
٦١ ، ٥٢ ، ٢٧	عطاء
١٤١ ، ١١٧ ، ٦١ ، ٤٣ ، ٢٧	عكرمة
٧٦ ، ٥٧	عدي بن حاتم
٣٢٣ ، ٣١٣ ، ٤٩	عزيز
٦١	علقمة بن قيس
٢٠٥	عمرو بن زرارة
١٣٣ ، ٨٤	عمارة
٢٩٦ ، ١٨٧ ، ٥٩	علي بن أبي طالب
٢٦٨	علي بن عيسى
١٤٢	علي الحسيني الندوي
١٨٥	علي خليل
٣١٥ ، ١٤٩ ، ١٤١ ، ٦٠ ، ٥٩	عمر بن الخطاب
٤١	عمرو بن شعيب
٢٧	عويمر بن عامر
٣١٩	عياض بن موسى (قاضي عياض)
٣٠٩ ، ١٨٧ ، ١٥٤ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٧ ، ٤٦	عيسى (عليه السلام)
٣٢٣ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١٢ ، ٣١١	
	(غ)
٢٨٢	الغازي أحمد مختار باشا
٢٧٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ١٠٥ ، ٨٨	الغزالي (أبو حامد)
١٢٩	غوستاف فايل
٢٠٥	غيلان بن سلمة

(ف)

٢٠٨	الفاضل بن عاشور
٨٢	الفاربي
١٠٣، ٢٩، ٢٨، ٢٧	الفراء
٢٤٦	فرويد
٢٧٠، ٢٣٦، ٢١١	فريد وجدي
٢٣٢، ٢١٢، ٢١٠، ٩٣، ٦	فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي

(ق)

١٦٩، ١١٧، ٦١، ٥٣، ٤٩، ٤٣، ٢٧	قتادة
٢٧٧، ٢٧٠، ٢٤٨، ١٥٨، ١٤٣، ١٣٥	القرضاوي
١٠٣	٣١١
١٠٣	قطرب
١٠٨، ١٠٧، ١٠٣، ٧٤، ٧٣، ٦٣، ٥٠	القرطبي
٢٧٦، ١٨٥، ١٦٧، ١٤٤، ١١٧	

(ك)

١٠٣، ٤٤	الكسائي
١٤١، ٤٥	الكلبي
١٠٧	الكيالهراسي
٢٨١	كيث إل مور

(م)

٢٤٦	ماركس (كارل ماركس)
٥٠	مالك (مالك بن أنس)
١٦٩، ١١٧، ١٠٥، ٦١، ٤٥، ٤٣، ٢٧، ١٩	مجاهد
٣٢٧	
٣٤٧، ٣٠٠، ١٢٥	محمد أحمد خلف الله
١٩٤	محمد باقر الصدر
١٦٠، ١٥٩	محمد البلتاجي
٥٤، ٤٩، ٤٦، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ١٩	محمد بن جرير الطبري
١١٢، ١٠٣، ١٠١، ٩٧، ٧٤، ٦٣، ٦٢، ٥٥	
٢٦١، ١١٧	

٣٤٧ ، ٣٣٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٥ ، ٣٠٠	محمد شحرور
٢٦٦ ، ٢٤٦ ، ٢١١ ، ٦٦ ، ٦٤	محمود شلتوت
١٨٩	محمد فؤاد عبد الباقي
٣٢ ، ٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٢	محمد مصطفى المراغي
٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧	
٨٣	محمد نعيم محمد هاني ساعي
٦١	مرة الهمذاني
٦١	مسروق
٢٤٦	مصطفى كمال أتاتورك
٣٠٠	مصطفى محمود
٢٠٧	مصطفى ناصف
٥٤	مطرالوراق
٢٧ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٥	مقاتل بن سليمان البلخي
٢٢٦ ، ٢٢٨	محمد إبراهيم شادي
٢٨٢	محمد بخيت المطيعي
١٤	محمد بن أحمد الاسكندري
٦١	محمد بن كعب القرظي
٢٨٣	محمد جمال الدين الفندي
١٠٨	محمد صديق خان
٧٢ ، ٧٥ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠	محمد الطاهر بن عاشور
٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٩	
١٨٩	محمد عبد الخالق عضيمة
٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩	محمد عبده
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠	
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤	
٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣	
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠	
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧	
٣٤٤	
٢٧٠ ، ٢٤٨	محمد الغزالي

١٨١ ، ١٣٦	محمد محمود حجازي
١٦٠	محمد النويهي
٢٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤	محمد قطب
٢٤٢	المرسى (ابن أبي الفضل)
٣١٥ ، ١٩٧ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ٤٧	مريم (أم عيسى)
١٢٥	مصطفى عبد الرازق
٢٩٧	مصطفى السباعي
١٨٩	مصطفى السيد
٢٨٢	مصطفى صادق الرافعي
١٩٤	مصطفى مسلم
٢٦٩	معاذ بن جبل
٣٠١	المغيرة
٢٦٧ ، ١٠٨	مناح قطان
٣١٩	المناوي
٣٢٥	منير محمد طاهرالشواف
٥١ ، ٨١ ، ١١٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٣٧ ، ٣٠٩	موسى (عليه السلام)
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢١	
٢٣	ميمونة
	(ن)
٤٤	نافع
٢٤٦	نيتشه
١١١	نجم الدين داية
٣٠٠ ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٣٣ ، ١٢٩	نصر حامد أبو زيد
٣٢٢	النمرود
١١٣ ، ٨٨ ، ٦٢	النيسابوري (نظام الدين القمي)
٦١	النووي
٥٢	النخعي
٣١٢ ، ٢٦٨ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ٥١	النسفي
	(و)
٣٤٢ ، ١٨٦ ، ١١٠ ، ١٠٣ ، ١٠٠	الواحدى

٢٠٥	ورقة بن نوفل
١٧٩	الوليد بن المغيرة
١٢٩	ويليام موير
	(هـ)
١٣٠	هيرش
٢٤٦	هيجل
	(ي)
٢٠٠	يوسف (عليه السلام)
٢٧	يحي سلام البصري
٣١٢، ٢٠٠	يعقوب (عليه السلام)
٤٥	يعقوب (القراء)
٢٠٥	يوسف بن الحكم الثقفي
٣٢٦	يوسف الصيداي
٣١٢	يسوع

• فهرس الأشعار

الصفحة

الأشعار

قال الزمخشري معتزاً بكشافه :

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمرى مثل كشافى ١
إن كنت تبغى الهدى فالزم قرائته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

* (راجع هذ الشعر في كتاب : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان، ج ٢ ص ٢٨٠)

* فى الحقيقة أن الزمخشري قد جمع كل هذه الوسائل التي لا بد منها للمفسر، فأخرج للناس هذا الكتاب العظيم فى تفسير القرآن "الكشاف عن حقائقه، ، المطلع على غوامضه، والخائض في بحاره المثبت فى إعجاز القرآن البياني المُلحِّص لنكته ولطائف نظمه ولما علم الزمخشري أن كتابه قد تحلّى بهذه الأوصاف قال بهذا الشعر متحدثاً بنعمة الله:

قال عبد الله بن معاوية :

وعين الرضا عن كل عيب كليفة * ولكن عين السخط تبدي المساويا ٣٧

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب: وكان عالماً ، ناسباً ، وكان خطيباً مَفَوَّهاً ، وشاعراً مُجيداً ، وكتب إلى بعض إخوانه من شجعان الطالبين وأجوادهم وشعرائهم. يتهم بالزندقة. وكان فتاكاً سيئ الحاشية. طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية (سنة ١٢٧ هـ) بالكوفة . وهو صاحب البيت المشهور.

(راجع : زهر الأداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني: تحقيق : الدكتور يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت - ج ١ ص ٩١- ٩٢) و (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٣٩)

المراجع والمصادر

• علوم القرآن

- ١- اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، الدكتور إبراهيم شريف، دارالتراث- القاهرة، (ط ١)، (سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق طه عبد السعد ، المكتبة التوفيقية - القاهرة. (بدون تاريخ)
- ٣- أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن العك، دارالنفائس- دمشق، (ط ٢)، سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)
- ٤- الإكيل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية، مكتبة أنصار السنة المحمدية- القاهرة، (ط ٢) ، سنة (١٣٦٦هـ)
- ٥- الإكليل في استنباط التنزيل، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب- لبنان، (بدون تاريخ)
- ٦- بحوث في مناهج التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مكتبة التوبة
- ٧- البداية في التفسير الموضوعي ، للدكتور عبد الحي الفرماوي، طبع جامعة الأزهر- القاهرة ، (ط ٧)، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- ٨- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دارالتراث- القاهرة، (بدون تاريخ)
- ٩- البيان في إعجاز القرآن، للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دارعمار- (عمان) الأردن، (ط ٣)، سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)
- ١٠- التبيان في علوم القرآن، لمحمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي- دمشق، (ط ٢)، سنة (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)

- ١١- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، تقديم الدكتور محمد صالح الألوسي، دار المعرفة- بيروت، (ط ١)، سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- ١٢- التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، مكتبة دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨/١٠٧٢٠٠٧م)
- ١٣- التفسير القرآني، للدكتور محمد رجب البيومي، هدية مجلة الأزهر المجانية- القاهرة ، شوال ١٤٢٥هـ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ١٤- التفسير اللغوي، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دارين جوزي- السعودية العربية، (بدون تاريخ)
- ١٥- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، (ط ٢)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)
- ١٦- التفسير و التفسير الحديثة، لبهاء الدين خرمشاهي، راجعه: عصام حسن، دار الروضة- بيروت، (ط ١)، سنة (١٤١١هـ - ١٩٩١م)
- ١٧- التفسير والمفسرون، للدكتور حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ٨)، سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- ١٨- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس-الأردن، (ط ١)، سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)
- ١٩- التفسير معالم حياته- منهجه اليوم، أمين الخولي، مكتبة الأسرة - القاهرة، مهرجان القراءة للجميع (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- ٢٠- حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، توفيق محمد توفيق علوان، دار المنار الحديثة - القاهرة، (بدون التاريخ)
- ٢١- جواهر القرآن للإمام أبي حامد الغزالي، المكتبة العصرية- صيدا (بيروت)، (ط ١)، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- ٢٢- الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

- ٢٣- الدخيل في التفسير، للدكتور إبراهيم خليفة، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ٢٤- دراسات في مناهج المفسرين، للدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، طبع جامعة الأزهر - القاهرة، (بدون تاريخ)
- ٢٥- دفع شبهات المفترين حول القرآن الكريم، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٢٦- دفاع عن القرآن والرد على مدعي تحريف القرآن، للسيد بن أحمد أبي يوسف، مكتبة الإيمان - المنصورة (مصر)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ٢٧- طبقات المفسرين ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق : علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة ، (ط ١) ، (١٣٩٦ هـ)
- ٢٨- طبقات المفسرين، لأحمد الأندروي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (ط ١)، سنة (١٩٩٧ م)
- ٢٩- روضة الباحثين في مناهج المفسرين، للدكتور فتحي محمد غريب، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ٣٠- ضوابط في فهم النصوص، الدكتور عبد الكريم حامدي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، سلسلة دورية - العدد ١٠٨، (رجب ١٤٢٦ هـ)
- ٣١- علم التفسير، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار المعرفة - القاهرة، (بدون تاريخ)
- ٣٢- القراءات المتعددة، السيد الدكتور عطاء الله مهاجراني، ترجمة : حسن فحص، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ٣٣- قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق - القاهرة، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٣٤- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، مدارس: عمر عبيد حسنة، نهضة مصر - القاهرة، (ط ٨)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٣٥- معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره - نظرة جديدة في التفسير الموضوعي - ، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)

- ٣٦- المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، للأستاذ عبد الرحمن الحاج إبراهيم، موضوع البحث " الهرمنيوطيقا التي قادت إلى إمامة المرأة " في الشبكة الإسلامية (Islamweb): سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)
- ٣٧- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق عدنان زررور، دارالقرآن الكريم - الكويت، (ط ١) ، سنة (١٣٩١ هـ)
- ٣٨- مباحث في علوم القرآن، مناع قطان،، مكتبة وهبة- القاهرة، (ط ٧)، (بدون تاريخ)
- ٣٩- مناهل العرفان الرزقاني، تحقيق هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية - القاهرة.
- ٤٠- مسئولية التأويل، الدكتور مصطفى ناصف، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)
- ٤١- مفاتيح للتعامل مع القرآن، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دارالقلم - دمشق، (ط ٤)، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ٤٢- ملامح التنوير في مناهج التفسير، للدكتور محمود عزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٤٣- نظرات في الأسلوب القرآني، الدكتور السيد تقي الدين السيد، هدية مجلة الأزهر المجانية- القاهرة ، شهر ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ
- ٤٤- النبأ العظيم، للدكتور محمد عبدالله دارز، تحقيق: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم- الكويت، (ط ١٠)، سنة (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)
- ٤٥- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دارالتفسير- الزقازيق، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)
- ٤٦- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي، دارالشروق- القاهرة، (ط ٦)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ٨١
- ٤٧- لايأتون بمثله، محمد قطب، دارالشروق- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)

- ٤٨- مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفى مسلم، دارالقلم - بيروت، (بدون تاريخ)
- ٤٩- جلال الفكر في التفسير الموضوعي لآيات الذكر، للدكتور جمعة علي عبد القادر، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ٥٠- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)
- ٥١- الوجوه والنظائر، للدماغاني، تحقيق محمد حسن أبو العز.
- ٥٢- مناهج المفسرين، للدكتور منيع عبد الحليم محمود، مطبعة المدني - القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)
- ٥٣- منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، للدكتور خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحديري، دار علم الفوائد - مكة المكرمة، (ط ١)، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ٥٤- إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، للدكتور محمد إبراهيم شادي، مكتبة جزيرة الورد - المنصورة (مصر)، (بدون تاريخ)
- ٥٥- القرآن سر نهضتنا، مجدي الهاللي، مؤسسة اقرأ - القاهرة، (ط ١) سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٥٦- التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - القاهرة، (بدون تاريخ)
- ٥٧- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري، مطبعة مصطفى الحلبي، (١٣٤٠ - ١٣٥١ هـ)
- ٥٨- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، للدكتور حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ٣)، سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)
- ٥٩- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المجلس الأعلى للشئون الدينية - القاهرة، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ٦٠- تهافت الهداية (في الرد على المسيحيين من كتاب الهداية)، لنبذة من العلماء تحت إشراف نادي فرج درويش العطار، مركز ابن العطار للتراث - القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)

- ٦١- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور عاطف المليجي، (ط ٤) سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ٦٢- الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن الكريم، للدكتور علي محمد صالح عبد الله، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- ٦٣- منهج الجدل وأداب الحوار في الفكر الإسلامي، للدكتور بركات محمد مراد، كتيب المجلة العربية العدد ٩٧- محرم ١٤٢٦ هـ فبراير ٢٠٠٥م.
- ٦٤- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان ، للسيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، (ط ٢) سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)
- ٦٥- فتح الرحمن في علوم القرآن، للدكتور منيع عبد الحليم والدكتور محمد أمين أبو بكر معوض، أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- ٦٦- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، للدكتور عبد القادر محمد الحسين، دار الوثائقي للدراسات القرآنية- دمشق، (ط ١)، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- ٦٧- مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفى مسلم ، دار الفكر - دمشق، سنة (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)
- ٦٨- حولى كلية أصول الدين القاهرة، رئيس تحرير منيع عبد الحليم، جامعة الأزهر- القاهرة، العدد ٢٢، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- ٦٩- أسباب اختلاف المفسرين في آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري، أطروحة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة القاهرة كلية دار العلوم كلية الشريعة الإسلامية، سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١)
- ٧٠- الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمحسن بن زين بن متعب المطيري، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من كلية دار العلوم- القاهرة، المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني 2.11
- ٧١- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لعبد المجيد الزنداني، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (من أبحاث المؤتمر العالمي الأول في الإعجاز العلمي في

- القرآن والسنة المنعقدة بإسلام أباد/ باكستان - في الفترة من ٢٥ - ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ
١٨-٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م.
- ٧٢- خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن الكريم (عرض ونقد)، فهمي
سالم زبير، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر - القاهرة، سنة (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)
- ٧٣- الروايات التفسيرية في فتح الباري، لعبد المجيد الشيخ عبد الباري، وقف السلام
الخيرى (ط ٣)، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٧٤- مدخل إلى القرآن والسنة، للدكتور عدنان محمد زرزوز، المكتب الإسلامي -
عمان، (ط ١) سنة (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)
- ٧٥- المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، طبعة دار القلم (بدون
تاريخ)
- ٧٦- تفسير الفاتحة وجزء عم، للأستاذ الإمام محمد عبده، الهيئة العامة
للقصورالثقافة- القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)

• التفاسير

- ٧٧- التفسير الكبير، لفخرالدين الرازي، تحقيق : عماد زكي البارودي، المكتبة
التوفيقية- القاهرة ، (بدون تاريخ)
١٧٠
- ٧٨- تفسيرالقرآن الكريم (تفسيرالشيخ شلتوت)، الإمام الأكبرمحمود شلتوت،
دارالشروق - القاهرة، (ط ١٢)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤)
- ٧٩- تفسيرالقرآن الحكيم - المشهوربتفسير المنار - ، سيد محمد رشيد رضا، دار
المنار- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م)
- ٨٠- التحرير والتوير، محمد طاهر بن عاشور، دارسحنون- تونس، (بدون تاريخ)
- ٨١- البحرالمحيط، لأبي حيان، دارالفكر- القاهرة، (ط ٢) ، سنة (١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م)
- ٨٢- تفسيرروح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي،
دارإحياء التراث العربى (بدون تاريخ)

- ٨٣- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دارإحياء التراث العربي (بدون تاريخ)
- ٨٤- أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل المشهور بتفسيرالبيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دارالبيان العربي- القاهرة، سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٢م)
- ٨٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : الشيخ محمد بيومي وأستاذ عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان - القاهرة، (بدون التاريخ)
- ٨٦- تفسير جزعم ، محمد عبده، الهيئة العامة لقصورالثقافة- القاهرة، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)
- ٨٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دارالشروق- القاهرة، (ط ٣٠) سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١)
- ٨٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الثعالبي، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دارإحياء التراث العربي- بيروت، (بدون تاريخ)
- ٨٩- تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، تخريج باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، (ط ١) سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)
- ٩٠- تفسيرالقرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة الصفا- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ٩١- البحر المديد . لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي ، دار الكتب العلمية . بيروت (ط ٢)، سنة (٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ)
- ٩٢- الدرالمنثورفي التفسيربالمأثور، للحافظ السيوطي، تحقيق : الدكتورعبد الله بن عبد المحسن التركي، مركزهجرللبحوث والدراسات الإسلامية- القاهرة، (ط ١)، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- ٩٣- تفسير الشعراوي، للشيخ متولي الشعراوي، إدارة الكتب والمكتبات (أخبار اليوم) - مصر، (بدون تاريخ)

٩٤- تفسير روح المعاني، للإمام الألويسي، دارالكتب العلمية- لبنان، (ط ١)، سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

• الدراسات القرآنية

- ٩٥- الكتاب والقرآن، لمحمد شحرور، الأهالي للتوزيع- دمشق، (بدون تاريخ)
- ٩٦- إشكاليات القراءة وآيات التأويل، للدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي- بيروت، (ط ٦)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)
- ٩٧- التفسير الماركسي للإسلام للدكتور محمد عمارة، دار الشروق- القاهرة، (بدون تاريخ)
- ٩٨- تسبيح الكون، للدكتور أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ٩٩- تهافت القراءة المعاصرة، بقلم الدكتور محامي منير محمد طاهر الشواف، الشواف للنشر والدراسات، (ط ١) سنة (١٩٩٣م)
- ١٠٠- نقد الخطاب الديني، للدكتور نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي- القاهرة، (ط ٣) سنة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- ١٠١- مفهوم النص، للدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي- بيروت، (ط ٥)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)
- ١٠٢- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، للدكتور محمد محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات- القاهرة، سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

• الحديث وعلومه

- ١٠٣- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير تحقيق : عبد القادر الأرئوط ، دار البيان-..... ، سنة (١٩٧٢م)
- ١٠٤- مُصنّف ابن أبي شيبة ، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق : محمد عوامة ، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، (بدون تاريخ)
- ١٠٥- فتح الباري، لابن حجر، دار الريان للتراث - القاهرة، سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)

- ١٠٥- حاشية مسند الإمام أحمد، تحقيق : نورالدين طالب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- قطر، سنة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)
- ١٠٦- صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن الشرف النووي ، تخريج:محمد عبد العظيم، دارالتقوي- القاهرة، (بدون تاريخ)
- ١٠٧- الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دارز، دارالحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)
- ١٠٨- مُصنّف ابن أبي شيبة ، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق : محمد عوامة ، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، (بدون تاريخ)
- ١٠٩- الحديث النبوي ، للدكتور العجمي الدمهوري خليفة والدكتور محمود عبد الخالق، أصدره جامعة الأزهركلية أصول الدين- ، سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- ١١٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، (ط ٥) ، سنة (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)
- ١١١- سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت، (بدون تاريخ)
- ١١٢- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، دارالجيل- بيروت، (بدون تاريخ)
- ١١٣- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة (ط ٣) ، سنة (١٣٩٩م)
- ١١٤- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر (بدون تاريخ)
- ١١٥- سنن الدارمي، لعبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دارالكتاب العربي- بيروت، (ط ١)، سنة (١٤٠٧ م)
- ١١٦- إعلام الموقعين لابن القيم ، تحقيق: عصام الدين الصبابي، دارالحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)
- ١١٧- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لمباركفوري، (دار الكتب العلمية - بيروت) (بدون تاريخ)

١١٨- شعب الإيمان ، لأبي بكر البيهقي ، تحقيق وتخريج: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد - الرياض، (ط ١)، سنة (١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م)

١١٩- سنن النسائي الكبرى ، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت (ط ١)، سنة (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)

١٢٠- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة- القاهرة، الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط (بدون تاريخ)

• الأخلاق والتصوف

١٢١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي ، تخريج الحديث : الحافظ العراقي، دار الفجر للتراث- القاهرة، (ط ١) سنة (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)

• الفقه وأصوله

١٢٢- الفقه الإسلامي في طريق التجديد، للدكتور محمد سليم العوا، المكتب الإسلامي- بيروت، (ط ٢)، سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)

١٢٣- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، دارالسلام- القاهرة، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

١٢٤- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط ٥)، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)

١٢٥- القواعد الفقهية، لعلي أحمد الندوي، دارالقلم- دمشق، (ط ٥)، سنة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)

١٢٦- القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، للدكتور محمد بكري إسماعيل، دار المنار- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)

١٢٧- منهج عمر بن الخطاب في التشريع، الدكتور محمد البلتاجي، دارالسلام- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)

- ١٢٨- التجديد والمجددون في أصول الفقه، عبد السلام عبد الكريم، المكتبة الإسلامية- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ١٢٩ - الإجتهد بتحقيق المناط وسلطانه، عبد الرحمن الزايدي، دار الحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- ١٣٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دارالسلام- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)
- ١٣١- الثابت والمتغير في فكرالإمام الشاطبي، لمجدي محمد محمد عاشور، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - الإمارات العربية المتحدة، (ط ١)، سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)
- ١٣٢- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، تخريخ محمود بن جميل، مكتبة الصفا- القاهرة، (ط ١)، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م)
- ١٣٣- الإجتهد بتحقيق المناط وسلطانه، عبد الرحمن الزايدي، دار الحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- ١٣٤- ميراث المرأة وقضية المساواة، للدكتورصلاح الدين سلطان، دارنهضة مصر- القاهرة، سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

• الدراسات الإسلامية

- ١٣٥- الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق- القاهرة، (ط ١٧)، (بدون تاريخ)
- ١٣٦- الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء، للدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام- القاهرة، (ط ١)، سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)
- ١٣٧- أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الصعب- بيروت، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ٤٩

- ١٣٨- دراسات إسلامية في العلاقة الدولية والاجتماعية، محمد عبد الله دارز، تحقيق: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم- القاهرة، (ط ٥)، سنة (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)
- ١٣٩- الإسلام بين التنوير والتزوير، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق- القاهرة، (ط ٢)، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)
- ١٤٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لعلي الحسيني الندوي، دارالغد الجديد- المنصورة (مصر)، (ط ١)، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ١٤١- حقائق الإسلام في مواجهات شبهات المشككين، لجماعة من فحول العلماء - الدكتور عبد الصبور مرزوق، الدكتور عبد العظيم المطعنى، الدكتور علي جمعة محمد، الدكتور محمد عمارة، الدكتور حمدي زقزوق- المجلس الأعلى للشئون الدينية- القاهرة، (ط ٤)، سنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ١٤٢- الإسلام الليبرالي، محمد إبراهيم مبروك، الدار القومية- القاهرة، (بدون تاريخ)
- ١٤٣- شروط النهضة، لمالك بن نبي، دار لفكر - دمشق، (ط ٤)، سنة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)

• المعاجم واللغات

- ١٤٤- لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث- القاهرة، سنة (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)
- ١٤٥- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١)، سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)
- ١٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي - تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء كويت، سنة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م)
- ١٤٧- المعجم الوسيط، الإصدار مجمع اللغة العربية، دار المعارف- مصر، سنة (١٩٨٣ م)
- ١٤٨- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون سود، دارالعلمية - بيروت، ط (١)، سنة (١٩٩٨ م)

- ١٤٩- الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دارالعلم- بيروت، (ط ٢)، سنة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)
- ١٥٠- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، (ط ٢)، سنة (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م)

• التراجم والطبقات

- ١٥١- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر، دار الجيل - بيروت، (ط ١)، سنة (١٤١٢ م)
- ١٥٢- صفة الصفوة - لابن الجوزي ، دار المعرفة - بيروت، (ط ٢)، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)
- ١٥٣- تاريخ قضاة الأندلس، لأبو الحسن بن عبد الله النباهي الأندلسي، دارالآفاق الجديدة - بيروت ، (ط ٥)، سنة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)
- ١٥٤- تذكرة الحفاظ، للذهبي ، تحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١) سنة (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)
- ١٥٥- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، لأعضاء ملتقى أهل الحديث، الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة
- ١٥٦- الأعلام، للزركلي، دارالعلم للملادين، (ط ٢)، سنة (١٩٩٧ م)
- ١٥٧- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد - سوريا ، سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)
- ١٥٨- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، لأبي نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، (ط ١) سنة (1407 م)
- ١٥٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دارالكتاب العربي - بيروت، (ط ٤) سنة (١٤٠٥ م)
- ١٦٠- مفكرون من عصرنا، سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة (٢٠٠٨)

- ١٦١- طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة عالم الكتب تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان- بيروت (ط ١) سنة (١٤٠٧ هـ)
- ١٦٢- فقهاء المدينة السبعة، عبد المنعم عبد الرضى الهاشمي، دارين كثير - بيروت، (سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)
- ١٦٣- الموسوعة في أعلام الدنيا، لمجدي سيد عبد العزيز، مكتبة الآداب - القاهرة ، (ط ١) سنة (٢٠٠٨ م)

• الاستشراق والتبشير

- ١٦٤- الاستشراق والمستشرقون، للدكتور مصطفى السباعي، دارالسلام - القاهرة، (ط ١) سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)
- ١٦٥- التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق، للدكتور ذكي عوض وعبد القادر سيد عبد الرؤوف أصدره جامعة الأزهر كلية أصول الدين- القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)

• الكتب الأخرى

- ١٦٦- المجددون في الإسلام من القرن الأول حتى الرابع عشر، لعبد المتعال الصعيدي، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، سنة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ١٦٧- الشيخ طنطاوي جوهرى- دراسة ونصوص، دكتور عبد العزيز جادر، دارالمعارف- القاهرة، (بدون تاريخ)
- ١٦٨- الفكر السياسي للإمام محمد عبده، لعبد العاطي محمد أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة، سنة (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ١٦٩- رائد الاجتهاد والتجديد الإمام محمد عبده، السيد يوسف، مكتبة أسرة - القاهرة، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)
- ١٧٠- الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي، للدكتور عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)

١٧١- أصول البحث العلمي ومناهجه، للدكتور أحمد بدر، دارالقلم - بيروت، (ط ٧) ،
سنة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م)

• الجرائد والمجلات

- ١٧٢- جريدة اللواء الإسلامي ، ، العدد ١٣٦٤ ، ١٣ مارس ٢٠٠٨ م
١٧٣- جريدة " اللواء الإسلامي " ، العدد ١٣٤٧ ، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧ .
١٧٤- مجلة منار الإسلام، جائزة شخصية العام الإسلامية، مبارك مهيري ،العدد
٣٨٢ ، سنة (١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م)
١٧٥- بحث علمي " التعددية ووحدة الأديان " ، للدكتور آديان حسيني،
١٧٦-مجلة السياسة الأسبوعية ص ٦ في العدد السادس من السنة السادسة (سنة
١٩٣٧)
١٧٧- مجلة الوعي الإسلامي، (العدد ٥٠٠) (ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ أبريل-
٢٠٠٧ م)
١٧٨- مجلة منار الإسلام، ، العدد ٣٨٢ السنة ٣٢ أكتوبر ٢٠٠٦ (ص ٢٦)
١٧٩- مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٩٧- محرم ١٤٢٨ هـ - يناير ٢٠٠٧ م
١٨٠- مجلة المنار، السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا ،(المجلد [٣٥] الجزء [٩
[ص ٧٠٥ جمادى الآخرة ١٣٥٩ . أغسطس ١٩٤٠)
١٨١- مجلة الأزهرذي القعدة ١٣٩٦ هـ
١٨٢- مجلة الوعي الإسلامي،(عدد ٥٠٦) - (السنة ٤٤)- (شوال ١٤٢٨ هـ-
٢٠٠٧ م)
١٨٣- مجلة " المسلمون"، العدد الأول، سنة (١٤٠٢ هـ-١٩٨١ م)
١٨٤ - مجلة الوعي الإسلامي،(عدد ٥٠٥) - (السنة ٤٤)- (رمضان ١٤٢٨ هـ-
٢٠٠٧ م)

• البرامج الإلكترونية

١٨٥- مكتبة الشاملة وموقعها على الأنترنت <http://www.shamela.ws>

١٨٦- موسوعة مجلة المنار - الأعداد الكاملة- إنتاج ماس للبرمجة ونظم المعلومات
١٨٧- موسوعة الحديث الشريف الإصدار الثاني ٢.١ ، شركة " حرف " لتقنية
المعلومات Harf Information Tehnology company سنة (١٩٩٨م)

• المراجع الأجنبية

١٨٨- الموسوعة بريتانكا

-Encyclopaedia Britannica, (Chicago : 1985, 15 th Edition) vol.

• فهرس الموضوعات

أ	استهلال
ب	إهداء
ج	كلمة شكر وتقدير
هـ	ملخص البحث
١	المقدمة
٣	• أهمية البحث
٤	• أسباب اختيارالموضوع
٤	• أهداف البحث

٥	• الدراسات السابقة
٧	• منهج الباحث في دراسة الموضوع
٧	• مشكلات البحث وأسئلته
٨	• فروض الحل لمشكلات البحث
٨	• هيكل البحث
١٢	التمهيد
١٢	تعريف بعض مصطلحات البحث
١٢	• اتجاهات
١٢	• مناهج التفسير
١٣	• العصر الحديث
١٦	الفصل الأول : دراسة نظرية عن التفسير
١٦	المبحث الأول: معنى التفسير والتأويل في اللغة والإصطلاح
٢١	المبحث الثاني : الفرق بين التفسير والتأويل ودليل التفريق بينهما
٢٦	المبحث الثالث : أطوار التفسير التاريخ
٣٣	المبحث الرابع : وجه الحاجة إلى التفسير
٣٦	المبحث الخامس : ضوابط لتقويم التفسير
٣٩	المبحث السادس : شروط المفسر
٤١	المبحث السابع : أسباب اختلاف المفسرين
٥٦	الفصل الثاني : قبسات عامة عن التفسير في العصر الحديث
٥٦	المبحث الأول : مظاهر التفسير في العصر الحديث
٥٦	المطلب الأول : التفسير بين ماضيه وحاضره
٦٥	المطلب الثاني : مميزات التفسير في العصر الحديث
٧٢	المبحث الثاني : تجدد القراءة في التفسير
٧٢	المطلب الأول : ضرورة القراءة المتعددة في التفسير
٨٢	المطلب الثاني : الحاجة الملحة إلى التجديد في تفسير النصوص القرآنية

٩١	الفصل الثالث : مناهج التفسير في العصر الحديث
٩١	المبحث الاول : المناهج الرائجة في العصر الحديث
٩١	المطلب الأول : مناهج التفسير على وجه عام
٩٦	• المنهج النقلي للتفسير (التفسير بالمأثور)
٩٧	• المنهج العقلي للتفسير (التفسير بالرأي)
٩٩	• المنهج الأثري النظري
١٠١	• المنهج الاجتهادي للتفسير
١٠٢	• المنهج اللغوي للتفسير
١٠٣	• منهج التفسير البياني
١٠٥	• المنهج الفلسفي الكلامي
١٠٧	• المنهج التفسير الفقهي
١٠٨	• المنهج الفلسفي الصوفي الباطني في التفسير الإشاري
١١٢	• المنهج التحليلي
١١٢	• المنهج الإجمالي
١١٣	• المنهج المقارن
١١٤	المطلب الثاني : مناهج التفسير المثيرة للجدل في العصر الحديث
١١٥	• المنهج الأدبي الاجتماعي
١٢٠	• المنهج الأدبي في التفسير
١٢٧	• المنهج الهرمنيوطيقا
١٣٣	• المنهج التاريخاني
١٣٤	المبحث الثاني : منهج التعامل مع القرآن في العصر الحديث
١٣٤	المطلب الاول : الخطوات المتدرجة في التعامل مع التفسير في العصر الحديث
١٣٤	• الثقة المطلقة للنص القرآني
١٣٥	• النظرة الكلية الشاملة للقرآن
١٣٧	• الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن
١٤٣	• المحافظة على جو النص القرآني

- ١٤٥ • استبعاد المطولات الحاجزة نور القرآن
- ١٤٦ • تنزيه القرآن عن الدخيل والأسرائيليات
- ١٥١ • تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان
- ١٥٣ • **المطلب الثاني : البعد الواقعي للنصوص القرآنية**
- ١٦٥ • **المطلب الثالث : الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة**
- الفصل الرابع : دراسة نظرية وتطبيقية في أبرز اتجاهات التفسير**
- في العصر الحديث**
- ١٧٣ • **المبحث الأول : دراسة عن التفسير الموضوعي**
- ١٧٣ • **المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي**
- ١٧٤ • • تعريف التفسير الموضوعي
- ١٧٧ • • نوع التفسير الموضوعي
- ١٨٣ • • نشأته
- ١٨٧ • • أسباب ظهوره ومدى أهميته
- ١٩١ • • منهج الدراسة الموضوعي للتفسير
- ١٩٤ • • أهم المؤلفات في التفسير الموضوعي
- ١٩٥ • • مكانته وما يتميز به من التفاسير الأخرى
- ١٩٦ • **المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الموضوعي**
- ١٩٦ • **النموذج الأول : الشورى في القرآن**
- ٢٠١ • **النموذج الثاني : أمية العرب في القرآن**
- ٢١٧ • **المبحث الثاني : دراسة عن التفسير الأدبي الاجتماعي**
- ٢١٧ • **المطلب الاول : دراسة نظرية عن التفسير الأدبي الاجتماعي**
- ٢١٨ • • اللون الأدبي الاجتماعي في عصرنا الحاضر
- ٢١٩ • • مدارس التفسير الأدبي الاجتماعي
- ٢٢٩ • • مناهج المفسرين فيه
- ٢٤٤ • • مميزات التفسير الأدبي الاجتماعي
- ٢٤٥ • • أهم كتب المؤلفات

- ٢٤٦ • نشأة التفسير الأدبي الاجتماعي في العصر الحديث
- ٢٤٨ المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الأدبي الاجتماعي
- ٢٤٩ النموذج الاول : معالجة المسئلة الاجتماعية من سورة "العصر"
- النموذج الثاني : الربط بين الفرد والمجتمع ربطا محكاما من ضوء سورة
- الانفطار ١٣
- ٢٥١
- ٢٥٢ المبحث الثالث : دراسة عن التفسير العلمي
- ٢٥٢ المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسير العلمي
- ٢٥٢ • معنى التفسير العلمي في القرآن لغة واصطلاحا
- ٢٥٥ • مصادر التفسير العلمي
- ٢٥٧ • شروط التفسير العلمي
- ٢٦٠ • المانعون والمجيزون في التفسير العلمي قديما وحديثا
- ٢٧٤ • جهود العلماء في التفسير العلمي
- ٢٧٨ • الجامعات التي تبنت بإنشاء الهيئة الخاصة للتفسير العلمي
- ٢٨٢ • الشخصية البارزة في التفسير العلمي
- ٢٨٤ • فعاليات الهيئة العالمية للاعجاز العلمي فى القرآن والسنة
- ٢٨٨ المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير العلمي
- ٢٨٨ النموذج الأول : الجاذبية وأثرها في بناء السماء
- ٢٩٠ النموذج الثاني : تعدد الشموش والاقمار
- ٢٩٢ **الفصل الخامس: التفاسير المنحرفة في العصر الحديث**
- ٢٩٢ المبحث الاول : ظهور الانحرافات فى التفسير
- ٢٩٢ المطلب الأول : دراسة نظرية عن التفسير الإلحادي
- ٢٩٢ • التفسير الإلحادي
- ٢٩٧ • دوافعه
- ٢٩٩ • الشخصية البارزة فيه
- ٣٠٢ المطلب الثاني : دراسة تطبيقية عن التفسير الإلحادي
- ٣٠٢ • نموذج من هذا التفسير

٣٠٦	المبحث الثاني : الشبهات المثارة عبرالنصوص القرآنية
٣٠٦	المطلب الأول : تسرب الدخيل في التفسير المعاصر
٣١٦	المطلب الثاني : رد الشبهات منهج قرآني
٣٢٥	المطلب الثالث : الشبهات فى التفسير وردودها
٣٢٥	• تهافت القراءة المعاصرة لمحمد شحرور
	• دعوى تاريخية القرآن وضرورة تعديل بعض أحكامها وفق مقتضى الوضع
٣٣٠	
	• شبهة خطايا محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب " الهداية " للمرسلين
٣٣٦	الأميريكان
٣٤٤	الخاتمة
٣٤٤	• أهم نتائج البحث
٣٤٧	• أهم التوصيات
٣٥٠	الفهارس
٣٥١	• فهرس الآيات القرآنية
٣٧١	• فهرس الأحاديث الشريفة
٣٨٦	• فهرس الأشعار
٣٧٣	• فهرس الأعلام
٣٨٧	• المصادر والمراجع
٤٠٤	• فهرس الموضوعات